الجزء الأوّل من تاريخ

كَنْزُ الدُّرَرْ وَجَامِعُ الغُرَرْ

تَأليفُ أضْعَفُ عبادِ اللهِ وَأفْقرُهُم إلَى الله أبو بَكر ابن عَبد الله بن أيبَك صَاحِب صَرْخَدْ ، كان عُرِفَ وَالِدُهُ رَحِمَــهُ الله بالدَوَاهْدَارِى ، انتسَاباً لخِدْمَةِ الأمِــير المرحوم سَيْفُ الدِين بَلَبان الرُومى الدَوَادارْ الظاهِرِى ، تَغمَّدَهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ وأسكَنَهُمْ فَسِيحَ جَنَّتِهِ بِمُحَمَّدٍ وآلِهِ .

وَهُوَ

الدُرَّة العُلْيَا فى أخْبَارِ بَدْءِ الدُنيَا

بسم الله الرحمن الرحيم

رب اختم بخير

٣ « الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، إياك نعبد وإياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » آمين .

٦ « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » .

٩ اللهم إنى بحمدك أستفتح ، وبرشدك أسترشد وأستنجح ، وبتوفيقك أستسهل كل صعب ، وبعظمتك أستقل كل خطب ، وبنور هدايتك أستضىء ، وبعز عنايتك مرتضى ، وببركة قدسك أستهل ، ومن سعة علمك أستمل ،

١٠ ومن غزير إلهامك أستمد ، وإلى عزيز سلطانك أستعد . لك الحمد والمنة ، وبعظمتك التوقى والجنة ، وبك أعوذ من شر الإنس والجنة ، وبرحمتك أرجو الفوز بالجنة . اللهم صلى على خير الأصفياء ، وخاتم الأنبياء ، ومنشئ الفصاحة ،

١٥ وجامع الملاحة ، وصاحب البيان ، وحبيب الرحمن ، ذو الجمال البديع ، والجناب الرفيع ، والدين القويم ، والمنهاج المستقيم ، سيد المرسلين ، والمؤيد بالملائكة المقربين ، محمد الأمين الذى أعليت درجته فى عليين ، وأنزلت عليه فى كتابك

١٨ المبين :

« يس ، والقرآن الحكيم ، إنك لمن المرسلين » .

(٣-٥) القرآن الكريم ١ / ١ - ٧ (٦-٨) القرآن الكريم ٢ / ٢٨٦

(١٩) القرآن الكريم ٣٧ / ١ - ٣

اللّهمّ فصلّى عليه وعلى آله الطاهرين وأصحابه الذين أضحوا على أهل الشرك ظاهرين ، وارض اللّهمّ عن الأنصار والمهاجرين ومن تبعهم بإحسان إلى (٣) يوم الدين ، إنّك بالإجابة جدير ، وأنت على كلّ شىء قدير ، يا نعم المولى ويا نعم النصير .

وبعد : فإنّ خير الكلام ما شُغل بذكر بعض محاسن من جمع الله تعالى له ملك الدنيا إلى ثواب الآخرة ، وعزّة النفس إلى بسطة العلم ، ونور الحكمة إلى نفاذ الحكم وجعله مبرًّا على سائر ملوك العصر ، كما فاق بملكه على جميع سلاطين الدهر ، بخصائص من العدل ، وخلائل من الفضل ، ودقائق من الكرم المحض ، وعزائم قد شاعت فى أقطار الأرض ، لا يدخل أيسرها تحت العادات ، ولا يدرك أقلّها بالعبادات ، ومحاسن سيَر تحرسها أسنّة الأقلام ، وتدرسها ألسنة الليالى والأيّام ، فأصبحت الأيّام بدوام أيّامه تميس إعجاباً ، والأزمنة بعد هرمها بزمانه قد عادت شباباً ، فلذلك وجب على كلّ ذى عقل ودين ، بل على كافّة الناس من سائر الملل أجمعين أن يمدّوا بالدعوات الصالحة ، بأفكارهم القادحة لدوام أيّامه وخلود سلطانه وبقاء ملكه واستمرار زمانه ، لأنّه زمان ، قد جمع بين العدل والإحسان ، والخصب والأمان والطمأنينة ، وقد قيل : الأوطان حيث يعدل السلطان ، وعدل السلطان خير من خصب الزمان ، فكيف إذا اجتمعت هذه الخلال فى بعض محاسن مولانا السلطان ، ملك العصر والزمان ، والمؤيّد بالملائكة والقرآن ، سيّدنا ومولانا ومالك رقّنا السلطان الأعظم الملك الناصر أبا المعالى صاحب هذه المناقب والمفاخر ، ناصر الدنيا والدين محمّد ابن مولانا السلطان الشهيد الملك المنصور ، سيف الدنيا والدين قلاون الألفى الصالحى (٤) .

وذلك أنّ صدقاته العميمة الشاملة شرقاً وغرباً ، الذاهبة غوراً ونجداً ،

كشفت عن أهل الفضل أحوالًا تتضمّن أهوالًا ، وعلّمهم كَرَمُه كيمياءً تجعل الآمال أموالًا ، وأقام سوق العلوم وسوقها ، وأربح تجارة من حمل إليه وسوقها ،
٣ فلذلك جعلت كتابى هذا من رعايا الكتب أميراً ، وأمطيته من عروس المملكة سريراً ، وجعلت رأسه لسماء الفخر مظلّلًا وبتاج العزّ مكلّلًا ، وافتتحته بذكر ملك هو مفتاح يد المتطرّق إلى باب الرشاد ، ومصباح عين المستضىء بنور السداد ،
٦ ورحمة الله الموعودة للعباد ، ورحمته المنشورة فى البلاد ، ملك قام بأمر الله معتصماً بحبل رجائه ، فصبّ بحار النعم على أوليائه ، وأسواط النقم على أعدائه ، فهو بشارة مصبوبة فى الآذان وباكورة مجلوبة من ثمرات الجنان ، ومالك له فى كلّ
٩ مكرمة عزة الأوضاح ، ومن كلّ فضيلة قادمة الجناح ، بصدر تضيق عند الدهناء وتفزع إليه الدهماء (من الكامل) :

لله صَدرٌ للإمامِ كأنّما أقطارُ طاعته به قِطْميرُ
١٢ تتزاحم الأضداد فيه وتَنْثَنى عنه وليس لوَقعها تأثيرُ

(من الوافر) :

وأثبت ما تراه نُهًى وجاشاً إذا دهش المشاور والمشيرُ

١٥ سيّد للجميل معتاد ، والفضل منه مبدأ ومعاد ، وسلطان ما له للعفاة مباح ، وفعاله فى ظلمة الدهر مصباح ، بهمّةٍ تعزل السِّماك الأعزل، وتجرّ ذيلها على المجرّة ، مفترع أبكار المكارم ، رافع منار المحاسن ، ينابيع الجود تنفجر من أنامله، وربيع
١٨ السماح يضحك عن فواضله ، بيت القصيدة والواسطة الفريدة (٥) ، ذكر الأنام لنا فكان قصيدة كتب البديع الفرد من أبياتها ، شجرة فضلٍ عودها أدب وأغصانها علم وثمرتها عقل وعروقها شرف ، تسقيها سماء الحرّية ، وتغذيها أرض
٢١ المروّة ، يحلّ دقائق الأشكال ، ويزيل معترض الإشكال ، قد جمع الحفظ الغزير ،

والرأى السديد فى التدبير ، يفهم من مبادئ الأقوال خواتم الأحوال ، ومن صدور الأمور إعجاز ما فى الصدور (من الطويل) :

يُناجيك همّا فى الضمير كأنّه ... بمختَلَسات الظنّ يسمع أو يرا ٣

فأبوابه الشريفة كعبة المحتاج لا كعبة الحجّاج، وأمن الخائف لا مُنا الطائف، ومشعر الكرم، لا مشعر الحرم، ومنجد الخوف لا مسجد الخيف، حرسها الله تعالى بما حرس به كعبته من أصحاب الفيل ورمى من رامها بسوء بحجارة من سجيل ٦ (من الطويل) :

إليه وإلّا قيّدوا قَدَم السُرى ... وفيه وإلّا أخرِسوا اللسن الحمدِ

وعنه أفيضوا إنّه مشعر الهدى ... وحوليه طُوفوا إنّه كعبة القصدِ ٩

وحَسْب الليالى أنّها فى زمانه ... بمنزلة الخيلان فِى صفحة الخدّ

يَغيثك فِى مَحْل يعينك فِى ردا ... يروعك فى دِرْعٍ يروقك فِى بُرْدِ

جمالٌ وإجمالٌ وسَبقٌ وصولةٌ ... كشمس الضحى كالمزن كالبرق كالرعدِ ١٢

قد أقامه الله تعالى رحمةً لعباده ، وغيثاً لبلاده ، وغوثاً لعباده ، حاسم عن القيام بحقوق الله ساق التشمير ، وحاسم بنفوذ أوامره المطاعة موادّ الفساد بحسن التدبير ، كنز الآملين وغيث الماجلين وملجأ القاصدين وبحر الواردين ، سيّد ١٥ الملوك والسلاطين ، فى كل عصر ووقت وحين (٦) الذى عجزت الألسن فى مدحه حتى عادت قصار ، ولو كان كلّ اللسن كحسّان والأنصار له أنصار :

(من الكامل) : ١٨

ماذا أقول إذا وصفتُ جلالَه ... والنُطقُ فيه مُطلَق ومُقيَّدُ

النَظم أضيَقُ أن يحوز صفاته ... لكنّه جهد الذى هو يجهدُ

---

(٨) اللسن : ألسن (١٧) اللسن : الألسن

إنّا إذا قمنا له بالشكر نعمل للمعاد حقيقة ونمهدُ

أدام الله أيامه لملك الأرض حتى يدبّره ، وملك العصر حتى يثمره ولا أخلاه من عناء يبتنيه ، وثناء يقتنيه ، وخير يصطنعه ، ومدح يستمه ، وأعزّ أنصاره وبسط ظلّه وجعل أعداؤه خاشعةً أبصارهم ترهقهم ذلّة ،

آمين آمين يا ربّ العالمين .

وبعد : فإنّ العبد لما اشتغل بفنّ الأدب السامى للقدر العالى للرتب ، وعهدى بعهد الصبى مخيم ما استقلّ والوجه بالنبت موسم همّ وما بقل ، والخطّان المتواردان من يمينه ويساره لم يتصافحا ، والضدّان المتناقضان من ليله ونهاره لم يتصالحا ، ولم يثن غنائى عن ما غنانى من الإيضاع مقلة ينبوع ، ولا زمّنى عمّا أهمّنى من الإسراع بيانه أسروع ، فعلى هنالك قدرى جدّ فى طلب العلم جدّه ، وما رأى فى عسجد أستفيده ولكنّى فى مفخر أستمدّه ، وكفى بالعلم مفخراً يقدع منه أنوف المفاخرين ، وبالثناء الجميل مدخراً وهو لسان الصدق فى الآخرين ، والموفّق مَن إذا همّ ألقى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب ، ومدّ أطناب خيامه على النجوم الثواقب ، فلذلك استأنست بالخلاء عن الملاء ، وولّيت وجهى شطر الأئمة الفضلاء ، (٧) وبسطت حجرى لالتقاط درر الشفاه وجعلت ذلك دواء لقابى وشفاءه ، وتركت اليراعة التى هى سنان رمح البراعة بطول انتظامها إلى أناملى سادسة لخامسها ، والمِداد الذى هو مستقى أرشه الأقلام منهلًا لخوامسها ، لا جرم أحمدت مسراى عند الصباح ، ونادى منادى الخير حى على الفلاح ، وهيّأ الله لى من أمرى رشداً ، وثمر لى طول معاناة المخض زبداً ، وتحقّق لى كلّ ظنّ مما تجمع لى من كلّ فنّ ، فكأنّ الأرض حلت لى على اتّساع جوانبها ورويتُ عن الفضلاء

(٤) ترهقهم : ترهقهم درر النيجان ٣ آ ، ١١

من مشارقها ومغاربها، فغدت كأنّى فى تخليد أخبارهم، وتجديد الدارس من آثارهم قبلى من اللواقح السواحب ذيولها على الأرض الخاشعة إحياءً لمواتها، وربى من النوافخ فى صور رعدها على الروضة الفائحة إنشاراً لنباتها، ولم ينشر إلىّ الوصول ٣ إليها والفراغ منها إلّا وقد وخط القتير، وطلع النذير، وانضمّ الخيط الأبيض من الفجر إلى الخيط الأسود من الشعر، فحلى الفود مشتملًا وأضاف الدود إلى الدود فصارت إبلًا. ٦

ثم اخترت الله تعالى بعد ما أخلصت النيّة، وسألته سرًّا وعلانيةً أن يلهمنى رشدى، ولا يخيّب سؤالى وقصدى، فدلّتنى هناك الإرادة، وحرّكتنى لذلك السعادة، فوضعت هذا التأريخ اللطيف، مشرفاً بالاسم السلطانى الناصرى ٩ الشريف، وشمّرت عن ساق التشمير، وهجرت كلّ جليس وسمير، ما خلا سمير الكتب، وشهير الأدب، وقدحت زناد الفكرة فأورا وأضا، وأحييت ما دثر من الأفاضل ممّن انقضا ومضا، الذين بأسنّة يراعتهم يُضربُ المثل، وبألسنة (٨) ١٢ يراعتهم ملكوا قلوب تلك الملوك الأُوَل، إذا كان الوقت للفاضل فيه مقال، ويقال فيه الجاهل وفى الفاضل يقال، فلمّا أقفرتْ تلك البقاع وخلت الرّخاخ من الرقاع، وتفرزنت بيادق الحواشى، ودثر ونسى الناثر والفاضل الناشىء، وكسد سوق ١٥ البراعة، وفسد زمان البداعة، قصدت أن أتتبع آثار الداثر، وأتشبّث بشىء من الدارس فى ذا الزمان الفاتر، لعلّى أبلغ الأسباب وأضاف إلى جملة عبيد السادة الكتّاب وإن كنتُ لست من أهل هذه الصناعة، ولا تجّار هذه البضاعة، ١٨ وأين وقع الضباب من قطر السحاب، وهفيف الغراب من هوى العقاب، لكنّنى تشبّثتّ بفضلهم منهم إليهم، وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملًا صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم. ٢١

وكان الابتداء فى الاشتغال بمسودّاته ، وجمع نوادره ومستطرفاته وتحصيل
أخباره وحكاياته فى سنة تسع وسبعمائة العربيّة للهجرة النبويّة ،على صاحبها أفضل
٣ الصلوات ، وأزكى التحيات ، وذلك مما انتخبته وانتقيته وغربلته ونقيته ، من
تواريخ رئيسة وكتب نفيسة وزُبَد عجيبة ، ونُبَذ غريبة ، يشتمل على درر يتيمة
وغرر كريمة ، وبدع مؤنقة ، ولمع محرقة ، فعاد كالحديقة المشرقة ذات أشجار
٦ مورقة بأثمار باسقة ، وأطيار ناطقة وأنهار دافقة وأزهار شائقة ، وحدائق مزهرة
ودقائق مبهرة ، ونوادر مُلهية ، ومضاحك هزليّة وملح شهيّة ، ورقائق مُبكية
وأهاجى مُضحكية ، ومدائح زكيّة ، وحكايات مليحة بروايات صحيحة ، بألفاظ
٩ فصيحة ، تصل إلى العقول الرجيحة ، فلما كمّلت مسودّاته ، ونجزت آياته (٩)
ألفت كلّ واقعة فى زمانها ، وما جرية فى أوانها ، وأقمته تأريخاً غريب المنال ،
كثير الحِكَم والأمثال ، ونخلت من تواريخ الجم ، ما ينزّه الناظر ويشنّف
١٢ السمع ، يتضمّن من فوائد الجدّ ، ونوادر الهزل ، وفرائد النثر ، وقلائد النظم ،
ما يملأ البصر نوراً ، والقلب سروراً ، مع عيون تواريخ العرب والعجم ، ومن
سلف من ملوك الأمم ، إلى نتف الأئمة الخلفاء ونِقَس الملوك والوزراء ، ونكت
١٥ الزهّاد والحكماء ، ولمع المحدّثين والعلماء ، وحِكَم الفلاسفة والأطبّاء وغرر البلغاء
والشعراء ، وملح المجان والظرفاء وطرف السوّال والغوغاء ، وما يختصّ به كلّ
زمان ، ويفترد به كلّ طائفة بأوان .

١٨ واستفتحت الكلام بتنزيه البارىء المنزّه عن الأوهام الذى لاتدركه الأبصار
ولا الأفهام ولا تفنيه الليالى ولا الأيّام ، حىّ قيّوم لاينام ، الأبدى على الدوام ،
ثم أتبعت ذلك ببدء الدنيا وخلق الأشياء مع خلق السموات ، وما فيها من المخلوقات
٢١ العلويّات ، وكذلك الأرضين وما قلّها من المخلوقين ، وتلوت هذا الكلام بخلق

آدم عليه السلام وماورد من الحديث فى الأمم المخلوقة من قبله ، وأردفت ذلك
بالأنبياء والمرسلين من نسله ، تتلوا ذلك الحين صلوات الله عليهم أجمعين ،
ثم ذكرت السحرة والكهّان من قبل آفة الطوفان ، من بعد ماوهنت عن ٣
طوائف الجنّ والجانّ ، وإبليس اللعين ، وأولاده وجنوده وأعوانه للاعين ،
وكلّ ذلك مستخرج من صحيح مسلم والبخارى ، لاوثق بما ألفته على أهل زمانى
من أنظارى ، ثم ذكرت شجعان الجاهليّة ، والفحول من الشعراء الأوائليّة ، ٦
فى الفترة لما بين عيسى صلوات الله عليه والحواريّين ، إلى مولد سيّدنا وحبيبنا
وشفيعنا محمّد صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين (١٠) وأصحابه والتابعين صلاةً
دائمةً إلى يوم الدين . ٩

ثم ابتدأت من أوّل عام الهجرة سياقة النيل من بعد سياقة التاريخ بعام الفيل
وقدّمت قبل كل حادثة من حوادث ذلك العام ، ما يليق من الكلام ، وذلك
ما استقرّ عليه القاع من الماء القديمة ، وما انتهت إليه الزيادة على القانون المستقيم ، ١٢
وأثبتّ ذلك لفوائد عدّة يأتى شرحها ، ويظهر للمتأمّل الحاذق ربحها .

ثم أتبعت هذا الكلام ، فى حوادث كلّ عام ، ومن كان فيه من الحكّام
من خلفاء الإسلام ، وملوك الأنام ، السادة الأعلام فى مشارقها ومغاربها ، ومسالمها ١٥
ومحاربها ، وذلك ممّا اتّصل إلينا من أخبارهم فقصصناه من آثارهم وما عدا ذلك
فعلمهم عند خالقهم ، ومنشئهم ورازقهم ، وذكرنا ماحدث فى كلّ عام من حوادث
وأمور ، وما تغيّر فيه من أمر كان أو مأمور ، واعتمدت فى ذلك كلّه الغاية ١٨
فى الاختصار ، إذ التواريخ وجمعها لا يقع عليها إحصار ، ولقد اعتنيت بحصر
ما جمعت فيه من ملح تواريخ الإسلام ، وما اخترت من نوادر جواهر الكلام ،
فكان نيف وخمسين ، مجيدين محسنين ، حسبما ذكرت من أسمائهم وبيّنت من ٢١

أنبائهم بحكم أنّى لم أترك فى هذا المجموع المطبوع تقصيراً مُخلّ ، ولا أسهبت وأطنبت تطويلًا مملّ ، وليس الاعتماد فى هذا كلّه إلّا على حسن فطرة ٣ القارئ ، الذى ذهنه أرقّ من الماء الجارى ، فإذا حسن من القارئ البراعة ، وأصغى السامع وأخلى قلبه لسماعه ، لذّت هنالك المحاضرة ، وعلم هنالك أنّه كتاب لا يقاس بالمناظرة .

٦ ثم إنّ العبد قد اقترح فى تأليفه اقتراحاً أظن أنى لم أسبَق إليه ، يظهر صحّة الدعوى لكل واقف عليه وذلك أنى خصصت كلّ جزء من أجزائه التسع بدولة من الدول ، وما فى ضمنها من الدول (١١) المنقطعة وملوكها أرباب الحول ، ٩ وجعلت أجزاءه مقسومة على هذه الأفلاك التسع ، لعلوّ قدرها ولما خُصّوا به من النفع ، وأسماءهم :

الأول : نزهة البشر ، من قسمة فلك القمر ، المسمّى : بالدرّة العليا فى أخبار ١٢ بدء الدنيا .

الثانى : علّة الوارد من قسمة عطارد ، المسمّى : الدرة اليتيمة فى أخبار الأمم القديمة .

١٥ الثالث : المشرف بالقدرة ، من قسمة فلك الزهرة ، المسمّى : الدر الثمين فى أخبار سيّد المرسلين والخلفاء الراشدين .

الرابع : بغية النفس من قسمة فلك الشمس ، المسمّى : الدرّة السميّة فى أخبار ١٨ الدولة الأمويّة .

الخامس : الذى كلّ سمع له نسيخ ، من قسمة فلك المرّيخ ، المسمّى : الدرّة السنيّة فى أخبار الدولة العبّاسيّة .

٢١ السادس : الفائق صحاح الجوهرى ، من قسمة فلك المشترى ، المسمّى : الدرّة

المضيّة فى أخبار الدولة الفاطميّة .

السابع : شهد النحل ، من قسمة فلك زحل ، المسمّى :الدرّ المطلوب فى أخبار دولة ملوك بنى أيّوب . ٣

الثامن : زهر المروج ،من قسمة فلك البروج ، المسمّى :الدرّة الزكيّة فى أخبار دولة الملوك التركيّة .

التاسع : الجوهر الأنفس ، من قسمة الفلك الأطلس المسمّى : بالدرّ الفاخر فى سيرة الملك الناصر . ٦

فلمّا اجتمعت هذه الدرر النفيسة ، والغرر الرئيسة سمّيت مجموع التأريخ : كنز الدرر وجامع الغرر ، وانتهيت فى سياقة التاريخ آخر الجزء التاسع بذكر سنة خمس ٩ وثلاثين وسبعمائة ، فإن جُلّى بإصابه سمع فمن قوس فكرى كانت الرماية ، ولولا خوفى من التغالى والانتصار لتألّقى ومقالى ، لقلت كما قال أبو الفرج الإصفهانى صاحب كتاب الأغانى : وهو كتاب ينتفع به الأديب المتقدّم ، كما ينتفع به ١٢ الشادى المتعلّم ، ويأنس به الخليع المتهتّك ، ويحتاج إليه الملك فى ممالكه كما يحتاج إليه المملوك فى خدمةْ مالكه ، وهو نعم الأنيس وخير جليس .

قلت : فإن حسن لعين الناظر فيه والدارس ، وأحلاه بحلّ القادح لدى ١٥ القابس هنالك أقول (١٢) (من الخفيف) :

يا كتابى قبّل يديه إذا ما نلت حظّا وقل له يا كتابى

أنت بحر العلوم فاغْفِرْ إذا ما قد أعادوا إليك قطر السحابِ ١٨

وإن قذفه وقلاه ، ونبذه من بعد ما استملاه ، فأنا أسأله أن يسامحنى بالغلط ، فمن ذا الذى ما ساء قطّ ، ومن له الحسنى فقطْ ، وإن جهل معانيه وما فيه من الزبد والنبذ ، أو علم ذلك ثم داخله أوّل ذنب عصى الله به وهو الحسد ، فهنالك أيضاً ٢١

أقول (من البسيط) :

لمن أبوح بشعرى حين أذكره ... أم من أخصّ بما فيه من الزُبَدِ

٣ إمّا جَهولًا فلا يدرى مواقعه ... أو عالمًا فهو لايخلو من الحَسَدِ

وأقول : هذا جهد المجتهد وعلى الله أعتمد .

نستفتح الكلام بحديث ورد عن خير الأنام

٦ قال سيّدنا رسول الله ﷺ فى صحيح مسلم ما رواه عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة رضى الله عنهما أنّهما شهدا على رسول الله ﷺ أنّه قال : لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلّا حَفّتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم ٩ السكينة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده .

قلت : الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان والأفضل أن يكون بالقلب واللسان جميعاً ، فإن اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل ، ثم لاينبغى أن يُترَكَ ١٢ الذكر باللسان مع القلب معاً خوفاً أن يُظنّ به الرياء بل يذكر بهما جميعاً ويقصد به وجه الله عزّ وجلّ ، قال مجاهد: لا يكون من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات حتى يذكر الله تعالى قائماً وقاعداً ومضطجعاً ، وقال عطاء: من صلّى الصلوات الخمس ١٥ بحقوقها فهو داخل فى قوله تعالى : « والذاكرين الله كثيراً والذاكرات » (١٣)، وجميع ذكر الله تعالى الذى تصل إليه الطاقة البشريّة كما رُوِى عنه ﷺ قوله : لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيتَ على نفسك .

١٨ والذى وصلت إليه الأفهام ثلاثة أنواع: تسبيح وتحميد وتكبير ، فالتسبيح نفى النقائص وأنّه سبحانه موجود قديم باق صمد واحد أحد وهو معنى سبحان الله ،

---

(٦) صحيح مسلم ٧ / ٧٢

(١٥) القرآن الكريم ٣٣ / ٣٥

(١٧) مسند أحمد بن حنبل ١ / ٩٦

والتحميد ذكر أوصاف الكمال وأنّه سبحانه حيّ عليم قدير مريد سميع بصير متكلّم ، وهو معنى الحمد لله ، والتكبير إثبات الجلال وأنّه سبحانه أجلّ من أن يحيط به العقل وأعظم من أن يدركه الوصف ، وهو معنى الله أكبر ، ٣
أى : أكبر ممّا وصفنا وإنّما علمنا من حسن ثنائه ما تطيقه عقولنا ، وجعل اعترافنا بالعجز عن الإدراك ما يقوم مقام الإدراك ، فإذا ثبت العلم بوجود برىء من النقائص موصوف بالكمال متفرّد بالجلال ثبت أنّه لا إله إلّا هو ثم ثبتت ٦
الوسائطَ بحكم الشرع ، وتردّ الفعلَ إليه توحيداً بقولك : لا حول ولا قوّة إلّا بالله العلىّ العظيم ، معناه أنّ أفعالنا خلق لله تعالى ، ولذلك سمّيت هذه الكلمات الباقيات الصالحات ، وهى : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله ٩
والله أكبر ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العلىّ العظيم .

قلت : وقد ألّفت فى هذا المعنى جزء جيّد وسمّيته مطالع الأنوار فى مناقب الأبرار ، وإنّما قدّمت فى أوّل هذا التأريخ هذه المقدّمة للبركة بما فى مجموعها ١٢
من معانى ذكر الله عزّ وجلّ .

فصل فى حدث العالم وإثبات الصانع جلّ ذكره

قلت: العالم اسم واقع على الكون الكلّى فهو اسم لما سوى البارىء سبحانه

٣ من الجواهر والأعراض ونحوها ، واختلفوا فى اشتقاقه (١٤) فقال أهل اللغة : اشتقاقه من العلم فهو اسم للخلق من ابتدائهم إلى انتهائهم ، وقال أهل النظر : اشتقاقه من العلم لظهور آثار الصنعة فيه فهو دالّ على صانعه ومنه المعلَم وهو الأمر

٦ يُستَدلّ به على الطريق .

واختلف المفسّرون فى معناه على أقوال :

أحدها : إنّهم الملائكة المقرّبون والكروبيّون وأجناسهم، قاله ابن كعب.

٩ والثانى : إنّهم بنو آدم ، قاله ابن معاذ النحوى .

والثالث : إنّهم الإنس والجانّ ، قاله خالد بن يزيد .

والرابع : إنّه عبارة عن جميع المخلوقات وهذا الأصحّ ، قاله ابن عبّاس

١٢ ومجاهد وعامّة العلماء لقوله تعالى : « ربّ السموات والأرض وما بينهما » إلى غير ذلك من الآيات .

واختلفوا فى مبلغهم على أقوال :

أحدها : إنّهم ثمانون ألف عالم، قاله مقاتل: أربعون ألفاً فى البحر وأربعون

١٥ ألفاً فى البرّ ، وحكاه عن عبيد بن معمر .

والثانى: أربعون ألف عالم، الدنيا من شرقها إلى غربها عالم واحد، وما العمارة فى الخراب إلّا كفسطاط فى الصحراء ، قاله وهب .

١٨ والثالث : إنّه ألف عالم ستمائة فى البحر وأربع مائة فى البر ، قاله سعيد ابن المسيّب .

---

(١) مأخوذ من مرآة الزمان ٣ ب ، ١٠

(١٢) القرآن الكريم ١٩ / ٦٥

والرابع : ثمانية عشر ألف عالم ، قاله الحسن .

والخامس : إنّه لايقدر أحداً يحصيهم سوى الله تعالى وهذا الأصحّ لقوله
تعالى : « وما يعلم جنود ربّك إلّا هو » . ٣

فأمّا ماعدا ذلك من أقوال المتفلسفين وأرباب علم النجوم فسيأتى من ذكر
ذلك طرفاً فى مكانه إن شاء الله تعالى .

وأمّا إثبات الصانع ، فقال أحمد بن حنبل : حدّثنا أبو معاوية بإسناده إلى ٦
عمران بن الحصين قال : قال رسول الله ﷺ : لبنى تميم : يابنى تميم اقبلوا
البشرى ! قالوا بشرتنا فأعطنا فتغير وجه وقال : يا أهل اليمن اقبلوا البشرى إذ
لم تقبلها بنو تميم ، فقالوا : يارسول الله قد بشرتنا فأخبرنا (١٥) كيف كان أوّل هذا ٩
الأمر ؟ فقال : كان الله ولم يكن شىء ، أو قيل : قبل كلّ شىء ، وكان عرشه
على الماء ، ثم خلق السموات والأرض وكتب فى اللوح المحفوظ ، أو فى الذكر
كلّ شىء ، انفرد بإخراجه مسلم . ١٢

فإذا ثبت هذا فنقول : مذهب جملة المسلمين أنّ الله تعالى كان ولم يكن معه
شىء وأنّه أحدث العالم على غير مثال ، ومذهب الأوائل أنّ العالم قديم على الفلك
لم يزل دائر بشمسه وقمره وذلك محال ، وقال أصحاب الرصديّات : الأفلاك والنجوم ١٥
تدبّر أمر العالم ، ونحن نرى أثر العجز عليها ظاهراً ، أمّا النجوم فبالخسوف
والكسوف والانتقال ، وأمّا الأفلاك فبالدوران ، وهذا آية القهر فالصانع قاهر
وصانع العالم واحد . ١٨

---

(٣) القرآن الكريم ٧٤ / ٣١
(٦) مأخوذ من مرآة الزمان ٣ ب ، ــ ١١
(٧) مسند أحمد بن حنبل ٤ / ٤٣١
(١٣) مأخوذ من مرآة الزمان ٣ ب ، ــ ٦

وقالت المجوس : هما اثنان : النور والظلمة ، فالنور يقال له يزدان والظلمة هرمن وهو مذهب الثنوية ، وهذا شيء اخترعوه من غير أصل ، وبطلان قولهم ظاهر ٣ فإنهما لو كانا اثنين لجاز أن يكون أحدهما مريد الحركة والآخر مريد السكونة فحصلا معاً متضادين ولا يجوز ، وإلى هذا وقعت الإشارة بقوله تعالى : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » ، ومما رواه ابن الجوزى رحمه عن شقيق البلخى ٦ رحمه الله قال : قرأت أربعة وعشرين كتاباً فى التوحيد فوجدت معانيها كلّها فى قوله تعالى : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » .

فصل

٩ ولا يجوز أن يكون له ولد لوجوه : أحدها أنّه لو كان له ولد لا ستأثر الأشياء كلّها لولده فتتعطّل مصالح عباده ، الثانى : أنّ الولد نتيجة الشهوة والله تعالى منزّه عن ذلك ، والثالث : لأنّ الولد بعض الوالد والله سبحانه منزّه ١٢ عن البعضيّة .

فصل

ولا يجوز عليه النوم لوجوه : أحدها لئلّا يرجع الداعى عن بابه خائباً ، ١٥ والثانى (١٦) لأنّ النوم غفلة والبارئ عزّ وجلّ منزّه عنها ، والثالث لأنّه تعالى يمسك السماء بغير عمد ولا علاقة فلو نام لوقعت على الأرض ، وقال أبو إسحاق الثعلبى بإسناده عن عكرمة عن أبى هريرة ، قال : سمعت النبىّ ﷺ يحكى عن ١٨ موسى عليه السلام على المنبر قال : وقع فى نفس موسى هل ينام الله تعالى فأرسل

---

(٤) القرآن الكريم ٢١ / ٢٢
(٨) مأخوذ من مرآة الزمان ٤ آ ، ٤
(١٣) مأخوذ من مرآة الزمان ٤ آ ، ٧
(١٧) قارن جامع البيان ٣ / ٦

الله إليه ملكاً فأرّقه ثلاثاً وأعطاه قارورتين فى كلّ يد قارورة وأمره أن يتحفّظ بهما ، قال : فجعل ينام وتكاد يداه يلتقيان فيجلس أحدهما على الأخرى حتى نام نومة فاصطكّت يداه فانكسرتا القارورتان ، قال : فضرب الله مثلاً أنّه لو نام لم تستمسك السموات والأرض .

والرابع لأنّ النوم آفة ويزيل العقل والقوّة ويقهرهما والله تعالى لا يجوز عليه ذلك .

والخامس لأنّ النوم استراحة والله تعالى لا يأخذه تعب فيستريح، وقال أبو إسحاق الثعلبي بإسناده عن جابر بن عبد الله قال : سال رسول الله ﷺ : أينام أهل الجنّة قال : لا ؛ لأنّ النوم أخو الموت وأهل الجنّة لا تموت ، وقال الله تعالى : « لا تأخذه سنة ولا نوم » السنة النوم الخفيف وهى النعاس ، قال الزجّاج : هى ريح تجيء من قبل الرأس ليّنة فتغشى العين والوسنان بين النائم واليقظان .

فصل

فإن قيل فالملائكة لا تنام فقد شاركت الباريء فى هذه الحالة ؛ فالجواب : أنّ الملائكة لا تنام ويجوز عليها النوم والباريء سبحانه لا يجوز عليه ذلك .

فصل

والباريء سبحانه ليس بجسم ، وقالت الكرّامية : هو جسم إلّا إنّه لا يشبه الأجسام واحتجّوا بما ورد من آيات الصفات كقوله تعالى : « واصنع الفلك بأعيننا » وما أشبه ذلك بأخبار الصفات فى كثير من الآيات ، ونحن نقول بقول

(٨) سال : سئل (١٠) القرآن الكريم ٢ / ٢٥٥ || قارن الصحاح ٦ ، ٢٢١٤ آ
(١٢) مأخوذ من مرآة الزمان ٤ آ ، ـ ٩ (١٥) مأخوذ من مرآة الزمان ٤ آ ، ـ ٧
(١٦) قارن الفرق بين الفرق ٢١٦ (١٧ـ١٨) القرآن الكريم ١١ / ٣٧

المتشرّعين من أهل السنّة والجماعة : الجسم محدود بالطول والعرض ونحوه والبارىء سبحانه ليس بمحدود ، وأمّا الآيات والأخبار فمأوّلة (١٧) بما يليق سبحانه وتعالى علوًّا كبيراً .

وهو موصوف بما وصف به نفسه من العلم والقدرة والحياة والإرادة والسمع والبصر والكلام ونحوه فى كتابه القديم وعلى لسان رسوله الكريم ﷺ .

ذكر أوّل مقامة من مقامات ابن الجوزى يليق ذكرها ها هنا

قال الشيخ الإمام العالم الحافظ أبى الفرج عبد الرحمن بن علىّ بن محمّد بن علىّ ابن الجوزى رحمه الله وغفر لنا وله وللمسلمين أجمعين :

بدرت خالياً والفجر قد تلى السحر ، فتلوت تالياً كمّا تلى سحر ، فترنّم بقوله « أفى الله شكّ » ، فقلت فى نفسى: فكيف شكّ من شكّ ، فخلطت باقتناعيّات ليس فيها برهان، فبدلت الدليل على الدليل ما عزّ وماهان، فصاح الفكر بالنفس: اقطعى ، ثم قال : يا صاح قم معى ، فأتى بى معقل العقل ، فولجنا بعد الإذن ، فإذا ذو سن وسنا ، ما محاسنه محاسنه ، فقال الفكر : السلام عليك ياأبا التقويم ، يامعدن العلم وأصل التعليم ، فقال: صدر زمان طويل لم تأتينا، قال: حييت فى مشكلة فافتقتنا ، فابتدأت أشرح له ماجرى ، كأنّه يرى فلما عاين طالباً للحقّ بدليله ، قال: أنا أنبئكم بتأويله .

ثم حمد الله سبحانه بمحامد ، لم أسمعها قطّ من حامد ، ثم قال : من ظلّ يطلب الحقّ من الحسّ ضلّ ، لأنّه محجوب بعيد منه عزّ وجلّ ، وليعلم أنّ الحسّ لا يرى من الموجودات إلّا الحاضر ، ولا ناظر له إلى الغائبات ناظر ، وإنّما الآلة

---

(٤) مأخوذ من مرآة الزمان ٧ آ ، ـ ؛ (١٠) القرآن الكريم ١٤ / ١٠

التى يعرف بها الإله أنا ، فلو صحبتنى بلغت المنى ، أنا جارك وما تعرفنى وبازائك ولا تألفنى ، فلو تلقفت عنّى سلمت من التعنّى . ولقد علم الفطناء أن نصحى يصحّى ،
فقلت : أنا شاكر للفكر إذ دلّنى ، فعلم فعلى فعلنى . ٣

فقال : إنّ الخالق سبحانه قد ظهر لخلقه بخلقه ، غير أنّ عالم الحسّ لا يرونه (١٨) وإن كانت الحسّيات دليلاً عليه، ومعبراً إليه ، انظرْ إليك ويكفى وتأمّلْ ما لديك ويشفى لمح قطرةً قطرةَ ماء صبّت عن اتّقاد نار الشهوة كيف ظهرت فيها ٦
عن حركات اللذّة ، رقومُ نقوش عقدتها يد القدرة ، كما تظهر الصورة فى ثوب السقلاطون عن حركات الشدّ ، تدبّرْ نطفةً مغموسة فى دم الحيض ونقّاش القدرة يشقّ سمعها وبصرها من غير مساس كفّ ، ترُقّى فى حرز مصون عن مشعب ٩
بينا هى ترفل فى ثوب نطفة ، اكتست برداء علقة ، ثم اكتست صفة مضغة ، ثم انقسمت إلى لحم وعظم ، فاستترت من يد الأذى بوقاية جلد ، فلمّا افتقرتَ أيّها الآدمى إلى الغذاء فى البطن ساق إليك من دم الحيض وهو من دم الأمّ . ١٢

فلمّا قوى جلد جلدك على مباشرة الهواء وبصرك على ملاقاة الأضواء أخرجك بما أزعجك ، ثم صرّف ما كنت تغتذى به إلى الثديين بعد أن أحاله لبناً عن صفة الدمويّة إلى حالة اللبنيّة ، فلما عطشت عند الخروج إلى فلاة الدنيا رأيت أداوتى ١٥
الثديين ممتليين لشربك ، وكانت عور الأسنان تكفى فى اجتذاب المشروب فكلّما اعتصرته خرج مغربلاً لئلّا يقع شرق .

فلمّا قويت النماء وافتقرتَ إلى غذاء فيه صلابة أنبتت الأسنان للقطع ١٨
والأضراس للطحن ، فكم من صوت بين أرجل هذه النمل من تحريك جلاجل العبر فى خلاخل الفكر ، كلما رنّت غنّت السن الهدى فى معانى المعانى وكيف تسمع أطروس السقوة . ٢١

ومن الطرائف أنّه أخرجك غبيًا « لا تعلمون شيئاً » إذ لو خرجت عاقلاً لرأيت من أطمّ المصائب تقليبك فى الخرق والعصائب ، ثم سلّط البكاء عليك فى حال طفولتك لينشف به رطوبات الرأس ويحصل فى ضمنه التقاضى بالقوت لرحمة الأمّ بك .

انظر إلى الدماغ كيف تكاثفت عليه الحجب لتمسكه فى مكانه وتصونه من أذى يعرض (١٩) ثم أطبقت عليه الجمجمة لتقيّة حدّ صدمة ، ثم حُلّلت بالشعر ليستر الرأس من فرط حرّ أو برد ، ثم جعل فيه آلة الذكر والنسيان ، وكما أنّ الذكر نعمة فكذلك النسيان إذ لولاه ما سلى فقد ولا مات حقد .

تأمّلْ خلق البواعث من البواطن لتدبير مصلحة البقاء فمن المتعلّق بالقوت سبع قوى : الأولى تطلب الغذاء والثانية تجتذبه إلى الكبد والثالثة تمسكه لها حتى تطحنه والرابعة تسعى جهدها لنهضمة والخامسة تميّز صفوه من كدره والسادسة تقسم الصافى على الأعضاء بمقدار حاجتها إذ لو بعثت إلى الخدّ ما تبعثه إلى الفخذ صار بمقدارها ، والسابعة تدفع ثفله ، ومن العجيب ستر مكان منفذ الثفل وجعله فى غامض البطن كما يجعل موضع التخلّى فى أستر مكان البيت ، ثم لمّا افتقرت الأبدان إلى الهواء بثّه فى الفضاء لتقتضب منه النفوس الأنفاس وتُرقم فيه الأصوات الجوائح كما ترقم فى القرطاس .

ثم انظر إلى آلة النطق ترى مخرج الصوت كالمزمار الكبير والحنجرة كقصبة المزمار والرئة كالزقّ والعضلات التى تقبض الرئة لتخرج الصوت من الحنجرة كالأكفّ التى تقبض على الزقّ كى يخرج الريح فى المزمار ، والشفتان التى تصوغ الصوت حروفاً ونغماً كالأصابع والأسنان التى تختلف على فم المزمار فتصوغ صفيره

---

(١) القرآن الكريم ٥ / ١٠٤

اللحانا ، ومن العجب أنّ الأصوات لا تتشابه لأنّه لما احتيج إلى معرفة الصوت رفعت الشبه برفع الشبه ، وكذلك الصور والخطّ .

ثم انظر كيف مدّ الأرض بساطاً ثم أمسكها عن الاضطراب فتمكّن بسكونها السكنى ثم يزلزلها فى وقت ليفطن الساكن بقدره المزعج وجعل منها نوع رخاوة ليتهيّأ للحفر والزرع ، ورفع جانب الشمال لينحدر الماء وفرق الماء بين الجزائر ليرطب الهواء وأودع فيها المعادن كما تودع الحاجات فى الخزائن . ٦

ثم أخرج الحَبّ (٢٠) لبنى آدم والأب للبهائم والحطب للوقود ، تأمّل قيام الشجر كلّما طال فى السماء الفرع امتدّت العروق فى الأرض كقيام العمد بالأطناب ، ولولا ذلك لم تثبت النخل فى العواصف من الرياح ، ثم إنّها تموت وتحيى فهى فى حال يبسها متشبّهة بالغائب فإذا همّت بالقدوم بشّر نُور النَور . ٩

تأمّل الرمّانة كيف حشيت الشحم بين الحَبّ ليكون غذاء لها إلى وقت عود المثل ثم بين كلّ حشوين لفّافة لئلّا تنصال فيجرى ماؤه ، ولمّا كانت العيون لا تبصر إلّا بواسطة الضوء خلق الشمس سراجاً ومنضجاً للثمر تجرى من غير توقّف إذ لو وقفت حجبها عن بعض الأماكن جبل أو جدار لكنّها تسير ليعمّ نفعها ، فإذا تعبت الأبدان من الحركة بالنهار غابت لتسكن فيزول كدّ الكلال بالاستراحة وتقوى القوى بتلك الراحة ، فإن عرضت حاجة بالليل فى القمر خَلَفٌ ولو أضاء فى جميع الشهر لانبسط الناس فى أعمالهم فأذى الحرص كدّه ، ومتى غاب القمر كانت أنوار الكواكب كشعل النار فى أيدى المقتبسين . ١٢ ١٥ ١٨

ثم إنّ الشمس ترتفع تارةً وتنخفض تارةً أخرى فيختلف الزمان بين شتاء تغور فيه الحرارة فى الشجر فتعقد موادّ الثمر ويكيّف الهواء فينشأ السحاب ، وربيعٍ

---

(١) اللحانا : الحانا (١٢) تنصال : تنسال

تظهر فيه تلك المواد التى انعقدت فى بواطن الشجر ، وصيفٍ ينضج فيه الثمر ، وخريفٍ تستريح فيه، ثم تلمح الحرّ والبرد كيف يدخل كلّ واحد منهما على صاحبه
٣ بتدريج لئلّا يفجأ الأبدان فتضطر .

ثم انظر إلى خلق النار التى لا بدّ للخلق منها فلو ثبتت فى العالم لأحرقته لكنّها جُعلت كالمخزون تستثار وقت الحاجة فتمسك بالمادة قدر مراد الممسك .

٦ تأمّل خلق الطير فإنّه لما قدر له الطيران تخفف جسمه وأدمج خلقه واقتصر له على جناحين قائمتين وجُعل له جؤجؤ محدّد يخرق به الهواء كما تخرق السفينة بجؤجؤها الماء ، وأطيل (٢١) ريش جناحيه وذنبه لينهط للطيران وكسى جسمه
٩ كلّه الريش لما يدخل فيه الهواء فيقلّه ، ولمّا كان يختلس قوته خوف اصطياد صلب منقاره لئلّا ينسجح من الالتقاط ونقص الأسنان لأنّ زمان الانتهاب لا يحتمل المضغ ، وجُعلت له حوصلة كالمخلاة ينقل إليها ما تيسّر على عجل ثم يدفعه
١٢ إلى القانصة فى زمن الأمن على مهل ، وزيدت جوفه حرارةً لتطحن ما لم تمضغه ، فإن كانت له فراخ أسهمهم من الحاصل فى الحوصلة قبل النقل فإن كان ممّن لا حنّة له على فراخه أغنوا عنه بالاستقلال من حين انشقاق البيضة كالفراريج فإنّها تخرج
١٥ كاسيةً كاسيةً ، أو ما علمتَ أنّ الفرخ من البياض يخلق وبالمحّ يغتذى كما يغتذى الطفل بدم الحيض لأنّ القشر لمّا كان مانعاً من وصول قوت أُعطى ما يتقوّته ، ولما بثّ الطير صان السنبل بقشور محدّدة لئلّا ينشفه فيموت بشمًا فيموب الحظان ،
١٨ ولما جعل رزق طائر الماء فى الماء طوّل ساقاه فهو مقيم فى ضحضاح فإذا رأى صيداً خطا إليه ولو قصرت قائمتاه كان حين سعيه يضرب الماء بطنه فينفر الصيد .

---

(٥) تستتار : تستثار (٨) لينهط : لينهض (٩) لسا : لئلا

وفى الطير ما لا ينتشر إلا بالليل كالخفّاش والبوم فما يخليه الرازق مع اختفاء الصيد من معاش هو يتناول من البعوض والفراش وغير ذلك .

٣ وهل نظرتَ إلى إلهام البهائم ما يشابه فطن العقلاء ليكون عوناً لها على البقاء فإنّ النملة تتّخذ الربية فى نشر لئلا يتأذّى قوتها بالعفن ويقطع الحبّ لئلا ينبت ، ولبث الذباب يسكن كالميّت فإذا عقلت عنه الذبابة وثب ، والعنكبوت تنسج شبكة للذباب . ٦

قال : فلمّا أملّ العقل على كاتب السمع من هذا ما أملّ ، قال اكتفِ بهذا الصاع كيلاً كى لا تملّ ، فلقد تجلّى الحقّ للخلق فرأته الألباب عياناً ، غير أنّ أعمى البصيرة قد أعيانا ، قلت: فإذا كان الدليل الواضح قد دلّ ، فما بال أكثر ٩ الخلق قد ضلّ ، قال : إنّه خلط الأدلّة (٢٢) الجليّة بالشبه ، وأقام العقل يفرق ما اشتبه ، فمن الناس من لم يرفع القضيّة إلى العقل إهمالا لطلب الصواب ، ومنهم ١٢ من رفعها ولم يلتفت إلى الجواب ، وجمهور الضالّين الذين حول العسر جلسوا راموا أن يدركوا بالحسّ مالا يُدرَك <إلّا> بالعقل فلما أعوزهم ذلك خرجوا إلى الجحد.

قلت : أيّها العقل أفتحيط علماً بالمعبود ، قال : شهدت عندى أفعاله ١٥ بالوجود فحصل لى المقصود ، فأمّا إدراك ذاته فتعجز قوّتى ، لأنّ رتبته فوق رتبتى ، أتراك لو مررت فى بعض البقاع بقاع ثم عدت وفيه بنيان ، أما بان لك وإن لم تبن وجود بان ؟

١٨ قلت : اذكر لى جملة من صفاته إذ لا سبيل إلى معرفة ذاته ! فقال : تعالى عن بعضيّة « من » وتقدّس عن ظرفيّة « فى » وتنزّه عن شبه « كأن » وتعظّم عن نقص « لو أن » وعزّ عن عيب « إلّا أن » وسما كماله عن تدارك « لكن » ٢١ مما تنزه عنه « مم » فيما يجب نفيه « فيم » جلّ وجوب وجوده عن رجم

« لعلّ » سبق الزمان فلا يقال « كان » إذ تمجّد فى وحدانيّته عن زحام « مع »
تفرّد بالإنشاء فلا يستفهم عن الصانع « ممن » أبرز عرائس الوجود من « كن »
٣ بثّ الحكم فلم يعارض « بلم » إن وقف ذهن بوصفه صاح المعجز ، إن سار فكر
نحوه قالت الهيبة : عُدْ ! إن قعد القلب عن ذكره قالت القدرة : قم ! إن تجبّر
متكبّر قال القهر : سم ! إن سأل محتاج قال الإنعام : رش ! إن تعرّض فقير
٦ قال الوفر : فر ! إن سكت مذنب حياءً قال الحلم : قل ! إن بعد ذو حظّ قال
بادىء اللطف : آن نثر عجائب النعم وقال للكلّ : خذ !

قلت : فما تقول فيمن يشبّهه ؟ قال : يقول ما يشبهه ، حال التشبيه عنا بجملة
٩ مثل الجهل . انزل عن علوّ غلو التشبيه ولا تقل تلك أباطيل التعطيل فالوادى
بين الجبلين . فما سكت العقل (٢٣) حتى شفانى ولا كفّت كفّا تهيمه حتى كفانى،
وتضيت من شكر الفكر حقّا .

فصل

١٢

فى بداية المخلوقات

اختلف العلماء رضى الله عنهم على أقوال : أحدها أنّ أوّل المخلوقات القلم
١٥ كما روى عن عبادة بن الصامت قال ، قال رسول الله ﷺ : أوّل ما خلق الله
القلم فقال له اكتب فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة ، وهذا اختيار ابن عبّاس
والحسن وعطاء ومجاهد وعامّة العلماء رضى الله عنهم .

١٨ وقال ابن عبّاس : لما خلق الله القلم وقال له اجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة
جرى على اللوح المحفوظ بذلك ؛ وفى رواية عن ابن عبّاس : فسبّح الله ومجّده ألف
عام وهو مشقوق بالنور ، ولمّا نظر الله إليه انشقّ نصفين من هيبة الله تعالى .

---

(١٢) مأخوذ من مرآة الزمان ٤ آ ، - ١
(١٤) قارن تأريخ الطبرى ١ / ٢٩ ؛ جامع البيان ٢٩/٩

وأمّا النون فقد اختلفوا فيه فقال قوم : هو الدواة وهو اختيار الحسن وقتادة والضحاك ، ورواية الثمالى عن ابن عبّاس واحتجّوا بقول الشاعر (من الوافر) :

إذا ما الشوق برّح بى إليهم ألفت النون بالدمع السخوم ٣

و<قال>عامّة المفسّرين إنّ النون الحوت الذى يحمل الأرض حسبما نذكره إن شاء الله تعالى .

الثانى: إن أوّل ما خلق الله الماء، رواه الضحاك عن ابن عبّاس واحتجّ بقوله ٦ تعالى : « وكان عرشه على الماء » قال : خلق الله جوهراً فصيّره ماء .

الثالث : النور والظلمة ، قال محمد بن إسحاق قال : ثم خيّر بينهما فجعل الظلمة ليلاً والنهار مضيئاً . ٩

الرابع : العرش والكرسى ، قاله وهب بن منبّه .

الخامس : اللوح ، قاله مقاتل .

السادس : نقطة فصيّرها ألفاً فبدأ بها (٢٤) المخلوقات ، والقول الأوّل أصحّ. ١٢

وأمّا اللوح المحفوظ ، روى مجاهد عن ابن عبّاس قال : اللوح من درّة بيضاء وطوله مثل ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين الشرق والمغرب وحافّتاه من الدرّ والياقوت وقلمه نور وهو متّصل بالعرش ثم قرأ ابن عبّاس : « فى لوح ١٥ محفوظ » ، الآية ، وقد ذكر الثعلبى معناه ، وروى أيضاً عن أنس أنّ اللوح المحفوظ فى جبهة إسرافيل ، وقال مقاتل : هو يمين العرش ، وسنذكره .

---

(٦) مأخوذ من مرآة الزمان ٤ ب ، ٥ (٧) القرآن الكريم ١١ / ٧

(١٣) مأخوذ من مرآة الزمان ٥ ب ، ٩ (١٥-١٦) القرآن الكريم ٨٥ / ٢٢

فصـــــل
فى حدّ الزمان والأيّام

٣ قال العلماء رضى الله عنهم : الزمان اسم لقليل الوقت وكثيره ، فالحاصل أنّ الله تعالى خلق السموات والأرض قبل خلقه الأيّام والليالى والشمس والقمر ، وقد رواه مجاهد عن ابن عبّاس فى تفسير قوله تعالى : « فقال لها وللأرض ائتيا ٦ طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين » ، فقال الله تعالى للسموات : أطلعى شمسى وقمرى ونجومى ! وقال للأرض : شقّقى أنهارك وأخرجى ثمارك ! فأجابتا .

فإن قيل إنّما يُعرَف اليوم بطلوع الشمس والليلة بغروبها ولم تكن الشمس ٩ يومئذ فالجواب أنّ البارىء سبحانه لا يحتاج إلى طلوع الشمس فى مخلوقاته لأنّه ليس عنده ليل ولا نهار ، بذلك وردت الأخبار؛ واختلف العلماء رضى الله عنهم فى الأيّام التى خلق الله فيها السموات والأرض والمخلوقات هل هى مثل أيّام الدنيا ١٢ المعروفة أو مثل أيّام الآخرة كلّ يوم مقداره ألف سنة، على قولين: أحدهما أنّها مثل أيّام الدنيا ، قاله مجاهد والحسن البصرى لأنّها المعهودة ، والثانى أنّها مثل أيّام الآخرة ، (٢٥) وبه قال ابن عبّاس وعامّة العلماء ، قال الله تعالى : « فى يوم ١٥ كان مقداره خمسين ألف سنة » .

فإن قيل : فهلّا خلقها فى لحظة واحدة وهو أهون عليه فالجواب من وجوه : أحدها أن التثبّت أبلغ فى القدرة والتعجيل لا تقتضيه الحكمة ، قاله ابن عبّاس ، ١٨ الثانى : أنّ الله تعالى أراد أن يُظهر فى كلّ يوم آية وأمر تستعظمه الملائكة ، قاله مجاهد ، الثالث : أنّ الذى يتوهّمه المتوهّم من إبطاء الخلق فى ستّة أيّام هو

(١) مأخوذ من مرآة الزمان ٥ ب ، ـ ٤ (٥ـ٦) القرآن الكريم ٤١ / ١١
(١٤ـ١٥) القرآن الكريم ٧٠ / ٤

الذى يتوهّمه فى ستّة الالف سنة عند تأمّل قوله تعالى « كن فيكون » .

وقال سعيد بن جبير إنّ الله سبحانه كان قادراً أن يخلق المخلوقات فى لمحة واحدة وإنّما خلقها فى ستّة أيّام تعليماً لخلقه الرفق والتثبّت فى الأمور ، حكاه عن ابن عبّاس وهو معنى القول الأوّل .

واختلفوا فى أسماء الأيّام فقال الزجّاج والفرّاء وأبو عبيد وقد رواه الأصمعى عن عمران بن العلاء وروى ابن الجوزى ، قال أنبأنا بذلك جماعة عن القاسم ابن السمرقندى قالوا : كانت العرب العاربة تقول ليوم السبت شِيار وليوم الأحد أوّل وللاثنين أهون وللثلاثاء جُبار وللأربعاء دُبار وللخميس مؤنِس وللجمعة العَروبة ، وأوّل من نقل العروبة إلى الجمعة كعب بن لؤى .

وقد ذكر الجوهرى هذه الأيّام وقال : كانت العرب القديمة تسمّيها فى أسمائهم القديمة . والقول الثانى : أنّهم كانوا يسمّون يوم السبت أبا جاد ، والأحد هوز والاثنين حطى ، والثلاثاء كلمون والأربعاء سعفص والخميس قرست ، ويوم الجمعة العروبة ، حكاه الضحاك عن زيد بن أرقم .

والقول الثالث : ذكره أبو إسحاق الثعلبى عن ابن عبّاس قال : خلق الله يوماً واحداً وسمّاه الأحد وخلق يوماً ثانياً وسماه الاثنين ، ثم ذكر باقى الأيّام على هذا .

(٢٦) قلت : والتوفيق بين هذه الأقاويل ممكن لأنّه يحتمل أنّها كانت قديمة ثم تغيّرت وتقلّبت بطول الزمان كما فعلوا فى الشهور لما نذكر إن شاء الله .

واختلفوا فى أىّ يوم بدأ الله عزّ وجلّ بالخلق على أقوال ، أحدها : أنّه تعالى بدأ بها يوم السبت وكان الفراغ منها يوم الجمعة . قال الإمام أحمد بن حنبل

(١) الالف : آلاف || القرآن الكريم ٢ / ١١٧

(١٠) الصحاح ٦ / ٢٢١٨ ، ب ؛ وقارن مروج الذهب ٢ / ٣٤٩ ، مادة ١٣١١

بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي وقال: خلق الله التربة يوم السبت وخلق الله الجبال فيها يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبثّ فيها الدوابّ يوم الخميس وخلق آدم يوم الجمعة بعد العصر في آخر ساعة من ساعات الجمعة ما بين العصر إلى الليل، انفرد بإخراج ذلك مسلم.

وقد رواه عكرمة عن ابن عبّاس قال جاءت اليهود فسألوا رسول الله ﷺ عن المخلوقات فذكر الحديث إلّا أنّ الطبري ذكر أنّه بدأ بالمخلوقات في يوم الأحد لما نذكر، فلمّا قال: وخلق آدم يوم الجمعة في آخر ساعة قالت اليهود: ثم ماذا؟ فقال، ثم استوى على العرش، فقالوا: لو أتممتَ: ثم استراح يوم السبت، فغضب صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً، ثم أنزل الله تعالى: ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيّام وما مسّنا من لغوب فاصبر على مايقولون» . . . الآيات، وقد ذكر أبو إسحاق الثعلبي في آخر سورة «ق» وقال فيه: فقالت اليهود: صدقت إن أتممتَ، قال: وما ذاك؟ قالوا: ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش، فنزلت الآيات.

والثاني: أنّه بدأ بالمخلوقات يوم الأحد، قال كعب الأحبار ومجاهد والضحاك، وحكاه أبو جعفر الطبري رحمه الله عن اليهود، ورواه أيضاً عن ابن عبّاس أنّ اليهود سألت رسول الله ﷺ عن خلق السموات والأرض، فقال: خلق الله الأرض (٢٧) يوم الأحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهنّ من المنافع

---

(١) المعجم المفهرس ١ / ٢٦٨، مادة تربة؛ مسند أحمد بن حنبل ٢ / ٣٢٧؛ صحيح مسلم ٨ / ١٢٧، القيامة، باب ابتداء الخلق (٧) جامع البيان ٢٦ / ١١١؛ ٢٤ / ٦١ (١٠-١٢) القرآن الكريم ٥٠ / ٣٨ - ٣٩

وخلق الشجر يوم الأربعاء والماء والمدائن فهذه أربعة وخلق يوم الخميس السماء ويوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة وخلق آدم فى آخره وأسكنه الجنّة ثم أخرجه منها ، قالت اليهود : ثم ماذا ؟ وذكر الحديث أنّه قال : خلق الله يوماً واحداً وسمّاه الأحد ثم ذكر بقيّة الأيّام ، وحكاه الثعلبى أيضاً ، وكذا هو فى التوراة ، ولهذا قالوا : استراح يوم السبت ، وبه قالت النصارى لأنّ عيسى عليه السلام رُفع فيه إلى السماء .

والثالث : يوم الاثنين قاله محمد بن إسحاق ، والقول الأوّل أصحّ لوجهين : أحدها لأجل الحديثُ الصحيح الذى رواه أبو هريرة وأنّ النبيّ ﷺ نصّ عليه ، وقد قال أبو هريرة : أخذ رسول الله بيدى .

والثانى لأنّ فيـــه مخالفة لليهود لأنّهم أبطلوا الخلق يوم السبت وقالوا : استراح ، ومخالفة النصارى أيضاً .

واختلفوا فى خلق السموات والأرض أيّهما أسبق على قولين : أحدها : الأرض ، قاله ابن عبّاس . والثانى : السموات ، قاله مجاهد ، وسنذكر من ذلك بياناً .

واختلفوا فى خلق الليل والنهار أيضاً على قولين : أحدها: النهار خُلق أوّلاً ، قاله عكرمة ومجاهد لأنّه ضياء والنور مقدّم على الظلمة . والثانى : الليل ، وقد قال ابن عبّاس وعامّة العلماء لقوله تعالى : « ولا الليل سابق النهار » . وقوله : « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار » . فدلّ على أنّ الليـل مقدّم عليه ولأنّ الظلمة أصل والضياء عارض وهو من إشراق نور الشمس فلا يكون أصلاً ، وقد نصّ عليه ابن عبّاس فقال : أرأيتم حين كانت السموات والأرض رتقاً هل كان بينهما إلّا ظلمة .

(١٥) مأخوذ من مرآة الزمان ٧ آ ، ٢ (١٧) جامع البيان ١٧ / ١٥ ؛ ٢٣ / ٥
(١٧) القرآن الكريم ٣٦ / ٤٠ و ٣٦ / ٣٧

فصل

فى ذكر خلق السموات والآثار العلويّات

٣ قلت : رأيت كثير من أرباب التواريخ يقدّمون ذكر خلق الأرضين وتأمّلت (٢٨) ذلك فلم أجد لهم دليلاً على ذلك ، ونظرت فإذا القرآن العظيم جميع آياته الشريفة تتضمّن تقدمة السموات على الأرض كقوله تعالى : «لله ما فى السموات ٦ وما فى الأرض» ، وأنظارها فى جميع الكتاب العزيز ، فاقتديت بذلك وابتدأت

بذكر خلق السموات والآثار العلويّات

٩ قلت : أظهر الله تعالى فى السماء دلائل على ربوبيّته ووسائل إلى قدرته ، منها : أنّه جعلها سقفاً مرفوعاً لتكون ظلّاً ، ومنها أنّها بغير عمد تحتها ولا علاقة من فوقها ومنها سعتها والنفع بزيادة التصرّف فيها وكونها نزهةً للناظرين ، ومنها ١٢ استواؤها ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فأرجع البصر كرّتين بالنظر والاستدلال وقيل بالنزهة والاعتبار ، ومنها لونها الذى لا يتغيّر على مرور الزمان وتقلّب الحدثان ثم هو أحسن الألوان وأقوى للبصر وأحدّ للنظر ، والأطبّاء إنّما ١٥ يأمرون بإدمان النظر إلى الخضرة ليقوى البصر .

وقيل : هى بيضاء ، ولكن من بُعدها تُرى كذلك ، وقيل إنّها خضراء .

ومنها إمساكها بيد القدرة ، إنّ الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ، ١٨ ومنها أنّها ظلّ لبنى آدم لقوله تعالى : «والسقف المرفوع» . ومنها أنّ الخلق يضعون الأساس أوّلاً ثم السقف بعد ذلك ، والله تعالى أفعاله خلاف أفعال العباد ،

(٥–٦) القرآن الكريم ٤ / ١٧٠

(٦) أنضارها : أنظارها

(٨) مأخوذ من مرآة الزمان ١ : ٤ آ ، ١٢

(١٨) القرآن الكريم ٥٢ / ٥

ومنها أنّ بناء الدنيا تحتهُ أوسع من الفوق وبناء الله عزّ وجلّ على ضدّه ، ومنها أنّ بناء الخلق ينهدم على طول مرور الأيّام ويجدّد ويرقّع ، وبناء الله تعالى لا ينهدم ولا يخلق ولا يرقّع ، قال الجوهرى فى صحاحه : كلّ ما علاك فأظلّك فهو سماء ، ومنه قيل لسقف البيت سماء ، ويقال للسحاب سماء ، قال الله تعالى : « وأنزلنا من السماء ماءً مباركاً » ويسمّى المطر سماء ، ولأصحاب علم البيان والبديع فى هذا أقاويل حسنة فى شرحه طول ، (٢٩) وقال الفرّاء والزجّاج : لفظ السموات واحد ومعناه الجمع بدليل قوله تعالى : « فسوّاهن سبع سموات » وقال أبو حنيفة داود الدينورى قال الله تعالى : « والسماء بنيناها » ؛ وقد ورد فى السماء أخبار وآثار ، قال أحمد بن حنبل بإسناده إلى أبى ذرّ قال ، قال رسول الله ﷺ : إنّى أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطّت السماء وحقّ لها أن تئطّ ما فيها موضع أربع أصابع إلّا وعليه ملك ساجد ، وقال الجوهرى : الأطيط : صوت الرجل والإبل من ثقل أحمالها ويقال : لا أشكّ ما أطّت الإبل ، وقال عبد الله ابن المعتزّ من قصيد يخاطب بها مأدبة أحمد بن سعيد (من البسيط) :

عُقباك شكر طويلٌ لا نَفادَ له تبقى معالمه ما أطّت الإبلُ

وروى سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال : لمّا أراد الله تعالى خلق المخلوقات خلق الماء فثار منه دخان فارتفع فخلق منه السماء وجعلها سماء واحدة ثم فتقها فجعلها سبعاً وأوحى فى كلّ سماء أمرها ، أى : قدّر أن يكون فيها من الملائكة والنجوم وغير ذلك .

(٣) الصحاح ٦ / ٢٣٨٢ آ (٤ــ٥) القرآن الكريم ٥٠ / ٩
(٧) القرآن ٥٥ / ٩ (٨) القرآن الكريم ٥١ / ٤٧
(٩) مسند أحمد بن حنبل ٥ / ١٧٣ (١١) الصحاح ٣ / ١١١٥ آ
(١٢) لا أشك: لا آتيك الصحاح (١٤) ديوان ابن المعتز ٣/٣٤٦ ، ب ٢ ، رقم ٢٥٨

وروى عنه عكرمة فى تفسير قوله تعالى : « أو لم يروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيّناها وما لها من فروج » . قال : الفروج الشقوق وكذا الفطور .

٣ وقال الربيع بن أنس: السماء الأوّلة من موج مكفوف ، والثانية من صخرة، والثالثة من حديد ، والرابعة من صفر ، والخامسة من ذهب ، والسادسة من فضّة، والسابعة من الياقوت الأحمر .

٦ وروى الوالبى عن ابن عبّاس قال : الأولى من زمرّدة خضراء ، والثانية من فضّة بيضاء ، والثالثة من ذهب ، والرابعة من لولؤ ، والخامسة من الياقوت، والسادسة من المرجان ، والسابعة من النور ، وجاء فى الحديث : إنّ سماء الدنيا

٩ هى الرفيع، وفى الحديث: (٣٠) من سبعة أرقعة، وقال مقاتل: والثانية ركاء ، والثالثة جوفاء ، والرابعة طرفه ، والخامسة أدماء ، والسادسة عروتين ، والسابعة عزوما .

١٢ وأما أبوابها : روى عن ابن عبّاس أنّه قال : لها أبواب كثيرة منها باب المطر : وهو قوله تعالى : « ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر » ، وباب الرزق : ما يفتح الله للناس من رحمة، وباب النزول: ينزّل عليهم الملائكة، وباب الوحى:

١٥ بالروح من أمر ربّه : وباب صعود الأعمال : إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح .

وحكى ابن الجوزى رحمه الله فى كتاب التبصرة قال : قال أبو الحسين

١٨ ابن المنادى: لا خلاف بين العلماء أنّ السماء على الأرض مثل القبّة وأنّ العالم مثل

(١-٢) القرآن الكريم ٥٠ / ٦ ؛ قارن تفسير المجاهد ٢ / ٦٠٩ ؛ جامع البيان ٢٦ / ٩٥

(٣-٥) قارن كتاب التبصرة ٢ / ١٧٣ || الأولة : الأولى

(١٢) مأخوذ من مرآة الزمان ١ : ٤ ب ، - ٨ (١٣) القرآن الكريم ٥٤ / ١١

(١٧) التبصرة ٢ / ١٧٣

الأكرة وأنّها تدور بما فيها من الكواكب على قطبين ثابتين غير متحرّكين : أحدهما فى ناحية الشمال والآخر فى ناحية الجنوب مطالع سُهيل، وأنّ كرة الأرض مثبتة وسط كرة السماء كالنقط من الدائرة ، قلت : إلى هاهنا ذكر ابن الجوزى ، ٣
وقال أبو الحسين ابن المنادى رحمه الله فى تمام هذا الفصل : وإنّ بعد ما بين السماء والأرض على نمط واحد من جميع الجهات والأفلاك تدور على محورين وقطبين ثابتين ، ومن كان مسكنه وسط الأرض عند استواء ساعات الليل والنهار رأى ٦
المحورين والقطبين ، ومن كان مسكنه فى بلاد الشمال يرى القطب الشمالى ، ومن كان بالجنوب يرى الجنوبى ، قال الجوهرى : والمحور العود الذى تدور عليه البكرة وربّما كان من حديد ، وسنذكر القطب والجدى فى موضعه . ٩

وقال جالينوس: العالم شبه البيضة والسماء موضع القشر والهواء موضع البياض والأرض موضع المح .

واختلفوا هل الأفلاك السموات أم غيره على قولين : أمّا مذهب (٣١) ١٢
الأوائل: فإنّها هى بعينها ، وأمّا مذهب المتشرّعين: فهى غيرها ، وقد رواه العوفى عن ابن عبّاس واحتجّ بقوله تعالى : « الله الذى خلق السموات » ، وقال فى آية أخرى : « وكلّ فى فلك يسبحون » ، وسمى الفلك فلكاً لاستدارته ، ١٥
ومنه فلك المغزل بفتح الفاء لاستدارتها ، وقال قوم بأنّ الفلك هو القطب وليس بشىء لأنّ القطب لا يزول ولا يتغيّر كما لا يزول قطب الرحاء .

---

(٨) الصحاح ٢ / ٦٤٠ ب (١٢) مأخوذ من مرآة الزمان ٤٢ آ ، ٥
(١٤) القرآن الكريم ٧ / ٥٤ ؛ قارن جامع البيان ٨ / ١٤٦
(١٥) القرآن الكريم ٢١ / ٣٣ ؛ قارن جامع البيان ١٧ / ١٧

قلت : ومذهب جملة المسلمين أنّ السموات سبع، قال الله تعالى : « الله الذى خلق سبع سموات طباقاً » ، ومذهب الأوائل والمنجّمين أنّها تسعة أفلاك وأوّلها أقربها إلى الأرض ، وهو أصغرها وهو فلك القمر ، ثم الذى يليه فلك عطارد ، ثم فلك الزهرة ، ثم فلك الشمس ، ثم فلك المرّيخ ، ثم فلك المشترى، ثم فلك زحل وهو السابع ، والثامن فلك البروج وفيه سائر الكواكب الثابتة ، والتاسع الفلك الأعظم الحاكم على الجميع وله أسامى كثيرة منها الأثيرى لأنّه يؤثّر فى غيره وغيره لا يؤثّر فيه ، والقسرى لأنّه يدير الأفلاك قسراً دورةً قسريّةً فى كلّ يوم وليلة دورةً واحدةً ،ومن أسمائه فلك الاستواء ، ومنها المستقيم ، ومنها الأطاس، ويزعمون أنّه ليس وراءه شىء ولا فيه كوكب ولا غيره ويدير الأفلاك على القطبين الثابتين اللذين ذكرناهما ، قال : وبينه وبين الأرض خمسون ألف سنة ، ويسمّى المحيط أيضاً لأنّه محيط بكلّ شىء ولا يحيط به إلّا علم الله عزّ وجلّ .

قال بطلميوس : وهو أخفّ الأفلاك وأضوأها لأنّه بهىّ فى جوهره ، ولذلك ارتفع على كلّ شىء ، قال: والذى دونه يقال له فلك البروج وفلك الأفلاك لأنّه يدور بأفلاك الكواكب . ثم دونه فلك زحل ثم الأفلاك المذكورون .

واختلفوا أيضاً الأوائل فى كثير من أمرها ، (٣٢) فمنهم من يقول : هى أفلاك كثيرة ، ومنهم من قال : إنّ الفلك حىّ مميّز بجميع ما فيه ذو صورة ، وكذلك جميع ما فيه بهذه المنزلة ، وهذه الأفلاك من طبيعة أخرى بخلاف الطبائع الأربع لأنّها لو كانت من هذه لزمها لزوم هذه من الكون من هذه الطبائع الأربع التى دون فلك القمر من النار والهواء والتراب والماء ولزمها الفساد

---

(١) مأخوذ من مرآة الزمان ٢ ٤ آ ، ١١ (١-٢) القرآن الكريم ٦٧ / ٣

والاستحالة والزيادة والنقصان ، فالفلك وما فيه من طبيعة خامسة ولم يخبرون عن ماهيّتها بأكثر من هذا .

وقال بطلميوس أيضاً : صورة الفلك وعيان بروجه على مثال البطيخة المخطّطة أعلاها وأسفلها كالنقطتين وكلّ بيت بين خطّين بمنزلة البروج واتّساق بروجه على مثل اتّساق بيوتها وخطوطها . ٣

وقال أفلاطن : الأفلاك كهيئة الأكر بعضها فوق بعض والفلك التاسع محيط بجميع الطبائع والمخلوقات وليس فيه كوكب وهو يدير الكلّ من المشرق إلى المغرب كلّ يوم وليلة دورةً واحدةً ، والأفلاك الثمانية تدور من المغرب إلى المشرق ، وشبّهوا ذلك بسفينة تجرى مع الماء وفيها رجل تمشى مصعداً ، ولهم فى هذا بحث طويل . ٦ ٩

واستدلّوا أيضاً على ذلك أنّ الشمس والقمر يدوران فى اليوم والليلة دورةً واحدةً ، قال : والبروج نصف سدس الفلك ، قال : وفلك البروج وما فيه من الكواكب يدور على القطبين الذين ذكرنا غير قطبى الفلك الأعظم ، وعرض الأرض من القطب الشمالى إلى القطب الجنوبى الذى هو مطلع سهيل فى موضع خطّ الاستواء ثلاثمائة وستّون درجةً ، فيكون الجملة تسعة آلاف فرسخ ، ومن فلك القمر إلى الأرض خمسة وعشرون ألف فرسخ ، قات : وينبغى أن يكون هذا على وجه التقريب والظنّ لا على وجه القطع واليقين . ١٢ ١٥

ونُقل عن فيثاغورس أنّه قال : العالم الأرضى متّصل (٣٣) بالعالم السماوى والفلك يتحرّك حركةً مستديرةً دائمةً فتتحرّك الكواكب بتحريكه وحركة الكواكب على هذا العالم تفعل فيه الاستحالة ويحدث فيه الكون والفساد ، وفساد كلّ شىء يكون شىء آخر ، ومثاله ما يحترق من الخشب فيصير فحماً ، ١٨ ٢١

وإنّ حركات الكواكب الدائمة توجب السكون الطبيعى الدائم ، وليس فى الحركات حركة تامّة غير المستديرة لأنّ المتحرّك بها لا يسكن لأنّه لا نهاية لحركتها بخلاف الحركات المختلفات لأنّها غير تامّة ولها نهايات فإذا انتهت سكنت، وضربوا لها مثلاً فقالوا : وحركة النار والهواء إلى فوق وحركة الماء والتراب إلى أسفل ، ولهم فى هذا اصطلاح عجيب ، ويقال إنّ هذا كلّه كلام أفلاطن لأنّه أقام برصد الأفلاك سبعين سنة .

فصل

القول فى البروج

قال الله تعالى : « ولقد جعلنا فى السماء بروجاً وزيّناها للناظرين » وآيات أُخَرى ، قال الحسن البصرى : البروج القصور وفى السماء قصور مثل قصور الأرض ، وقال أبو إسحاق الثعلبى فى تفسير قوله تعالى : « تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً » ، قال : يعنى : منازل الكواكب السبعة السيّارة ، وهى اثنا عشر برجاً : الحمل ، والثور ، والجوزاء ، والسرطان ، والأسد ، والسنبلة ، والميزان ، والعقرب ، والقوس ، والجدى ، والدلو ، والحوت ، فالحمل والعقرب بيتا المريخ ، والثور والميزان بيتا الزهرة ، والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد ، والسرطان بيت القمر ، والأسد بيت الشمس ، والقوس والحوت بيتا المشترى ، والجدى والحوت بيتا زحل .

قال : وهذه البروج مقسومة على الطبائع الأربع فيكون نصيب كلّ واحد

(٧) مأخوذ من مرآة الزمان ٤٢ ب ، ـ ١١ (٩) القرآن الكريم ١٥ / ١٦
(١١ـ١٢) القرآن الكريم ٢٥ / ٦١ ؛ قارن جامع البيان ١٩ / ١٩ ؛ الجامع لأحكام القرآن ١٣ / ٦٥ ؛ ١٠ / ٩

منها ثلاثة بروج (٣٤) وتسمّى المثلّثات : فالحمل والأسد والقوس مثلّثة ناريّة ، والثور والسنبلة والجدى مثلّثة أرضيّة ، والجوزاء والميزان والدلو مثلّثة هوائيّة ، والسرطان والعقرب والحوت مثلّثة مائيّة . ٣

قال : واختلف أهل التفسير فى معنى البروج فروى عن عطيّة العوفى فى تفسير الآية ، قال : هى قصور فيها الحرس ، دليله قوله تعالى : « ولو كنتم فى بروج مشيدة » ، قال الأخطل : ٦

(من البسيط) :

كأنّها بُرْجُ رُومىٍّ يُشَيِّدُه   بانٍ بجِصّ وآجُرٍّ وأحجارِ

وقال قتادة ومجاهد : هى النجوم ، وقال عطاء : هى السرج وهى أبواب ٩ السماء التى تسمّى المجرّة ، هذا كلام الثعلبى . قلت : وقد نصّ ابن عبّاس فى رواية الوالبى عنه أنّها البروج المعروفة التى أشرنا إليها .

وقال أبو حنيفة الدينورى : الناس يجمعون على أنّها اثنا عشر برجاً ١٢ لا يختلفون فى ذلك ، وإنّ الله تعالى قسمها ترابيع وتثاليث ، وهى مقسومة على الكواكب السبعة كما ذكرنا ، قال الدينورى : وتسمّيها كلّ أمّة بلسانها ويتّفقون فى المعنى وكلّهم يبتدىء بالحمل على الترتيب المذكور ، وقال أبو محمد ١٥ عبد الجبّار المعروف بالخرقى فى كتاب التبصرة له : فالحمل ثلاثة عشر كوكباً ، والخارج عن الصورة خمسة كواكب وصورته صورة كبش مقدمه إلى جهة المغرب ومؤخّره إلى المشرق وهو ملتفت إلى خلفه حتى صار خرطمه على ظهره ، ومن ١٨ كواكبه الشَرَطين من منازل القمر .

(٥-٦) القرآن الكريم ٤ / ٧٨ ؛ قارن الجامع لأحكام القرآن ٥ / ٢٨٢

(٨) ديوان الأخطل ١ / ١٦٣ ، - ٤ ، رقم ١٤ ، بيت ١٠ || بان : بز ديوان الأخطل

والبرج الثانى : الثور ، ثلاثة وثلاثون كوكباً ، والخارج عن الصورة أحد عشر كوكباً ، وهو على صورة النصف المقدّم من الثور ، وقد نكس رأسه للنطاح وقد قطع بنصفين على سرته ، مقدمه إلى المشرق ومؤخّره إلى المغرب ، من كواكبه الثريّا والدَبَران من منازل القمر .

والبرج الثالث : الجوزاء ، وهى التوأمان ، ثمانية عشر كوكباً ، والخارج عن الصورة سبعة (٣٥) كواكب ، وصورته صورة صبيّين قائمين واحدهما قد وضع يده على منكب الآخر ، رأسهما وسائر كوكبهما فى الشمال والمشرق على طرف المجرّة وأرجلهما إلى المغرب .

والبرج الرابع : السرطان ، سبعة كواكب والخارج عن الصورة أربعة كواكب ، مقدمه إلى ناحية المشرق ومؤخره إلى المغرب والجنوب على أثر التوأمين فإنّهما مائلان إلى الجنوب فى نفس المجرّة .

والبرج الخامس : أسد ، سبعة وعشرون كوكباً ، والخارج عن الصور ثمانية كواكب وصورته تامّة ، ومن كواكبه قلب الأسد كوكب نيّر .

والبرج السادس : السنبلة ، وتعرف بالعذراء ، ستّة وعشرون كوكباً ، والخارج عن الصورة ستّة كواكب صورتها صورة جارية ذات جناحين قد أرسلت ذيلها ورأسها على الصَرفة وهى كوكب نيّر على كتفها الأيسر .

والبرج السابع : الميزان ، ثمانية كواكب ، وصورته كاسمه والخارج عن الصورة تسعة كواكب .

والبرج الثامن : العقرب ، أحد وعشرون كوكباً ، والخارج عن الصورة ثلاثة كواكب وصورتها تامّة ومن كواكبها قلب العقرب كوكب نيّر .

---

(١٢) أسد : الأسد .

والبرج التاسع : القوس ، ويسمّى الرامى ، أحد وثلاثون كوكباً خلف كواكب العقرب ، وصورته صورة حيوان مركّب من إنسان وفرس كأنّه جسد دابّة إلى العنق ثم يبرز منه فى مغرز العنق نصف رجل قد وضع السهم فى القوس . ٣

والبرج العاشر : الجدى ثمانية وعشرون كوكباً وهو على النصف على صورة النصف المقدّم من جدى والثانى مؤخر سمكة إلى ذنبها .

والبرج الحادى عشر : الدلو ، ويعرف بساكب الماء ، اثنان وأربعون كوكباً ، ٦ الخارج عن الصورة ثلاث كواكب ، وصورته صورة رجل قائم مادّ اليدين بأحدهما كوز قد قلبه وانصبّ الماء (٣٩) إلى مقام رجليه وجرى الماء من تحتها إلى الجنوب ويسمّى الدالى أيضاً . ٩

والبرج الثانى عشر : الحوت ، أربعة وثلاثون كوكباً ، والخارج عن الصورة أربعة كواكب ، وصورته صورة سمكتين قد وصل ذنب إحداهما بذنب الأخرى بخيط يسمّى خيط الكتّان ، قال الخرقى : فجملة هذه الكواكب ثلاثمائة ، ١٢ وفى قول غيره ثلاثمائة وأربعون كوكباً .

قلت : وقد ذكر المسعودى عن الحكماء المتقدّمين : أنّ الله تعالى جمع الدرارىّ فى الحمل وجعل الشمس ملكاً وعطارد كالكاتب للشمس والمشترى ١٥ كالقاضى للفلك والمرّيخ كالشرطى وبمن يحمل السلاح والقمر كالخازن والزهرة كالصاحبة وزحل كالشيخ المشير والجوزهر مقدّم لأمر الملك .

وذكر أنّ الكواكب الثابتة ألف وعشرون كوكباً تقطع البروج فى ثلاثة ١٨ آلاف سنة وتقطع الفلك كلّه فى ستة وثلاثين ألف سنة ، ويزعمون عن قولهم :

---

(١٤) أخبار الزمان ٦ ، ٣ (١٧) مشير : مشاور أخبار الزمان
(١٨) وذكر : أخبار الزمان ٦ ، ١٠

أنّ الله تعالى جعل إليها تدبير العالم الأرضى وهى التى كانت تعمل الأعمال وبها كانت جميع الأمور وأنّ الله تعالى وكّلها لذلك ولتدبير الخلق الدنياوى ، فلذلك ٣ كانت الأمم القديمة يعبدونها .

وقال أيضاً المسعودى عن الحكماء الأوائل: إنّ الكواكب ملائكة وإنّه عزّ وجلّ جعل لها تدبير العالم مالم يجعله لغيرها فلذلك عظّموها .

٦ وقال المسعودى : قال صاحب الطبيعة : إنّ الأفلاك لما تمّ خلقها كانت كالأجسام والكواكب كالأرواح لها ، وذكر عن هرمس أنّه قال : لما خلق الله تعالى البروج قسم ذواتها فى سلطانها ، فجعل للحمل اثنا عشر ألف سنة ، ٩ وللثور إحدى عشرة ألف سنة ، وللجوزاء عشرة آلاف سنة ، وللسرطان تسعة آلاف سنة ، وللأسد ثمانية آلاف سنة ، وللسنبلة سبعة آلاف سنة ، وللميزان ستة آلاف سنة ، وللعقرب خمسة آلاف سنة ، وللقوس (٣٧) أربعة ١٢ آلاف سنة ، وللجدى ثلاثة آلاف سنة ، وللدالى ألفى سنة ، وللحوت ألف سنة، قال : ولم يكن فى عدد الحمل والثور والجوزاء حيوان مخلوق وذلك ثلاثة وثلاثين ألف سنة ولا فى الأرض عالم روحانى ، فلمّا كان عالم سلطان السرطان تكوّنت ١٥ فيه هوامّ الأرض، ولما استتمام الأسد فى سلطانه تكوّنت الدوابّ ذوات الأربع، ولمّا دخل سلطان السنبلة تكوّن الإنسان أد مانوس وحيوانوس ، وخُلقت الأرض بسلطان الميزان .

١٨ قلت : هذا كلام خرافة لا يصحّ فى النقل ولا يتصوّر فى العقل وإنّما ذكرته كونه ذكر أيضاً .

---

(٤) أخبار الزمان ٧ ، ٥ (٦) أخبار الزمان ٧ ، ـ ٤

وقال المسعودى عن هرمس : إنّ الكواكب حيّة ناطقة حسّاسة ، ومنهم من قال إنّ لها حاسّيّة السمع والبصر واللمس وليس لها حاسّيّة الذوق والشمّ لأنّها مشتغلة عن ذلك بما سواه ، ومنهم من قال إنّ سيرها اختيارى ، ومنهم من قال ٣ إنّ سيرها اضطرارى ، والله أعلم .

قلت : وقد ذكر الجوهرى فى صحاحه هذه البروج وأخلّ بالبعض فقال : الحمل أوّل البروج ، والثور برج فى السماء ، والجوزاء نجم يقال إنّها تعترض فى ٦ جوز السماء ، أى فى وسطها وجوز كلّ شئ وسطه والجمع الأجواز ، قال : والسرطان برج فى السماء ، ولم يذكر الأسد ، قال : والسنبلة برج فى السماء ، ولم يذكر الميزان ، قال : والعقرب برج فى السماء وكذلك القوس والجدى والدلو ٩ والحوت ، قال : والجدى نجم فى السماء إلى جانب القطب تعرف به القبلة ، ولم يتعرّض الجوهرى لعدد الكواكب وصورها .

وأمّا مايخصّ كلّ برج من البلدان فقد قال علماء الهيئة : للحمل بابل وفارس ١٢ وآذربيجان ، وللثور همذان والأكراد ، وللجوزاء جرجان (٣٨) وكيلان وموقان ، وللسرطان الصين وشرق خراسان ، وللأسد الترك والسغد وما والاها ، وللسنبلة الشأم والجزيرة ودجلة والفرات ، وللميزان الروم إلى إفريقية وصعيد مصر ١٥ والحبشة والعرب وتهامة والحجاز واليمن ، وللقوس بغداد إلى إصبهان ، وللجدى نهر مكران وعمان والبحرين والهند ، وللدلو الكوفة وبعض أطراف الحجاز ، وللحوت طبرستان وله شركة فى الروم والجزيرة والشأم ومصر والاسكندرية . ١٨

(١) أخبار الزمان ٨ ، ـ ٤ (٦) الحمل : الصحاح ٤/١٦٧٧ ب || الثور : الصحاح ٦٠٧/٦ آ || الجوزاء : الصحاح ٨٦٨/٢ ب (٨) السرطان : الصحاح ١١٣١/٣ آ || السنبلة : لم يذكرها (٩) العقرب : الصحاح ١٨٨/١ آ || الجدى : الصحاح ٢٢٩٩/٦ آ
(١٢) مأخوذ من مرآة الزمان ٣٤ ب ، ـ ١٢

فصل

فى قسمة الزمان الأربعة فصول وذكر الرياح الأربع

٣ الزمان أقسام أربع : الأوّل : الربيع ، وهو عند بعضهم الخريف ، وإنّما سمّته العرب الربيع لأنّ الربيع فيه يكون وسمّاه بعضهم خريفاً لأنّ الثمار تخترف فيه ، ودخوله عند حلول الشمس برأس الميزان ، ثم الشتاء ، ودخوله عند حلول الشمس ٦ برأس الجدى ، ثم الصيف ، ودخوله عند حلول الشمس برأس الحمل ، وهو عند أكثرهم الربيع ، ثم القيظ ، ودخوله عند حلول الشمس برأس السرطان ، وهو عند أكثرهم الصيف .

٩ وأمّا الرياح الأربع ، فأوّلها : ريح الشمال . قال الجوهرى : والشَمال : الريح التى تهبّ من ناحية القطب ، وثانيها الصبا قال : ومهبّها الشتوى من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار ونيّحها الدبور ، قال : وتزعم العرب أنّ الدبور تزعج ١٢ السحاب وتُشخصه فى الهواء ثم تسوقه فإذا علا كشفت عنه واستقبلته الصبا ، فودعت بعضه فوق بعض حتى يصير كسفاً واحداً ، والجنوب تلحق (٣٩) روادفه وتمدّه والشمال تمزّق السحاب ، والثالثة الجنوب ، وهى التى تقابل الشَمال ، قال : ١٥ والدبور الريح التى تقابل الصبا .

---

(١) مأخوذ من مرآة الزمان ٤٣ ب ، ـ ٦

(٩) مأخوذ من مرآة الزمان ٤٣ ب ، ـ ١ || الصحاح ٥ / ١٧٣٩ ب

(١١) نيحها : نيحتها الصحاح ٢٣٩٨/٦ ب (١٤) الجنوب : الصحاح ١٠٣/١ آ

(١٥) الدبور : الصحاح ٢ / ٦٥٤ آ

فصــــل

فيما بين كلّ سماء وسماء

وما ورد من ذلك من الأنباء

٣

قد ذكرنا مذهب الأوائل فى صور الأفلاك ومايتعلّق بها ، وأمّا على مذاهب المشرّعين : فهى السموات عندهم ، وقد ورد فى الجهة أخبار عن ابن عبّاس وأبى ذرّ وأبى هريرة رضوان الله عليهم .

٦

فأمّا حديث العبّاس ، فقال أحمد بن حنبل رحمه الله بإسناده إلى العبّاس ابن عبد المطّلب رضى الله عنه ، قال : كنّا جلوساً عند رسول الله ﷺ بالبطحاء فمرّت سحابة فقال: أتدرون ماهذه ؟ قلنا: السحاب ، قال: والمزن ، قلنا : والمزن ، قال : والعنان ، قلنا : والعنان ، قال : وسكتنا ، فقال : هل تدرون كم بين السماء والأرض ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : بينهما مسيرة خمس مائة سنة وبين كلّ سماء وسماء خمس مائة سنة ، وكيف كلّ سماء خمس مائة سنة ، وفوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين السموات والأرض ، ثم فوق ذلك ثمانية أو عال بين ركبهنّ وأظلافهن كما بين السماء والأرض ، والله تعالى فوق ذلك وليس يخفى عليه شىء من أعمال بنى آدم .

٩ ١٢ ١٥

وأمّا حديث أبى ذرّ ، قال : قال رسول الله ﷺ: مابين الأرض إلى السماء مسيرة خمس مائة سنة ، وغلظ كلّ سماء خمس مائة عام ، والأرضين مثل ذلك ، وما بين السماء السابعة إلى العرش مثل جميع ذلك ، ولو جفرتم لصاحبكم ثم وليتموه لوجدتم الله ثمّة .

١٨

---

(١) مأخوذ من مرآة الزمان ٤٤ آ ، ٦ (٣) من : فى (٥) المشرعين : المتشرعين
(٧) مسند أحمد بن حنبل ١ / ٢٠٦

وأمّا حديث أبي هريرة ، قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ (٤٠) إذ مرّت سحابة فقال : أتدرون ما هذه ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : الرقيع موج مكفوف وسقف محفوظ ، أتدرون كم بينها وبينكم ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، ثم ذكر السموات والأرض وعدّ ما بين كلّ سماء وسماء خمس مائة عام بمعنى حديث أبي ذرّ ، وقال في آخره : لو حفرتم لصاحبكم ودليتموه بحبل إلى الأرض السابعة لهبط على الله ، ثم قرأ رسول الله : « هو الأوّل والآخر » .

فصل

في ذكر الشمس والقمر والنجوم الثابتة والسيّارة وغيرها

الشمس : قال الجوهري : الشمس المعروفة ، ويقال لها ذكاء لأنّها تذكو كما تذكو النار ، ولذلك يسمّى النهار ابن ذكاء ، قال : وهي ممدودة غير مصروفة لا تدخلها ألف ولا لام .

فأمّا خلقها ، روى كعب الأحبار ، قال في التوراة : لمّا أراد الله أن يخلق الشمس والقمر قال للسماء أخرجي شمسك وقمرك ! وعن عليّ عليه السلام موقوفًا عليه قال : خُلقت الشمس والقمر من نور العرش .

وقد روي فيما يتعلّق بالشمس أخبار وآثار ، فأمّا الأخبار فلا يثبت منها إلّا حديث واحد ، قال البخاري بإسناده إلى إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذرّ قال : كنت مع النبيّ ﷺ في المسجد حين وجبت الشمس فقال : يا أبا ذرّ أتدري أين تذهب هذه الشمس ؟ قلت : الله ورسوله أعلم ! قال : إنّها تذهب حتى تسجد

---

(١) قارن سنن الترمذي ٥ / ٧٧ (٦) القرآن الكريم ٥٧ / ٣

(٧) مأخوذ من مرآة الزمان ٤٤ ب ، ـ ١٣ (٩) الصحاح ٦ / ٢٣٤٦ ب

(١٦) قارن المعجم المفهرس ٧ / ١٣٧ ، مسند أحمد بن حنبل ٥ / ١٥٢ و ١٧٧

بين يدى الله، أو قال ربها، فتستأذن فى الرجوع فيأذن لها، أخرجاه فى الصحيحين.

وأخرج البيهقى عن ابن عمر بمعناه ، وفيه : نظر النبىّ ﷺ إلى الشمس قد
غابت ، فقال : فى عين الله الحامية ، لولا مايزعها من أمر الله لأهلكت ما على ٣
وجه الأرض ، ومعنى يزعها : يكفّها ويردّها .

ومنه قول الحسن البصرى : لا بدّ للناس من وزعة (٤١) ولأنّ ما نزع الله
بالسلطان أكثر مما نزع بالقرآن، ومعنى الحديث أنّ النبىّ ﷺ أخبر عن مغيبها ٦
فى النار الحامية لا أنّه دعا عليها .

وأمّا فى الأخبار الواهية ، فقال عن أبى أمامة قال : قال رسول الله ﷺ :
قد وكل الله بالشمس سبعة أملاك يقذفونها بالثلج ولولا ذلك ما أتت على شىء ٩
إلّا أحرقته ، وسنّة عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ : الشمس والقمر
ثوران عقيران فى النار ، وفى رواية : يؤتى بهما يوم القيامة فيكوّران فى النار ،
والعقير المجروح ، ومنها ما ذكره الطبرى رحمه الله عن ابن عبّاس عن عكرمة ١٢
قال : كنت جالساً عنده إذ جاءه رجل فقال : يا ابن عبّاس سمعت كعب الأحبار
يقول : إنّ الشمس والقمر يكوّران يوم القيامة ويلقيان فى النار ، وكان ابن عبّاس
متكئاً فجلس واجتمع وقال: كذب كعب لمسائل هى يهوديّة يريد إدخالها فى الإسلام، ١٥
الله أجلّ وأكرم أن يعذّب على طاعته ، ألم تسمع إلى قوله تعالى: « وسخّر لكم
الشمس والقمر دائبين » ، أى : طائعين، فكيف يعذّب من أثنى عليه ؟ ثم قال :
ألا أحدّثكم ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول : إن الله لما أبرم خلقه غير آدم ١٨
خلق شمسين من نور عرشه ؛ فأمّا ما كان فى سابق علمه أن يدعها شمساً فإنّه خلقها

---

(٨) قارن فيض القدير ٦ / ٣٦٣ رقم ٩٦٢٩

(١٢) قارن قصص الأنبياء ١٢ ؛ الجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٢٢٧ ؛ فيض القدير ٤ / ١٧٧ رقم ٩٤٨ و ٩٤٩ ؛ (١٦ - ١٧) القرآن الكريم ١٤ / ٣٣

مثل الدنيا ما بين مشارقها ومغاربها ، وأمّا ما كان فى سابق علمه أن يطمسها
ويحوّلها قمراً فإنّه دون الشمس فى العظم ، وإنّما يرى صغيراً لسدّه من ارتفاع
٣ السماء وبعدها من الأرض ، فلو ترك الله الشمس كما كان خلقها لم يُعرَف الليل من
النهار ولا النهار من الليل ، وكان لا يدرى الأجير إلى أى متى يعمل ومتى أخذ
أجره ، ولا يدرى الصائم إلى متى يصوم ، ولا تدرى المرأة كيف تعتدّ ولا يدرى
٦ المسلمون متى وقت الحجّ ، ولا متى تحلّ ديونهم ، فنظر الله لعباده فأرسل
جبرائيل (٤٢) فأمرّ جناحه على وجه القمر فطمس عنه الضوء وبقى فيه النور ،
فذلك قوله تعالى : « وجعلنا الليل والنهار آيتين » ، الآية ، فالسواد الذى ترونه
٩ فيه شبه الخطوط فهو أثر المحو ، قال : ثم خلق الله للشمس عَجَلةً من نور العرش
لها ثلاثمائة وستّون عروةً ، ووكّل بالشمس وعجلتها ثلاثمائة وستّين ملكاً يعلق
كلّ واحد منهم بعروة ، وخلق القمر أيضاً كذلك وخلق لهما مشارق ومغارب ثمانين
١٢ ومائة عين فى المغرب طينة سوداء ، فذلك قوله تعالى : « وجدها تغرب فى عين
حمئة » ، تفور كغليان القدور ، فكلّ يوم وليلة لهما مطلع جديد ومغرب جديد ،
فذلك قوله تعالى : « ربّ المشارق والمغارب » ، قال : وخلق الله مجرى دون السماء
١٥ يعنى بحراً مقدار ثلاثة فراسخ ، وهو موج مكفوف قائم فى الهواء كأنّه جبل
ممدود فتجرى فيه الشمس والقمر والخنس ، فذلك قوله تعالى : « وكل فى فلك
يسبحون » ، والذى نفس محمّد بيده لو بدت الشمس من ذلك البحر لأحرقت كلّ
١٨ شىء فى الأرض حتى الصخور والحجارة ولو بدا القمر من ذلك البحر لافتتن أهل
الأرض حتى يعبدوه من دون الله تعالى .

---

(٨) القرآن الكريم ١٧ / ١٢ (١٢–١٣) القرآن الكريم ١٨ / ٨٦
(١٤) القرآن الكريم ٧٠ / ٤٠ (١٦ – ١٧) القرآن الكريم ٣٦ / ٤٠

قال ابن عبّاس : وكان علىّ بن أبى طالب حاضراً فقال : يا رسول الله
ذكرت الخنس فما هنّ ؟ فقال : خمسة كواكب : البرجيس وزحل وعطارد وبهرام
والزهرة جاريات طالعات كالشمس والقمر فأمّا سائر الكواكب فعلّقات فى ٣
السماء كالقناديل فى المساجد .

قال ، وقال النبىّ ﷺ : ثم خلق الله مدينتين إحداهما بالمشرق والأخرى
بالمغرب جابرسا وجابلقا ، لكلّ واحدة منهما عشرة آلاف باب ، وعلى كلّ باب ٦
عشرة آلاف فارس من الحرس ، ووراءهم أمم يقال لهم منشك وناسك وتاريس
وماويل ، ومن ورائهم يأجوج ومأجوج ، قلت : وذكر الطبرى رحمه الله
حديث طويل وفيه طلوع الشمس من مغربها وباب (٤٣) التوبة ، فقال له عمر ٩
بن الخطّاب : وما باب التوبة ؟ ففسّره ، وقال : من المصراع إلى المصراع مسيرة
أربعين سنة للراكب المجدّ ، وذكر الصور ، وقال له حذيفة بن اليمان : يا رسول
الله وما الصور ؟ ففسّره فى آخر الحديث ، فبلغ كعباً فأتى إلى ابن عبّاس يعتذر ، ١٢
وقال : إنّما حدّثتُ من كتاب دارس تداولته الأيدى وأنت حدّثتَ عن رسول
الله ﷺ ، وذكر كلام طويل .

قلت : وقد أنكر الشيخ الحافظ أبو الفرج ابن الجوزى رحمه الله على راوى ١٥
هذا الحديث وقال : المنقول مثل هذه الألفاظ عن ابن عبّاس لو وقفوه عليه كان
أولى وإنّما رفعوه إلى رسول الله ﷺ وحوشى منصبه الكريم عن مثـــله ،
وواضعه ماقصد به إلّا شين الشريعة ، وإلّا فمن أين فى الدنيا مدينة لها عشرة ١٨
ألف باب بين كلّ بابين فرسخ وما أشبه ذلك ؟

(١) البرجيس : البرجيس ، تحريف (٥) قصص الأنبياء ١٣ : الكامل (ابن الأثير) ٢١/١

قلت : قد رُوى هذا الحديث وله إسناد متّصل يقول : إنّ الله عزّ وجلّ له مدينتين عظيمتين واحدة بالمشرق والأخرى بالمغرب واسم التى بالمشرق جابلقا واسم التى بالمغرب جا برصا ، طول كلّ مدينة منهن اثنا عشر ألف فرسخ لكلّ مدينة عشرة آلاف باب ، بين كلّ باب وباب فرسخين ، يحرس كلّ باب فى كلّ ليلة عشرة آلاف رجل لاتلحقهم النوبة إلى يوم القيامة ، وإنّهم يأكلون ويشربون ويقنا كحون ، وفيهم حلم كثير ولهم خلق عظام تامّة فى الطول والجسامة ، وإنّ هاتين المدينتين خارجتين من هذا العالم ، لا يرون شمساً ولا قمر ، ولا يعرفون آدم ولا إبليس ، يعبدون الله تعالى ويوحّدونه ، وإنّ لهم نور يشيمون فيه من نور العرش من غير شمس ولا قمر ، وإنّ النبى ﷺ قال : مرّ بى جبريل عليه السلام ليلة الإسراء عليهم فدعوتُهم إلى الله عزّ وجلّ فأجابونى فحسنهم مع محسنكم ومسيئهم مع (٤٤) مسيئكم .

وعن وهب بن منبّه ما رواه المسعودى أيضاً تبعاً لما قدّمنا أنّه قال : إنّ لله ثمانية عشر ألف عالم ، الدنيا منه عالم واحد وما العمران فى الخراب إلّا كخردلة فى كفّ أحدكم .

وروى المسعودى أيضاً عن أهل الأثر أنّ لله تعالى دابة فى مرج من مروجه فى غامض علمه رزقها كلّ يوم مثل رزق العالم بأسره .

قلت : وهذه الأخبار والآثار فإنّها مبالغة فى عظمة ملك الله تعالى الذى لايحدّ وكفى من ذلك قوله تعالى : « ولا يحيطون بشىء من علمه » .

---

(١) أخبار الزمان ١٨ ، ٨ (١٢) أخبار الزمان ١٩ ، ١
(١٥) أخبار الزمان ١٩ ، ٤ (١٨) القرآن الكريم ٢ / ٢٥٥

رجع ما انقطع :

وروى الضحّاك عن ابن عبّاس رضى الله عنه قال : لاتطلع الشمس كلّ يوم إلّا وهى كارهة تقول : يارّب لا تُطلعنى على عباد يعصونك حتى إنّها لتقف عند الطلوع فيدفعها ثلاثمائة وستّون ملكاً حتى تطلع .

وذكر الثعلبىّ عن ابن عبّاس قال : تطلع الشمس كلّ سنة فى ثلاثمائة وستّين كوّة لاترجع إلى تلك الكوّة الأولى إلى ذلك اليوم من العام القابل ، ومن الآثار أيضاً ما رواه مجاهد عن ابن عبّاس قال : للشمس ثلاثمائة وستّون عجلة وثلاثمائة وستّون مشرقاً ومغرباً ، وكذلك القمر فذلك قوله تعالى : « فلا أقسم بربّ المشارق والمغارب » ، وأمّا قوله : « ربّ المشرقين وربّ المغربين » ، فإنّما أراد مشرق كلّ واحد منهما ومغربه .

وأمّا القمر :

قال علماء اللغة رضى الله عنهم كالزجّاج والفرّاء والأصمعى وغيرهم : إنّما سمّى القمر قمراً لبياضه ، والأقمر فى اللغة : الأبيض ، وليلة قمراء أى : مضيئة ، وقال الجوهرى : القمر بعد ثلاث < ليال > إلى آخر الشهر يسمّى قمراً لبياضه ، وفى كلام بعضهم : قمير وهو تصغير قمر ، قال : والقمر يحيّر البصر من البهج ، وقال

(٢) قصص الأنبياء ١٢ ؛ الجامع لأحكام القرآن ١٥ / ٦٣

(٩ـ١٠) القرآن الكريم ٧٠ / ٤٠ (١٠) القرآن الكريم ٥٥ / ١٧

(١١) مأخوذ من مرآة الزمان ٤٦ آ ، ـ ٧ (١٦) الصحاح ٢ / ٧٩٨ ب

(١٧) البهيج : الثلج الصحاح

ابن قتيبة فى أدب الـكاتب : والهلال أوّل ليلة والثانيه (٤٥) والثالثه ، ثم هو
قمر بعد ذلك إلى آخر الشهر ، وتصغيره قمير وجمعه أقمار ، ويقال له الليلة الرابعة عشر
٣ بدر لتمامه ومنه البدرة ، وكلّ شىء تمّ فهو بدر مجاز وفى القمر حقيقة ، وقال
الجوهرى : إنما سمّى بدراً لمبادرته الشمس بالطلوع كأنّه بدرها ، وقال الفرّاء :
هو فى أوّل ليلة هلال ثم قمير ثم قمر ثم بدر .

٦ حديث ضرب المثل: قال البخارى رضى الله عنه : يارسول الله هل نرى ربّنا
يوم القيامة؟ قال هل تمارون فى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا ! قال:
فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا! قال: فإنّكم ترونه كذلك،
٩ أخرجاه فى الصحيحين ، وهو حديث طويل وقد رواه جماعة من الصحابة بالفاظ
مختلفة .

فإن قيل : فهلّا ضرب المثل بالشمس وهى أضوأ وأتمّ نوراً فإنّ نور القمر
١٢ منها فالجواب من وجوه أحدها : أنّ نور الشمس يغلب على الأبصار فلا يتمكّن
أحد من النظر إليه مع عدّة وجوه أُخر فيها طول .

ذكر منازل القمر

١٥ قال الله تعـالى : « والقمر قدرناه منازل » الآية ، ذكر ابن قتيبة وغيره
منازل القمر ، فقالوا : هى ثمانية وعشرون منزلة من أوّل الشهر إلى أن
يستسر ، وتسمّيها العرب نجوم الأخذ لأنّ القمر يأخذ كلّ ليـــلة منها

(١) أدب الـكاتب ٧٠ (٢) له الليلة : فى الليلة (٤) الصحاح ٣ / ٥٨٦ ب
(٦) قال البخارى : قال البخارى بإسناده عن أبى هريرة قال قال الناس مرآة الزمان ؛ المعجم
المفهرس ٢ / ٢٠٢ ؛ صحيح البخارى ٣ / ١١٨
(٩) بالفاظ : بألفاظ (١٤) مأخوذ من مرآة الزمان ٤٦ ب ، ـ ١٠
(١٥) للقرآن الكريم ٣٦ / ٣٩ || الأنواء ٤

فى منزلة ، وأسماؤها : الشرطين ، والبُطَين ، والثريّا ، والدَبران ، والهَقْعة ، والهَنعة ، والذِراع ، والنثرة ، والطَرْف ، والجبهة ، والعَوّاء ، والزُبرة ، والصَرْفة والسِّماك ، والعوّام ، والغَفر ، والزُبانا ، والإكليل ، والشَوْلة ، والنعائم ، والبَلْدة ٣
وسعد السُعود ، وسعد الذابح ، وسعد الأخبية وسعد بُلَع ، وفرع الدلو ، والفرع المؤخّر ، والرشاء .

قلت : ولهذه المنازل (٤٦) تفسير معروف أضربت عنه لمعرفة الناس إيّاه ٦
وطلباً للاختصار إذ تأريخنا هذا تأريخ اختصار وتلخيص لا تأريخ إكثار وتفحيص .

وأمّا الستّة التى ليست من منازل القمر فهم : سعد ناشرة ، وسعد الملك ، ٩
وسعد البِهام ، وسعد الهمام ، وسعد البارع ، وسعد مطر ، قال : وكلّ سعد من هذه الستّة كوكبان من كلّ كوكبين فى مراء العين مقدار ذراع وهى متناسقة .

ولجميع تلك المنازل المذكورة قبلُ أوان فى طلوعها فى الفصول الأربعة من ١٢
السنة أضربت عن ذلك أيضاً لطوله .

وأمّا انقسام هذه المنازل المقدّم ذكرها على فصول السنة ، فمن الواجب ذكرها ، قال ابن قتيبة : لفصل الربيع : الشرطين ، والبطين ، والثريّا ، والدَبران ، ١٥
والهقعة ، والهنعة ، والذراع ، ولفصل الصيف منها : النثرة ، والطرف ، والجبهة ، والزبرة ، والصرفة ، والسماك ، والعوّاء ، ولفصل الخريف : الغفر ، والزبانا ، والإكليل ، والقلب ، والشولة ، والنعائم ، والبلدة ، ولفصل الشتاء : سعد السعود ، ١٨
وسعد الذابح ، وسعد الأخبية ، وسعد بُلَع ، والفرغان المقدّم والمؤخّر ، والرشاء ، فلكلّ فصل من الفصول الأربع سبعة منازل .

---

(١٤) مأخوذ من مرآة الزمان ٤٨ ب ، ــ ٤
(١٥) أدب الكاتب ٦٩ ؛ الأنواء ١٠٩ ــ ١٢٠

ذكر النجوم والكواكب الثابتة وغيرها

قال الله تعالى : « وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمات البرّ

٣ والبحر » ، وقال تعالى : « وبالنجم هم يهتدون » ، وروى سعيد بن جبير عن

ابن عبّاس أنّه قال : علم النجوم علم نافع عجز عنه الناس ووددْتُ أنّى علمته ،

أشار إلى معرفة نفس النجوم لا إلى الأحكام ، وأنشد لثابت بن قرّة

٦ (من السريع) :

أما ترى ذا الفلكَ الدّيّرا أبيتُ من همّى به ساهِرا

(٤٧) مفكّراً فيه وفى أمره فما أرى خلقاً به خابِرا

٩ يا ليت شعرى هل أرى مَرّةً أكون مع أبراجه سائرا

حتى أرى جملة تكوينه وأعرف الباطن والظاهرا

واتّفقوا على أنّ نور القمر من نور الشمس ، واختلفوا فى نور الكواكب

١٢ هل هو من نور الشمس أم من غير ذلك على قولين : أحدها ، قال الخرقى

والنوبختى وأبو معشر ومن تبعهم : الكواكب المعروفة ألف واثنان وعشرون

كوكباً .

١٥ فنها : الجدى وهو أدلّها على القبلة ؛ قال الجوهرى : والجدى نجم إلى جنب

القطب تُعرف به القبلة ، والقطب كوكب بين الجدى والفرقدين تدور عليه الفلك .

وقال النوبختى : الجدى إلى جانب القطب الشمالى حوله أنجم دائرة كفراشة

١٨ الرحاء فى إحدى طرفها الفرقدان وفى الطرف الآخر نجم مضىء يقابلها وبين ذلك

النجم أنجم صغار ثلاثة من فوق وثلاثة من أسفل تدور حول القطب والجدى

(١) مأخوذ من مرآة الزمان ٤٩ آ ، ـ ٦ (٢) القرآن الكريم ٦ / ٩٧

(٣) القرآن الكريم ١٦ / ١٦ (٩) أكون : كذا

(١٢) أحدها : ناقص فى مرآة الزمان (١٥) الصحاح ٦ / ٢٢٩٩ آ

دوران فراشة الرحاء حول سفودها ، وحولها بنات نعش تدور والقطب والجدى لايبرحان من مكانهما .

وقال أبو معشر : الجدى قطب هذه الفراشة ، وقيل : القطب قطبها ويستدلّ ٣
عليه بالجدى إذا لم يكن ثمّ قمر فإذا قوى ضوء القمر خفى مكانه فلا يراه إلّا الحديد البصر ، والسهاء إلى جانبه وهو نجم خفى يمتحن الناس به أبصارهم .

وقال ابن قتيبة فى أدب الكاتب : الجدى الذى تعرف به القبلة هو جدى ٦
بنات نعش الصغرى وبنات نعش الصغرى بقرب بنات نعش الكبرى على مثال تأليفها أربعة منها : نعش وثلاث بنات فمن الأربعة الفرقدان وهما المتقدّمان ، ومن البنات الجدى وهو آخرها ، قال : والسها الذى يمتحن به الناس أبصارهم كوكب ٩
خفىّ فى بنات نعش وفى المثل تقول : أُريها السها وتُرينى القمر .

(٤٨) وكيفيّة معرفة القبلة بالجدى أنّك إذا جعلته وراء ظهرك فى أرض الشام كنت مستقبل القبلة، وفى أرض العراق تجعله مقابل ظهر أذنك اليمنى على علوها فتكون ١٢
مستقبل القبلة ، وهو باب البيت إلى المقام ، ومتى استدبرت الفرقدين أو بنات نعش كنت مستقبلًا جهة الكعبة ، وأما الفرقدان فنجمان مضيئان قريبان من القطب وهما ندمانا جذيمة الأبرش ومنها قول مُتمّم بن نُوَيرة فى مرثية أخاه مالكاً ١٥
يقول (من الطويل) :

وكنّا كندمانَىْ جَذِيمةَ حِقبةً من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا

وسيأتى خبر ذلك فى موضعه إن شاء الله تعالى . ١٨

وقال الجوهرى رحمه الله : وبنات نعش الكبير سبعة كواكب أربعة منهن نعش وثلاث بنات ، وكذا بنات نعش الصغرى . وقال أبو حنيفة الدينورى :
والقطب الشمالى والجنوبى عند مطلع سهيل لا يظهر إلّا فى جزيرة العرب ، وقال ٢١

(٥) السهاء : السهى (٦) أدب الكاتب ٧٢
(١٧) ديوان مالك ومتمم ١١١ ، ـ ٢ ؛ وقارن : Noldecke, Beitrage 100 1
(١٩) الصحاح ٣ / ١٠٢٢ آ || الكبير : الكبرى الصحاح

أبو عمرو الشيباني : فيه لغتان : ضمّ القاف وكسرها ، يقال : قُطب وقِطب ،
ومنها سهيل وهو إلى جانب القطب الجنوبي ومطلعه من مهبّ الجنوب ثم يسير
٣ نحو المغرب فيصير في قبلة المصلّي وهناك يغيب .

قال ابن قتيبة : سهيل كوكب أحمر منفرد من الكواكب ولقربه من
الأرض تراه أبداً كأنّه يضطرب وهو من الكواكب الثمانية ومطلعه عن يسار
٦ القبلة ويرى في جميع أرض العرب والعراق والشام ولا يرى في بلاد أرمينية وبين
طلوعه بالحجاز ورؤيته بالعراق بضع عشرة ليلة ، وذكره الجوهري فقال : وسهيل
نجم ، والعرب تقول : إذا طلع سهيل لا نأمن السيل .

٩ وقال أبو معشر في ذلك : ومن هذه الكواكب التي هي ألف واثنان
وعشرون كوكباً ، ثلاثمائة واثنعشر في اثني عشر صورة في طريق الشمس
وهي البروج الاثنا عشر ، ومنها ثلاثمائة وستّون كوكباً (٤٩) في إحدى وعشرين
١٢ صورة وهي مائلة عن طريق الشمس إلى ناحية الشمال ، منها : الدبّ الأكبر ،
والدب الأصغر ، والتِّنين وغيرهم ، ومنها ثلاثمائة وستّة عشر كوكباً في خمس عشرة
صورة مائلة عن طريق الشمس إلى ناحية الجنوب ، والاعتماد على الكواكب التي
١٥ في طريق الشمس لأنّها متقنة البروج وما عدا الكواكب التي سمّينا لم يسمها
عامّة أرباب علم الهيئة .

وذكرها أبو محمّد عبد الجبّار المعروف بالخرقي في كتابه المسمّى بالتبصرة
١٨ في الكواكب الثابتة ، قال أبو محمّد : فأمّا الكواكب التي في الصور الشمالية
منها : الدبّ الأصغر ، وهو على صورة الدبّ واقف مادّ ذنبه وكواكبه سبعة
وتسمّيها العرب بنات نعش الصغرى ، فالأربعة هي النعش على شكل مربّع والثلاث
٢١ على طرف ذنبه يسمّونه الجدي وهو الذي تتوخى به القبلة إذا هو أقـــرب

---

(٤) أدب الكاتب ٧٣ (٧) الصحاح ٥ / ١٧٣٣ آ (١٠) اثنعشر : اثنا عشر

الكواكب المرصودة إلى القطب الشمالى .

ومنها : الدبّ الأكبر ، وكواكبه سبعة وعشرون كوكباً من جملتها سبعة
تسمّيها العرب بنات نعش الكبرى : أربعة على بدنه وثلاثة على ذنبه ، والذى ٣
على طرف ذنبه يسمّونه القائد ثم العناق ثم الحون وبقرب العناق كوكب صغير
يسمّونه السها ، وهذه السبعة من جملة ثمان كواكب خارجة عن الصورة ، ومنها
التنّين وهو أحد وثلاثون كوكباً صورته صورة حيّة كبيرة ، كبيرة المطفات على ٦
شكل مربّع منحرف على رأسه تسمّيها العرب العوائد ، قال الجوهرى : والتنّين
ضرب من الحيّات ، ومنها الفكّة ، ويقال له الإكليل الشمالى ، ويعرف بقصعة
المساكين لاستدارتها وكواكبها ثمانية ، وقال الجوهرى : والفكّة كواكب ٩
مستديرة خلف السماك الرامح .

ومنها الجاثى على ركبتيه وصورته تسع وعشرون كوكباً ومنها السلياق ويقال
له اللوزا (٥٠) والصبح الرومى والسلحفاة وكواكبه عشرة ، من جملتها كوكب ١٢
نيّر يسمّونه النسر الواقع ، سمّى بذلك لأنّ جناحيه مقبوضان ، قال الجوهرى :
وفى النجوم النسر الطائر والنسر الواقع .

ومنها الدجّاجة سبعة عشر كوكباً ، والخارج عن الصورة كوكبان وأكثر ١٥
كواكبها فى المجرّة قريبة من النسر الواقع ، ومنها : ذات الكرسى ، ثلاث عشر
كوكباً ، والخارج عن الصورة وصورتها صورة امرأة جالسة على كرسى عليه
مسند وقد دلّت رجليها وهى نفس المجرّة ، ومن كواكبها الكفّ الخضيب على ١٨
وسط المسند يعرف بسنام الناقة .

ومنها برشاوش وتسمّى حامل رأس الغــول ، ستّة وعشرون كوكباً ،
والخارج عن الصورة ثلاث كواكب وصورته صورة رجل قائم على رجله اليسرى ٢١

---

(٧) الصحاح ٥ / ٢٠٨٧ آ (٩) الصحاح ٤/١٦٠٤ آ (١٣) الصحاح ٢/٨٢٧آ
(١٧) والخارج عن الصورة : ناقص فى مرآة الزمان ، تحريف

رافع رجله اليمنى ويده اليمنى فوق رأسه وبيده اليسرى رأس مشوه الخلق مقطوع يسمى رأس الغول .

٣ ومنها ممسك العنان أربعة عشر كوكباً وصورته صورة رجل قائم بإحدى يديه سوط ويده الأخرى قابضة على عنان خلف العناق .

ومنها الحوّا وهى أربعة وعشرين كوكباً والخارج عن الصورة خمسة كواكب

٦ وصورته صورة رجل قائم قد قبض بيديه جميعاً على حيّة ، ومنها حية العوّا ثمانية عشر كوكباً وقد قبضها العوّا وقد رفعت رأسها إليه وذنبها حتى عليا رأسه .

ومنها السهم خمسة كواكب بين منقار الدجاجة والنسر الواقع ، ومنها العقاب

٩ تسعة كواكب والخارج عن الصورة ستّة ومن الكواكب الذى له النسر الطائر لأنّ جناحيه مبسوطان .

ومنها الدُّلفين عشرة كواكب مجتمعة خلف النسر الطائر وصورته صورة

١٢ حيوان يجرى يشبه الزّقّ المنفوخ ، ولم يذكره الجوهرى فى النجوم وإنّما قال: الدُلفِينُ بالضمّ دابّة فى البحر تنجّى الغريق ، قلت : وهى التى تعرف على الألسنة بالدرفيل .

١٥ ومنها قطعة الفرس (٥١) أربعة كواكب ويقال لها مقدّم الفرس خلف كواكب الدلفين ، ومنها الفرس الأكبر وهو ذو الجناح عشرون كوكباً صورة فرس له رأس ويدان وليس له رجلان ولا كَفَل .

١٨ ومنها أندروميدا وتعرف بالمرأة المسلسلة اثنان وعشرون كوكباً وصورتها امرأة قائمة ممدودة اليدين فى يدها سلسلة كأنّها معلّقة بها ويقال السلسلة فى رجلها .

٢١ ومنها المثلّث أربعة كواكب بين كواكب السمكة وبين البئر الذى على

(١٢) الصحاح ٤ / ١٣٦٠ ب

رأس الغول ، قال أبو محمّد الخرقى ؛ فجملة هذه الصور الشمالية ثلاثمائة وستّون كوكباً .

ومن الكواكب الجنوبيّة : قيطس اثنان وعشرون كوكباً وصورته ٣ حيوان بحرى ذو رجلين وذنب كذنب الحوت ، ومنها الجبّار ثمانية وثلاثون كوكباً وصورته رجل على كرسى بيده عصى وفى وسطه منتقة وسيف ومن كواكبه يد الجوزاء وهو كوكب أحمر نيّر وشكله شكل جدول كثير العطفات . ٦

ومنها الأرنب اثنا عشر كوكباً مجتمعة تحت رِجل الجبّار إلى المشرف ، ومنها الكلب الأكبر ثمانية عشر كوكباً والخارج عن الصورة إحدى عشر كوكباً خلف كواكب الجوزاء أمام السفينة . ٩

من كواكبه الشعرا العبور كوكب نيّر وتسمّى العبور وتسمى التالى المِرزَم، وقال الجوهرى : والشعرا الغميصا التى فى الذراع ، وتزعم العرب أنّهما أختاسهيل قال الجوهرى : والمِرزَمان مرزما الشعريين وهما نجمان أحدهما فى الشعرا والآخر فى ١٢ الذراع .

ومنها الكلب الأصغر وهما كوكبان يسمّى أحدهما الشعرى الشاميّة والغميصا كوكبان نيّران ، ومنها السفينة خمسة وأربعون كوكباً مجتمعة فى ناحية الجنوب ١٥ مطلع أثر الكلب الأكبر من جملتها سهيل النجم الأحمر ، ومنها الشجاع خمسة وعشرون كوكباً والخارج عن الصورة كوكبان فى صورة حيّة طويلة كثيرة العطفات ورأسها على خلف ووجهه وجه فرس من أربع كواكب تبتدئ من ١٨ زبانا (٥٢) السرطان وهو بين الشعرا الشاميّة وقاب الأسد ، ومنها الكأس سبعة كواكب على شكل مستدير عند ظهر الشجاع وتسمّى الباطية .

ومنها الغراب سبعة كواكب ويسمّى عرش السماك الأعزل ويسمى أيضاً ٢١

(٥) منتقة : منطقة (١١) الصحاح ٢ / ٦٩٩ ب (١٢) الصحاح ٥/١٩٣١ ب

الخباء ، ومنها فيطورس سبعة وثلاثون كوكباً وصورته صورة حيوان مركّب
من إنسان وفرس مقدّمه مقدّم إنسان من رأسه إلى ظهره ومؤخّره مؤخّر فرس
٣ من منشأ ظهره إلى ذنبه قد أخذ بيديه رجلى سبع وتسمّيه العرب شماريخ والشمراخ
غرّة الفرس والشماريخ التى عليها البشر بمنزلة المفقود فى الكرم .

ومنها السبع تسع عشر كوكباً مجتمعة خلف كواكب فيطورس على جنوب
٦ العقرب ، ومنها الإكليل الجنوبى ثلاث عشر كوكباً وشكلها شكل صنوبرى
وتسمّيها العرب قبّة .

ومنها الحوت الجنوبى أحد عشر كوكبا والخارج عن الصورة ستّة كواكب
٩ < وصورته > صورة سمكة عظيمة كواكبها على جنوب كواكب الدلو رأسها
إلى المشرق وذنبها إلى المغرب ، ومنها المحمر على جنوب خرزات العقرب .

قال أبو محمّد الخرقى : فهذه جملة الكواكب الجنوبيّة وقد تقدّم القول فى
١٢ الكواكب الشماليّة . قلت : وهذا الذى ذكره يختصّ بالكواكب التى هى
غير مشهورة .

فأمّا الكواكب السبعة وما هو من معناها ومختصًّا بذكرها فنقول : ذكر
١٥ النوبختى وأبو معشر وهما شيخى هذه الطريقة : أنّ جرم الشمس بمقدار الدنيا مائة
وستّة وستّين مرّة ونصف مرّة ، وجرم القمر بمقدار الدنيا تسع وثلاثون مرّة ،
وكذا الزهرة وكذا عطارد والمرّيخ ، وأنّ جرم المشترى بمقدار الدنيا اثنين وثمانين
١٨ مرّة ، قال الجوهرى : ويسمى المشترى الأحور : وزحل أعظم من الدنيا بتسع
وتسعين مرّة، وذكر عن النوبختى أنّه قال أيضاً : إنّ جرم الشمس خمس عشر
(٥٣) درجة أمامها وكذا خلفها، وجرم القمر اثنتا عشر درجة أمامه وكذا خلفه ،
٢١ وجرم المشترى تسع درجات أمامه وكذا خلفه ، وجرم زحل والمرّيخ ثمان درجات

(١٠) المحمر : المجرة مرآة الزمان
(١٤) مأخوذ من مرآة الزمان ١ د ٣١ آ، ١٣
(١٨) الصحاح ٢ / ٦٤٠ آ

أمامه وكذا خلفهما ، وكذلك عطارد ، وذكر هارون بن المأمون فى تأريخه المسمّى بمنهاج الطالبين : أنّ أصغر كوكباً فى السماء بمقدار الدنيا مرّات كثيرة ، قال : إلا القمر فإنّه أصغر من الأرض . ٣

قلت : أمّا قوله : أصغر كوكباً فى السماء بمقدار الدنيا فمسلم وأمّا قوله فى القمر فلم يوافقه عليه أحد ، قال أبو معشر : فأمّا الكواكب العظام الثابتة كالشعرا العبور والسماك والنسر الواقع والطائر وقلب الأسد ونحوها وهى خمسة عشر ٦ كوكباً فكلّ كوكب منها مقدار الأرض أربعاً وتسعين مرّة ونصفاً ، قال ابن قتيبه : النسر الواقع ثلاثة أنجم مصطفّة كأنّهم جعلوا اثنين منهما جناحيه قد ضمّهما إليه كأنّه واقع ، وكذا النسر الطائر ثلاثة أنجم مصطفّة يجعلون اثنين منهما جناحيه ٩ كأنّه طائر قد بسطهما ، قال أبو معشر : ويقطع كلّ واحد منهما الفلك فى ستّة وثلاثين ألف سنة .

وأمّا قطع الكواكب السبعة الأفلاك ، ذكر أبو حنيفة الدينورى رحمه الله ١٢ أنّ القمر يقطع الفلك فى تسعة وعشرين يوماً وقلّ من ثلث يوم ، وقال النوبختى : فى تسع وعشرين يوماً فقطّ ، وعطارد يقطعه فى أقلّ من ثمانية وعشرين يوماً ، والزهرة تقطعه فى مائتين وأربعين وعشرين يوماً وأشفّ من ثلثى يوم ، والشمس ١٥ تقطعه فى ثلاثمائة وخمسة وستّين يوماً وأشفّ من ربع يوم ، والمرّيخ يقطعه فى ستّمائة وثلاثين يوماً ، والمشترى يقطعه فى أحد عشر سنة وثلاثمائة وسبعة وعشرين يوماً ، وزحل يقطعه فى تسعة وعشرين سنة فارسيّة ومائة وستة وسبعين يوماً (٥٤) . ١٨

وأمّا مقامات الكواكب فى البروج قالوا : مقام القمر فى كلّ برج ليلتان وثلث ليلة ، ومقام عطارد فى كلّ برج خمس عشر يوماً ، ومقام الزهرة فى كلّ برج خمسة وعشرين يوماً ، ومقام الشمس فى كلّ برج شهر ، ومقام المرّيخ فى كلّ برج خمسة ٢١

(٨) أدب الكاتب ٧٢ (١٢) مأخوذ من مرآة الزمان ٥١ ب ، ١
(١٩) مأخوذ من مرآة الزمان ٥١ ب ، ٧

وأربعين يوماً ، ومقام المشترى فى كلّ برج سنة ، ومقام زحـــل فى كلّ برج ثلاثون شهراً .

٣ وأمّا شرف الكواكب : فشرف القمر فى الثور ، وشرف عطارد فى السنبلة ، وشرف الزهرة فى الحوت ، وشرف الشمس فى الحمل ، وشرف المرّيخ فى الجدى ، وشرف المشترى فى السرطان ، وشرف زحل فى الميزان .

٦ واختلفوا فى المجرّة ، قال بعضهم : هى شرج السماء لجمع النجوم كشرج القبة ، وقيل : هى باب السماء وإنما سميت المجرّة للنسبة ، وتسمّيها العرب أمّ النجوم لأنّه ليس فى السماء بقعة أكثر عدداً من الكواكب فيها ، وتسمّيها العامّة : طريق

٩ التين ، وقد روى أبو بكر الخطيب حديثاً فى المجرّة بإسناده إلى رجل سمّاه معاذ ابن جبل قال : لمّا بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن قال : إن هم سألوك عن المجرّة فقل إنّها من عرق الأفعى الذى تحت العرش ، وهذا الحديث ليس بالقوى والله أعلم .

١٢ وأمّا ما لكلّ كوكب من الأيّام السبعة ، قال : يوم الأحد للشمس ، والاثنين للقمر ، والثلاثاء للمرّيخ ، والأربعاء لعطارد ، والخميس للمشترى ، والجمعة للزهرة ، والسبت لزحل .

١٥ فصل

فى ذكر البيت المعمور

قال الله تعالى : « والبيت المعمور » ، روى عطاء عن ابن عبّاس أنّ اسمه

١٨ الضراح ، وقد ضبطه الجوهرى فقال : والضُراح بضمّ الضاد المعجمة (٥٥) والحاء المهملة بيت فى السماء وهو البيت المعمور عن ابن عبّاس .

---

(٣) مأخوذ من مرآة الزمان ٥١ ب ، ١١ (١٢) مأخوذ من مرآة الزمان ٥١ ب ، ـ ٨
(١٥) مأخوذ من مرآة الزمان ٥٢ آ ، ـ ٨ (١٧) القرآن الكريم ٥٢ / ٤
(١٨) الصحاح ١ / ٣٨٦ آ

واختلفوا فى أىّ سماء هو على أقوال : أحدها : فى السماء الدنيا وهو على قول ابن عبّاس ومجاهد والربيع ، واحتجّوا بحديث عائشة رضى الله عنها . قال أبو إسحاق الثعلبى بإسناده عن ابن الزبير عن عائشة إنّ النبى ﷺ قدم مكّة فأرادت عائشة أن تدخل البيت ليلًا ، فقال لها بنو شيبة إنّ أحداً لا يدخل البيت يعنى ليلًا ولكن تحلّيه نهاراً فشكت إلى رسول الله ﷺ فقال إنّه ليس لأحد أن يدخله ليلًا ، إنّه بحيال البيت المعمور الذى فى السماء ، لو وقع حجر منه لوقع على ظهر الكعبة ، وإنّه يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يعودون فيه إلى يوم القيامة ، ولكن انطلقى أنتِ وصوا حبك فصلّين فى الحجر ! ففعلت ، فأصبحت وهى تقول : قد دخلت البيت على رغم من رغم ، وروى عكرمة عن ابن عبّاس بمعناه ، وقال : حرمته فى السماء كحرمة الكعبة فى الأرض فهو معمور بكثرة الغاشية والأهل والعبادة يصلّى فيه كلّ يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون فيه ، وخازنه يقال له رزين ، وروى ابن عبّاس أنّه كان من الجنّة فلمّا أهبط آدم إلى الأرض حُمل إليه ليستأنس به ثم رُفع أيّام الطوفان .

والقول الثانى : إنّه فى السماء السادسة عند شجرة طوبا ، روى عن علىّ عليه السلام .

والقول الثالث : إنّه فى السماء السابعة ، قاله مجاهد والضحاك ، وقد روى البخارى فى حديث المعراج عن النبىّ ﷺ أنّه قال : ورأيت البيت المعمور فى السماء السابعة يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يعودون فيه. قلت : ولا تنافى بين هذه الأقوال لأنّه يحتمل أنّ الله تعالى رفعه ليلة المعراج إلى السماء السابعة عند سدرة المنتهى تعظيماً للنبىّ ﷺ حتى رآه ثم أعاده إلى سماء الدنيا .

وذكر الثعلبى عن الحسن البصرى (٥٦) أنّه قال : « والبيت المعمور » إنّه

(٣) جامع البيان ٢٧ / ١٠ ؛ الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٥٩ ؛ تفسير ابن كثير ٦ / ٤٦٨ (١٧) صحيح البخارى ٢ / ٢١٠ ، بدؤ الخلق ، باب ٦
(٢١) قارن الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٦٠

الـكعبة الحرام يُعمره الله كلّ سنة بالناس وهو أوّل بيت عمر للعبادة والقول
الأوّل أظهر لما رُويناه عن عائشة ولأنّ الـكعبة تعمر بالنـاس فى كلّ عام مرّة
٣ والبيت المعمور يعمر كلّ يوم بالملائـكة .

فصل

فى ذكر سدرة المنتهى وشجرة طوبا

٦ قال الله تعالى: «عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى »، الآية، قال الجوهرى:
السدر شجر النبق ، الواحدة سدر والجمع سدرات .

واختلفوا لِمَ سمّيت بهذا الاسم على أقوال : أحدها : لأنّها تنتهى إليها
٩ الأعمال من بنى آدم تعرج بها الملائـكة الـكتبة إلى السماء ، ثم تقبض منها وإليها
ينتهى ما يقبض من فوقها ، قاله كعب الأحبار ، وذكر أنّه فى التوراة كذلك ،
وروى العوفى عن ابن عبّاس قال: سألت كباً عن سدرة المنتهى فقال : هى سدرة
١٢ فى أصل العرش إليها ينتهى علم الخلائق فيرفع منها تعرج به الملائـكة إليها فتقف
عندها لا يعدوها شيء ، قاله الربيع بن أنس .

والثالث : لأنّ الملائـكة المقرّبين ينتهى إليها فلا يتجاسروا أن يتجاوزوها
١٥ من خوف الله تعالى ، قاله الضحاك . والرابع: لأنّه ينتهى إليها مايعرج من أرواح
المؤمنين ، حكاه سفيان .

واختلفوا فى أى سماء هى ، والصحيح ما رواه أبو هريرة قال : قال رسول الله
١٨ ﷺ : رأيتها بعد السماء السابعة فقيل لى : هى سدرة المنتهى وإذا شجرة يخرج

---

(٤) مأخوذ من مرآة الزمان ٥٢ ب ، ـ ١٣
(٦) القرآن الـكريم ٥٣ / ١٤ ـ ١٥ || الصحاح ٢ / ٦٨٠ آ
(٨ ـ ١٣) قارن الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٩٥
(١٧) صحيح البخارى ٢ / ٢١١ ، بدؤ الخلق ، باب ٦

من أصلها أربعة أنهار نهر من ماء غير آسن ، ونهر من لبن لم يتغيّر طعمه ، ونهر من عسل مصفّى ونهر من الكافور ، والورقة منها تصل أمّة من الأمم .

٣ وقال البخارى بإسناده عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : إنّ فى الجنّة شجرة يسير الراكب فى ظلّها مائة عام لا يقطعها ، واقرؤوا إن شئتم : « وظلّ ممدود » (٥٧) متّفق عليه .

٦ وقال ابن عبّاس : ليس فى الجنّة قصر ولا بيت إلّا وفيه غصن من أغصانها ، وسئل على عليه السلام عنها فقال : هى كالشمس فى الدنيا وسماها عبد الله بن سلام شجرة طوبا فقال : وكذا هى فى التوراة وفى القرآن : « طوبا لهم وحسن مآب » .

٩ وعن أبى سعيد الخدرى قال : سئل رسول الله ﷺ عن شجرة طوبا فقال : غرسها الله بيده ونفخ فيها من روحه تنبت حلىّ أهل الجنّة وحُللهم وإنّ أغصانها لتُرى من وراء سور الجنّة ، وقال مقاتل : لو أنّ ورقة منها وقعت فى الأرض لأضاءت لأهلها وهى طوبا التى ذكرها الله تعالى فى سورة الرعد . ١٢

فصل
فى ذكر العرش العظيم والكرسى الكريم

١٥ قال الله تعالى : « وهو ربّ العرش العظيم » ، « وسع كرسيّه السموات والأرض » ، وسيأتى تفسير ذلك ، قال الجوهرى : الكرسى واحد الكراسى المعروفة .

---

(٣) صحيح البخارى ٢ / ٢١٨ ، بدؤ الخلق ، باب ٨
(٤ ــ ٥) القرآن الكريم ٥٦ / ٣٠ || قارن الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٩٤
(٨) القرآن الكريم ١٣ / ٢٩ || طوبا : طوبى
(٩) قارن الجامع لأحكام القرآن ٩ / ٣١٧
(١٣) مأخوذ من مرآة الزمان ٥٣ آ ، ــ ١٢
(١٥) القرآن الكريم ٩ / ١٢٩ (١٥ــ١٦) القرآن الكريم ٢ / ٢٥٥
(١٦) الصحاح ٢ / ٩٦٧ آ

واختلفوا فيه على أقوال : أحدها : إنه الكرسى وقد فسّر ابن عبّاس قوله تعالى : « وسع كرسيه السموات والأرض » بهذا ، قال : ومعنى « وسع » أى ٣ ملأهما وأحاط بهما . والثانى : أنّ الكرسى علم الله ، ومنه قيل للصحيفة العلم كرّاسة ، ويقال للعلماء : الكراسى ، قاله الضحاك ، وروى ابن عبّاس أيضاً كذلك والثالث : قدرة الله تعالى وسلطانه وملكه ، والعرب تسمّى الملك القديم كرسيّاً ، ٦ قاله مقاتل . والرابع : سرّه ، قاله الحسن . والخامس : أهله ، قال : ومعناه : وسع عباده أهل السموات والأرض ، قاله الطبرى . والسادس : أنّ الكرسى هو العرش ، قاله الحسن . والسابع : أنّه ملك عظيم أضافه إلى نفسه تخصيصاً لينبّه به ٩ على عظمته وقدرته ، قاله مقاتل بن حيّان ، ومعناه أنّ خلقاً من خلقى يملأ السموات والأرض فكيف تقدر قدرتى وينال عظمتى .

قلت : والأصحّ : أنّه الكرسى بعينه ، وباقى الأقوال مجاز وعدول عن ١٢ الحقيقة ، لأنّ الأخبار والآثار دالّة عليه .

وعن أبى ذرّ قال ، قلت : يا رسول الله (٥٨) أيّما أنزل الله عليك أعظم ؟ فقال : آية الكرسى ، ثم قال رسول الله : يا أبا ذرّ ! ما السموات السبع فى الكرسى ١٥ إلّا كحلقة ملقـــاة فى أرض فلاة . وفضل العرش على الكرسى كفضل الفلاة على الحلقة .

وروى عن علىّ عليه السلام قال : الكرسى من لؤلؤة مضاء وهو فوق السماء ١٨ السابعة بمسيرة خمس مائة عام وطول كلّ قائمة منه مثل السماوات السبع وهو بين يدى العرش ، وتحمل الكرسى أربعة أملاك أقدامهم على الصخرة التى تحت الأرض السابعة .

---

(١) قارن جامع البيان ٣ / ٧ ـ ٨ ؛ الجامع لأحكام القرآن ٣ / ٢٧٦ ـ ٢٧٨
(٣) للصحيفة : لصحيفة (٧) قارن جامع البيان ٣ / ٧ ـ ٨
(١٣) المعجم المفهرس ١ / ١٣٨ ؛ مسند أحمد بن حنبل ٥ / ١٤٢ ؛ صحيح مسلم ٢ / ١٩٩ ، كتاب المسافرين ، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسى

وأمّا ما ذكروه من معنى العلم والقدرة ونحو ذلك، فالعرب لا تعرف الكرسي بمعنى العلم والقدرة والملك والأهل وما استشهدوا به فساد لا يعبأ به ولا يعرج عليه . ٣

وأمّا العرش، فقال الجوهري: سرير الملك يسمّى عرشاً، قال: وجمعه عروشاً. وقال الحسن البصري: العرش هو الكرسي بعينه، وليس كما ذكر لأنّ الله تعالى فرق بينهما فقال: « وسع كرسيه السموات والأرض »، ثم قال: ٦ « ثم استوى على العرش »، وذكر العرش في عدّة مواضع، وروى مجاهد عن ابن عبّاس أنّه قال: العرش بعد الكرسي. والعرش من ياقوتة حمراء، وتحته بحر ينزل منه أرزاق الحيوانات يوحى الله إليه فيقطر ما شاء، ثم يقسم بين ٩ الخلائق .

وبين حملة العرش وحملة الكرسي سبعون حجاباً من نور غلظ كلّ حجاب مسيرة خمس مائة سنة ولولا ذلك لاحترق حملة الكرسي من نور العرش . ١٢

وروى أبو صالح عن ابن عبّاس قال: العرش ثلاثمائة وستّون ألف برج، في كلّ برج ثلاثمائة ألف صفّ من الملائكة لا يعلم عددهم إلّا الله تعالى، يسبّح كلّ واحد منهم بلسان لا يعرفه الآخر . ١٥

وروى عن الحسن أنّه قال: العرش بمعنى الملك، قلت: والعجب من هذا مع فضيلة الحسن أنّه قال: والعرش بمعنى الملك، وقد قال الله تعالى: « وكان عرشه على الماء » فكيف يكون بمعنى الملك، وإنّما لعلّه نظر إلى قول زهير - ١٨

---

(٤) الصحاح ٣ / ١٠٠٩ ب
(٧) القرآن الكريم ٧ / ٥٤؛ قارن تفسير مجاهد ١ / ٢٣٨
(١٧-١٨) القرآن الكريم ١١ / ٧

(من الطويل) :

(٥٩) تداركتما عَبْساً وقد ثلّ عَرشُها وذبيانَ إذ زلّت بأقدامها النعْلُ

فتوهّم رحمه الله ذلك ، وقد فسّر الجوهرى بيت زهير فقال : معناه وها ٣
أمره وذهب عزّه ، قال ابن الجوزى : فإن قيل : ما الحكمة فى خلق العرش والله
أعظم من كلّ شىء ؟ فالجواب من وجوه ، أحدها أنّه موضع خدمة الملائكة فهم
حافّون به إلى يوم القيامة كما قال تعالى ، الثانى : لأنّ الله تعالى جعله قبلة من ٦
نور . والثالث : من الماء . والرابع : من الرحمة .

وأعطاهم قوّة جميع الخلائق وأمرهم بحمل العرش فحملوه فلم يطيقوا فقال لهم
الله عزّ وجلّ : قولوا سبحان الله فقالوها فرفعوا بعضه حتى بلغ إلى ركبهم وضعفوا ، ٩
فقال الله تعالى : قولوا الحمد لله فقالوها ، فرفعوه إلى أوساطهم ووقفوا ، فقال لهم
عزّ وجلّ : قولوا لا إله إلا الله فقالوها فحملوه على أكتافهم ووقفوا ، فقال لهم :
قولوا الله أكبر فقالوها فرفعوه على رؤسهم فرؤسهم ناشبة فيه وأقدامهم على ١٢
الأرض السفلى .

وعن < أبى > رزين العقيلى قال ، قلت : يا رسول الله أين كان ربّنا قبل
أن يخلق خلقه ؟ فقال : كان فى غمام تحته هواء ثم خلق عرشه على الماء ، وحكى ١٥
أبو جعفر الطبرى رحمه الله فى تأريخه عن ابن عبّاس أنّ أوّل ما خلق الله العرش
فاستوى عليه ، وروى أيضاً عن ابن عبّاس أنّ أوّل ما خلق الله العرش فاستوى
عليه ، وروى أيضاً عن ابن عبّاس أنّه قال : أوّل ما خلق الله الماء قبل العرش ١٨
ثم وضع العرش عليه .

---

(٢) شعر زهير ٠٠ ، البيت رقم ٣٠ (٣) الصحاح ٣ / ١٠١٠ آ
(١٢) رؤسهم : رؤوسهم . (١٦) تأريخ الطبرى ١ / ٣٥ ـ ٣٩

وذكر أيضاً عن وهب بن منبّه قال: كان العرش قبل أن يخلق الله السموات والأرض على الماء فلمّا أراد الله أن يخلق السموات والأرض قبض من صفاء الماء قبضةً ثم فتح القبضة فارتفعت دخاناً فخلق منه السماوات ، وقال الطبرى أيضاً ٣
رحمه الله : وأولى القولين عندى بالصواب قول من قال إنّ الله خلق الماء قبل العرش لصحّة الحديث الذى رواه ابن رزين العقيلى . وذكر الطبرى (٦٠) أيضاً بالإسناد إلى وهب بن منبّه وذكر من عظمة الله فقال أنّ السموات والأرض ٦
والبحار لفى الهيكل وأنّ الهيكل لفى الكرسى وأنّ قدميه عزّ وجلّ لعلى الكرسى وهو يحمل الكرسى وقد عاد الكرسى كالنعل فى قدميه .

قال ابن الجوزى رحمه الله : ما كان أغنى الطبرى عن رواية مثل هذا جعل ٩
لله نعلاً ! تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً .

وقال أيضاً ابن الجوزى رحمه الله فى تأريخه مرآة الزمان : والعجب من الخطيب فإنّه روى عن ابن عبّاس عن النبىّ ﷺ : « وسع كرسيه السموات ١٢
والأرض » ، قال : هو موضع قدميه ، وهذا تخليط كبير من الرواة ، والحديث موقوف على ابن عبّاس و كان مراده يفسّر معنى الكرسىّ الذى تجلس عليه الملوك ليخرجه من معنى العلم الذى نُسب إليه ، قلت : هـــذا قول الشيخ جمال الدين ١٥
أبو الفرج ابن الجوزى ومعارضاته رحمه الله ولعلّه لعمرى أخذ واعترض مكان الاعتراض .

---

(٥) ابن : أبى

فصل

فى ذكر الملائكة المقرّبين والروحانيّين والكروبيّين

قال الجوهرى : الملك من الملائكة واحد من الملائكة ، والمقرّبون من التقريب وهو الدنوّ وكذا الكروبيّون من كرب الشىء إذا دنا والروحانيّون من الروح .

وأمّا خلقهم عليهم السلام : عن أحمد بن حنبل رحمه الله بالإسناد إلى عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : خُلقت الملائكة من نور ، انفرد بإخراجه مسلم .

فأمّا جبرائيل عليه السلام ، قال علماء التأويل رضى الله عنهم: جبر اسم وإيل من أسماء الله تعالى فجبر بمنزلة عبد وإيل هو الله ، ومعناه عبد الله ، وفيه لغات (٦١) ذكرها ابن الجواليقى رحمه الله فى المعرّب وقال : هى تسع لغات ، وحكى بعضها فى الصحاح ، وقد ثبت أنّ جبرائيل كان يأتى النبىّ ﷺ فى صورة دحية الكلبى .

وقال ابن عبّاس : جبرائيل صاحب الوحى والعذاب ، إذا أراد الله تعالى أن يهلك قوماً سلّطه عليهم كما فعل بقوم لوط لما نذكر إن شاء الله تعالى ، وقال ابن الكلبى رحمه الله : سأل النبىّ ﷺ جبرائيل أن يأته فى صورته التى خلقه

---

(١) مأخوذ من مرآة الزمان ٥٤ ب ، ٥ (٣) الصحاح ٤ / ١٦١١ آ

(٦) مأخوذ من مرآة الزمان ٥٤ ب ، ٨ || المعجم المفهرس ٢ / ٧٢ ؛ مسند أحمد بن حنبل ٦ / ١٦٨ ؛ صحيح مسلم ٨ / ٢٢٦ ، كتاب الزهد ، باب فى أحاديث متفرقة

(٩) مأخوذ من مرآة الزمان ٥٤ ب ، ١٠ (١١) المعرب ١١٣ || تسع : سبع المعرب

(١٢) الصحاح ٢ / ٦٠٨ ب

(١٥) قارن جامع البيان ٢٧ / ٣٠ ؛ الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٩٤ ، تفسير ابن كثير ٦ / ٤٥٠ (١٦) يأته : يأتيه .

الله عليها ، فقال له : لا تستطيع أن تثبت ! فقال : بلى ! فظهر له فى ستمائة ألف جناح سدّ الأفق جناح منها فشاهد رسول الله ﷺ أمراً عظيما ، فصعق وذلك معنى قوله تعالى : « ولقد رآه نزلةً أخرى » . ٣

وقال أحمد بإسناده عن ابن مسعود قال : رأى رسول الله ﷺ جبرائيل فى صورته وله ستمائة جناح لا غـــير والتهاويل الألوان المختلفة ، أخرجاه فى الصحيحين . ٦

وقال ابن عبّاس : قال رسول الله ﷺ لجبريل : إنّ الله وصفك بالقوّة والطاعة والأمانة فأخبرنى عن ذلك فقال : أمّا قوّتى فإنّى رفعت قرى قوم لوط من تخوم الأرض على جناحى إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ثم قلبتها ٩ عليهم ، وأمّا طاعة المخلوقات لى: فإنّنى آمر رضوان خازن الجنّة متى شئتُ بفتحها وكذلك مالك خازن النار،وأمّا أمانتى فإنّ الله أنزل من السماء مائة كتاب وأربع كتب لم يأمن عليها غيرى . ١٢

وقال أحمد بإسناده عن ابن مسعود ، قال : رأى رسول الله ﷺ جبرائيل فى صورته وله ستمائة جناح كلّ جناح منها قد سدّ الأفق يسقط من جناحه التهاويل والدرّ والياقوت ما الله به عليم ، أخرجه أحمد فى المسند . ١٥

وأمّا ميكائيل عليه السلام ففيه اسمه أيضاً لغات ذكرها ابن الجواليقى وغيره.

وقال ابن عبّاس : ميكائيل صاحب الرزق والرحمة ، وقال أحمد بإسناده

---

(٣) القرآن الكريم ٥٣ / ١٣
(٤) المعجم المفهرس ١ / ٣٨٤ ؛ صحيح البخارى ٢ / ٢١٥ ، بدؤ الخلق باب ٧
(١٣) المعجم المفهرس ١ / ٣٨٤ ؛ مسند أحمد بن حنبل ١ / ٣٩٥
(١٦) مأخوذ من مرآة الزمان ٥٤ ب ، ـ ١ || فيه : فى || المعرب ٣٢٢ ، ١
(١٧) المعجم المفهرس ٣ / ٢٢٤ ؛ مسند أحمد بن حنبل ٣ / ٢٢٤

عن (٦٣) أنس عن النبي ﷺ أنه قال لجبرائيل : ما لى لا أرى ميكائيل ضاحكاً ؟ فقال : ما ضحك منذ خُلقت النار ، وقال ابن عبّاس : أوّل من امتنع من الملائكة من الضحك ميكائيل لمّا خُلقت النار .

وأمّا إسرافيل عليه السلام ، قال الجوهرى رحمه الله : إسرافيل اسم أعجمى كأنّه مضاف إلى إيل، وقال الأخفش: ويقال إسرافين بالنون مثل جبرين ونحوه، وروى مجاهد عن ابن عبّاس أنّه قال إنّ زاوية من زوايا العرش على كاهله ورأسه قد مرق فى السماء السابعة ، قال : ولمّا أمر الله الملائكة بالسجود لآدم أوّل من سجد إسرافيل فأثابه الله أن كتب القرآن فى جبهته .

وقد روى موقوفاً على عمر بن عبد العزيز ، قال : ومنذ خُلقت النار لم تجف له دمعة ومن يخلق من الملائكة إنّما يخلق من دموع إسرافيل وهو صاحب اللوح المحفوظ والصور وصاحب النفخة ، وقال ابن عبّاس : ينفخ النفخة الأولى فتموت الخلائق وتسير الجبال وتكوّر الأرض والشمس والقمر ، ثم ينفخ الثانية لقيام الخلق من القبور .

وقال الترمذى بإسناده عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : كيف أنعم عيشاً وقد التقم صاحب القرن وجنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر فينفخ فيه ، فقال المسلمون : فكيف نقول ؟ قال : قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، وذكر النبى ﷺ فى هذا الحديث القرن والله تعالى يقول : « فإذا نفخ فى الصور » ، قال ابن قتيبة : الصور هو القرن فى لغة أهل اليمن ، وقال مجاهد : هو شبه البوق، وقال الجوهرى : قال الكلبى : لا أدرى ما الصور، وقرأ الحسن :

(٤) مأخوذ من مرآة الزمان ٥ء آ ، ٤ || الصحاح ٤ / ١٣٧٣ ب
(١٤) سنن الترمذى ٤ / ٤٢ ؛ القيامة ، ٨ ؛ ٥ / ٥٠ (١٧ــ١٨) القرآن ٢٣ / ١٠١
(١٨) قارن الصحاح ٢ / ٧١٦ آ || قارن تفسير مجاهد ٢ / ٤٧٥ ، هامش ٤

« يوم ينفخ فى الصور » ، وقد أخرج الحميدى فى الجمع بين الصحيحين لفظ الصور فى حديث طويل عن أبى هريرة عن (٦٣) النبىّ عليه السلام وفيه : « ثم ينفخ فى الصور » فلا يسمعه أحد إلّا أصغى لَيْتاً والبت صفحة العنق . ٣

وأمّا عزرائيل عليه السلام ، قال : فهذه الإضافة مثل جبرائيل ونحوه ، وروى ابن عبّاس عن كعب الأحبار قال : وجدت فيما أنزل الله من الكتب أنّ ملك الموت جالس فى السماء الدنيا وبين يديه لوح فيه أسامى من يموت إلى يوم القيامة ٦ فإذا وقع بصره على إسم إنسان مات ، وقال مجاهد : له أعوان من الملائكة فيبعث ملائكة الرحمة إلى المؤمنين وملائكة العذاب إلى الفاجرين ، وقيل فى ملك الموت خاصّةً إذا رآه إنسان مات . ٩

وروى مجاهد عن ابن عبّاس قال : هؤلاء الأربع هم رؤساء الملائكة ، وهم المقسمات أمراً بأمر الله وهم مثل ملوك الدنيا ، وأقربهم إلى الله تعالى جبرائيل عليه السلام . ١٢

وأمّا الروح عليه السلام ، روى عن جبير عن علىّ عليه السلام فى تفسير قوله تعالى : « يوم يقوم الروح » ، قال : هو ملك عظيم له سبعون ألف وجه فى كلّ وجه سبعون ألف لسان لكلّ لسان سبعون ألف لغة يسبّح الله تعالى بتلك ١٥ اللغات كلّها يخلق الله تعالى من كلّ تسبيحة ملكاً يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة .

---

(٣) البت : اللبت
(٤) مأخوذ من مرآة الزمان ٥٥ آ ، ـ ٩ || قال : سبط بن الجوزى
(١٣) مأخوذ من مرآة الزمان ٥٥ آ ، ـ ٢
(١٤) القرآن الكريم ٧٨ / ٣٨ ؛ قارن جامع البيان ٣٠ / ١٥ ؛ الجامع لأحكام القرآن ١٩ / ١٨٦

وذكر ابن مسعود قال : الروح ملك عظيم أعظم من السموات والأرض والجبال والملائكة وهو فى السماء الرابعة يسبّح كلّ يوم إثنى عشر ألف تسبيحة ٣ يخلق من كلّ تسبيحة ملك يجيء يوم القيامة صفًّا وحده والملائكة بأسرهم يجيئون صفًّا .

وقال ابن عبّاس : وهو الذى ينزل ليلة القدر زعيم الملائكة وبيده لواء ٦ طوله ألف عام فيغرزه على ظهر البيت ، أو قال : الكعبة ، ولو أذن الله له أن يلتقم السموات والأرض لفعل .

(٦٤)وقال ابن الجوزى رحمه الله وذكر الملائكة فقال: والملائكة أصناف كثيرة ٩ لا يحصيهم إلى الله عزّ وجلّ ، ومنهم أربعة يسبّحون تحت العرش فيسبّح لتسبيحهم أهل السموات ، يقول الأوّل : سبحان ذى الملك والملكوت ، ويقول الثانى : سبحان ذى العزّة والجبروت ، ويقول الثالث : سبحان الحىّ الذى لا يموت ، ١٢ ويقول الرابع سبحان الذى يميت الخلائق ولا يموت .

وروى عن وهب قال : عبادة أهل السماء الدنيا القيام ، والثانية الركوع ، والثالثه : السجود ، والرابعة : للقراءة ، والخامسة : التسبيح ،والسادسة : الذكر ، ١٥ والسابعة : الجلوس فى التحيات .

قلت : سبحان الله ما أحسن هذا الحديث فى تشريف ابن آدم على الملائكة وكون الشريعة جاءت بمجموع عبادة أهل السموات السبع فى فروض الصلاة ١٨ لابن آدم .

ومن رواية المسعودى فى ذكر الملائكه فى تأريخه أنّ الله تعالى خلق خلقاً

---

(١) جامع البيان ٣٠ / ١٥ (٨) مأخوذ من مرآة الزمان ٥٥ ب ، ٦

(٨-٩) الى : إلا (١٩) أخبار الزمان ٦ ، ٢

هو مسكن ملكه يسمّى الروح ومن موقه الحجب والكرسى محيط بذلك كلّه ،
وذلك قوله تعالى : « وسع كرسيه السموات والأرض » ، والكرسى وما حوى
داخل فى العرش والعرش داخل فى علم قدرته . ٣

وقال المسعودى أيضاً : قال قوم من الحكماء الأوائل : إنّ الكواكب
ملائكة وإنّه عزّ وجلّ جعل لها تدبير العالم مالم يجعله لغيرها فلذلك عظّموها، وقال
قوم منهن إنّ الملائكة خلق عالية وهنّ اثنا عشر صنفاً حذاء البروج الاثنى عشر ٦
وإنّهم يتوارثون وجعل الله فيمن شاء منهم حولًا وقوة يقدر أحدهم أن يكون
فى صورة يملأ الأرض شرقاً وغرباً ، ويقدر أن يدخل خرم إبرة لطفاً ويغوص
تحت الأرض والبحار والجبال لا يمنعه من ذلك مانع ، ومنهم من له أجنحة مثنى ٩
وثلاث ورباع ويزيد فى الخلق ما يشاء (٦٥) كما قال عزّ وجلّ يلحقون مشارق
الأرض ومغاربها كلمحة البصر ، ومنهم من هو مخلوق من نور شعشعانى ومنهم
ملائكة الرحمة ومنهم الحفظة والخزنة وهؤلاء مخلوقون من رطوبة الماء ، وهم ١٢
حسان الوجوه سُمر الألوان ، ومنهم من هم مشغولين بعبادة الله عزّ وجلّ
لا يعرفون غيرها فى عدّة صور لا تحصى .

فصل ١٥

فى ذكر الجنّة وما لله على عباده فى خلقها من المنّة

قلت : لا خلاف بين السادة العلماء رضى الله عنهم أنّها فى السماء لقوله تعالى:
« عند سدرة المنتهى عندها جنّة المأوى » ولأنّها دار نعيم فتكون فى جهة العلوّ ١٨
بخلاف النار ـ نعوذ بالله منها ـ فإنّها سجن والسجن يكون فى السفل .

---

(٤) أخبار الزمان ٧ ، ٤ (١٥) منقول من مرآة الزمان ٥٧ ب ، ١٣
(١٨) القرآن الكريم ٥٣ / ١٤ ، ١٥

وقالت المعتزلة والجهمية : إنّ الجنّة لم تخلق بعد كما قالوا فى النار واحتجّوا فى الجنّة بقوله تعالى: «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوًّا فى الأرض»، والجعل هو الخلق ، وإنّما يجعلها يوم القيامة ، واحتجّوا أيضاً بقوله تعالى : «جنّة عرضها السموات والأرض » والطول أعمّ من الأرض فأين تكون وأُعدّت للمتّقين لنا ، وما احتجّوا به فليس المراد من الآية الخلق فى المستقبل بل فى الماضى أى جعلها لئلّا يقع التناقض بين الآيتين ، وإذا ثبت أنّها مؤخّرة فأهلها يتنعّمون فيها على الأبد .

وقال جهم بن صفوان : يبيدان ويفنيان لئلّا يصير أهلها شركاء لله تعالى ، ولنا قوله تعالى : « جنّات الفردوس نزلا خالدين فيها أبداً » ، فى مثل آيات كثيرة وردت فى الكتاب العزيز بذلك ، وما ذكره فلا نسلم أنّه يؤدّى إلى المشاركة لأنّ الله تعالى واجب الوجود (٦٦) واجب البقاء مستحيل العدم ، والعبد جائز الوجود جائز البقاء فعدمت المشاركة .

وأمّا احتجاجهم فى العرض والطول فاحتجاج ضعيف وقد رُدّ عليهم بأحسن ممّا احتجّوا به ، وليس هذا كتاب بحث ومناظرة ، وكذلك ما احتجّوا به فى قولهم جَعَلَ بمعنى خَلَقَ ، فقد ذكرت الفرق بين ذلك فى كتابى المسمّى ذخائر الأخائر فى الذخيرة الثانية المسمية « بذخيرة الياقوت البهرمان فى تأييد تنزيل القرآن بالدلائل الواضحة والبرهان » .

قلت : وقد جاءت فى فضائل الجنّة أخبار وآثار ، منها : قال الإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله بإسناده إلى أبى بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال : قال

(١) راجع : Daiber , Muammar 245 - 47
(٢) القرآن الكريم ٢٨ / ٨٣ (٣-٤) القرآن الكريم ٥٧ / ٢١
(٩) القرآن الكريم ١٨ / ١٠٧ - ١٠٨ (١٦) المسمية : المسماة .
(١٨) المعجم المفهرس ٢ / ٢٥٠ ؛ صحيح البخارى ٣ / ١٩٧ ، ٤ / ٢٨٧

رسول الله ﷺ : جنّات الفردوس أربع : ثنتــان من ذهب حليتهما وآنيتهما وما فيهما من ذهب وثنتان من فضّة حليتهما وآنيتهما وما فيهما كذلك وليس بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربّهم إلّا رداء الـكبرياء على وجهـه الـكريم فى جنّة عدن ، أخرجاه فى الصحيحين .

وفيهما من حديث أبى موسى أيضاً عن النبىّ ﷺ قال : إنّ فى الجنّة لخيمة درّة مجوّفة عرضها ستّون ميلا فى كلّ زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن .

وفيهما من حديث أبى هريرة عن النبىّ ﷺ أنّه قال : إنّ الله عزّ وجـلّ يقول : أعددتُ لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فإن قيل : فأعلا ما فى الجنّة النظر وقد خطر على قلوبنا فالجواب : إننا فى وقت النظر يحصل لنا من اللذّة والاستغراق ما لم يخطر على قلب بشر .

وفى الصحيحين أيضاً عن أبى هريرة عن النبىّ ﷺ قال : أول زمرة تلج الجنّة صورهم على صور القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يتمخّطون ولا يتغوّطون آنيتهم فيها ذهب وأمشاطهم من الذهب والفضّة ومجامرهم (٦٧) الألوّة ورشحهم المسك ،ولـكلّ واحد منهم زوجتان يرى مخّ سوقهما من وراء < اللحم من > الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب رجل واحد يسبّحون الله بكرةً وعشياً .

---

(٥) المعجم المفهرس ١ / ٤٠٣ ؛ صحيح البخارى ٣ / ١٩٧ ، تفسير قرآن ٥٥

(٧) المؤمن : المؤمنين صحيح البخارى .

(٩) المعجم المفهرس ١ / ٤٧ ؛ صحيح البخارى ٢ / ٢١٧ ، بدؤ الخلق باب ٨ ، صحيح مسلم ٨ / ١٤٣ ، الجنة

(١٢) المعجم المفهرس ٢/ ٣٤٢ ؛ صحيح البخارى ٢/٢١٧ ، بدؤ الخلق، باب ٨ ؛ مسند الحميدى ٢ / ٤٨٤ ، رقم ١١٤٣

(١٣) صورهم على صور : صورتهم على صورة صحيح البخارى

وفيهما من حديث أبى ذرّ عن النبى ﷺ قال: أُدخلت الجنّة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وترابها المسك ، والجنابذ القباب ، وقال الجوهرى : الُجنبذة : ما ارتفع من الشيء واستدار كالقبّة ، قال ، وقال يعقوب : والعامّة تقول جَنبذة بفتح الباء . ٣

وفى الصحيحين من حديث أبى سعيد الخدرى أنّ النبى ﷺ قال : أهل الجنّة ليتراؤن أهل الغرف من فوقهم كما يتراؤن الكوكب الدرى الغابر فى الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم . ٦

قلت : وقد رويت هذه اللفظة الغابر وليست بشيء ، والمشهور من حديث أبى سعيد الذى أخرجه الحميدى : الغارب فى الأفق الشرقى والغربى ، وفى رواية : الكوكب الدرى فأمّا الغابر فهو السهم لا يدرى من رمى به . ٩

تمام الحديث: قالوا: يارسول الله : تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ فقال: بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين .

١٢ وفيهما من حديث سهل بن سعد وأبى سعيد وأبى هريرة وأنس كلّهم عن النبى ﷺ أنّه قال : إنّ فى الجنّة شجرة يسير الراكب المجدّ فى ظلّها مائة عام لا يقطعها ، وقد تقدّم ذكر ذلك .

١٥ وأخرج أحمد بن حنبل فى المسند عن عتبة بن عبد السلمى : أنّها تشبه شجرة الجوز بالشام ، قال : تنبت على ساق واحد وينفرش أعلاها .

---

(١) المعجم المفهرس ١ / ٣٨٤ ؛ صحيح البخارى ١ / ٧٤ ، الصلاة ، باب ١
(٢) الصحاح ٢ / ٥٦١ ب
(٤) المعجم المفهرس ٢ / ٢٠٤ ؛ صحيح البخارى ٢ / ٢١٨ ، بدؤ الخلق ، باب ٨
(٥) يتراؤن : يتراءيون . (٨) مسند الحميدى ٢ / ٣٣٣ ، رقم ٧٥٥
(١٢) المعجم المفهرس ٢ / ٢٩٥ ؛ صحيح البخارى ٢ / ٢١٨ ، بدؤ الخلق ، باب ٨
(١٥) مسند أحمد بن حنبل ٤ / ١٨٤

وقال مسلم بإسناده عن أنس عن النبي ﷺ قال : إنّ فى الجنّة لسوقاً يقف بها كل جمعة فتهبّ فيها ريح الشمال فتحثوا فى وجوههم وثيابهم فيزدادوا حسناً وجمالا فيرجعون إلى أهاليهم فيقولون لهم : والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالا ٣
انفرد بإخراجه مسلم .

(٦٨) قال الترمذى بإسناده عن سعيد بن المسيّب : إنّه لقى أبا هريرة فقال له أبو هريرة : أسأل الله أن يجمع بينك وبينى فى سوق الجنّة، فقال سعيد: أفيها سوق؟ ٦
قال : نعم ! أخبرنى رسول الله ﷺ أنّ أهل الجنّة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، ثم يُؤْذَن لهم فى مقدار يوم الجمعة من أيّام دار الدنيا فيزورون ربّهم ويبرز لهم عرشه ويتبدّى لهم فى روضة من رياض الجنّة فيوضع لهم منابر من نور ومنابر ٩
من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضّة ويجلس أدناهم وما فيهم دنى على كثبان المسك والكافور ما يرون أنّ أصحاب الكراسى أفضل منهم مجلساً ، قال أبو هريرة: قلت: يارسول الله وهل نرى ربّنا؟ ١٢
قال : نعم ! هل تمارون فى رؤية القمر ليلة القدر؟ قلنا لا : قال: كذلك لا تمارّون فى رؤية ربّكم ، ولا يبقى فى ذلك المجلس رجل إلّا حاضره الله محاضرةً حتّى يقول للرجل : يافلان أتذكر يوم كذا وقلتَ كذا وكذا ، فيذكّره بعض غدراته ، ١٥
فيقول : يارب ّ ألم تغفر لى ؟ فيقول : بلى بسعة مغفرتى بلغتَ منزلتك هذه ! فبينما هم على ذلك إذ غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيباً لم يجدوا مثله أو مثل ريحه شيئاً قطّ ، ويقول ربّنا : قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ١٨
ما اشتهيتم فنأتى سوقاً قد حفّت به الملائكة فيه مالم تنظر العيون إلى مثله ولا تسمع الآذان ولم يخطر على قلب بشر ، فيُحمل إلينا ما اشتهينا ليس يبـاع فيه

(١) صحيح مسلم ٨ / ١٤٥ ، الجنة (٢) فتحثوا : فتحثو صحيح مسلم
(٥) سنن الترمذى ٤ / ٩٠ ، الجنة ، باب ١٥ (١٣) تمارون : تمارون سنن الترمذى

ولا يشترى ، وفى ذلك السوق أهل الجنّة يلتقى بعضهم بعضاً فيُقبل الرجل ذو المنزلة
المرتفعة فيلقى من هو دونه ، وما فيهم دون ، فيروعه ما يرى عليه من اللباس فما
٣ ينقضى حديثه حتى يخيل عليه ما هو أحسن منه وذلك أنه لا ينبغى (٦٩) لأحد
أن يحزن فيها ، ثم ننصرف إلى منازلنا فيلقانا أزواجنا فيقلن مرحباً وأهلا لقد
جئتم وإنّ عليكم من الجمال أفضل ممّا فارقتمونا عليه ، فيقولون إنّا جالسنا اليوم
٦ ربّنا الجبّار وتحققنا بأن ننقلب بمثل ما انقلبنا .

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله بإسناده إلى أبى هريرة يقول : قلنا : يارسول
الله حدّثنا عن الجنّة ما بناؤها ؟ فقال: لبنة من ذهب ولبنة من فضّة وبلاطها المسك
٩ الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران ، من يدخلها ينعم ولا
يبؤس ويخلد ولا يموت ، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه .

وعن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : إنّ فى الجنّة مائة درجة
١٢ ما بين كلّ درجتين كما بين السماء والأرض وإنّ جنّة الفردوس أوسطها وأعلاها
سماء عليها يوضع العرش يوم القيامة ومنها تتفجّر أنهار الجنّة ، فقال له رجل :
بأبى وأمّى أنت يارسول الله ! هل فيها خيل ! قال : نعم ! والذى نفسى بيده إنّ
١٥ فيها لخيلًا من ياقوتة حمراء ترفّ بهم بين خلال ورق الجنّة يتزاورون عليها ، فقال
له الرجل : فهل فيها إبل ؟ فقال نعم ! والذى نفسى بيده إنّ فيها لإبلًا من ياقوتة

---

(٢) دون : ذى سنن الترمذى . (٣) يخيل : يتخيل سنن الترمذى .
(٤) فيلقانا : فتتلقانا سنن الترمذى (٥) يقولون : يقول سنن الترمذى
(٦) وتحققنا : ويحق لنا أن سنن الترمذى
(٧) المعجم المفهرس ٦ / ٨٩ ؛ مسند أحمد بن حنبل ٢ / ٣٠٥
(٨) بلاطها : ملاطها مسند ابن حنبل (١٠) يبؤس : يبأس مسند ابن حنبل
(١١) المعجم المفهرس ٢ / ١١٨ ؛ سنن الترمذى ٤ / ٨٠ - ٨٣ ، الجنة ، باب ٤ ؛
٤ / ٨٧ - ٨٨ ، الجنة ، باب ١١ ؛ مسند أحمد ابن حنبل ٥ / ٣٥٢

حمراء رجلاها ذهب وفضّة عليها نمارق الديباج ترفّ بهم بين خلال ورق الجنّة يتزاورون عليها ، فقال الرجل : هل فيها صوت ؟ فقال : نعم ! إنّ الله ليوحى إلى شجرة فى الجنّة : أن أسمعى عبادى هؤلاء الذين شغلهم ذكرى فى الدنيا عن عزف المزاهر والمزامير بالتسبيح والتقديس .

ومن رواية ابن الجوزى رحمه الله قال : حدّثنى جدّى ، قال : حدّثنا ابن ناصر بإسناده إلى ابن مسعود قال : أنهار الجنّة تتفجّر من جبل مسك ، وفى رواية: وتجرى فى عين أخدود ، وقال ابن عبّاس: خمر الجنّة (٧٠) أشدّ بياضاً من الثلج أو قال: اللبن ، وعنه أنّه قال: الجنان سبع: دار الجلال، ودار السلام، وجنّة عدن ، وهى قصبة الجنّة ، وهى مشرفة على الجنان ، وجنّة المأوى ، وجنّة الخلد ، وجنّة الفردوس ، وجنّة النعيم ، قال: ونخل الجنّة جذوعها زمرّد أخضر ، وكرمها ذهب أحمر ، وسعفها كسوة أهل الجنّة .

وقال أحمد بن حنبل بإسناده عن سهل بن سعيد عن النبى ﷺ أنّه قال : إنّ فى الجنّة ثمانية أبواب فيها باب يسمّى باب الريّان لا يدخله إلّا الصائمون ، وأخرجاه فى الصحيحين .

قال ابن الجوزى ـ رحمه الله ـ فى تأريخه : حدّثنا عبد الوهّاب بن على الصوفى بإسناده عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : يدخل أهل الجنّة الجنّة على طول آدم ستّين ذراعاً وعلى حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاثاً وثلاثين سنة وعلى لسان محمد ﷺ ، وقال ابن أبى الدنيا بإسناده عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : إذا دخل أهل الجنّة الجنّة يشتاق الإخوان بعضهم إلى

(١٢) المعجم المفهرس ١ / ٣٧٧ ؛ صحيح البخارى ١ / ٣٢٤ ، الصوم ، باب ٤

بعض فيسير سرير هذا إلى سرير هذا حتى يجتمعان فيتّكىء هذا ويتّكىء هذا ، فيقول أحدهما لصاحبه : تعلم متى غفر لنا ؟ فيقول صاحبه : نعم ، يوم كذا وكذا في موضع كذا وكذا .

وقال أحمد بن حنبل بإسناده إلى ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : إنّ أدنى أهل الجنّة منزلةً لينظر فى ملكه ألفى سنة يرى أقصاه كما رأى أدناه ، وإنّ أوصلهم منزلةً من ينظر إلى وجه الله عزّ وجلّ فى كلّ يوم مرّتين .

فإن قيل : فهل فى الجنّة توالد ؟ فالجواب : إنّ فيه قولين : أحدهما أنّه لا يولد ولا يكون فيها توالد لأنّ الولادة محلّ الأقذار والجنّة طاهرة ، والثانى : أنّه يكون فيها توالد ، وقد دلّ عليه الحديث .

قال أحمد بن حنبل بإسناده عن أبى سعيد الخدرى إنّ نبيّ الله قال : إذا اشتهى المؤمن الولد فى الجنّة كان حمله ووضعه (٧١) وسنّه فى ساعة واحدة .

قلت : وقد اقتصرنا على هذه الجملة فيما يتعلّق بالجنّة وذكرها من الأحاديث والأخبار والآثار ولو استقصينا فى جمعها لخرجنا على شرط الاختصار ، ونبتدىء الآن بذكر خلق الأرضين .

---

(٤) مسند أحمد بن حنبل ٢ / ١٣ (٥) ملكه : ملك مسند ابن حنبل
(١٠) مسند أحمد بن حنبل ٣ / ٩

ذكر خلق الأرضين وما فيها من المخلوقين ومدّة التصوير والتكوين

قال علماء اللغة : إنّما سمّيت الأرض أرضاً لأنّ الأقدام تطئها وترضّها ، ٣
وقال الجوهرى: الأرض مؤنّثة، وروى أبو إسحاق الثعلبى رحمه الله عن ابن عبّاس
رضى الله عنه قال : أوّل ما خلق الله القلم فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة ،
ثمّ رفع بخار الماء فخلق منه السموات ثمّ خلق النون وهو الحوت الذى يحمل ٦
الأرض فبسط الأرض على ظهره فتحرّك الحوت فمادت الأرض فأثبت بالجبال ،
ثمّ قرأ ابن عبّاس : « نٓ والقلم وما يسطرون » .

واختلفوا فى اسم هذا الحوت ، فقال ابن الكلبى ومقاتل : بهموت ، وقال ٩
أبو اليقضان والواقدى : ليوثا ، والذى أراه أنّ الحوت اسمه بهموت ، والثور
ليوثا ، والله أعلم .

وروى عن علىّ عليه السلام أنّه قال إنّ اسمه بلهوت ، قال الراجز : ١٢

ما لى أراكم كلّكم سكوتا والله ربّى خلق البلهوتا

وقال الثعلبى أيضاً : قال الرواة : لما خلق الله الأرض وفتقها بعث من تحت
العرش ملكاً فهبط إلى الأرض حتّى دخل تحت الأرضين السبع فوضعها على عاتقه ١٥
إحدى يديه بالمشرق والأخرى بالمغرب باسطتين قابضتين على الأرض السبع حتّى

---

(١) مأخوذ من مرآة الزمان ٨ ب ، ٣ (٤) الصحاح ٣/١٠٦٣ ب || قارن قصص الأنبياء ٣ ؛ جامع البيان ٢٩ / ٩ ؛ الجامع لأحكام القرآن ١٨ / ٢٣٣ ؛ تفسير ابن كثير ٧/٧٦
(٨) القرآن الكريم ٦٨ / ١ (٩) قارن الجامع لأحكام القرآن ١٨ / ٢٣٤
(١٠) اليقضان : اليقظان (١٤) قارن قصص الأنبياء ٣

ضبطها فلم يكن لقدمه موضع قرار ، فأهبط الله تعالى من الفردوس ثوراً وجعل
قرار قدم الملك على سنامه فلم يستقرّ فأحدر الله تعالى ياقوتة حمراء من الفردوس
٣ غلظها مسيرة خمس مائة عام فوضعها على سنام الثور فاستقرّت عليها قدما الملك، (٧٢)
وقرون ذلك الثور وهى أربعة آلاف قرن خارجة من أقطار الأرض ومنخراه
فى البحر فهو يتنفّس كلّ يوم نَفَسًا فإذا تنفّس مدّ البحر وإذا عاد نفسه جزر البحر
٦ قال : فلم يكن لقوائم ذلك الثور موضع قرار فخلق الله تعالى صخراء خضراء
كغلظ السموات والأرض فاستقرّت قوائم الثور عليها ، وهى الصخرة التى قال
لقمان لولده « فتسكن فى صخرة » الآية ، فلم يكن للصخرة مستقرّ فخلق الله تعالى
٩ نوناً وهو الحوت العظيم ، فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال ، والحوت
على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة تقلّ الدنيا كلّها بما عليها ،
فسبحان من يقدر على هذه القدرة ، قال لها الجبّار : كونى فكانت ، تعالى الله
١٢ ربّ العالمين ، وقد روى أبو بكر الخطيب بمعناه عن ابن عبّاس رضى الله عنه .

وفى الحديث : وكانت الأرض تمور موراً فبعث الله تعالى جبرائيل عليه
السلام فعالجها فلم يقدر أن يمسكها ، فقال : يا إلهى قد علمت أنّك لم تقدّر ذلك
١٥ على يدى ولو جئت بعوضة وقدّرتها لأمسكتها ! قال : فأرسل الله ملكاً من
تحت ساق العرش فدخل تحت الأرض ، وذكر الحديث ، وفيه : وقرون ذلك
الثور خارجة من أقطار الأرض وقد اشتبكت بأقطار السموات إلى العرش ومنخرى
١٨ الثور فى ثقبين من تلك الصخرة فهو يتنفّس كلّ يوم نفسين فإذا تنفّس مدّ البحر
وإذا ردّ نفسه زجرت البحار ، وفيه : واسم الحوت بلهوت ، فانتهى إبليس إلى

(٦) صخراء : صخرة (٨) القرآن الكريم ٣١ / ١٦

(١٩) زجرت : جزرت ، تحريف

الحوت فقال : ما خلق الله خلقاً أعظم منك فلِمَ تحمل هذه الأثقال قال: فهمّ أن يلقى ما عليه فبعث الله عزّ وجلّ بقّةً فدخلت فى عينه فشغلته عن ذلك .

قال : ثم أنبت الله تعالى جبل قاف من تلك الياقوتة الخضراء فأحاط بالدنيا ٣ ثم أنبت منه الجبال وشبك بعضها ببعض بعروقه (٧٣) كالشجر فإذا أراد الله تعالى أن يزلزل أرضاً أوحى إلى قاف فحرّك ذلك العرق ، وهو حديث طويل هذا ملخصه ، وقد أخرجه الحافظ أبو نعيم، وابن عساكر فى كتابه المعروف بالزلازل. ٦

وحكى الثعلبى عن كعب الأحبار أنّ إبليس تغلغل إلى النور الذى على ظهر الأرض كلّها فوسوس إليه أتدرك ماعلى ظهرك ياليوثا من الأمم والدوابّ والشجر والجبال وغيرها لو نفضتهم لاسترحت ، فهمّ ليوثا أن يفعل ذلك فبعث الله إليه ٩ دابّةً فدخلت فى منخريه ووصلت إلى دماغه فضجّ النور إلى الله منها فأذن لها فخرجت ، قال كعب : فوالذى نفسى بيده إنّه لينظر إليها وتنظر إليه إن همّ بشىء من ذلك عادت إليه كما كانت فلا يزال كذلك إلى يوم القيامة . ١٢

تفسير : وقوله تعالى : « فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون » ، وفى آية أخرى : « وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون » ، وقال : « ولا يكتمون الله حديثاً » ، وفى آية أخرى : « والله ربّنا ما كنا مشركين » ، ١٥ فقد كتموا فى هذه الآية وقال: « وكان الله غفوراً رحيما » ، عزيزاً حكيماً ، سميعاً بصيراً ، ونظير هذه الآيات، فكأنّه كان ثم مضى، فقال ابن عبّاس رضى الله عنه: أمّا قوله : « فلا أنساب بينهم » ، فهذا فى النفخة الأولى ينفخ فى الصور فيصعق من ١٨

---

(٧) قارن قصص الأنبياء ٣ (١٣ ــ ١٤) القرآن الكريم ٢٣ / ١٠١

(١٤) القرآن الكريم ٥٢ / ٢٥ (١٥) القرآن الكريم ٤ / ٤٢ || القرآن ٦ / ٢٣

(١٦) القرآن ٣٣ / ٢٤ (١٧) قارن الجامع لأحكام القرآن ١٢ / ١٥١

فى السموات ومن فى الأرض فحينئذ لا أنساب بينهم ولا يتساءلون ، ثم ينفخ
النفخة الأخيرة : وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ، وأمّا قوله : « ما كنّا
٣ مشركين » ، « ولا يكتمون الله حديثاً » فإنّ الله تعالى يغفر لأهل الإخلاص
يوم القيامة ولا يغفر شركاً ، فقال المشركون : تعالوا نقول ما كنّا مشركين
فيختم على أفواههم فتنطق أيديهم فعند ذلك عرف أنّ الله لا يكتم حديثاً ، وعنده
٦ يودّ الذين كفروا لو كانوا مؤمنين ، وأمّا قوله تعالى: « وكان الله غفوراً رحيماً »
وباقى الآيات ، فالتحقيق إن كان ترد بمعنى صار كقولك : كانت فراخاً بيوضها
بمعنى صارت ، وترد لما مضى من الزمان كقولهم : كان حليما يقرى الضيف ، وجاء فى
٩ الذى كان عندك بالأمس . وهذان مجازان وترد بالحقيقة لمعنى استقرّ وثبت وحقّ
وعليه تحمل الآيات الكريمة . وترد بمعنى حدث ووقع وتسمّى الناقصة لأنّها
لا تحتاج إلى خبر لأنّها لا تتعرّض لشىء سوى دخول صورة الشىء فى الوجود ،
١٢ وهذا هو الفرق بين الناقصة وبين المستمرّة لأنّ الحقيقة الاستقرار والثبوت
وما وجب له سجيّة لا يتغيّر .

فصل

١٥ فى ذكر أشهر الأمم

نبتدئ بذكر أشهر العرب ، قال الفرّاء : أوّل أشهر العرب العاربة : ناجر ،
وأوّل شهور المستعربة المحرّم .
١٨ وروى عن أبى العلاء المعرّى قال : كانت للعرب العاربة تسمّى الشهور

(٧ ـ ١٣) فى الهامش بخط غير خط المصنف (١٣) سجية : غير واضح
(١٦) مأخوذ من مرآة الزمان ٧ آ ، ٩
(١٨) مأخوذ من مرآة الزمان ٧ آ ، ـ ١٠ ؛ قارن مروج الذهب ٢ / ٣٤٩ ؛ نهاية الأرب ١ / ١٥٧

بغير هذه الأسامى فيقول للمحرّم: مؤتمر ، ولصفر: ناجر ، ولربيع الأوّل: خوان، ولربيع الآخر: ومضان ، ولجمادى الأوّل: ربا ، ولجمادى الآخر : حنين ، ولرجب: الأصم ، ولشعبان : عادل ، ولرمضان : نانق ، ولشوّال : وغل ، ولذى القعدة : ورنة ، ولذى الحجة : برك . ٣

وتفسيرها : أمّا مؤتمر فاشتقاقه من المؤامرة فى ترك الحرب احتراماً له ، وأمّا ناجر فالنجر الأصل جعلوه أصل الحرب ، وأمّا خوان فمن تخونهم الحرب ، ٦ وأمّا ومضان فمن الوميض وهو بريق السلاح وكانت الغارات تشتدّ فيه ، وأمّا ربا فمن قولهم شاة ربى على وزن فعلى ، أى كثيرة النتاج ، وكانوا يجمعون فيه الأموال ، وأمّا حنين فلأنّ أسفارهم كانت تطول فيحنّون فيه إلى المنازل ٩ والأطلال والأهل ، وأمّا الأصمّ فلأنّهم كانوا لا يغيرون فيه ولا يسمعون فيه قعقعة السلاح فسمّى بذلك ، ومنهم من يقول رجب مضر وسنذكره ، وأمّا عادل فلأنّه كان يعدلهم عن سفك الدماء ، وأمّا نانق فمن قولهم نتقت الشاة إذا كثر ١٢ لبنها وولدها ، وأمّا وغل فالوغل الملجأ كانون يلجون فيه المنازل ، وأمّا ورنة فالأرن بإسكان الراء النشاط وكانوا ينشطون فيه للحجّ ، وأمّا برك فلأنّ الإبل كانت تبرك فيه فى الموسم حتى تنقضى وقيل مشتقّاً من التبرّك به . ١٥

وأمّا الشهور المستعربة فسمّى المحرّم لتحريم (٧٥) القتال فيه كان الرجل يلقى قاتل أبيه وابنه وأخيه فلا يعرض له ، وكذا فى الأشهر الحرم كلّها ، قال الجوهرى : إلّا حيّان فى العرب : خَثعَم وطىء فإنّهم كانوا يستحلّون ١٨ القتال فيه وفى الأشهر الحُرُم ، وأمّا صفر فلأنّ المنازل كانت تصفر منهم فيه ،

---

(١٤) كانون : كانوا || يلجون : يلجؤون (١٦) مأخوذ من مرآة الزمان ٧ ب ، ٢
(١٨) الصحاح ٥ / ١٨٩٥ ب

أي : تخلو والصفر الخالي ، وقيل : لأنّهم كانوا ينزلون بلاد يقال لها صفر ، والأوّل أظهر ، وأمّا ربيع الأوّل وربيع الآخر فلأنّهم كانوا يرتبعون فيهما ، قال الجوهري : والربيع عند العرب ربيعان : ربيع الشهور وربيع الأزمنة ، فربيع الشهور شهران بعد صفر ولا يقال فيهما إلّا شهر ربيع الأوّل وشهر ربيع الآخر ، وأمّا ربيع الأزمنة فربيعان منهما: ربيع الكلأ وهو الفصل الذي يدرك فيه الكمأة ويطلع النَور ، والفصل الثاني : الذي تدرك فيه الثمار ، وأمّا جماديان فلأنّ الماء كان يجمد فيهما ، وأمّا رجب فمن الترجيب وهو التعظيم يقال: رجِبته بكسر الجيم ، وقال الفرّاء : ومنه قولهم : نخلة مرجّبة إذا كثر حملها أقاموا لها دعائم لئلّا تنكسر أغصانها ، وفيه لغتان : رجب ورحم لأنّ الرحمة تنصبّ فيه صبّاً ، ويقال له رجب مضر أيضاً لأنّ مضر كانت تعظّمه أكثر من غيره فنُسب إليها ، وجمعه أرجاب ، وقيل إنّما سمّي الأصمّ لأنّه لا يشهد بالقبائح على هذه الأمّة ، وأمّا شعبان فلأنّ الشعب من الاجتماع كانوا يتشعّبون فيه بعد الفرقة ، وقيل إنّما سمّي شعبان لأنّه يتشعّب فيه الخير لرمضان ، أي : يتجمّع ، وأمّا رمضان فاشتقاقه من الرمض وهو وقع حرّ الشمس على الرمل ، ومنه يقال : الرمضاء ، وأمّا شوّال : فمن الشول وهو الارتفاع لأنّ النوق تشول فيه : أي: ترفع أذنابها للقاح ، وقيل : لأنّ ألبان الإبل كانت تشول فيه : أي : تقلّ ، وجمعه شوّالات وشوائل ، وهو أوّل أشهر الحجّ ، وأمّا ذو القعدة (٧٦) فلأنّهم كانوا يقعدون فيه عن القتال تعظيماً له ، وجمعه ذوات القعدة ، وأمّا ذو الحجّة فلأنّهم كانوا يتهاون فيه للحجّ ويقصدون مكّة من سائر الآفاق ، وجمعه ذوات الحجّة .

---

(٣) الصحاح ٣/١٢١٢ آ (٨) قارن الصحاح ١/١٣٣ ب (١٩) يتهاون: يتهيؤون

والعرب تؤرّخ بالليالى دون الأيّام لأنّ سنيهم قمريّة فالعمل فيها على القمر لأنّه يرى فى الليل عالياً ، فيقال فى أوّل ليلة من الشهر : استهلّ الهلال ، ولا يقال فى النهار بخلاف سائر الأمم فإنّ سنيهم على سير السير وهى نهاريّة ، ثم العرب ٣ تعدّ السنة ثلاثمائة وأربعة وخمسين يوماً وخُمس وسدس يوم لأنّ الشهر يكون تامّاً وشهراً يكون ناقصاً غالباً .

وقال محمّد بن جابر بن سنان الحرّانى البتّانى فى زيجه : شهور العربيّة شهر ٦ ثلاثين يوماً وشهر تسعة وعشرون يوماً إلّا ذو الحجّة فإنّه من تسعة وعشرين يوماً وخمس وسدس يوم فجميع أيّام السنة العربيّة شنك وهى فى الكبيسة سنة .

وأمّا الأشهر الروميّة : فالروم تعدّ السنة ثلاثمائة وخمسة وستّين يوماً وربع ٩ يوم وشهورهم مختلفة العدد : أوّلها : نيسان ، وهو ثلاثون يوماً ، وأيّار ، وهو أحد وثلاثون يوماً ، ولثمان عشرة منه ترجع الشمس هابطةً من الشمال ، وحزيران ثلاثون يوماً ، وتمّوز أحد وثلاثون يوماً ، وكذا آب ، فإذا انسلخ آب قلّ الحرّ ١٢ ولثلاث عشر منه عيد الصليب ولثمانى عشرة منه يستوى الليل والنهار ، وتشرين الأوّل أحد وثلاثون يوماً وفيه يكون عيد المهرجان ، ومعناه أنّه كان فى الفرس ملك ظالم جبّار اسمه مهر فمات فى نصف هذا الشهر ، وجان بلغتهم الروح ، فكأنّه ١٥ قيل مهر جان ، أى : مهر ذهبت روحه ، فعاد عندهم عيد ، وبين المهرجان والنوروز مائة وستّون يوماً ، والفرس تسمّى هـذا اليوم أوّل السنى ، وتشرين الآخر ثلاثون يوماً ، وكانون الأول أحد وثلاثون يوماً ، ولسبع عشرة منه يكون النهار ١٨ تسع ساعات (٧٧) ونصفاً وربعاً وهو منتهى قصره ويكون الليل أربعة عشر ساعة

---

(١) مأخوذ من مرآة الزمان ٧ ب ، ـ ٧ (٣) السير : الشمس ، تحريف
(٦) مأخوذ من كتاب الزيج ١٠٠ (٩) مأخوذ من مرآة الزمان ٧ ب ، ـ ٣

وذلك منتهى طوله، وفى الليلة الخامسة والعشرين منه ولد عيسى بن مريم عليه السلام
وكانون الآخر أحد وثلاثون يوماً وفى أوّل ليلة منه توقّد نار عظيمة ببلد أنطاكية
٣ والنصارى تعظّم تلك الليلة وتلك النار وتقول إنّ دين النصرانيّة ظهرت من
أنطاكية فى تلك الليلة بعد ما دثرت، وتسمّيها مدينة الله تعالى، وشباط ثمانية
وعشرون يوماً وربع يوم مدّة ثلاث سنين متواليات، والسنة الرابعة تسمّى
٦ كبيسة فتكون تسعة وعشرين يوماً بقسم ذلك فى أربعة سنين ولسبع ليال منه
تسقط الجمرة الأولى وهى الجبهة ولأربع عشرة منه تسقط الثانية وهى الزبرة
ولإحدى وعشرين منه تسقط الثالثة وهى الصرفة فينصرف البرد وفيه تكامل
٩ الحمار، واليوم الخامس والعشرين منه أوّل أيّام العجوز، وقد ذكرها الجوهرى،
وآذار ثلاثون يوماً وفى الرابع عشر منه فصل الربيع ونزول الشمس الحمل.

وقال محمّد بن جابر بن سنان صاحب الزيج: وأمّا شهور الروم على ابتداء
١٢ اليونانيّين وأهل مصر: أيلول آ‍ـ يوماً، تشرين الأوّل لآ يوماً، تشرين الثانى
آ‍ـ يوماً، كانون الأوّل لآ يومًا، كانون الثانى لآ يومًا، شباط كح يومًا،
آذار لآ يومًا، نيسان لَ يومًا، أيّار لآ يومًا، حزيران لَ يومًا، تموز لآ يومًا
١٥ آب لآ يومًا، فجميع أيّام السنة العجميّة: شمسه يومًا وربع يوم وفى السنة
الكبيسة شمسو، وهى السنة التى يكون فيها شباط كطَ كاملة، والله أعلم.

وأمّا الأشهر الفارسيّة على رأى محمد بن جابر بن السنان صاحب الزيج،
١٨ فقال: افروز دير ماه أوّل يوم منه النيروز، أرديبهست ماه، (٧٨) خرداد ماه،
يترماه، هم دار ماه، شهر يرماه، مهر ماه، وفى ستة عشر منه المهرجان، آبان ماه،

---

(٩) الصحاح ٢ / ٨٨١ ب (١١) مأخوذ من كتاب الزيج ١٠٠، ١٢
(١٧) مأخوذ من كتاب الزيج ١٠٠، ١٨ (١٨) أفروز ديرماه: فرور دين كتاب الزيج
(١٩) هم دارماه: مردادماه كتاب الزيج

وفى السادس والعشرين منه الفوز دجان وهى عشرة أيّام منه خمسة أيّام وخمسة بقيّة ، أيار ماه إلى الثلاثين الواجبة له وخمسة أيّام تُطرَح ولا تعدّ من الشهور ، آذر ماه ، دى ماه ، بهمن ماه ، إسفندر ماه ، وكلّ منهم ثلاثون يومًا وخمسة بعد آبان ماه ملعبة ، فجميع أيّام السنة الفارسيّة ثلاثمائة يوم وخمسة وستّون يومًا بلا كسر . ٣

وأمّا الأشهر القبطيّة : فأوّلها يوم النيروز وهو أوّل يوم فى : توت ، بابه ، أنور ، كيهك ، طوبة ، أمشير ، برمهات ، برمودة ، بشنس ، بونة ، أبيب ، مسرى ، كلّ شهر منها ثلاثون يوماً وخمسة أيام يلغى بعد الشهور تسمّى اللواحق فجميع أيّام السنة القبطيّة ثلاثمائة وخمسة وستّون يوماً وربع يوم ، وفى السنة الرابعة شسو يوماً ، وتأريخ القبط هو ماجهات الإسكندر الماقدونى . ٦ ٩

ورأيت محمد بن جابر يسمّيه الإكسندر بتقديم الكاف فى سائر زيجه والله أعلم بصحّة ذلك كونه خالف جمهور العالم ، أو لعلّه غلط من كاتب نسخة الزيج المذكور . ١٢

قال ابن جابر : ولأهل مصر والروم من سنى ذى القرنين وبينهما اثنى عشرة سنة مصريّة . ١٥

قلت : وقصدت أن أثبت ها هنا فصلًا هو أصلًا فى استخراج التواريخ بعضها من بعض استخرجته من الزيج المذكور لمحمد بن جابر بن سنان مفيداً لكلّ فاضل يغتنى به عن كثير ممّا سواه إذا قدح زند فكرته لتورى قريحته . ١٨

فإذا أردت أن تعرف بسنى الهجرة رأس كلّ شهر تريد من شهور العرب

---

(١) الفوزدجان : الفروردجان كتاب الزيج (١٠) ما جهات : من ممات كتاب الزيج
(١٩) مأخوذ من كتاب الزيج ١٠١ ، ٦

(٧٩) فخذ سنى الهجرة الكاملة فاضربها فى ثلاثمائة وأربعة وخمسين يوماً وخمس وسدس يوم فما بلغ فانظره فإن وقع فيه كسر وذلك الكسر أقلّ من نصف يوم فاسقطه ولا تعتدّ به وإن كان أكثر من نصف يوم فلا تسقطه واعتدّ به واحتسبه يوماً وزده فيما يجتمع من الأيّام فما بلغ عدد الأيّام فهو مامضى من أوّل الهجرة إلى آخر تلك السنة ، وهو الأصل فاحفظه ، ثم خذ هذا الأصل وزد عليه خمسة أيّام وألق الجميع سبعة سبعة فما بقى دون سبعة فهو علامة السنة المستقبلة فالقه من يوم الأحد يخرج لك الحساب إلى اليوم الذى يدخل فيه المحرّم من السنة التى أنت فيها وهى السنة المنكسرة فافهمه .

وإن أردت غيره من الشهور فزد على علامة السنة لما مضى من شهور السنة التامّة لشهر يومين ولشهر آخر يوم يكون ذلك لكلّ شهرين تامّين من الشهور القمريّة ثلاثة أيّام فإن كان شهر واحد وبقى شهر مفرد فخذ له يومين ثم الق ذلك سبعة سبعة من يوم الأحد يقف بك الحساب فى اليوم الذى تدخل به ذلك الشهر الذى طلبت علامته ، وهذا هو الحساب الذى تعمل عليه الزيجات والتواريخ فلا تتعداه إلى غيره تصب إن شاء الله تعالى .

وإن أردت أن تعرف أوائل الشهور الروميّة بتأريخ ذى القرنين على ابتداء المصريّين فخذ سنى ذى القرنين التامّة فزد عليها ربعها فما بلغ أن وقع فيه كسر فلا تعتدّ به ، زاد على النصف أو نقص منه ثم اضرب مبلغ ذلك فى ستّة يوماً والق ما بلغ ذلك سبعةً سبعةً فما بقى دون سبعة فهو علامة السنة فألقها على الرسم الأوّل يخرج إلى أوّل يوم من أيلول من السنة المستقبلة (٨٠) التى أنت فيها ، فإن وقع كسر نصفاً سواء فإنّ السنة الداخلة عليك كبيسة أعنى السنة المستقبلة ، وإن زاد على النصف أو نقص فلا .

وإن أردت تعرف أيلول من الشهور فزد على علامة السنة ما مضى من السنة من الشهور التامّة، لكلّ شهر يكون ثلاثين يوماً يومين ولكل شهر يكون واحد وثلاثين يوماً ثلاثة أيّام ولا تأخذ لشباط شيئاً إلّا أن تكون السنة كبيسة فتأخذ لها يوماً واحداً فما بلغ فالقه سبعة سبعة واجرى فيه على الرسم المقدّم من الطرح يخرج إلى أوّل يوم من الشهر الذى تريد . ٣

فإن أردت أن تعرف أوائل الشهور الفارسيّة بسنيهم المعلومة فخذ سنى يزدجرد بن شهريار <بن> كسرى ملك الفرس التامّة فزد عليها أبداً ثلاثة واضربها فى ثلاثمائة وخمسة وستّين فما بلغ فألقه سبعةً سبعةً فما بقى دون سبعة أو سبعة فألقه من يوم الأحد يكون اليوم الذى يفنى فيه العدد هو أوّل يوم من شهر أفر وزدماه الفارسى وهو يوم النيروز ، وإن أردت غيره من الشهور الفارسيّة فزد على علامة السنة التى عرفت به يوم النيروز لما مضى من السنة من الشهور التامّة لكلّ شهر يومين غير شهر آبان ماه فلا تأخذ منه شيء ثم الق ذلك سبعةً سبعةً واجرى على الرسم من إلقائها من يوم الأحد فاليوم الذى يقف فيه العدد هو أول ذلك الشهر الذى طلبت . ٦ ٩ ١٢

واعلم أنّ القبط يتقدّمون اليونانيّون من أهل مصر فى مدخل أيلول ثلاثة أيّام وهم يسبقونهم فى التأريخ فى كلّ أربع سنين يوم واحد . ١٥

فإن أردت تعرف سنى رؤوس شهور القبط فخذ سنى ذى القرنين التامّة وزد عليها أبداً ثلاثة واضربه فى أيّام السنة فما بلغ فالقه سبعةً سبعةً وما بقى دون السبعة أو سبعة (٨١) فاجره على الرسم الأوّل فحيث انتهى بك العدد هو أوّل يوم من أيلول ، وهو أوّل يوم من توت أيضاً من السنة المستقبلة ، وإن أردت غيره من ١٨

---

(٩) يفنى : يقف كتاب الزيج (١٨) ثلاثة : ستة كتاب الزيج

الشهور فزد على علامة السنة لما مضى من الشهور التامّة لكل شهر تامّ يومين فما بلغ فألقه سبعةً سبعةً وألق ما بقى دون سبعة أو سبعة من يوم الأحد يكون اليوم
٣ الذى تنتهى إليه بالعدد أوّل ذلك الشهر الذى تريد فإن انقضت الشهور كلّها فألق بعد ذلك خمسة أيّام وحينئذ تدخل السنة التى تستقبل لأنّ تلك الأيّام هى اللواحق ، فافهم ذلك فإنّه حسن .

٦ قلت : وإذ قد ذكرنا هـذا الفصل يختصّ بذكر التأريخ فنذكر الآن ما ورد فيه .

فصل

٩ فى معرفة التأريخ وما قيل فيه

يقال إنّ التاريخ الذى تؤرخه الناس ليس بعربى محض وإنّ المسلمين أخذوه عن أهل الكتاب وتأريخ المسلمين أرّخ من سنة الهجرة ، كتب فى خلافة عمر
١٢ ابن الخطّاب رضى الله عنه لما نذكر إن شاء الله تعالى ، فصار تأريخاً إلى اليوم .

وقال أبو نصر الجوهرى فى صحاحه: التأريخ تعريف الوقت والتوريخ مثله، وأرّخت الكتاب بيوم كذا وورّخته بمعنى كذا ، قال : والإراخ بقر الوحش ،
١٥ رواه بالكسر ، وقد فرق الأصمعى رحمه الله بين اللغتين فقال : بنو تميم يقولون: ورّخت الكتاب توريخاً ، وقيس تقول : أرّخته تأريخاً . وقال قوم : التأريخ معرّب من ما ورور ، ومعناه حساب الأيّام والشهور والأعوام ، قال : فعرّبته
١٨ العرب فقالوا : تأريخ أو مؤرّخ وجعلوه مصدراً .

وقال أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب فى كتاب الخراج : إنّ تأريخ كلّ شىء آخره فيؤرّخون بالوقت الذى فيه حوادث مشهورة ، وقال ابن عبّاس

(٨) مأخوذ من مرآة الزمان ٢ آ ، ٩ (١٣) الصحاح ١ / ١٨ ٤ آ

رضى الله عنه : (٨٢) قد ذكر الله تعالى التأريخ فى كتابه العزيز ، فقال : « يسألونك عن الأهلّة قل هى مواقيت للناس والحج »،قال ابن الجوزى رحمه الله: حدّثنا عبد الوهّاب المقرئ بإسناده إلى محمّد بن هارون عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عبّاس ، قال : سأل معاذ بن جبل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقاً مثل الخيط ثم يزيد حتى يعظم ويستوى ويستدير ثم لا يزال ينقص ويدقّ حتى يعود كما كان على حال واحد ، فنزل : « يسئلونك عن الأهلّة قل هى مواقيت للناس » أى لأجل دينهم وصومهم وفطرهم وعدّة نسائهم والشروط التى تنتهى إلى أجل معلوم .

وقال قتادة فى تفسير الآية : جعلها الله تعالى مواقيت لصوم المسلمين وإفطارهم وحجّهم ومناسكهم وعدّة نسائهم وغير ذلك ، وقال أحمد بن حنبل رحمه الله : حدّثنا إسماعيل حدّثنا أيّوب حدّثنا نافع عن ابن عمر قال ذُكر الهلال عند رسول الله ﷺ فقال : لاتصوموا حتى تروه ولاتفطروا حتى تروه فإن غمّ عليكم فأكملوا العدّة شعبان ثلاثين يوماً ثم صوموا ، أخرجاه فى الصحيحين ، وسنذكر من مبدأ التأريخ وما اختلف فى ذلك من الأقوال فى مكانه إن شاء الله تعالى .

فصل

فى ذكر أوّل المخلوقات

قلت : قد ذكر أبو منصور الثعالبى رحمه الله من ذلك جملة كبيرة فى كتابه المسمّى لطائف المعارف أثبتّها فى كتابى الذى سمّيته حدائق الأحداق ودقائق

(٢) القرآن الكريم ٢ / ١٨٩ ؛ قارن الجامع لأحكام القرآن ٢ / ٣٤١

(١٠) مسند أحمد بن حنبل ٢ / ٦٣ ؛ صحيح البخارى ١/٣٢٧ ، الصوم ، الباب ١١ ؛ صحيح مسلم ٣ / ١٢١ ، الصيام

(١٥) مأخوذ من مرآة الزمان ٤ ب ، ١

الحذّاق ، وإنّما أذكر هاهنا نتفاً لطيفة من ذلك ليكون توطئة لما يأتى بعده من ذكر المخلوقات بالأرضين وبالله أستعين .

٣ أوّل المخلوقات من العلويّات : القلم ، أوّل جبل وُضع فى الأرض : أبو قبيس ، وقيل قاف ، وسنذكره فى الجبال إن شاء الله تعالى ، أوّل بيت وضع للعباد : الكعبة .

٦ (٨٣) ذكر البيت الحرام

قال الله تعالى: «إن أوّل بيت وضع للناس للّذى ببكّة »، قال الجوهرى : يقال: بكّة ومكّة ، وقال أيضاً : الكعبة البيت الحرام مسّمى بذلك لتربيعه ، وقال الخليل ٩ ابن أحمد : إنّما سمّيت الكعبة كعبة للتربيع ، والعرب تسمّى كلّ بيت مربّع كعبة ، وقال مقاتل : إنّما سمّيت كعبة لبنائها مربّعةً على موضع رفيع ، وسمّى البيت الحرام لأنّ الله حرّمه وعظّم حرمته ، وقال أحمد بن حنبل رحمه الله بإسناده ١٢ عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : كانت الكعبة خشفةً على رأس الماء عليها ملكان يسبّحان الليل والنهار قبل خلق السموات والأرض بألفى سنة.

قال أبو عمرو ابن العلاء : الخشفة بخاء معجمة الأكمة الحمراء ، والشين ١٥ ساكنة ، وقال الجوهرى : الخَشْفة : الحسن والحركة ، ومعناه على هذا أنّها كانت تضطرب وتتحرّك على الماء .

وروى سعيد بن جبير عن ابن عبّاس رضى الله عنهما قال : وُضعت الكعبة ١٨ على أربعة أركان قبل أن يخلق الله الدنيا على وجه الماء ثم دحا الأرض من تحتها،

---

(٣) مأخوذ من مرآة الزمان ٤ ب ، ــ ١ (٦) مأخوذ من مرآة الزمان ٩ آ ، ــ ٤
(٧) القرآن الكريم ٣ / ٩٦ || الصحاح ٤ / ١٥٧٦ آ ؛ ١ / ٢١٣ آ
(٨) لتربيعه : لتربعه الصحاح (١٥) الصحاح ٤ / ١٣٥١ ب : الحسن : الحس الصحاح

وروى العوفى عنه أنّه قال : أرسل الله الريح فسحت الماء حتى حوت على خشفة وهى التى تحت الكعبة ثم إنّ الله مدّ الأرض من تلك الخشفة حتى بلغت حيث أراد الله فى الطول والعرض .

وروى عن كعب الأحبار أنّه قال : وُجد حجر فى أسفل المقام من أيّام جُرهُم مكتوب فيه : إنّى أنا الله ذو بكّة حرّمتها يوم خلقت السموات والأرض ويوم وضعت هذين الجبلين وحففتها بسبعة أملاك حنفاء من أمّ هذا البيت زائراً عارفاً بحقّى مقرّاً لى بالوحدانيّة حرّمت جسده عن النار .

وروى عن ابن عبّاس قال : قال رسول الله ﷺ : كأنّى أنظر إلى أسود أفحج ينقضها حجراً حجراً يعنى الكعبة ، (٨٤) انفرد بإخراجه البخارى ، والأفحج المتباعد مابين الفخذين .

ذكر مساحة الأرض ومقدار طولها والعرض

اختلفوا فى مساحة الطول والعرض على أقوال : أحدها : أنّ الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ اثنا عشر ألفاً للسودان وثمانية آلاف للروم وثلاثة آلاف لفارس وألف للعرب ، قال ابن الجوزى : حكاه جدّى فى مصنّفاته كالمنتخب وغيره .

الثانى : أنّها مسيرة خمس مائة عام منها ثلاثمائة عمران ومائتان خراب لاساكن بها ، قاله خالد بن مضرس .

الثالث : أنّ طولها أربع مائة سنة وعرضها مائتى سنة ، قاله مجاهد .

الرابع : أنّ طولها وعرضها مسيرة ثلاثمائة سنة، العمران مائة سنة والخراب مائة سنة والبحار مائة سنة ، قاله حسّان بن عطيّة .

(٨) المعجم المفهرس ٥ / ٧٩ ؛ صحيح البخارى ١ / ٢٧٨ ، الحج ، باب ٤٩ : كأنى به أسود أفحج يقلعها حجراً حجراً (١١) مأخوذ من مرآة الزمان ٩ ب ، ١٤

الخامس : أنّها ستّة وثلاثون ألف فرسخ فى مثلها ، فالهند والسند اثنا عشر ألف فرسخ ، وهم ولد سام بن نوح عليه السلام ، والصين ثمانية آلاف فرسخ ، والروم عشرة آلاف فرسخ، والعرب أربعة آلاف فرسخ، وفيما بين ذلك ألفان ، قاله السّدّى .

والسادس : أنّ مقدار الدنيا ثلاثين ألف فرسخ ثلث هواء وثلث بحار وثلث للناس والدوابّ قاله مغيث بن سمىّ ، وقال فى جغرافيا : الهند والصين والمشرق خمسون ألف فرسخ ، ومن حدود الهند إلى العراق أربع مائة فرسخ ، ومحل روميّة الروم ثلاث آلاف فرسخ ، وقد ذكره الفزارى .

وقال مقاتل : ما العمارة فى الخراب إلّا مثل الفسطاط فى الصحراء ، وقال أبو الحسن ابن المنادى : لاخلاف أنّ الأرض على هيئة الكرة وهى موضوعة فى جوف الفلك كالمحّة فى البيضة والنسيم محيط بها كالبياض من المحّة والفلك محيط بالنسيم كإحاطة القشر بالبياض وهى مقسومة بنصفين (٨٥) وبينهما بخطّ الاستواء وهو من المشرق إلى المغرب وهو طول الأرض .

وأمّا عرضها فمن القطب الجنوبى إلى القطب الشمالى ثلاثمائة وستّون درجة الدرجة خمسة وعشرون فرسخاً والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع وهو أربعة آلاف خطوة بخطوة البعير وهو ثلاثة أميال والذراع أربعة وعشرون أصبعاً والأصبع ستّ شعيرات كلّ شعيرة ستّ شعرات من شعر البرذون ، قلت : وهذا الذراع قدّره المأمون بمحضر من المهندسين والحُسّاب ، وهو بين الطويل والقصير دون ذراع التجّار والذراع الهاشمى ، فعلى هذا التقدير يكون عرض ما بين القطبين تسعة آلاف فرسخ وقد أشار إلى هذا ابن خرداذبه فى المسالك والممالك .

---

(٢) سام : حام مرآة الزمان (١٢) بخط : خط مرآة الزمان (٢٠) المسالك ؛

وأمّا جغرافيا : ذكر فيه بطلميوس طول الأرض وعرضها وجبالها وبحارها وأنهارها ومدنها وجميع مافيها فنقله المأمون إلى العربيّة

وقال كعب الأحبار : وجدت فى التوراة أنّ الدنيا مثل نسر : فالشام رأسه ٣ والروم صدره والمشرق والعرب جناحاه واليمن ذنبه ولا يزال الناس بخير ما لم تقرع الرأس فإذا قرع الرأس هلك الناس .

وقال ابن حوقل : ما بين يأجوج ومأجوج إلى ناحية البحر المحيط فى الشمال ٦ برارى وقفار وليس فيها عمارة ولا نبات لشدّة البرد بها .

قلت : وسببه انحراف الشمس عن القطر الشمالى وكذا ما بين البحر المحيط والسودان برارى لا شىء فيها لشدّة الحرّ بها ، وسببه ميل الشمس إلى ناحية ٩ الجنوب ، ولنذكر الآن العامر من الأرض وقسمته سبعة أقاليم .

ذكر الأقاليم السبع وهى المعمور من الأرض

قال صاحب جغرافيا : الدنيا سبعة أقاليم كلّ إقليم تسعمائة فرسخ فى مثلها ١٢ والبحر الأعظم محيط بها ، وجبل قاف وراء البحر ، وأطراف السماء (٨٦) عليه كأطراف الخيمة على وجه الأرض ، وإنّ خضرة السماء من لونه ولبعد السماء من مسافة الأرض تبين أنّها زرقاء ، ثم إنّه رتّب الأقاليم فقال : أوّلها إقليم الهند ، ١٥ ثم إقليم الحجاز ، ثم إقليم مصر ، ثم إقليم بابل ، ثم إقليم الروم ، ثم إقليم الترك ، ثم إقليم الصين .

---

(٦) صورة الأرض ١٢ / ١٩ – ٢١ (١١) مأخوذ من مرآة الزمان ١٠ آ ، – ٧

ذكر إقليم الهند : الأول

يبتدىء الإقليم المذكور أوّله من المشرق من أقصى بلاد الصين فيمرّ على بلاد
٣ الهند ثم على ساحل بحر السند إلى ناحية الجنوب فيمرّ على عمان ثم على اليمن وظفار
وحضرموت وعان وصنعاء وتبالة إلى جزيرة العرب فيأتى عليها ثم يقطع بحر القلزم
ويمرّ على بلاد الحبشة ويقطع نيل مصر ويمرّ على مدينة الحبشة وتسمّى جَرْمى
٦ وعلى مدينة النوبة وتسمّى دوقلة ثم يمرّ على أرض المغرب على جنوب بلاد البربر
إلى أن ينتهى إلى بحر المغرب الكبير ، وهذا الإقليم صحيح الهواء ، يورث صحّة
الأجسام والحكمة ، قال أبو معشر: وله من البروج : الجدى ومن النجوم زحل .
٩ وأمّا جزيرة العرب فاختلفوا فيها فقال الجوهرى : إنّ أبا عبيدة يقول :
جزيرة العرب ما بين رمل سرن إلى منقطع السماوة ، وقال الأصمعى : هى ما بين
نجران والعُذَيب يعنى نجران اليمن ، قال : وإنما سمّيت جزيرة العرب لإحاطة
١٢ البحر بها من كل مكان ، فجعل حدّها من المغرب بحر القلزم ومن المشرق الفرات
لأنّها تمرّ على أرض الكوفة وتصبّ فى البحر .

قال ابن الجوزى رحمه الله : وجزيرة العرب هى أرض العرب وهى عشرية
١٥ وقد <حدّها> أصحابنا فقالوا: هى ما بين العُذَيب إلى أقصى حجرا باليمن ومهرة
إلى حدّ الشام ، وبعض الفقهاء يقول : حَجَر بفتح الجيم ، وهو خطأ ، والصحيح
بإسكان (٨٧) الجيم : قصبة اليمامة .

---

(١) مأخوذ من مرآة الزمان ١٠ ب ، ٢ (٤) عان: عدن مرآة الزمان
(٦) دوقلة : دونقلة مرآة الزمان (٩) الصحاح ٢ / ٦١٣ آ
(١٠) رمل سرن : رمل يبرين الصحاح
(١٥) حدها : مرآة الزمان || حجرا : الحجر ، تحريف

ذكر إقليم الحجاز : الثانى

يبتدىء من المشرق على بلاد الصين ثم يمرّ على بلاد الهند ثم على السند وفيه
مدينة السكانور ويقال لها الفنصورى ثم على الدَّيبُل ثم على البحر الأخضر ويقطع ٣
جزيرة العرب فى أرض نجد وتهامة وفيه اليمامة والبحرين وهجر ويثرب ومكّة
والطائف وجدّة ، ثم يقطع بحر القلزم ويمرّ بصعيد مصر فيقطع النيل ويمرّ على
أسوان وإخميم ، ثم يمتدّ على أرض المغرب على وسط بلاد إفريقية ثم يمرّ على بلاد ٦
البربر وينتهى إلى البحر المحيط .

وقال الجوهرى : الحجاز بلاد وسمّيت بذلك لأنّها حجزت بين نجد والغور ،
وقال الأصمعى رحمه الله : إنّما سمّيت بذلك لأنّ جبل الشراة يقبل من قعر اليمن ٩
حتى يبلغ أطراف الشام فسمّته العرب حجازاً لأنّه حجز بين الغور وما دونه من
شرقيّة نجد ، وروى عن الأصمعى أيضاً أنّه قال : إنّما سمّى الحجاز لأنّه احتجز
بالحرار الخمس حرّة بنى سليم وحرّة واقم ولم يذكر الباقيات ، قال أبو معشر : ١٢
ولإقليم الحجاز من البروج : العقرب ومن النجوم المرّيخ ، والله أعلم .

ذكر إقليم الشام : الثالث

يبتدئ من المشرق فيمرّ على بلاد الصين ، ثم على بلاد الهند ، ثم على شمالى ١٥
بلاد السند ، ثم على بلاد كابل وسجستان ، ثم على سواحل بحر البصرة وفيه
مدينة اصطخر وسبا ونيسابور وشيراز وسيراف، ثم يمرّ على كور الأهواز والبصرة
وبغداد والكوفة والأنبار وهيت ، ثم يمرّ على بلاد الشام : حمص ودمشق وصور ١٨
وعكّا وطبريّة وعسقلان وغزّة والقدس (٨٨) والرملة ، ثم يقطع أسفل مصر ويمرّ

---

(١) مأخوذ من مرآة الزمان ١٠ ب ، ــ ١٢ (٨) الصحاح ٢ / ٦٢٣ ٨٦٩
(١٤) مأخوذ من مرآة الزمان ١٠ ب ، ــ ٢

على تنّيس ودمياط والفسطاط مع الفيّوم والإسكندريّة ، ثم يرد على بلاد المغرب ويدخل فى سبتة حتى ينتهى إلى البحر الكبير ، قال أبو معشر : وله من البروج
٣ الجوزاء ومن النجوم عطارد ، وهواءه غليظ يورث الصفار مرض من يسكنه من المغرب أكثره الاستسقاء والبطن ، والغالب على الشام الدم ، وحدّه من العريش إلى الفرات .

٦ ذكر إقليم العراق : الرابع

يبتدىء من المشرق فيمرّ على بلاد التُبّت ، ثم على خراسان وفرغانة وسمرقند وبلخ وبخارا وهراة ومرو وسرخس وطبرستان وطوس وجرجان وقومس وقزوين
٩ والريّ وإصبهان وقم وقاشان وهمذان ونهاوند والدينور وحلوان وشهرزور وسرّ من رأى والموصل وحرّان والرقّة وقرقسيا ، ثم يمرّ على حلب وقنسرين وأنطاكية والمصيصة وأدنة وعمورية وطرسوس ، ثم يمرّ فى البحر على جزيرة قبرص ثم يمرّ
١٢ على بلاد طنجة وما والاها من المغرب ، ثم ينتهى إلى البحر الكبير ، قالوا : وله من البروج القوس ومن النجوم المشترى ، وقال الخليل بن أحمد : هذا إقليم بابل وإنما سمّى بذلك لأنّ الألسن تبلبلت بها ومدينتها بناها يرد بن مهابيل حسبما
١٥ نذكر إن شاء الله ، واختلفوا فى حدّ أرض بابل على أقوال: أحدها أنّها الكوفة وسوادها ، قاله ابن مسعود ، والثانى : من نصيبين إلى رأس العين ، قاله قتادة ، والثالث : أنّها أرض الحلّة ، والأوّل أصحّ .

---

(٦) مأخوذ من مرآة الزمان ١١ آ ، ـ ٩ (١٤) مهابيل : مهلائيل مرآة الزمان

ذكر إقليم الروم : الخامس

يبتدىء من المشرق من بلاد يأجوج ومأجوج ثم يمرّ على شمال حرّان، وفيه من المدن: خوارزم والشاس وآذربيجان وأرمينية، ثم يمرّ على (٨٩) بلاد الروم بأسرها ويقطع البحر إلى رومية الكبرى وجزيرة الأندلس ، ثم ينتهي إلى بحر المغرب ، قالوا : وله من البروج الدلو ومن النجوم القمر .

ذكر إقليم الترك : السادس

يبتدىء من المشرق ويمرّ على يأجوج ومأجوج ، ثم يمرّ على القسطنطينيّة ، ثم ينتهي إلى بلاد المغرب ، وله من البروج السرطان، وله القمر .

ذكر إقليم الصين : السابع

يبتدىء من المشرق على شمال بلاد يأجوج ومأجوج، ثم يمرّ على بلاد الترك، ثم على ساحل بحر جرجان ، ثم يقطع بحر الروم ويمرّ على بلاد الصقالبة والفنحاق، ثم على بلاد البغلرا و باشقرد وما والاها ، وله من البروج الأسد ومن النجوم الشمس .

قال أبو معشر : أعمر هذه الأقاليم وأكثرها خيراً وأحسنها استقامةً وسياسةً أربعة أقاليم . وهم : بابل ، والهند ، والحجاز ، ومصر ، قال : فأمّا بابل : فيقال مملكة إيران شهر ، وكانت الفرس تقدّمه على جميع الأقاليم ومنزلته من العالم بمنزلة القلب من الجسد ، والواسطة من العقد ، والشمس من الكواكب ، وقال

(١) مأخوذ من مرآة الزمان ١١ ب ، ١

(٥) القمر : فى الهامش : لعله زحل : وقيل زحل مرآة الزمان

(٦) مأخوذ من مرآة الزمان ١١ ب ، ٥

(٨) وله القمر : وله من النجوم المريخ وقيل القمر مرآة الزمان

(٩) مأخوذ من مرآة الزمان ١١ ب ، ٨ (١٢) البلغرا : البلغار ، تحريف

(١٤) مأخوذ من مرآة الزمان ١١ ب ، ١١

بطلميوس : إنّ الهند رسمت الأقاليم كأنّها حلقة مستديرة فأوسطها إقليم بابل ،
والأقاليم حوله وهذه صورته :
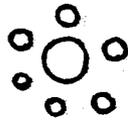
وهذه الدائرة أخذتُها من جغرافيا .

وذكرها الخطيب فى تأريخه وزاد عليها فقال : ذكر علماء الأوائل أنّ أقاليم
الأرض سبعة وأنّ الهند رسمتها فجعلت إقليم بابل وسطها على هذه الصورة ، المحدقة
بالدائرة الوسطاء وقرب بعضها من بعض وبعد بعضها من بعض كما رسمناه ، قال
الخطيب : فالإقليم الأوّل : إقليم الهند ، والثانى : إقليم الحجاز ، والثالث : إقليم
مصر ، (٩٠) والشام داخل فيه ، والرابع : إقليم بابل ، وهو إقليم العراق وهو
أعمرها وأوسطها وفيه جزيرة العرب وهو سرة الدنيا ، قال : وحدّ هذا الإقليم
ممّا يلى الحجاز وأرض نجد التغلبيّة من طريق مكّة ، وحدّه ممّا يلى الشام وراء
مدينة نصيبين من ديار ربيعة بثلاثة عشر فرسخ ، وحدّه ممّا يلى أرض خراسان
وراء نهر بلخ ، وحدّه ممّا يلى أرض الهند خلف الدَّيْبُل بستة فراسخ ، قال :
وبغداد وسط هذا الإقليم ، قال : والإقليم الخامس : بلاد الروم ، وقال قوم :
إنّ الشام داخل فيه ، قال: والإقليم السادس: بلاد الترك ، والسابع : بلاد الصين،
قال: ومنهم من يفضّل إقليم الصين على الجميع ويقول: هو أعدل الأقاليم وأصحّها،
قال أبو معشر : ويأجوج ومأجوج فى ناحية الشمال لهم جبال منيفة يصعد الصاعد
إلى رأس الجبـل فى عشرة أيّام وأكثر ، وتحمل غلالهم على المعز ، قلت :
وسأذكر من خبرهم فصلًا جيّداً فى مكانه الائق به إن شاء الله تعالى .

---

(٤) تأريخ بغداد ١ / ٢٢ (١٨) الائق : اللائق

ذكر البلدان وما فيها من السكّان

ذكر علماء الهيئة : إنّ المسكون من الأرض < على > تفاوت أخطاره وبعد أقطاره مقسوم بين سبع أمم ، وهم : أهل الصين ، والهند ، والسند ، والروم ، والفرس ، والترك ، والعرب .

قلت : ولم يذكر صاحب هذا النقل السودان وهم أعظم هذه الأمم كثرةً ولعلّهم داخلين فى قوله السند وبعيد ما بينهم .

قال : وروى بطلميوس أنّه أحصى مدن الدنيا فى زمانه فكانت أربعة آلاف مدينة ومائتى مدينة ، وذكر خالد بن عبدالله المروزى أنّ مدن الدنيا ثمانية آلاف مدينة ، ففى الصين ألف مدينة ، وفى الهند ألف مدينة ، وفى الزنج والحبشة والنوبة ألف مدينة (٩١) وباقى المدن مفرّقة فى الأقاليم .

وقال الحسن البصرى رحمه الله : الأمصار المعتبرة فى الإسلام سبعة : مكّة والمدينة والبصرة والكوفة والجزيرة والشأم ومصر وسواد البصرة والأهواز وفارس داخل فى الجملة .

فأمّا المشهور من المدن فنبتدئ بذكر مدائن المشرق فنقول : المنصورة : بالفاء ، وهى من مدائن الصين وإلى كافورها المنتهى ، ويمتدّ رستاقها على البحر شهرين ، وقال الأصمعى رحمه الله : إنّما سمّيت الصين بصين ابن نعبر نزلها وكثر نسله بها فسمّيت به ، وسأذكر ذلك فى موضعه عند ذكرنا لتفرّق الأمم بعد الطوفان إن شاء الله تعالى .

قال : وحدّها من الهند إلى التّبت وجزائر الوقواق فيها ، وقال بطلميوس :

(١) مأخوذ من مرآة الزمان ١٢ آ ، ٤ (٢) على : مرآة الزمان
(٧) المسالك ٥ ، ٤ (٨) المروزى : المروروذى مروج الذهب ٦ / ٢٩٨
(١٤) مأخوذ من مرآة الزمان ١٢ آ ، ١٢

من دخل بلاد الصين لم يهنىء عليه الخروج منها لاعتدال هوائها ورقّة مائها وكثرة خيرها والذهب والفضّة ، ولا يزال الإنسان فيها مسروراً طرباً .

٣ وقال فى جغرافيا : وفى بلاد الصين أنهار كبار مثل دجلة والفرات تجرى من بلاد الترك والتبّت والصغد ، وفيها جبال النشادر يرتفع منها فى الصيف نيران ترى من مائة فرسخ فى الليل وفى النهار يرى دخان لغلبة شعاع الشمس ، وأكثر

٦ سلوك الناس إلى مدينة الفنصورة ، والصين من ناحية خراسان إلى أوّل أعمال الصين نحو من أربعين يوماً وقيل أربعة أشهر وهناك جبل الصغد .

وقال المسعودى فى مروج الذهب وذكر هذه الجبال النشادر وأطنب

٩ فى ذكرها وأن يمكن الدخول إلى الفنصورة من طريق جبال النشادر ، لكن فى الشتاء من الزمان ، وهناك أناس من أهل تلك الديار وعندهم دوابّ فره معتادة لسلوك تلك الأرض وأنّ التجّار يقصدون تلك الطريق لقرب المسافة فإنّهم

١٢ يقطعون تلك الجبال فى أربعة أيّام لكن ليلًا ونهاراً لا ينزلون ولا يستريحون بل لايزالون (٩٢) يضربون أكفال تلك الدوابّ ويحثّونهم على السير ويسرعون فيه حتّى يقطعون مسافة تلك الجبال، ومن انقطع من بنى آدم أو من الدوابّ هلك

١٥ ولا يجد له خلاص ، ولهم على ذلك الأجرة الوافرة من التجّار السالكين بهم فيصلون إلى هذه المدينة وغيرها من أعمال الصين فى تلك المسافة القريبة ويتوفّر عليهم تلك المسافة البعيدة .

١٨ ومن مدن الصين مدينة ثِبُتْ: قال الأصمعى رحمه الله : أصلها ثبت بالثاء المثلثة وفتحها وتحريك الباء وإسكان التاء ، وكانت التبابعة وهم ملوك حمير باليمن

---

(٤) النشادر : نوشاذر مروج الذهب ١ / ١٨٥ مادة ٣٨٣ ـ ٣٨٥

(٨) قارن (٤) (١٨) مأخوذ من مرآة الزمان ١٢ آ ، ـ ٦

لمّا طافوا الدنيا وصلوا إلى هذه الأرض ورتّبوا على تلك الحدود رجالًا مخافة العدوّ فثبتوا هناك فقال الناس: ثبت ، ثم طال العهد فجعلوا موضع الثاء المثلثة تاء مثنّاة، قلت : وهذا تفاوت يسير فيما أبدلته العالم وصحّفوه . ٣

قال : والمسك التبّتي يُنسَب إلى هذه الأرض ، قال: وهو من صرار غزلان تلك البقعة ، وهم كغزلان سائر الدنيا وإنّما لهم نابان خارجان من فكّيهما كأنبية الأفيلة ، ويتكوّن هذا المسك من دم يعقد فى صرارة كالدمل فإذا انتهى حصل له ٦ تآكل فيأتى إلى رؤس الأحجار المحدّدة فتحتك بها فتنفجر عليها وتسيل على تلك الأحجار فيخرجون أهل تلك الديار فيجمعون ما يجدون منه فى البرانى الصينى ويهدونه لملوكهم ورؤسائهم لأنّه أجود ما يكون من المسك ، وأمّا ما عداه فإنّهم ٩ يصيدون تلك الضباء ويأخذون صرارهم بنوافجها ولم تكن بعد انتهت فيه الموادّ فيكون فى ذلك زهوكة ، هذا جميعه ما ذكره المسعودى فى كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر ، وذكر فى ذلك كلام كثير هـــذا زبدته ، وما أحسن ما قال ١٢ أبو الطيّب المتنبّي (من الوافر) :

فإنْ تَفُق الأنامَ وأنت منهم فإنّ المسك بعض دم الغزالِ

قال : والذى فعل ذلك وأقام الحرس بهذه الأرض تبّع الأوّل ، وسيأتى ١٥ ذكره (٩٣) فى جملة التبابعة إن شاء الله تعالى ، وكان ملوك الثبت فى قديم الزمان يسمّون التبابعة تبعاً لاسم تبعاً فلمّا طال الزمان وحال العهد وانقرضوا سمّوا ملوكهم خاقان . ١٨

وقال بطلميوس : من خاصّيّة بلاد الثبت والصين : إنّ الإنسان لا يعرف فيها

---

(١٠) الضباء: الظباء (١١) قارن مروج الذهب ١/١٨٨ـ ١٨٩ ، مادة ٣٩١ ـ ٣٩٤
(١٤) ديوان المتنبى ٣٩٤ ، ـ ٣ ، رقم ١٦٥ ؛ البيت ٤٥
(١٥) قال : سبط بن الجوزى

الهمّ والغمّ ولو مات جميع من للإنسان لم يحزن عليه ولا يكاد يرى فيه شيخ ولا عجوز إلّا الشباب والكهول ، وسنذكر من ذلك فصلًا جيّداً عند ذكرنا لبدء
٣ خروج التتار وأصول الترك الأُوَل .

وأمّا ما ذكر من مدائن الهند ، فقال فى جغرافيا : ومن مدائن الهند ساملى ، وموربن ، وخالون ، ومهنديار ، وقشمير ، وأقربها إلى بلاد الإسلام غزنة وكان
٦ تحت يد ملكها ألف فيل .

وقد ذكر أيضاً المسعودى من أخبار هذه الأفيلة بتلك البلاد جملة كبيرة ، وذكر أنّ فيها أفيلة حربيّة ويكون عليها فى وقت حربهم من آلات السلاح
٩ خمس مائة رطل حديد على كلّ فيل منها وحوله من سوّاسه المقاتلين به والمشجعين له خمس مائة رجل وضريبه كلّ فيل حربى إذا كان بهذه العدّة ، والعدّة أن يلقى ألف فارس ويهزمهم ، قال : ومنهم أفيلة لايصلحون للحرب فيستعملونها كما
١٢ تستعمل الأبقار فى الحرث والدراس وما أشبه ذلك .

ونقل المسعودى عن الجاحظ أنّه ذكر فى كتابه المعروف بكتاب الحيوان أنّ الكركدنّ تحمل به أمّه سبع سنين وأنّها فى العام الذى يكون فيه وضعها تأتى
١٥ إلى الأماكن المخصبة من مآكلهم فترقد ويخرج الجنى رأسه من فرجها ويرعى ثمّ يجوز برأسه فيستمرّ كذلك إلى حين ما تضعه ، ورأيت المسعودى قد أنكر ذلك واستبشعه وأخذ على أبى عمر الجاحظ فى هذه الرواية ، قلت : أمّا الجاحظ
١٨ رحمه الله ، فطويل الباع فى عدّة فنون وهو ثقة ، وروى ذلك فى كتابه أنّه سمعه

---

(٤) مأخوذ من مرآة الزمان ١٢ ب ، ٣
(٧) مروج الذهب ١ / ٢٠٠ ، مادة ٤٢١ ـ ٤٢٢
(١٣) قارن مروج الذهب ٢ / ١٢١ مادة ٨٦٣ ـ ٨٦٥ ؛ كتاب الحيوان ٧ /٣٤٨
(١٧) عمر : عثمان

سماع لا أنّه أجزم (٩٤) جزم مرأى العين فوا عجبا لمن يأخذ على غيره ولا ينظر لنفسه .

وقال الأصمعى رحمه الله : ألذّ مدائن الشرق خراسان ، نيسابور ، وهراة ، وبلخ ، وهى من بناء الإسكندر ، قال : ومعنى خراسان مطلع الشمس بالفارسيّة ، وقيل إنّ هراة بناها الضحاك ، ومدينة خراسان ومرو بناها لُهْراسْف . ٣

وقال النضر بن شميل : أوّل مدن خراسان : الرىّ وهى آخِر الجبال منها . ومدينة مرو دار خلافة المأمون ومنها خرج أبو مسلم صاحب الدعوة العبّاسيّة ، والنسبة إليها مروزى ، ومن وراء النهر : كابل مدينة عظيمة وفيها الإهليلج الكابلى ، وفرغانة مدينة الصغد ، وهم رماة الحدق ، إذا مات لهم كبير قطعوا آذانهم احتراماً له . ٦ ٩

قال : وأنشد ابن دريد لنفسه ، وكان قد اشتاق إلى خراسان فلمّا دخلها لم تعجبه قال (من الوافر) : ١٢

تمنّينا <خراسانا> زماناً فلم نُعط المنى والصبْرَ عنها
فلما أن حللناها سراعاً وجدناها بحذف النصف منها

وأمّا مدائن العراق : مدينة بابل : بناها نمرود بن كنعان ومكانها معروف وقد ذكرها الله تعالى : « وما أنزل على الملكين ببابل » ، الآية ، وقال الجوهرى : بابل اسم موضع بالعراق ينسب إليه السحر والخمر ولا ينصرف لتأنيثه ، وقد أكثرت فيه الشعراء القول ، قال ابن الجوزى رحمه الله : حكى لى جماعة من ١٥ ١٨

---

(١٣) لا يوجد الشعر فى ديوانه
(١٥) مأخوذ من مرآة الزمان ١٣ آ ، ـ ١٢
(١٦) القرآن الكريم ٢ / ١٠٢ || الصحاح ٤ / ٦٣٠

مشائخنا عن البلخى الواعظ أنّه كان يعظ بالنضاميّة وبدت منه حركات أوجبت إخراجه من بغداد .

٣ ومنها الأنبار : وهى مدينة قديمة وقد ذكرها الجوهرى .

وروى عن ابن عبّاس قال : كتب عمر بن الخطّاب رضى الله عنه إلى كعب الأحبار يقول : اختر لى المنازل : فكتب إليه : يا أمير المؤمنين بلغنا أنّ

٦ الأشياء اجتمعت فقال السخاء : أريد اليمن ، فقال حسن الخلق : وأنا معك ، (٩٥) وقال الجفاء : أريد الحجاز ، فقال الفقر : وأنا معك ، وقال البأس : أريد الشام ، فقال السيف : وأنا معك ، وقال الغناء : أريد مصر ، فقال الذلّ : وأنا

٩ معك ، فاختر لنفسك : ورد الكتاب إلى عمر قال : فالعراق إذاً فالعراق إذاً .

وأمّا مدينة النبيّ ﷺ فهى يثرب ، وقال هشام بن الكلبى رحمه الله : لمّا أهلك الله قوم عاد تفرّقت القبائل فنزل قوم بمكّة وقوم بالطائف وسار يثرب بن

١٢ بهديل بن أثرم بن عثيل وقومه فنزلوا موضع المدينة ، فاستخرجوا العيون وغرسوا النخيل وأقاموا زماناً فأفسدوا فأهلكهم الله ويبست تلك النخيل وغارت تلك العيون حتى مرّ بها تبّع فبناها .

١٥ وأمّا مدائن اليمن ، فمنها صنعاء : قال الجوهرى : صنعاء ممدودٌ : قصبة اليمن ، ومدينة حضرموت من مدن اليمن القديمة وكذلك قطام من مدن اليمن أيضاً ، وكذلك ظفار مثل قطام مدينة باليمن ، وكذلك من مدنها الكبار عدن

١٨ وزَبيد مع مدن كثيرة أضربنا عن ذكرها طلباً للاختصار ، وسيأتى أيضاً من ذكر ذلك نتفاً عند ذكرنا لملوك حمير .

---

(١) بالنضامية: بالنظامية (٣) مأخوذ من مرآة الزمان ١٣ آ ، ٢-٢ || الصحاح ٢/٨٢٢ آ
(٤) مأخوذ من مرآة الزمان ١٣ آ ، ٣ (١٠) مأخوذ من مرآة الزمان ١٣ ب ، ٧
(١٥) مأخوذ من مرآة الزمان ١٣ب ، ١ || الصحاح ٣ / ١٢٤٦ ب

وأمّا مدائن الجزيرة ، قال الجوهرى : والموصل بلد ، واختلفوا فى ذكرها وتسميتها بذلك على قولين : أحدهما لأنّها وصلت مابين دجلة والفرات ، والثانى لأنّه كان فى موضعها راهب طليعة للفرس يوصل إليهم أخبار الروم ، ولا تقال ٣ بغير الألف والام ، ومن مستطرف الحكايات قيل : لقى رجل لرجل فسأله : من أين أتيت وإلى أين تريد ؟ فقال : أتيت من البغداد وأنا أريد موصل فهل لك من حاجة ؟ قال نعم ! واحدة ، قال : وما هى ؟ قال : تأخذ الألف واللام من ٦ بغداد وتوصلها الموصل !

ومن شرقىّ الموصل المدينة العظيمة نينوى ، وهى مدينة يونس عليه السلام وسنذكرها . ٩

(٩٦)ومنها نصيبين، وهىقديمة ، وذكرها الجوهرى فقال:ونصيبين بلد بالعراق وللعرب فيه مذهبان : منهم من يجعل اسماً واحداً ويعرّبه فيقول : هذه نصيبين ورأيت نصيبين ومنهم من يجريه مجرى الجمع : هذه نصيبون ومررت بنصيبين . ١٢

ومنها ميافارقين : أعجمى معرّب ، وقد نطقت به العرب وهى أيضاً من المدن المعروفة .

وآمد : من المدن القديمة ولم تتكلّم بها العرب وقيل تكلّمت بها . ١٥

وحرّان ، قال الجوهرى : وحرّان اسم بلد ، قال ابن الكلبى : لما خرج نوح عليه السلام من السفينة بناها ، وقيل إنّما بناها هاران خال يعقوب عليه السلام فأبدل العرب الهاء حاء ، وكان بها معبد اليونان . ١٨

---

(١) مأخوذ من مرآة الزمان ١٣ ب ، - ١١ || الصحاح ٥ / ١٨٤٣ آ
(٤) الام : اللام (١٠) الصحاح ١ / ٢٢٥ ب (١٦) الصحاح ٥ / ٢٠٩٨ آ

وأمّا مدائن الشام والسواحِل فمنها : حلب : وقد ذكرها الجوهرى فقال :
وحلب مدينة بالشام .

٣ وقال أبو الحسين ابن المنادى : الشامات خمس كور ، الأولى : قنّسرين ،
ومدينتها العظمى حلب ، وقنّسرين أقدم منها ، وبينهما أربع فراسخ ، وفيها آثار
الخليل عليه السلام ومقامه ، وقد نزلها أكابر الملوك كبنى حمدان وغيرهم .

٦ قال : ومن رستاقها مَنْبِج ، وهى مدينة قــديمة وذكرها الجوهرى فقال :
ومنبج اسم موضع .

وفى ساحل حلب مدن كثيرة منها : أنطاكية ، ذكرها ابن الجواليقى رحمه
٩ الله فى المعرّب ، واختلفوا فى بانيها ، فقال قوم : بناها ازطحش أوّل ملوك اليونان
وصيّرها دار ملـكه وحشد إليها الحكماء وأصحاب الرصد وأخذ الطوالع منها
ومسافة سـورها اثنا عشر ميلًا وعدّة أبراجها مائة وستّة وثلاثون برجاً وعدد
١٢ شرّافاتها أربع وعشرون ألفًا ، وهذا السور فى السهل والجبل ، وقال أبو معشر :
بنيت بعد الإسكندر الثانى بمائة سنة ، والنصارى تسمّيها : دار الله لأنّ النصرانيّة
ظهرت منها بعد ما دثرت ، وسيأتى من ذكرها من مبتدئها إلى حين (٩٧)
١٥ افتتحها السلطان الشهيد الملك الظاهر ركن الدنيا والدين بيبرس البندقدارى ـ
تغمّده الله برحمته ـ الثالث من ملوك الترك بالديار المصريّة وما معها واستقرّت
دار إسلام إلى حين تسطير هـذا التأريخ المبارك لازالت ديار الفجرة الـكفّار
١٨ بأيدى البررة الأخيار من سائر الأقطار إلى يوم العرض بين يدى الملك القهّار .

---

(١) مأخوذ من مرآة الزمان ١٣ ب ، ـ ٣ || الصحاح ١ / ١١٥ ب
(٦) الصحاح ١ / ٣٤٣ آ
(٨) المعرب ٢٥ ، ٦ (٩) أزطحش: انطيخس ؛ قارن مروج الذهب ٢/٢٥ مادة ٧٠٤

وأمّا الشام الثانية: فهى حمص وأعمالها ، وكانت مركز الملوك من الروم وكان زيتونها وقنواتها متّصلة بتَدمُر وبعلبك ، ومن سواحلها طرابلس وما والاها ، وسنذكرها عندما فتحها السلطان الشهيد الملك المنصور قلاوون الألفى الصالحى ٣ نوّر ‹الله› ضريحه وجعل الجنّة مأواه ، وقد نزلها خلق من الصحابة رضى الله عنهم .

٦ وأمّا الشام الثالثة : وهى الغوطة ومدينتها دمشق ، واختلفوا فى الذى بناها على أقوال ، فمنهم من قال : نوح عليه السلام ، لمّا خرج من السفينة أقام بثمانين مدّة ثم جاء إلى الشام فأشرف من جبال الغـوطة عليها فأعجبته فشرع فى بنائها ٩ واتّخذها داراً وهى أوّل مدينة خُطّت بعد الطوفان .

قال النضر بن شميل ، الثانى : بنو راسب ، وبنى بعدها صُور بالساحل ، قاله مجاهد ، والثالث : عاد بن عوض وإنّها المشار إليها بقوله تعالى : « إرَمَ ذات ١٢ العماد » ، قاله كعب الأحبار ، والرابع : ذو القرنين الإسكندر الأوّل ، لمّا عاد من المشرق صعد على عقبة دُمَّر ومعه غلام اسمه دمشق فرأى المياه ضائعةً فقال له: يادمشق ابنِ هاهنا مدينة ! ورسمها له فبناها ، حكاه أبو القسم ابن عساكر فى تأريخ ١٥ دمشق ، وقال : كان الغلام اسمه دمشقش بزيادة شين ، قال : وكان وادى دمشق كلّه شجر الأرز ، قال أبو القسم : والأرزة التى وقعت فى سنة ثلاثمائة وثلاث عشرة من ذلك الأرز ، وبنى مكان الجامع معبداً لله فلم تزل فيه العبادة من ثَمّ .

١٨ والخامس : (٩٨) غلام الخليل عليه السلام يقال له العازر وهبه له نمرود لمّا خرج من النار سالمًا ، حكاه وهب بن منبّه، السادس: سليمان بن داود عليه السلام،

(١) مأخوذ من مرآة الزمان ١٤ آ ، ١٠
(٦) مأخوذ من مرآة الزمان ١٤ آ ، ١٢ || قارن تأريخ دمشق ١ / ١٠ – ١٦
(١١–١٢) القرآن الكريم ٨٩ / ٧

وبريد وجيرون الذان ينسبان إليهما باب البريد وجيرون هما شيطانان فى قول الحسن
والمدائنى، كانا على عهد سليمان ، وفى قول كعب الأحبار : هما أخوان وأبوهما سعد
٣ ابن لقمان بن عاد .

وقيل : كان موضع جيرون وباب البريد مدينة صغيرة وهما من بعض أبوابها
وإنما سمّى الباب الصغير لأنّه كان أصغر أبوابها لمّا بنيت، وباب كيسان منسوب
٦ إلى كيسان مولى معاوية بن أبى سفيان ، وباب توما ينسب إلى عظيم من
الروم يقال إنّه كان صهر هرقل ملك الروم ، وباب الفراديس منسوب إلى محلّة
كانت فى ظاهره تسمّى الفراديس ويقال إنّها كانت عدّة جنّات فسمّيت به لجمع
٩ فردوس ، وباب الفرج فتحه نور الدين الشهيد تفاؤلًا باسمه وما فتح عليه من
الفتوح ببلاد الفرنج لما نذكره فى موضعه إن شاء الله تعالى، وباب الجابية منسوب
إلى قرية ظاهرة تسمّى الجابية ، وكانت مدينة عظيمة فى الجاهليّة ، وباب السلامة
١٢ سمّته العرب لأنّه لم يكن من جهته قتال فى وقت فتوحها فى خلافة أبى بكر وعمر
رضى الله عنهما لما نذكره أيضاً إن شاء الله تعالى ، وفى السور أبواباً صغاراً تفتح
عند الحاجة إليها .

١٥ وذكر أبو القسم عبيد الله بن عبد الله بن حرداناده : أنّ أصحاب الرسّ
كانوا باليمن فأرسل الله تعالى إليهم حنضلة بن صفوان نبيًّا فقتلوه فسار إليهم عاد
ابن عوض بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام بولده من الرسّ فنزل الأحقاف
١٨ وأهلك الله تعالى أصحاب الرسّ لما سنذكره ، وانتشر ولد عاد فى بلاد اليمن
ثم خرجوا إلى الشام فنزل جيرون بن سعد بن عاد بن عوض دمشق وبنا مدينتها

(١) الذان : اللذان
(١٥) حردا ناده : خرداذبه ، تحريف ؛ القصة ناقصة فى المسالك لكن موجودة فى تأريخ
دمشق ١١ (١٦) حنضلة : حنظلة

وسماها جيرون وهى «إرم ذات العماد »، فبعث الله هود بن عبد الله بن رباح(٩٩)
ابن خالد بن الجلود بن عاد بن عوض نبيًّا إلى قوم عاد بالأحقاف فكذّبوه فأهلكهم
الله تعالى ، وسنذكر ذلك فى قصّة هود عليه السلام إن شاء الله تعالى . ٣

وقال بعض الأوائل : إنّما بنيت على الكواكب السبعة وكان لها سبعة
أبواب على كلّ باب صورة الكوكب المختصّ به، فكان الباب الشرقى للشمس،
وباب توما للزهرة ، وباب السلامة للقمر ، وباب الفراديس لعطارد، وباب الجابية ٦
للمرّيخ ، وباب الصغير للمشترى ، وباب كيسان لزحل . قال الجوهرى : ويقال
إنّ صورة زحل باقية عليه إلى الآن ، ودمشق قصبة الشام ، قال : ودمشق من
صفات النوق . ٩

واختلفوا فى لفظة جِلّق فقال الجوهرى: جِلّقٌ موضع بالشام،وقال ابن الجواليقى :
جلّق يراد به دمشق . وقيل : هو موضع بقرب دمشق وهو أعجمى معرّب ، وقد
جاء فى الشعر الصحيح قول حسّان بن ثابت الأنصارى (من الكامل) : ١٢

لله دَرّ عصابة نادمتها يوماً بجلّق فى الزمان الأوّلِ

ويقال : إنّ صورة امرأة كان الماء يجرى من فيها فى قرية من قرى دمشق .

وقال الهيثم : بنيت دمشق فى خمس مائة سنة وأصل مياهها من عين فى مرج ١٥
الزبدانى عند قرية يقال لها بردا ثم تجتمع من عين الفيجة ، وتنقسم سبعة أنهار
وفى بردا يقول بعض القدماء (من البسيط) :

وما ذكرتُكمُ إلّا وضعتُ يدى على حرارة قلب قلّ ما بَرَدا ١٨
ولا تذكّرتمُ والدمعُ يشرق لى إلّا تحدّر من عينىَّ ما بَرَدا

(٧) الصحاح ٤ / ١٤٧٧ آ (١٠) الصحاح ٤/١٤٥٤ ب (١١) المعرب ١٠١ ، ١
(١٣) ديوان حسان ٧٤ ، رقم ١٣ / ٧ (١٤) إن : إنه مرآة الزمان

وفى رواية عن كعب الأحبار أنّه قال : أوّل حائط وضع على وجه الأرض بعد الطوفان حائط حرّان ودمشق وبابل .

٣

فصل

فى فضل دمشق وما جاء من الأخبار وتبعها من الآثار

(١٠٠) قلت: وقد أخرج مسلم عن النوّاس بن سمعان قال، قال رسول الله ﷺ :

٦ ينزل عيسى بن مريم عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهرودتين واضعاً كفّيه على أجنحة ملكين ، وهو حديث طويل ، والمهرودة : المصبوغة . وقال أحمد بن حنبل رحمه الله : حدّثنا ابن اليمان بإسناده إلى أصحاب رسول الله ﷺ

٩ أنّه قال : ستفتح عليكم الشام فإذا تخيّرتم المنازل منها فعليكم بمدينة يقال لها دمشق فإنّها معقل المسلمين من الملاحم وفسطاطهم بأرض يقال لها الغوطة. قال ابن الجوزى : إلّا أنّ جدّى ضعّف هذا الحديث وذكره فى الأحاديث الواهية .

١٢ وروى عن وهب بن منبّه أنّه قال : بلغنى عن ابن عبّاس أنّه قال : أقدم حائط على وجه الأرض حائط قبلة دمشق وفيه قبر هود عليه السلام، وذكر مجاهد عن ابن عبّاس فى تأويل قوله تعالى : « إرم ذات العماد » : أنّها دمشق ، وروى

١٥ عن ابن عبّاس موقوفاً عليه ومرفوعاً أنّه قال: قد وكّل الله بكلّ بلد ملكاً يحرسه إلّا دمشق فإنّه يتولّاها بنفسه ، والموقوف أصحّ .

وأمّا الآثار فروى وهب بن منبّه ، قال : كان الخضر عليه السلام يطرقها

١٨ وأتاها مرّةً فوجدها بحيرة فغاب خمس مائة سنة ثم أتاها فإذا هى عامرة فغاب عنها خمس مائة سنة أخرى وأتاها فإذا هى بقصبة تأويها السباع ثم غاب عنها خمس مائة

---

(٣) مأخوذ من مرآة الزمان ١٤ ب ، ـ ٤ (٥) صحيح مسلم ٨ / ١٩٨ ، الفتن
(٨) مسند أحمد بن حنبل ٤ / ١٦٠ || ابن : أبى مسند ابن حنبل

سنة ثم عاد إليها فإذا هى عامرة فعل كذلك مرار ، وهذا يدلّ على أنّها قديمة .

وحكى الحافظ ابن عساكر رحمه الله فى تأريخه أنّه كان فى دمشق رجل صالح
وكان يقصده الخضر عليه السلام وذلك فى زمان معاوية بن أبى سفيان ، فبلغ ذلك ٣
معاوية فجاء إلى الرجل وقال له : اجمع بينى وبين الخضر عندك ، قال : نعم ، فجاء
الخضر على عادته فأخبره بما قال معاوية ، فقال : ليس لى إلى ذلك سبيل ، فقال له
معاوية: قل له:قد قعدنا مع من هو خير منك وحدّثناه وخاطبناه وهو محمّد ﷺ! ٦
ولكن اسأله عن ابتداء بناء دمشق (١٠١) كيف كان ، قال : نعم ، وذكر
الحديث المقدّم ذكره .

وذكر الحافظ ابن عساكر أيضاً عن أبى حسين الرازى والد تمام أنّه ذكر ٩
فى تأريخه : أنّ عبد الله بن على بن عبد الله بن عبّاس لمّا حاصر دمشق وهدم
سورها وقع منه حجراً عليه منقوش باليونانى فترجم بالعربيّة ، فكان : ويك
أمّ الجبابرة من رامك بسوء قصمه الله وتلك من خمسة أعين ينقض سورك على ١٢
يديه بعد أربعة آلاف سنة فنظر فإذا هو عبد الله بن على بن عبد الله بن عبّاس
ابن عبد المطّلب ، ففعل بها ما فعل .

وقد ورد أيضاً فى فضائل دمشق أخبار فيها للمحدّثين نظر، فلذلك عديناها، ١٥
وقد ذكرها أبو القسم فى تأريخه ، وليس فيها ما يثبت إلّا النادر ، وذكر أيضاً
أبو القسم فى تأريخه فى أخبار دمشق : أن أبا الفتح المسلم بن هبة الله صنّف
ألف رسالة فى تفضيل دمشق على الدنيا ، وكان فاضلاً رحمه الله ، وهو القائل ١٨
(من الطويل) :

وما ذقتُ طعم الماء إلّا وجدتُه كأنْ ليس بالماء الذى كنتُ أعرفُ
ولا سرّ صدرى مذ تناءت بى النوا أنيسٌ ولا مال ولا متصرّفُ ٢١

(٢) تأريخ دمشق ١ / ١٢ (٨) تأريخ دمشق ١ / ١٥

وما أحضر اللذاتِ إلّا تكلّفًا وأى سرورٍ يقتضيه التكلّفُ

وروى عن كعب الأحبار أنّه رأى رجلًا من أهل الشام فقال : من أين
٣ أنت ؟ فقال: من دمشق ، فقال: أنت من الذين يعرفون فى الجنّة بالثياب الخضر،
وحكى جماعة من مشايخ دمشق أنّ بالغوطة مائة ألف ونيفًا وثلاثين ألف بستان،
وسنذكر أنهارها عند ذكرنا لأنهار الدنيا إن شاء الله تعالى .

٦ وروى عن ابن أبى ديب عن معن بن الوليد عن خالد بن معدان عن معاذ
ابن جبل قال ، قال رسول الله ﷺ : اللهم بارك لنا فى صاعنا ومدنّا وفى شامنا
ويمنّا وفى حجازنا، قال، فقام إليه رجل فقال : يا رسول الله ! وفى (١٠٢) عراقنا!
٩ فأمسك النبىّ ﷺ ، فلمّا كان فى اليوم الثانى قال مثل ذلك ، فقام إليه الرجل
فقال : يا رسول الله ! وفى عراقنا ! فأمسك ، فقام إليه فى اليوم الثالث وقال مثل
ذلك فأمسك عنه فولّى وهو يبكى فدعاه النبىّ ﷺ فقال: أمن أهل العراق أنت؟
١٢ قال : نعم ، قال : إنّ أبى إبراهيم همّ أن يدعو عليهم فأوحى الله إليه : لا تفعل
فإنّى جعلت خزائن علمى فيهم وأسكنت الرحمة قلوبهم .

وقد أكثرت الشعراء فى وصف دمشق ومحاسنها فمنهم أحمد بن منير فقال
١٥ (من البسيط) :

حيِّ الديار على عَلْياء جَيْرونِ مهوى الهواء ومغانى الخرّد العينِ

من أبيات وقد وازنها أبو عبد الله محمّد بن محمّد الملقّب بالعماد الكاتب
١٨ الإصفهانى فقال (من البسيط) :

---

(٦) قارن المعجم المفهرس ١ / ١٧٣ ؛ اللآلىء المصنوعة ١ / ٤٦٥ || ديب : ذؤيب
(١٤) أحمد بن منير : خريدة القصر ، شعراء الشأم ١/٧٦
(١٦) خريدة القصر ، شعراء الشأم ١/٢٥ || حي : حى خريدة القصر || الهواء :
الهوى خريدة القصر

أهدَى النسيم لنا ريّا الرياحينِ ... أم طِيب أخلاقِ جيرانِي بجَيرونِ
هبّت لنا نفحةٌ في جِلّقٍ سَحَراً ... باحت بِسرٍّ من الفردوس مَكنونِ

ومنها : ٣

دمشق عندي لا تحصى فضائلها ... عَدّاً وحَصْراً ويُحصَى رَمْلُ يَبْرينِ
وما أرى بلدةً أخرا تُماثلها ... فالحسنُ من مصر حتى منتهى الصينِ
وإنّ مَن باع كلّ العمر مقتنعاً ... بساعةٍ في ذَراها غيرُ مَغْبونِ ٦
لمّا عَلَتْ هِمّتي صَيّرتُها وَطَني ... وليس يَقْنع غير الدُّون بالدُّونِ
ترى جواسقها في الجوّ شاهقةً ... كأنّهنّ قصورٌ للسلاطينِ
دار النعيم ومن أدنى محاسنها ... ثِمارُ تَمّوزَ في أيّام كانونِ ٩
نعيمُها غير ممنوعٍ لساكنها ... كالخُلد والمَنّ فيها غيرُ ممنونِ
أزهارها أبداً في الروض مُونِقةٌ ... لحسن نيسان مَوْصول بتشرينِ
وللحمائم في الأشجار أدعيَةٌ ... مرفوعة شُفعت مِنّا بتأمينِ ١٢
خافت على الروضِ من عينٍ مُطوّفةٍ ... أضحت تُعوّذه منها بياسينِ
(١٠٣)من كلّ مُطْربِ صوتٍ غيرِ مضطربٍ ... وكلّ مُعْربِ لفظٍ غيرِ مَلْحونِ
وللبساتين أنهار جَداولُها ... تسير فِي الجرْيِ أمثالَ الثعابينِ ١٥

وقال ابن الكلبي رحمه الله : دمشق كورة من كور الشام ومن أعمالها البلقا منسوبة إلى بالق ، وعمّان بالتشديد سمّيت بذلك لأنّ عمّان بن لوط عمرها وأقام بها ، وزغر ومآب باسم ابنتي لوط عليه السلام ، وسمّيت صيدا بصيدون ١٨

---

(١) خريدة القصر ، شعراء الشأم ١ / ٣٠ ، ٥
(٤) خريدة القصر ، شعراء الشأم ١ / ٣١ ، ٦
(٥) فالحسن : في الحسن خريدة القصر
(١٢-١٥) خريدة القصر ، شعراء الشأم ١ / ٣٢ ، ٦
(١٥) تسير : تسابق خريدة القصر

ابن كنعان بن نوح عليه السلام ، وأريحا بأريحا بن مالك بن ارفخشد بن سام
ابن نوح ، وورد أيضاً أنّ مآب بن لوط والربه بنته ، وسمّيت الكسوة لأنّ
٣ رسل ملك الروم باتوا بها فسرقت ثيابهم فأصبحوا عراة وقيل لأنّ غسّان قتلهم
واقتسمت ثيابهم وكساها أصحابه فسمّيت بذلك .

قال : وصور وعكّا من أعمال دمشق ، وقال الجوهرى : عكّه بالماء من أعمال
٦ دمشق وهى بلد بالثغور ، وصور من صار إذا مال وهى مائلة فى البحر .

ومنها الرَبْوة كان عيسى عليه السلام وأمّه يأويان إليها ومنه قوله تعالى :
« وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين » ، الآية ، ومنها قاسيون وسنذكره فى
٩ الجبال إن شاء الله تعالى .

وبظاهر دمشق أماكن مباركة منها مقبرة باب الفراديس كان كعب
الأحبار يقول : يبعث الله منها سبعين ألف شهيد يشفعون فى سبعين ألف إنسان ،
١٢ وقال كعب الأحبار : بطرسوس عشرة قبور من قبور الأنبياء وبالمصيصة خمسة
وبأنطاكية قبر حبيب النجار ، وسنذكره ، وبحمص ثلاثون نبيّاً وبدمشق خمس
مائة وبالسواحل ألف نبى وببيت المقدس ألف نبىّ وبالعريش عشرة ، وروى
١٥ مكحول عن ابن عبّاس قال : من أراد ينظر إلى قبور الأنبياء فعليه بالشام .

قلت : وقد ذكر أبو القسم ابن عساكر رحمه الله فى تأريخه جملة جيّدة فى
أماكن بظاهر دمشق (١٠٤) منها قرية برزة فروى بإسناده إلى ابن عبّاس قال:
١٨ ولد إبراهيم الخليل فى غوطة دمشق بقرية يقال لها برزة فى جبل يقال له قاسيون ،

---

(٢) وورد ــ مآب : وقيل أيضا مآب مرآة الزمان (٥) الصحاح ٤ / ١٦٠١ آ
(٨) القرآن الكريم ٢٤ / ٥٠ (١٦) تأريخ دمشق ٢ / ٩٩

ثم ذكر بعده أنّ إبراهيم قدم الشام وجاهد ملك النبط وجاء فصلّى فى المقام، قلت : لا خلاف بين علماء السير أنّ إبراهيم عليه السلام ولد بالعراق ما اختلف فى ذلك اثنان ، ثم روى بعد هذا أنّ جبل برزة هو الذى رأى منه إبراهيم الكواكب ، وقال هذا ربى ، وهذا أيضاً تناقض ، ثم قال : الشقّ الذى فى المسجد هو الذى اختبأ فيه إبراهيم عليه السلام من نمرود، ثم روى بعد هذا حديثاً عن النبىّ ﷺ أنّه قال : وبالغوطة جبل يقال له قاسيون فيه قتل ابن آدم أخاه .

قال ابن الجوزى رحمه الله : هذا الحديث لا يصحّ عن رسول الله ﷺ ولا قتل قابيل أخاه بالشام بل فى الهند ، قلت : الصحيح ما ذكره الشيخ جمال الدين بن الجوزى متّفق عليه . وذكر أنّ الدم الذى على قاسيون دم هابيل وأنّ الملائكة نزلت عزت آدم فى الكهف بقاسيون . وحكاه عن كعب الأحبار وغيره ، قال ابن الجوزى : ما ورد عن كعب الأحبار فى هذا الباب فقد توقّف الناس فيه : وكان عمر بن الخطّاب رضى الله عنه يضربه بالدرّة ويقول : دعنا من يهوديّتك . ومع هذا فقد أجاز روايته بعضهم إذا لم يروى عن النبىّ ﷺ لأنّه أسلم على يد عمر بن الخطّاب رضى الله عنه ، فالرواية عن رسول الله ﷺ فى هذا الباب فيها وهن عظيم إذا لم يوافق السنن والأصول .

فروى أبو القسم فى فضل دمشق والغوطة قال : حدثّنا عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : خلق الله جمجمة جبرائيل على قدر الغوطة، قال ابن الجوزى أيضاً : وهذا ممّا لا نوافقه عليه قضاء بالعقول لأنّه قد ثبت فى الصحيحين أنّ النبىّ ﷺ (١٠٥) قال : خلق الله الملائكة من نور ، والنور روحانى فكيف يكون جسماً ، وفى رواية : من نور العرش ، ولمّا سأله النبىّ ﷺ أن يظهر له فى

(١٦) تأريخ دمشق ٢ / ١١٦

صورته ظهر فسدّ أحد جناحيه ما بين المشرق والمغرب ، وقد تقدّم ذكر ذلك .

وأمّا الشام الرابعة : الأردنّ ومدينة طبريّة على ساحل البحيرة ويقال إنّها
٣ من بناء سليمان بن داود عليه السلام وإنّ قبره على شاطىء البحيرة .

وأمّا الشام الخامسة : الرملة ومدينتها فلسطين وبيت المقدس وعسقلان وغزّة
والبلاد الساحليّة ، وهذا أشار الجوهرى إلى ما ذكر ابن المنادى فإنّه قال : الشام
٦ خمسة أجناد : دمشق ، وحمص ، وقنّسرين ، وأردنّ ، وفلسطين بكسر الفاء ، يقال
لكلّ مدينة منها جند .

وقال ابن الجواليقى : وشيزر اسم موضع لا أحسبه عربيّا صحيحاً ، وفى
٩ الصحاح : شيزر بلدا ، وقال امرىء القيس (من الطويل) :

نقطع أسباب اللبانة والهوى عشيّة جاوزْنا حماةَ وشيزرا

وقد ذكر امرىء القيس حماة فى شعره فدلّ على أنّها قديمة أيضاً، وقال أبو عبيدة:
١٢ ومن الناس من يبتدىء بالرملة فيجعلها الشام الأعلى وبعدها فلسطين ثم دمشق ثم
حمص ثم حلب .

وأمّا مدائن الروم منها قيساريّة ، وهى من المدن القديمة وقد مرّ بها امرؤ
١٥ القيس لمّا وصل الروم ويقال إنّ قبره على جبل قريب منها يقال له عسيب وهو
قوله (من الطويل) :

أجارتنا إنّ الخطوب تنوب وإنى مقيم ما أقام عسيبُ

---

(٢) مأخوذ من مرآة الزمان ١٦ ب ، ـ ٤ (٤) مأخوذ من مرآة الزمان ١٦ ب ، ـ ٢
(٥) الصحاح ١/٤٥٧ ب (٦) أردن : الأردن الصحاح ، تحريف (٨) المعرب ٢٠٦
(٩) الصحاح ٢ / ٦٩٨ آ || بلدا : بلد الصحاح ، تحريف
(١٠) ديوان امرؤ القيس ٦٢ ، البيت ٢١ (١٤) مأخوذ من مرآة الزمان ١٧ آ ، ٦
(١٧) ديوان امرؤ القيس ٣٥٧ ، ١

ومنها عمورّية ، وكان ملكها يركب في مائة ألف فارس وكان حولها ألف
عمود ومائتى عمود على كلّ عمود راهب لا ينزل منه إلّا بالموت، وكانت (١٠٦)
مركز قيصر ، ومنها كان يستمدّ للغارات على بلاد المسلمين الشام والجزيرة وغيرها، ٣
ففتحها المعتصم ابن الرشيد لما نذكر من ذلك .

ومنها القسطنطينيّة ، وهى المدينة العظمى بناها قسطنطين الملك وهو أوّل من
أظهر دين النصرانيّة ، قالوا : ولها سبعة أسوار وسمك سورها الكبير أحد ٦
وعشرون ذراعاً وفيها مائة باب وسمك فصيلها الصغير عشرة أذرع وهى على خليج
يصبّ في البحر الرومى وهى متّصلة ببلاد رومية والأندلس لما نذكر في باب البحار
وذكرها إن شاء الله تعالى . ٩

قلت: وقد جاء في ذكرها حديث. قال مسلم بإسناده إلى أبي هريرة رضى الله عنه
قال : قال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من ولد
إسحاق فإذا جاؤوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم، قالوا : لا إله إلّا الله ١٢
والله أكبر فيسقط أحد جانبيها ، ثم يقولون : لا إله إلّا الله والله أكبر فيسقط
الجانب الآخر ، فيقولون الثالثة كذلك فيفرج لهم فيدخلونها فيغنمون ما فيها ،
فبينما هم يقتسمون الغنائم إذ جاءهم الصريخ أنّ الدجّال قد خرج فيتركون كلّ شىء ١٥
ويرجعون ، وهو حديث طويل وفيه أمارات الساعة ، وانفرد بإخراجه مسلم ،
وقال ثور بن يزيد : هى القسطنطينيّة .

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله حدّثنا يحيى بن إسحاق حدّثنا أيّوب حدّثنى ١٨
أبو قبيل قال : كنّا عند عمرو بن العاص وسئل : أى المدينتين تفتح أوّلا

(١٠) المعجم المفهرس ٢ / ٤٧٧ ؛ صحيح مسلم ٨ / ١٨٧ ، الفتن
(١٨) المعجم المفهرس ٥/ ٤٤ ؛ مسند أحمد بن حنبل ٢ /١٧٦ || أيوب : يحيى بن أيوب
مسند ابن حنبل

القسطنطينيّة أو رومية ؟ فقال : قال رسول الله ﷺ : مدينة هرقل يعني القسطنطينيّة .

ومنها مدينة رومية الكبرى ، ذكر ابن خرداذبه في كتاب المسالك والممالك أنّ طولها من الباب الغربي إلى الباب الشرقي ثمانية وعشرون ميلاً ، ولها سوران من حجارة بينهما مقدار ستّين ذراعاً فضاء وسمك السور الأوّل اثنان وسبعون ذراعاً وسمك الثاني اثنان وأربعون ذراعاً وبين السورين نهر مغطّى ببلاط من نحاس طول كلّ بلاطة سبعة وأربعون ذراعاً .

قال : والنهر الذي يدخل فيها من البحر تدخل فيه (١٠٧) المراكب بقلوعها فتقف على حوانيت التجار تبيع وتشتري ، وفي داخلها كنيسة بنيت على اسم بطرس وبولس الحواريّين وهما فيها في جرن من الرخام مدفونين .

قال : وطول هذه الكنيسة ثلاثة آلاف ذراع وعرضها ثلاثمائة ذراع وقيل ألف ذراع وهي مبنيّة على قناطر من صفر ونحاس وكذا سائر أركانها وسقوفها وحيطانها وهي من عجائب الدنيا ، قالوا : وفيها كنيسة مثل بيت المقدّس على عرضه وطوله مرصّعة باليواقيت والجواهر والزمرّد وطول مذبحها عشرون ذراعاً من الزمرّد الأخضر وعرضه ستّة أذرع يحملها اثنا عشر تمثالاً من الذهب الإبريز طول كلّ تمثال ذراعاً ونصف ولكلّ تمثال عينان من الياقوت الأحمر تضيء الكنيسة منها ولها ثمانية وعشرون باباً وطول هذه الكنيسة ميل وأبوابها من الذهب الأحمر .

قال : ولمدينة رومية ألف باب من النحاس الأصفر سوى العود والصنوبر والخشب المنقوش بالأبنوس وغيره الذي لا يدرى قيمته ، قالوا : ومنها ألف ومائتي

---

(٣) المسالك ١١٣ ـ ١١٥

كنيسة وأربعون ألف حمّام وفيها طلسمات للحيّات وللقارب لا تدخل إليها وطلسم يمنع الغريب من الدخول إليها ، وملكها يقال له الباب وهو الحاكم على دين النصرانيّة كلّها برّها وبحرها ، ومنزلته بمنزلة الخليفة فى المسلمين . ٣

وفى وسطها سوق يباع فيه الطير مقدار فرسخ وتقديرها ثلاث فراسخ وبها عجائب كبيرة أُخَر نذكرها فى باب العجائب المفرّقة فى أقطار الأرض إن شاء الله تعالى . ٦

وأمّا مدائن مصر وما والاها فقد أخّرنا كثيراً من ذلك نذكره فى الجزء الثانى من هذا التأريخ ليكون ذلك يتلو بعضه بعضاً عند ذكرنا لملوك مصر من قبل الطوفان وبعده واعتنينا بذلك كلّ العناية ولعلّ لم تخل بملك من ملوكها ٩ من أوّل ما خلق الله تعالى الدنيا وإلى آخر وقت .

(١٠٨) وأمّا ما يليق بأن نذكر هاهنا ، قال ابن حوقل فى كتاب الأقاليم : أما مصر فلها حدّ ينتهى يأخذ من بحر القلزم خلف للعريش إلى رفح ثم يعود على ١٢ ساحل البحر الرومى إلى الاسكندريّة إلى برقة فى البريّة ، ثم إلى الواحات ، ويمتدّ إلى بلاد النوبة ، ثم يعطف على حدّ أسوان إلى أرض البجاة : وينتهى إلى القلزم إلى طور سيناء ، ثم يعطف إلى تيه بنى إسرائيل مادًّا فى الجفاء إلى بحر القلزم ١٥ مكان مبتدأه ، هذا ما حدّه ابن حوقل وسنذكر أيضاً قول غيره فى ذلك فى مكانه.

---

(١) للقارب : للعقارب مرآة الزمان ، تحريف

(٧ و ١١) مأخوذ من مرآة الزمان ١٧ ب ، ـ ١١

(١١ـ١٦) صورة الأرض ١ / ١٣٢ : فأما مصر فلها حد يأخذ من بحر الروم من الإسكندرية ويزعم قوم من برقة فى البرية حتى ينتهى الى ظهر الواحات ويمتد الى بلد النوبة ثم يعطف على حدود النوبة من حد أسوان على أرض البجة فى قبلى حتى ينتهى الى بحر القلزم ثم يمتد على بحر القلزم ويجاوز القلزم الى طورسينا ويعطف على تيه بنى إسرائيل ماراً الى بحر الروم فى الجفار خلف العريش ورفح ويرجع على الساحل ماراً على بحر الروم الى الإسكندرية ويتصل بالحد الذى قدمت ذكره من نواحى برقة

قال ابن حوقل : ومن مدائنها العتيقة مَنْف ، وهى مدينة فرعون موسى ،
وقيل إنّها عين شمس ، وكان قد بالغ فى بنائها وجعل لها سبعين باباً وبناء حوطانها
٣ بالصفر والنحاس وزخرفها بالذهب والفضّة وأجرى إليها النيل وقسمه أنهاراً تجرى
تحت قصره مع سائر قصورها حتى الماء يجرى تحت سريره ، وافتخر وقال :
أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى ؟ وسنذكر من أمرها جملا
٦ كثيرة لما أوعدنا .

ومن مدنها الإسكندريّة ، واختلفوا فى بانيها على أقوال : أحدها أنّه شدّاد
ابن عاد، قاله وهب . والثانى أنه الإسكندر الأوّل ذو القرنين وهو المقدونى ، قال
٩ الهيثم بن عدىّ : مقدونة هى أرض مصر وإنّما سمّيت مصر بمصر بن بيصر بن
حام بن نوح عليه السلام . وسنذكر ذلك مفصّلاً ، قال ابن حوقل : وكان مصر
لمّا انفصل عن بابل نزلها فسمّيت به ونسبت إليه ،وقسمها بين أولاده الأربعة وهم:
١٢ قبط ، واشموم ، وأترب ، وصنا . قلت : هـذا غلط من راويه ، وسيأتى ذكر
أولاد مصر الأربع وهؤلاء المذكورون بنى بنيه كما نبيّن ذلك فى موضعه الائق
به إن شاء الله تعالى .

١٥ قال : وكان قبط الأكبر وسمّى كلّ مكان باسم ولد ، قال : وقال الهيثم :
(١٠٩) بن عدىّ : مرّ بها ذو القرنين فأعجبه مكانها وصحّة هوائها فأمر بعمارتها
فلما شرع وجد أثر البنيان القديم ومرمراً ورخاماً وعموداً عليه مكتوب بالقلم
١٨ المسند من أقلام حمير فحلّه فإذا هو : أنا الملك شدّاد بن عاد ، شددت بساعدى

(١) قارن صورة الأرض ١٦٠ / ١٩
(١٠) لا يوجد الخبر فى صورة الأرض ، واسم ابن حوقل ناقص فى مرآة الزمان : لكن
قارن مروج الذهب ٢ / ٨٥ ، مادة ٨٠٦ ـ ٨٠٨ ؛ أخبار الزمان ١٥٣
(١٣) الائق : اللائق

البلاد ، وقطعت الأطواد ، وبنيت « إرم ذات العماد » ، التى لم يخلق مثلها فى البلاد ، وأردت أن أبنى هنا مثل إرم ، وأنقل إليها كلّ ذى قدم ، من جميع الأمم لاخوف ولا هرم ، ولا غمّ ولا سقم ، فأصابنى الدهر بسهمه وسقانى سمّه ، ٣ فكان مقتلى ، وأخرجنى من دارى ووطنى ، فمن رآنى فلا يغترّ بالدنيا بعدى .

قال : فلمّا قرأ الإسكندر ما على اللوح قوى عزمه على بنائها فجمع الحكماء والمهندسين وأرباب الرصد وهيّأ الأخشاب والحجارة ، وقال بعد ما جعل عند ٦ الأساس أجراساً للمنجّمين : إذا أخذتم الطالع فحرّكوا هذه الأجراس لنضع الأساس فى تلك الساعة وذلك برأى منّى ، واتّفق أنّ الإسكندر نام فى تلك الساعة والمنجّمون يرصدون فأتى غراب فقعد على إحدى الأجراس وهو الأكبر ٩ وحرّكه فتحرّكت الأجراس عن يد واحدة فوضع الصنّاع الأساس وصاحوا صيحةً انتبه لهـا الإسكندر فلمّا رأى الغراب فهم القضيّة فقال : فهمنا المقصود وأردنا أمراً وأراد الله غيره ، وأمر بإتمام العمل والبناء . ١٢

قال ، فلمّا تمّ السور خرجت فى الليل من البحر دوابّ على صورة الشياطين فأخربوه فأعاد البناء مراراً وهو يهدم فجمع الحكماء والمهندسين حتّى تحقّقوا صورهم وإذا بهم شياطين فعملوا طلسمات من نحاس على صورهم ثم جعلوا على أعمدة من ١٥ نحاس فلمّا خرجت الشياطين ورأوا تلك الصور ولّوا هاربين ولم يعودوا وتمّ البناء ، قلت : هذا ما ذكره ابن حوقل (١١٠) رحمه الله ، والمستحسن فى هذا القول ما نذكره فى مكانه إن شاء الله تعالى . ١٨

قال ابن حوقل أيضاً : ثم بنى الإسكندر عليها سبعة أسوار بين كلّ سورين خندق فتمّ بناؤها فى مائة سنة .

---

(١٥) جعلوا : جعلوها مرآة الزمان

(١٧و١٩) ابن حوقل : غلط ابن الدوادارى ، والصحيح : سبط ابن الجوزى

والثالث من الأقوال فى بنائها : إنّ الذى بناها هى الملكة دلوكة لتجعلها مرقباً من ناحية الروم لأنّ الروم إنّما ملكت مصر منها ، قاله النوبختى ، قلت :
٣ وسنذكر ما يستحسن أيضاً فى هذا الفصل .

والرابع : إن الذى بنا الأهرام بناها وإنّما أضيفت إلى الإسكندر لأنّه سكنها ، قال النوبختى: مكث أهلها سبعين سنة لا يمشون بالنهار إلّا وعلى وجوههم
٦ خِرَق سود لشدّة بياضها ولقوّة شعاع حيطانها وصقالها .

وأمّا منارتها : ذكر صاحب كتاب المسالك والممالك أنّ المنارة على سرطان من زجاج فى البحر من صناعة الإسكندر ، والصحيح أنّها على جبل فى البحر ،
٩ والصحيح أنّها بنيت قبل وصول البحر إليها وكان بين ذلك الجبل التى بنيت عليه وبين البحر مسافة وإنّما البحر تقدّم إليها على طول السنين والآن فقد أكل الماء معظّمه ، وقد شاهدته بالمعاينة .

١٢ وقيل إنّ الإسكندر لمّا مات كسروا آنيته التى كانت لطعامه وشرابه وجمعوا جميع جواهره وذخائره ، وجعلوا الجميع فى سرطان من زجاج ودفنوه فى أساس المنارة ، قال ابن الجوزى : قال جدّى رحمه الله فى كتابه المنتظم أنّه كان
١٥ على رأس المنارة مرآة ، إذا نظر الناظر فيها قبل طلوع الشمس رأى من يكون بالقسطنطينيّة وبينهما عرض البحر ، ثم قال : إنّما نقله جدّى من كتاب المسالك والممالك وليس كما ذكر صاحب المسالك فإنّ مسافة ما بين القسطنطينيّة
١٨ والإسكندريّة نيفاً وأربعين يوماً إذا طابت الريح على ماحكاه المسافرين ، وإنّما بين جزيرة قبرص والإسكندريّة إذا طاب الهواء مسيرة ثلاثة أيّام فكأنّ الناظر

(٧) المسالك ١٦٠ ، ١٩ – ٢١
(١١) وقد – بالمعاينة : وقد شاهدته فى سنة أربعين وستمائة وصعدت إلى رأسها والمنارة على خطر مرآة الزمان . (١٤) المسالك ١١٥ ، ١٨

قبل طلوع الشمس ينظر فيها إلى المراكب (١١١) وقد أقلعت من قبرص فيخبر أهل البلد فيستعدّون للحرب .

فتحيّل ملوك الفرنج حتى قلعوا المرآة من المنارة ، واختلفوا فى أىّ زمان ٣ قلعت المرآة المذكورة على قولين، أحدهما فى زمان الوليد بن عبد الملك بن مروان، قال : وكان الإسكندر قد صنع هذه المرآة بحكمته حفظاً للبلد من العدوّ أن يدهمها بغتةً ، فلمّا كان فى زمن الإسلام وكان فى عزم ملوك الروم قصد مصر فلم يتأتّى ٦ لهم ذلك وكان لهم ملك داهية فأظهر الغضب على خادم له وكان خصيصاً به وكان الخادم باقعةً ذا مكر وخديعة ، فأعطاه أموالًا عظيمةً من جواهر ويواقيت وأسرّ إليه أن يحتال فى تلك المرآة وقلعها وقرّر معه ما يصنع ، قال : نخرج ذلك الخادم ٩ إلى البلاد ودفن تلك الأموال فى عدّة أماكن متفرّقة وتوصّل بعد ذلك إلى الوليد ابن عبد الملك فأسلم على يده وقال : أنا خادم الملك الفلانى وقد رغبت فى الإسلام وقد وقد وقع لى كتاب فيه أسماء المطالب التى بالشام ومصر فساعدونى بالمال والرجال ١٢ لترى ما أصنع .

وكان الوليد شرهاً فأمدّه بمطالب فصار يحفر تلك الحفائر التى أودع فيها تلك الأموال والجواهر ويحملها إلى الوليد فسرّ بذلك واستولى عليه وملك قلبه ١٥ وأخذ منه من الأموال أضعاف ما كان يحمل إليه، وكان يبعث بها إلى مولاه ملك الروم سرّاً أوّلًا فأوّلًا فقال الخادم للوليد إنّ تحت المنار التى بالإسكندرّية ذخائر الإسكندرية وذخائر شدّاد بن عاد وملوك مصر لا يعلمها إلّا الله تعالى ، فابعث ١٨ معى رجالًا لنهدم المنار ! وكان طولها ألف ذراع والمرآة على رأسها ، فبعث معه الرجال فهدم منها جانباً فثار المسلمون وأرادوا قتل ذلك الخادم وقالوا : تهدم هذه المنارة وهى معقل الإسلام بقول علج ، فأمهل الخادم إلى الليل وقد أعدّ مركباً ٢١ لطيفاً بالقرب منه وصعد إلى المنار نصف الليل وقلع المرآة ورمى بها (١١٢) فى

البحر وركب من وقته ذلك المركب المعتدّ له وتوجّه إلى بلاده وتمّت الحيلة ، ذكر ذلك المسعودى .

٣ والقول الثانى إنّ الواقعة كانت فى زمن الحاكم العبيدى وإنّ بعض ملوك الروم تزيّا راهباً وأظهر الإسلام وأقام يتعبّد فى المنار حتى وجد فرصة فقلعها فى الليل ورمى بها فى البحر وهرب فى مركب معتدّ له ، ذكر ذلك أبو سعيد ٦ ابن يونس فى تاريخ مصر .

قال ابن الجوزى : وذكر جدّى رحمه الله فى كتابه المنتظم قال : كان بالإسكندريّة ستمائة ألف يهودىّ ونصرانىّ خولًا لأهلها ، قال : وهذا يحتمل ٩ أنّه كان فى قديم الزمان . أمّا اليوم فلا يبلغ أهلها كلّهم هذا العدد المذكور .

وحكى ابن عساكر رحمه الله فى تاريخه فى حرف الهمزة فى من اسمه أسامة بن زيد بن عدى أبو عيسى الكاتب التنوخى قال : كان بالإسكندريّة صنم يقال له ١٢ شراحيل على خشفة من خشف البحر وهى فى الجزيرة وكان مستقبلًا بأصبعه القسطنطينيّة لا يدرى أكان ممّا عمله سليمان أو الإسكندر فكانت الحيتان تجتمع عنده وتدور حوله فيصاد منها ما شاء الله ، فكتب أسامة إلى الوليد بن ١٥ عبد الملك يخبره بخبر الصنم ويقول: الفلوس عندنا قليلة فإن رأى أمير المؤمنين أن يقطع الصنم ويصيره فلوساً ففيه الكفاية ، فأرسل الوليد رجالاً أمناء فأنزلوا الصنم من الخشفة فوجدوا عينيه ياقوتتين حمراوتين لا قيمة لهما فذهبت الحيتان بعد ١٨ ذلك فلم تعد إلى ذلك المكان .

وأمّا بلاد المغرب فسنذكر منها جملاً تأتى فى أماكنها اللائقة بها ، فنذكر

(٢) مروج الذهب ٢ / ١٠٥ مادة ٧٣٨ (٧) المسالك ١٦٠ ، ٢٠ – ٢١
(١٠) تهذيب ابن عساكر ١ / ٤٠٢

الأندلس وأخبارها ومدنها عند ذكرنا لخلفاء بنى أمية بها ، وكذلك القيروان
عند ذكرنا لملوك الأغالبة مع ما نضيف إلى ذلك من الأخبار ونتبعه من الآثار ،
وذلك كله بحول الله وقوته وبركة إلهامه وتوفيق العبد إلى ذلك بإتمامه .   ٣

(١١٣) فصل

فى ذكر الجبال والهضبات والرمال

ذكر أبو الحسين ابن المنادى رحمه الله وقدامة بن جعفر الكاتب وأبو معشر   ٦
رحمهما الله : أن عدد الجبال المشهورة مائة وثمانية وأربعون جبلاً ، قال قدامة
فى كتاب الخراج : فى الإقليم الأول تسعة عشر جبلاً ، وفى الإقليم الثانى سبعة
وعشرون جبلاً ، وفى الثالث أحد وثلاثون جبلاً ، وفى الرابع أربعة وعشرون   ٩
جبلاً ، وفى الخامس تسعة وعشرون جبلا، وفى السادس ستة وثلاثون جبلاً ، وفى
السابع اثنان وثلاثون جبلاً : قلت : ولم يذكر قدامة أسامى الجبال المذكورة ،
وقد ذكر العبد المشاهير منها على الحروف على الاصطلاح للمعروف ، فأقول :   ١٢

أُحُد : وهو الذى كانت الوقعة عنده وهو من جبال المدينة ، قال الإمام
أحمد بن حنبل رحمه الله بإسناده عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال ، قال
رسول الله ﷺ :أحد جبل يحبنا ونحبه ، انفرد بإخراجه البخارى رضى الله عنه،   ١٥
وقد رواه أبو هريرة أيضاً ، وقال الزهرى: وإنما أراد أهل المدينة وهم الأنصار
أى أهل أحد ، وهذا عند علماء البيان والبديع جائز .

---

(٤) مأخوذ من مرآة الزمان ١٩ آ ، ـ ٨

(١٤) قارن المعجم المفهرس ١ / ٣١٨ ؛ مسند أحمد بن حنبل ٣/ ١٤٠

إِضَمٌ : جبل بالحجاز ذكره الجوهرى بكسر الهمزة وقد ذكرته الشعراء فقال بعضهم فيه (من بسيط) :

٣ يغني بنا الطيب أحياناً وآونة يضيئنا البرق مجتازاً على إضمِ

تِعار : بكسر التاء ، هو من جبال الحجاز ، مشهور ، والعرب تقول: لا أفعل كذا ما قام تعار .

٦ ثَبير : وهو جبل مني ويقال له جبل الكبش ، قال ابن عبّاس رضى الله عنه : فدى إسماعيل عنده وفيه النحر ، وكانت العرب تعظّمه فى الجاهليّة ، قال الجوهرى: كانوا إذا انقضى الموسم وقفوا عنده وقالوا : أشرق ثبير كما نغير .

٩ الثغين : من جبال أنطاكية ويقال له الأقرع لأنّه لا ينبت (١١٤) إلّا فى أماكن وعليه حيّات كبار .

جبل الثلج : من جبال الشام فى أرض بانياس غربى دمشق وهو جبل شامخ ١٢ يرى من مسيرة ثلاثة أيّام فى السهل ولم يبرح الثلج عليه لا يذهب صيفاً ولا شتاء وقد كان مسكوناً وعليه آثار العمارة ، يقال : إنّه كان فى سكانه رجل كبير قد قرأ الكتب واطلع على علوم كثيرة فقال لأهله : متى أصبح هذا المكان وعليه ١٥ نداوة فارحلوا عنه ومات الرجل فأصبحوا ذات يوم وعلى ظهور دوابّهم الندا فارتحلوا فنزل عليه الثلج فى اليوم التالى فطمّه واستمرّ ، وقد ذكره الشعراء قال جرير (من البسيط) :

١٨ هل دعوة من جبال الثلج سمعه أهل الإياد وحيّاً بالنباريسِ

---

(١) الصحاح ٥ / ١٨٦٢ آ

(٤) الصحاح ٢ / ٧٦٤ آ ؛ معجم ما استعجم ١ / ٣١٣ ؛ معجم البلدان ١ / ٨٥٤

(٦) الصحاح ٢ / ٦٠٤ آ (٧) كما : كيما الصحاح ، تحريف

(٩) معجم البلدان ١ / ٣٣٦ (١٧) ديوان جرير ٣٢٢ || سمعه : سمعة ديوان جرير

جبل ثَور : من جبال مكّة ، وفيه الغار المذكور فى القرآن العظيم ويقال له ثور الحل ، وقال بعضهم : اسم الجبل المحل، نسب إلى ثور بن عبد مناه لأنّه نزله .

جبل نهال : من جبال الحجاز وهو مشتقّ من النهل وهو الانبساط على وجه ٣ الأرض لأنّه ممتدّاً .

جبل جُمدان : بجيم ، بين قُديد والجحفة .

الجودىّ : وهو الذى أرست عليه السفينة ، وتحته ضيعة يقال لها ثمانين نزل ٦ بها نوح عليه السلام ، وذكره الجوهرى فقال : والجودى جبل بأرض الجزيرة استوت عليه السفينة ولمّا نزل نوح بها كان فى ثمانين نفساً فسمّيت بذلك ، وهو أوّل ضيعة بنيت على وجه < الأرض > بعد الطوفان ، وهى من أعمال الموصل ، ٩ وبين هذا الجبل ودجلة ثمانى فراسخ ، وآثار السفينة باقية عليه إلى الآن على ماقيل .

جبل حُبشىّ : قال الجوهرى : وحبشىّ بالضمّ جبل بمكّة أسفل منها ، يقال أحابيش قريش لأنّهم اجتمعوا عنده وتحالفوا فى حلف الفصول . ١٢

الحجون : وهو الجبل على مسجد البيعة عند العقبة ، قال الجوهرى : قال الشاعر (من الطويل) :

كأنْ لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيسٌ ولم يسمر بمكّة سامرُ ١٥

وهو مقبرة قريش .

(١) الصحاح ٢ / ٦٠٦ ب (٢) ثور المحل : ثور أطحل الصحاح
(٣) نهال : ثهلان مرآة الزمان، تحريف ؛ الصحاح ٤ / ١٦٥٠ آ ؛ معجم البلدان ١ / ٩٤١
(٥) معجم ما استعجم ٢ / ٣٩١ ؛ معجم البلدان ٢ / ١١٥ || الجحفة : عسفان معجم ما استعجم
(٧) الصحاح ١ / ٤٥٨ ب (٩) الأرض : مرآة الزمان
(١١) الصحاح ٣ / ١٠٠٠ آ (١٣) الصحاح ٥ / ٢٠٩٧ ب

حِراء : بالمدّ ، قال الجوهرى : كان النبيّ ﷺ يتعبّد فى غار حراء ويخلو فيه ، وقال مسلم : وهو الجبل الذى تحرّك لمّا صعد رسول الله ﷺ (١١٥) وأصحابه
٣ عليه ، وقال البخارى رحمه الله : إنّما كان ذلك جبل أحد .

حزازة : من جبال مكّة ، كانت عنده وقعة مشهورة بين نزار واليمن .

حَضَن : وهو بأعلى نجد ، قال الجوهرى رحمه الله : وفى المثل يقال : أنجد
٦ من رأى حضناً ، معناه من عاين هذا الجبل أعنى حضناً فقد دخل فى ناحية نجد ، ومن عظم هذا الجبل ضرب به المثل ، فقالوا أيضاً : ركن حضن لا يحتضن .

جبل دنباوند : وهو بالمشرق ببلاد طبرستان يرى من مسيرة مائة فرسخ
٩ لارتفاعه وذهابه فى الجوّ صعداً ، ويرتفع من أعاليه دخان عال والثلوج يترادف عليه ، ويخرج من تحته نهر عظيم أصفر كبريتى ذهبى اللون . قال : ومسافة صعوده ثلاثة أيّام بلياليها ورأسه مدوّر يكون مقدار ألف ذراع يرى من أسفله
١٢ شبه القبّة العظيمة المخروطة وفى أعلاه رمل أحمر تغوص فيه الأقدام ولا يصل إليه شىء من الطيور والوحوش لشدّة الرياح به والبرد فى أعاليه ، وفى أعاليه ثلاثون نقباً يخرج منها الدخان العظيم يسمع لخروجه دوىّ شديد مثل الرعد وذلك صوت
١٥ تلهّب النار فى باطنه ، وقال : وفى رأسه الكبريت الأحمر الذى يصلح لعمل الكيمياء على زعم من زعم ، وبين هذا الجبل وبين طبرستان عشرون فرسخاً ، ويقال إنّ الضحاك مسجون به وهو الضحاك الذى تسمّيه العرب السفاك حسبما
١٨ يأتى من ذكره إن شاء الله تعالى .

(١) الصحاح ٦ / ٢٣١٢ آ ؛ معجم البلدان ٢ / ٢٢٨
(٤) لعله خزازى ؛ قارن الصحاح ٢ / ٨٧٤ آ (٥) الصحاح ٥ / ٢١٠٢ آ
(٨) معجم البلدان ٢ / ٦٠٦ ؛ معجم ما استعجم ٢ / ٥٥٨ ؛ عجائب المخلوقات ١ / ١٥٨

دمان ووَرِ ان : هذان جبلان أسودان مشهوران بالحجاز ، وهما شامخان شديدان السواد وفيهما أنواع الثمر والسمّاق والرمّان والقرظ وهما لعرب مُزَيْنة (١١٦) وهم قوم صدق . ٣

رأس الجُمجُمة : وهو جبل عظيم أوّله باليمن من ناحيـة الشحر والأحقاف ويمتدّ فى البحر إلى الهند ومنه تطلق المراكب من بحر فارس ويمتدّ إلى المشرق ولا يدرى أين غايته فى البحر . ٦

جبل جيم : من جبال الحجاز أيضاً مذكور معروف .

وجرجان : قال الجوهرى رحمه الله : هو قريب من عكاظ ومنه يوم حرب كان لبنى عامر على بنى تميم وهو من أيّام وقائع العرب المشهورة لما نذكره . ٩

رضوى : من جبال تهامة وبينـه وبين المدينة سبع مراحل وهو من البقيع على يوم ، قال الجوهرى : وهو من جبال المدينة والنسبة إليه رَضَوِىّ ، وهـذا الجبل تزعم الـكيسانيّة أنّ محمد بن الحنفيّة فيـه وأنّه دخل فى شعب من شعابه ١٢ ومعه أصحابه وهم فيه أحياء يُرزَقون وأنّه سيخرج وهو الإمام المنتظر . وقال قدامة الـكاتب : ويقارب رضوى فى ارتفاعه جبل يقال له غرور يضاهى رضوى فى العلوّ والارتفاع وكثرة المياه والشجر والمراعى ويسكن فى الجبلين نهد وجهينة ١٥ فى الوبر دون المدر .

ساقى دما : اسم جبل ، قاله الجوهرى ، وهو من جبال تهامة ، وقيل من اليمن ، وقيل من الشام ، سمّى بذلك لأنّه ليس من يوم إلّا ويسفك عليه دماً .

---

(١) قارن معجم البلدان ٤ / ٩٢١ (١٠) الصحاح ٦ / ٢٣٥٨ آ

(١٧) الصحاح ٦ / ٢٣٤١ آ || ساقى : ساتى الصحاح ، تحريف

جبل السِتار : بالسين المهملة المكسورة فى الحجاز ، وقد ذكره الجوهرى فى شعر لامرئ القيس وقال إنهما جبلان، وقيل إنهم ثلاثة أجبل : قطنا والستار
٣ ويَذْبُل ، قال : هؤلاء الثلاثة بحذاء بعضهم بعضاً ، فلذلك قيل واحد واثنان وثلاثة .

سَلْع : جبل مشهور بالمدينة وقد أكثرت الشعراء ذكره فى أشعارهم .

٦ شابة : بالشين المعجمة ، جبل بنجد ذكره الجوهرى .

شَعْبان جبل باليمن ، ويقال له (١١٧) شعب ، وقال الجوهرى : ويقـــال له ذو شَعْبين ، نزله حسّان بن عمرو الحميرى وولده نسبوا إليه،فمن كان منهم بالكوفة
٩ يقال له شعبيّون، ومن هؤلاء عامر بن شراحيل الشعبى رحمه الله وعداده فى همذان لما نذكره ، ومن كان منهم بالشام يقال لهم الشعبانيّون ، ومن كان منهم باليمن يقال لهم الأشعوب وهم جميعاً بنو حسّان بن عمرو ، هذا لفظ الجوهرى ، والشين
١٢ مفتوحة فى الجميع إلّا أنّه قال ذو شعب وذو شعبين ، ولم يذكر شعبان ، وكذا ذكر محمد <بن> سعد وابن الكلبى رحمهم الله وقدامة وغيرهم ، قال أبو سعد : حدثنا عبد الله بن محمدّ بن مرّة الشعبانى ، حدثنا أشياخ من شعبان منهم محمّد
١٥ ابن أبى أميّة أنّ مطراً أصاب اليمن فاسترقّ موضعاً فأبدى عن أزج عليه باب من الحجارة فكسر الفلق ودخل فإذا بهوّ عظيم فيه سرير من ذهب عليه رجل مسجّى ، قال : فشبرناه فإذا طوله اثنى عشر شبراً وعليه جباب من وشى منسوجة
١٨ بالذهب وإلى جنبه محجن من ذهب وعلى رأسه تاج من ذهب فيه ياقوته

(١) الصحاح ٢ / ٦٧٦ ب ؛ قارن ديوان امرؤ القيس ٢٦
(٢) قطنا : قارن ديوان امرؤ القيس ٢٦ ، حاشية ٧٦
(٥) الصحاح ٣ / ١٢٣١ آ (٦) الصحاح ١ / ١٥٩ آ
(٧) الصحاح ١ / ١٥٦ آ (١٣) بن : مرآة الزمان

حمراء وهو أبيض الرأس واللحية له ضفيران وإلى جانبه لوح من ذهب مكتوب فيه بالحميرية : باسمك اللهم ربّ حمير : أنا حسّان بن عمرو ، القيل إذ لا قيل إلّا الله ، عشت بأمل ومتّ بأجل ، فأتيت جبل ذى شعبين ليجرنى من الموت ٣ فكان حفرتى ، قالوا : والى جانبه سيف عليه مكتوب بالحميريّة : أنا قبار ، بى يدرك الثأر ، وقالوا ، ورأوا فى اللوح مكتوب أيضاً : هلك فى هذا المكان اثنا عشر ألف قتيل فكنت آخرهم . ٦

جبل شامة : قريب من مكّة وكذا ظفيل وقد أشار إليه بلال وقال : هل تبدون لى شامةٌ وظُفيل .

شمام : (١١٨) من جبال الحجاز ، مبنى على الكسر مثل قطام وحذام ، ٩ ذكره الجوهرى .

شَمران : بفتح الشين ، ذكره الجوهرى أيضاً وقال : سمّى بذلك لكثرة شجره وهو من جبال الموصل . ١٢

عاقل : من جبال الحجاز ، مذكور أيضاً .

ضجنان : قال الجوهرى : هو جبل بناحية مكّة وهو الذى كان يرعى عنده عمر بن الخطّاب رضى الله عنه غنم الخطّاب ، وقد ذكره تأبّط شرّاً فى شعره لما ١٥ ظهر له به الغول وقتله لما يذكر من خبره عند ذكرنا له إن شاء الله .

---

(٧) معجم البلدان ٣ / ٢٤٤ ؛ معجم ما استعجم ٣ / ٧٧٦ ؛ السيرة النبوية ١ / ٥٨٩ ؛ تاج العروس ٨ / ٣٦٣

(٩) الصحاح ٥ / ١٩٦١ ب (١١) الصحاح ٢ / ٧٠٠ آ

(١٣) الصحاح ٥ / ١٧٧١ آ

(١٤) الصحاح ٦ / ٢١٥٤ آ ؛ معجم ما استعجم ٣ / ٨٥٦

(١٥) غلط ابن الدوادارى ، ذكر تأبط شراً جبل سحصنان ، قارن ديوانه ١٧٣ ، رقم ٦٨ ، ٢

الظهران : بفتح الظاء : حبـل بين مكّة والمدينة وهو إلى مكّة ـ شرّفها الله تعالى ـ أقرب، من المدينة على سا كنها أفضل الصلاة والسلام ، وقد نزله . سيّدنا

٣ رسول الله ﷺ عام الحديبية وعام الفتح لما نذكر من ذلك .

جبل العرج : بإسكان الراء : هو من جبال الحجاز بين مكّة والمدينة ، قال الجوهرى: هو منزل وإليه ينسب العرجى الشاعر واسمه عبد الله بن عمرو بن عثمان

٦ ابن عفّان رضى الله عنه، وسيأتى ذكره فى باب الشعراء المولّدين إن شاء الله تعالى، وروى عبد الرحمن بن أخى الأصمعى عن عمّه بإسناده إلى عبد الله بن عمر العمرى رضى الله عنه وكان من أكابر أعيان العباد بالحجاز قال : حججت فبينا أنا فى

٩ بعض الطريق إذ سمعت امرأة من هودج تـكلّمت بكلام أرقتت فيه ، قال : فدنوت منها وألصقت راحلتى براحلتها وقلت لها : يا أمة الله أما تستحين أما تخافين الله بهذا الـكلام فى مثل هذه الطريق ؟ قال : فهتـكت سجاف الهودج

١٢ وبرزت بوجه بهر الشمس حسناً وقالت : تأمّل ياعمّ فإنّنى من اللواتى قال فيهنّ العرجى (من الطويل) :

أماطت كساء الخزّ عن حُرّ وَجهِها وأرْخت على الخدّين بُرْداً مُهَلْهَلَا

١٥ من اللواتى لم يحججن يبغين حسنة ولـكن ليَقْتُلْنَ السليم البرئ المُغَفَّلَا

(١١٩) قال : فقلت : لا عذّب الله هذا الوجه بالنار ، قال عبد الرحمن : فبلغت هذه الحـكاية لابن المسيّب رضى الله عنه فقال : إنّه لمن ظرف عباد الحجاز

١٨ أما إنه لو كان بعض بعضاء العراق لقال لها اغربى فعل الله بك وترك .

---

(١) معجم البلدان ٣ / ٥٨١ (٤) الصحاح ١ / ٣٢٩ آ

(١٢) قارن كتاب الأغانى ١/٤٠٤

(١٤ ـ ١٥) ديوان العرجى ٧٤ ، رقم ٣٢ || أرخت : أدنت الديوان

(١٥) من اللواتى : من اللاء الديوان || حسنة : حسبة الديوان

قلت : وسقنا هذه الحكاية ها هنا لما فيها من شعر العرجى عند ذكرنا له ولما فيها من الظرف والملاحة .

قال قدامة بن جعفر الكاتب فى كتاب الخراج : وجبل العرج هذا يتّصل بالشام فبعضه يتّصل بلبنان وبعضه بجبل الثلج من أرض دمشق ويمتدّ إلى الروم، وقال النضر بن شميل : يأتى إلى الشام من ناحية الأبلّة ثم إلى الطور ثم إلى بيت المقدّس ثم يأتى طبرية ويمرّ بالبقاع وبعلبك ويمتدّ غربى حمص وحلب حتى يتّصل بجبل اللكام ، ثم يمتدّ إلى ملطية إلى بحر الخزر ، وفيه عدّة كثيرة من القلاع والحصون والمدن الكبار وتسكنه عدّة أمم من الناس .

عَسيب : من جبال الحجاز أيضاً ، قال الجوهرى : هو جبل هذيل وأنشد لامرىء القيس (من الطويل) :

أجارتنا إن الخطوب تنوب وإنى مقيم ما أقام عسيبُ

وسيأتى تتمّة هذا البيت وسببه عند ذكرنا لامرىء القيس إن شاء الله تعالى، قال الجوهرى : عسيب بفتح العين وسكون الباء ، قال ابن الجوزى رحمه الله : وقد رأيت ببلد الروم عند قيسارية جبلاً يقال له عسيب وعليه قبر يقال قبر امرىء القيس وهو أقرب إلى الصحّة لأنّ امرىء القيس مات ببلاد الروم وهو عائداً من عند ملك الروم بالنجدة لما نذكر من خبره ، فأمّا عُشيب بضمّ العين وشين معجمة : فجبل بالحجاز لقريش .

عير : جبل بالحجاز أيضاً .

---

(٣) ناقص فى الصحاح ؛ قارن معجم البلدان ٣ / ٦٧٨.

(١١) ديوان امرؤ القيس ٣٥٧ ، رقم ٩٧

(١٨) الصحاح ٢ / ٧٦٣ آ ؛ معجم ما استعجم ٣ / ٩٨٤

عينين : هو من جبال المدينه بات به (١٢٠) رسول الله ﷺ وقعة أُحد .

غُرَّب : بغين معجمة ، بين المدينة والشام فى بلاد كلب ، قال الجوهرى :

٣ وعند .. تسمى عين غُرَّبة .

غزوانُ : جبل بالطائف معروف وعليه ديار بنى سعد وليس بالحجاز مكان يبرد فيه الماء ويجمد سواه .

٦ لَعْلَعُ : من جبال الحجاز أيضاً ، ذكره الجوهرى وقال : كانت عنده وقعة مشهورة ، وأنشد (من الطويل) :

لقد ذاق منّا عامرٌ يومَ لعلَعٍ حُساماً إذا ما هُزَّ بالكفّ صَمَّمَا

٩ وأكثروا الشعراء أيضاً من ذكره فى أشعارهم .

المُحصَّب : وهو من جبال مكّة ويشرف على ذى طوى ، وقال الجوهرى : هو موضع بالحجاز وذكروه أيضاً الشعراء المولّدين فى أشعارهم : كعمر بن أبى ربيعة

١٢ المخزومى وأنظاره ، وكذلك :

الجمار : بمنى ، ويقال له قُزَح لأنّه أوّل ما رؤى عليه قوس قُزَح ، قال الجوهرى : وقوس قزح التى فى السماء غير مصروفة ، قال : وقزح جبل المزدلفة .

١٥ مُخاشِن : جبل بالحجاز .

المقطّم : جبل مصر ، ويمتدّ إلى النوبة وهو جبل مبارك وتستحقّه بالديار المصريّة مقابر عدّة من الشهداء وجماعة كبيرة من الصحابة والتابعين دخلوا مصر

---

(٢) الصحاح ١ / ١٩١ ب

(٤) معجم البلدان ٣/٧٩٨ ؛ عجائب المخلوقات ١ / ١٦٩

(٦) الصحاح ٣ / ١٢٧٩ ب (٨) ديوان حميد بن ثور ٣١

(١٠) الصحاح ١ / ١١٢ آ (١٣) الصحاح ١ / ٣٩٦ ب

١٥) معجم البلدان ٤ / ٤٣٤

وتوفوا بها ودُفنوا فى سفحه ، قال . ويمتدّ من النوبة إلى نعمان .

ونَعْمَانُ : جبل ، وفيه واد فى طريق للطائف يخـرج إلى عرفات ، ذكره الجوهرى ، قال : ويقال له نعمان الأراك ، وقال ابن قتيبة : ونعمان جبل بالقرب ٣ من عرفة ويتّصل بوادى القرى ونواحيه ، قال : وفى الحديث : خلق الله آدم من دحا ومسح ظهره بنعمان السحاب وشبه بالسحاب لأنّه يشرف على جبلى نعمان ويعلوهما . ٦

يَذْبُل : جبل بين اليمامة والبصرة ، وكذا ذكره الجوهرى ، وقد ذكره الشعراء أيضاً ومنهم : أبو العلاء المعرّى .

يَلَمْلَمُ : وهو ميقات أهل اليمن فى الإحرام . ٩

(١٢١) أبو قبيس: بمكّة،يقال إنّه أوّل جبل خلق على وجه الأرض وقد تقدّم، وروى عكرمة عن ابن عبّاس أنّه قال : هو أوّل جبل وضع فى الأرض وكان يقال له فى الجاهليّة : الأمين ، لأنّ ركن البيت كان فيه مستودعاً أيّام الطوفان ، وهو ١٢ إحدى الأخشبين المطلين على مكة : هذا مشرف على الصفا ، والآخر يقال له : الأحمر والأعرق ، وفى الحديث : لا تزول مكّة حتى تزول أخشباها ، والأخشب : الجبل العظيم . ١٥

قلت : وروى عبد الملك بن هشام فى كتاب التيجان المختصّ بأخبار حمير ملوك اليمن : أنّه سمّى بأبى قبيس لوافعة كانت فى عهد جُرهُم أوّل زمان ، وكان ابن سيّدهم يدعى الحرث وكانت له ابنة عم تسمى ليلى وكانا متحابيان بألفة الصبى ١٨ والمربا ، وكان أبو قبيس يهوى ليلى أيضاً وليس من أكفائها وكان يقنع منها فى

(٢) الصحاح ٥ / ٢٠٤٤ ب (٧) الصحاح ٤ / ١٧٠١ ب
(١٤) قارن النهاية لابن الأثير ١ / ٢٩٤ ، ١٢ ؛ لسان العرب ١ / ٣٤٢ ، ـ ٩
(١٦) قارن كتاب التيجان ١٨٨ ، ـ ٣ ـ ١٩٧ (١٨) متحابيان : متحابين

الحين بسرقة النظرة وهى لاتعلم ، وكانت ابنة خال للحرث تسمّى رضوى ، فبينا هى فى طواف البيت إذ أدركها عطش كادت تتلف منه فلم تنظر بالطواف من تدلّ عليه غير الحارث فكلمته بدالية القرابة وسألته شربة من الماء فأتاها بذلك وذلك بمرأى من ليلى عند بعد ومرأى من أبى قبيس فحمله الهوى إلى مكالمة ليلى وقال: أتنظرين ياليلى لما فعل الحارث ؟ قالت : وما فعل ؟ قال : إنّه لما ناطارضوى الماء أنشدها شعراً يتضمّن تعلّقه بحبّها وأجابته أنّ بها أضعاف مابه ، قال : ولم يكن القوم يعرفون قبل ذلك كذباً ولا اختلافاً ، قال : فرجعت إلى أحياء أبيها وقال لترحلنّ بنا أوأعدم نفسى الحياة ، قال : فأمر بالرحيل من وقته فبلغ ذلك الحارث فأتا ابنة عمّه فحلفت لاعادت تفاوضه بكلام واستمرّ رحيل القوم فحقّق الحارث الحال فوجده من أبى قبيس فاخترط سيفه وقصده فهرب منه فى أبى قبيس وهو هذا الجبل ولم يطلع (١٢٢) له بعدها على أثر ولا علم له خبر ، فنسب الجبل إليه وسمّى باسمه .

قلت : ولنذكر هاهنا تتمّة الخبر وما كان من أمر الحارث وابنة عمّه ليلى لإكمال الفائدة ولما فيه من رقّة الشعر ، قال عبد الملك بن هشام : وكان ممّا ألفاه أبو قبيس على لسان رضوى والحارث من الشعر أنّه قال لليلى لمّا سألته عن قولها فقال : إن الحرث لمّا ناولها الإناء الماء أنشد (من الطويل) :

إذا نحن خِفْنا الكاشحين فلم نُطِقْ كلاماً تكلّمنا بأعيننا شزرا
فنَقْضى ولم يفطن لنا كلّ حاجة ولم نظهر الشكوى ولم نهتك السِترا
ولو قذفتْ أحشاؤنا ما تضمّنتْ من الشوق والبلوى إذَنْ قَذَفَتْ جَمْرا

(١٧ـ١٩) كتاب الزهرة ١ / ٩٢ ، ١٦ ، دون نسبة ؛
(١٧ـ١٨) : الكامل ٤٢٦ ، ـ ١ ، منسوب إلى الرقاشى الفضل بن عبد الصمد
(١٧) شزرا : سرا الزهرة (١٨) يفطن : يعلم الزهرة
(١٩) الشوق : الوجد الزهرة

قال فأجابته رضوى تقول (من الكامل) :

ومراقَبين يكاتمان هواهما جعلا الصدور لما تُجنّ قبورا
يتلاحَظان تلاحُظاً فكأنّما يتناسَخان من الجُفون سُطورا ٣

قال : ثم إنّ الحرث آلا على نفسه لا يذوق طعاماً ولا شراباً حتّى تعود ليلى إلى الأحياء ، قال : وآلت ليلى على نفسها أنّها لا تعود حتى تزول الأخشبين ، قال ، وعاد الحرث هائماً لا يذوق شيئاً وله أشعار كثيرة فى مدّة سبع أيّام حتى ٦ قضى نحبه ، فمنها وقد وقف على منهل وكان يوماً صائفاً وقد حميت الرمضاء والعطش قد زاد به فقال (من الكامل) :

لو كنت أطلب حظ نفسى فى الهوى وطلابه يرزى بمطلبيه ٩
لم أجتنب ذاك الجناب وأرتضى حر الهجير على مقيلى فيهِ
وأصد عن تلك الموارد حائماً والقلب يعلم أنّها ترويهِ
حسبى بحظّى أن تصحّ بأنّه لا حظّ لى فى حبّكم أبغيهِ ١٢

قال : وكان آخر شعر قاله وفاضت نفسه (من الطويل) :

ذكرتُكِ ذكرى هائمٍ بكِ تنتهى إليك أمانيه وإن لم يكن وَصْلُ
(١٢٣) ولست بذكرى ساعةٍ بعد ساعة ولكنّها موصولة مالها فَصْلُ ١٥

قال : ثم شهق شهقة فاضت فيها نفسه ، قال : فبلغ خبره ليلى وعلمت أنّها ظلمته لما سمى به أبو قبيس فسألت كيف كان موته فأخبرت ، فآلت على نفسها لا تتلمّس بزاد ولا تذوق ماء حتى يرد جمل أبيها ورده وكان لا يرد إلّا عن عشر ١٨ ليال ، ولها أيضاً أشعار كثيرة رقيقة فمن ذلك (من الطويل) :

(٢-٣) كتاب الورقة ٤٨ ، ٥ ، منسوب إلى محمد بن أبى أمية ؛ عيون الأخبار ١ / ٣٩ ، ٧ ؛ ٤ / ٨٥ ، - ٢ ؛ مختار من شعر بشار ٦٣ ، ٧ ، دون نسبة

(٢) ومراقبين : وملاحظين الورقة || يكاتمان هواهما : تكاتما بهواهما عيون الأخبار || الصدور : القلوب عيون الأخبار (١٤ - ١٥) كتاب الزهرة ٢٠٠ ، ٢

ألا حبّذا البطحا وطِيبُ تُرابِها وأرض خلاء يصدَح الليلَ هامُها
ونَصُّ المهارى المشيّان والضُحى إلى نَفَر وَحْىُ العيونِ كلامُها

٣ ومن شعرها واعتدّوا به فى الطبقة العليا فى معناه قولها (من الطويل) :

وما وَجْد مِلواحٍ عن الهِيم حُلِّئت عن الورد حتى جَوفُها يتصلصلُ
تَحوم وتغشاها العِصىُّ وحولها أقاطيع أنعام تَعَلّ وتَنْهلُ
٦ بأكثر مِنّى لوعة وتطلّعاً إلى الورد إلّا أنّنى أتحمّلُ

قال : وفاضت نفسها فى اليوم الذى فاضت فيه نفس ابن عمّها الحارث وفى ساعته التى قضا فيها فدفنا جميعاً فى لحد واحد ، قال : ثم إنّ رضوى أيضاً آلت ٩ على نفسها ما آلاه حتى لحقت بهما من غير هوى كان بها وإنّما قالت : أنا كنت السبب لذلك وأنا أحقّ بالموت منهما ، قال عبدالملك بن هشام : فالحارث وليلى أوّلا متيّما فى العرب ماتا بعزّة النفس .

١٢ قلت : أما الشعر الأوّل الذى انتحله أبو قبيس على لسان الحارث الذى أوّله يقول :

إذا نحن خفنا الكاشحين فلم نطق . . .

(١ ـ ٢) كتاب الزهرة ١ / ٩٦ ، ١٨ : ١ / ٢٦٩ ، ٨ ، دون نسبة ؛ معجم البلدان ٢ / ٦٣٦ ، منسوب إلى أعرابى

(١) البطحا : الدهنا كتاب الزهرة

(٤ ـ ٦) كتاب الزهرة ١ / ٣٠٨ ، ـ ١ ؛ البيان والتبيين ٣ / ٥٥ ، ٢ ؛ كتاب الحيوان ٣ / ١٠٤ ، ـ ٣ ؛ زهر الآداب ١٩٨ ، ٦ ؛ مختار من شعر بشار ٥٥ ، ٧ ؛ كتاب العصا ٣١٩ ، ٦

(٤) عن : من الزهرة ؛ البيان ؛ الحيوان ؛ العصا || الورد : الماء الزهرة ؛ البيان ؛ الحيوان ؛ العصا

(٦) بأكثر : بأعظم البيان ؛ العصا || لوعة : غلة الزهرة ؛ البيان؛ الحيوان ؛ العصا

فقد أخذه سالم بن الوليد فقال (من الطويل) :

جعلنا ملامات المودّة بيننا دقائق لحظٍ هُنّ أخفى من السِحرِ

فأعرفُ منها الوصلَ فى لين طَرْفها وأعرفُ منها الهجرَ فى النظر الشَزْرِ ٣

(١٢٤) وقال العبّاس بن الأحنف (من الكامل) :

يا من يُكاتمنى تغيُّر قلبه سأكفّ نفسى قبل أن تتبرّما

وأصدّ عنك وفى يدىّ بقيّة من حَبْل ودّك قبل أن يتصرّما ٦

يا للرجالِ لِعاشقَينِ توافقا فتخاطبا من غير أن يتكلّما

حتى إذا خافا العيونَ وأشْفقا جعلا الإشارة بالأنامل سُلّما

وقال البحترى (من الخفيف) : ٩

يتبسّمن من وراء حواشى الـ ـرَيط عن برد أقحوان الثُغورِ

ويُسارِقن والرقيبُ قريبٌ لحَظاتٍ يخلسن سرّ الضَميرِ

ضعف الدهر عن هوانا وماالدهـ ـر على كلّ دولة بقديرِ ١٢

وكذلك معنى الشعر الثانى المنتحل على الحارث من أبى قبيس ليس بينهما فرق بل هو هذا المعنى بعينه ، وكثير ما تمت الأحوال على أهل الضر ، فورى عنها بضروب من العدد كقول أحمد بن أبى فَنَن (من الطويل) : ١٥

---

(١) سالم : مسلم ، غلط (٢ ــ ٣) ديوان مسلم بن الوليد ١٠٥ رقم ١٢ ، ٧ ــ ٨

(٢) ملامات : علامات ديوان مسلم ، تحريف

(٥ ــ ٨) ديوان العباس بن الأحنف ٢٣٧ ، رقم ٤٦٩ ، ١ ــ ٤ ؛ زهر الآداب ٩٤٨ ، ٩

(١٠ ــ ١٢) ديوان البحترى ٢/٨٨٥ ، ٤ ، رقم ٣٤٩ ، ١١ ــ ١٢

(١٠) من وراء حواشى: من وراء شفوف الديوان

(١١) يخلسن : يعلن الديوان

ولما أبت عيناى أن تملك البكاء وأن تحبسا سحّ الدموع السواكب
ما ابت كيلا ينظرَ الدمعَ مُنكِرٌ ولكن قليل ما بقاء التناوُبِ
٣ أعرّضتُمانى للهوى ونممتما علىّ لبئس الصاحبان لصاحبِ

ولقى بشّار أبا العتاهية فقال له : يا أبا إسحق أنشدنى ما أحدث ما عملت فأنشده (من الكامل) :

٦ ومسامرٍ أضحى يسارقنى البكاء من الحياء
فإذا تفطّن لامَنى فأقول ما بى من بكاء
لكنْ ذهبتُ لأرتدى فطرفتُ عينى بالرداء

٩ فقال : أحسنت إلّا أنّك سرقته من قولى (من الوافر) :

كتمتُ عواذِلى ما فى فؤادى وقلت لهن ليتهمُ بعيدُ
(١٢٥) ففاضت عَبْرة أشفقتْ منها كأنّ مَسيل وابلها فريدُ
١٢ فقالوا قد بكيتَ فقلتُ كلّا وهل يَبكى من الطرَبِ الجليدُ
ولكنى أصاب سواد عينى عُويدُ قذًى له طَرَفٌ حديدُ
فقالوا ما لِدَمْعِهما سواء أكِلْتى مُقْلتَيك أصابَ عودُ
١٥ لَقَبْلَ دموع عينك خبَّرتْنا بما جَمْجمتَ زَفْرتُك الصعُودُ

(١ ــ ٣) أمالى القالى ١ / ٧٠ ، ٤ ــ ٥
(٢) ما ابت : تاءبت الأمالى ، لعله تحريف || قليل : قليلا الأمالى
(٦ ــ ٨) ديوان أبى العتاهية ٤٧٥ ، رقم ٢ ، ٤ ــ ٦
(٦) ومسامر ــ يسارقنى : كم من صديق لى أسارقه الديوان
(٨) فطرفت : فأصبحت الديوان
(١٠ ــ ١٥) الأغانى (بولاق) ٣/١٣٩ ، ١٩ ؛ (دار الكتب ٤/٢٩ ، ٣)؛ أمالى القالى ١ / ٤٩ ، ١ ــ ٤ ؛ الزهرة ١/٣١٣ ، ١٥ ــ ٢٠
(١١) ففاضت : فجالت الأمالى || كأن مسيل : تسيل كأن الأمالى
(١٢) بكيت : جزعت الأمالى (١٤) كلتى : كلتا الأمالى

ومن ما ذكر فى هـذا الشعر الطرب شعر رقيق يكاد يكون للروح اللطيف شقيق وهو (من البسيط) :

أتهجرون فتًى أُغْرِى بكم تيهاً ... حقًّا لدَعْوة صبٍّ أن تُجيبوها ٣

أهدى إليكم على بعد تحيّته ... حيّوا بأحسن منها أو فردّوها

زمّوا المطايا غداة البين وارتحلوا ... وخلّفونى على الأطلال أبكيها

شيّعتُهم فاسترابونى فقلتُ لهم ... إنّى بُعِثتُ مع الأجمال أحْدوها ٦

قالوا فما نَفَسٌ يَعْلو كذا صعداً ... وما لعينيك لا ترقى مآقيها

قلت التنفّسُ من تَدْآبِ سيرِكُمُ ... والعينُ تَذرِفُ دَمْعاً مِن قَذًى فيها

حتى إذا ارتحلوا والليل مُعتَكِرٌ ... خفَضْتُ فى جُنحِه صوتى أناديها ٩

يا مَن بها أنا هَيمانٌ ومُختبَلٌ ... هل لى إلى الوصلِ من عُقبى أرجّيها

نَفسِى تُساقُ إذا سِيقَتْ ركابيكم ... فإنْ عَزمتم على قَتْلى فسوقوها

وأمّا شعر ليلى الذى أوّله تقول : ١٢

وما وجد ملواح عن الهيم حلئت . . .

ونظيره قول جميل بن مَعْمر العذرى (من الطويل) :

(٣ ــ ١١) أمالى القالى ١ / ٧٩ ، ٥ : (٣ ــ ٤) ، (٦ ــ ١٠) ؛ حماسة الظرفاء ٢ / ١١٩ ، ــ ١ : (٥) ، (٦) ، (٨) ، (١١) ؛ كتاب الزهرة ١ / ٣١٣ ، ــ ١ : (٥ ــ ٧) ؛ مختار من شعر بشار ٢٦١ : (٥ ــ ٧) ، سمط اللآلىء ٢٦٥ ، ٣ : (٥)

---

(٥) المطايا : المطى سمط اللآلىء (٦) شيعتهم : تبعتهم حماسة الظرفاء

(٧) نفس : فنفسك حماسة الظرفاء || يعلو كذا صعدا: يعلوك ذا صعداً الأمالى؛ هكذا صعدا حماسة الظرفاء || ومالعينيك: ومالعينك الأمالى؛ودمع عينك حماسة الظرفاء ؛ أم مالعينك الزهرة

(٨) من تدآب : من إدمان حماسة الظرفاء ؛ للآداب نحوكم الزهرة || والعين تذرف دمعاً : ودمع عينى جار حماسة الظرفاء ؛ وماء عينى جار الزهرة

(١١) ركابيكم : ركابكم حماسة الظرفاء

وما صاديات حُمن يوماً وليلة على الماء يغشين العصىّ حَوان
لواغب لا يَصْدُرْنَ عنه لوجهة ولا هُنّ مِن بَرد الحياض دوان
٣ يَرين حَباب الماء والموت دونه فهنّ لأصوات السُقاة رَوان
(١٢٦) بأكثرَ منى غُلّةً وصبابةً إليكِ ولكن العَدُوّ عدانى

وقال أبو الهذيل ابن العلّاف : لا يجوز فى دور الفلك ولا فى تركيب الطبائع،
٦ ولا فى القياس ، ولا فى الحسّ ، ولا فى الممكن ، ولا فى الواجب : أن يكون محبّ ليس لمحبوبه إليه ميل .

وكان ليوسف بن القسم بن صَبيح غلام أسود نشأ فى بادية الأعراب فتولّع
٩ بجارية لبعض أهله فشكى إلى مولاه فضربه وحبسه وحلف ألّا يطلقه إلّا بعد شفاعة من شكاه فقيل للعبد وهو مسجون : أتحبّك طلابتك كما تحبّها أنت فقال (من الطويل) :

١٢ كلانا سواء فى الهوى غير أنّها تجلد أحياناً وما بى تجلّدُ
تخاف وعيدَ الكاشحين وإنّما أحنّ إليها حين أُقصَى وأبعدُ

قال : فبلغ مولاه يوسف شعره فقال : وإن فيه لهذا الفضل فركب من وقته
١٥ واحتال حتى أوصله إلى الجارية .

أخذ الناشىء هذا فقال (من الكامل) :

عيناك شاهدتان إنّك من حرّ الهوى تجدين ما أجدُ
١٨ بك ما بنا لكن على مضض تتجلّدين وما بنا جلدُ

(١ ــ ٤) ديوان جميل ٢٠٥ ، ــ ٤
(١) يغشين : يخشين الديوان || حوان : حوانى الديوان ، تحريف
(٢) دوان : دوانى الديوان ، تحريف (٣) روان : روانى ، تحريف
(٥) ابن العلاف : العلاف ، غلط (٨) أخبار الشعراء ١٦٢ ــ ٤
(١٣) أحن ــ أبعد : حنونى عليها حين أنهى و أبعد أخبار الشعراء
(١٧ــ١٨) حياة الناشىء ١٠٠ ، رقم ٢٩ ؛ مختار من شعر بشار ٢٩٧ ، ٤ ؛ وراجع
van Ess, Frühe muʿtazilitische Häresiographie 157, - 7

رجع ما انقطع

ذكر تتمّة الجبال

جبل الفتح : هو من أعظم الجبال فى الدنيا وفيه أمم كثيرة وممالك غزيرة ، ٣
يجمع اثنان وسبعون أمّة، كل أمّة لها لسان وملك وفيه شعاب وأودية ومدينة باب
والأبواب على حدّ شعابه بناها كسرى أنو شروان وجعلها حدّاً فاصلاً بينه
بين الخزر وجعل حدّ (١٢٧) السور ومبـدأه من البحر إلى أعالى الجبل وذلك ٦
نحو من أربعين فرسخاً حتى ينتهى إلى طبرستان ، وجعل على كلّ ثلاثة أميـال
من هذا الجبل باباً من الحديد وعنده حفظة ، وأسكن هناك أمماً مختلفة لحفظ الحدّ
من العدوّ مثل الخزر والترك والان وغيرهم ، ومسافة هذا الجبل من أوّل أعالى ٩
أسوان وحدود اليمن مدّة شهرين إلى أن ينتهى إلى قلعة باب الأبواب ، وبينها
وبين بغداد أربعمائة فرسخ، وهذه القلعة على واد عظيم من هذا الحدّ بالجبل المذكور
لا سبيل لأحد على العبور إلّا من تحتها ، وهى على جبل مدوّر يخرج من وسطها ١٢
عين ماء ، وفى جبلها قرود يقف القرد على رأس الملك فإن كان الطعام مسموم
غمز القرد الملك فامتنع منه ، قال : والذى بناها أنو شروان ، هـــذا من رواية
ابن الجوزى رحمه الله . ١٥

وأمّا رواية المسعودى رحمه الله فقال: فى هذا الجبل عجائب كثيرة منها خسفة
تقدير دورها فرسخا طولاً فى مثله عرضاً، وفيه قرود كهيئة الآدميّين يتحيّل عليهم
ويصاد منهم ويهدوا إلى الملوك ، ومن خاصّيّة القرد منهم أن يجلس على طعام الملك ١٨
فإن كان مسموماً عرق القرد حتى يرشح عرقه فيفهم أنّ الطعام مسموماً فيمتنع منه،

---

(٣) الفتح : القبخ مروج الذهب ٧ / ٥٦٩ (٩) الان اللان مرآة الزمان
(١٦) قارن مروج الذهب ١ / ٢٣٢ مادة ٤٨٥

ومنها أنّ بهذا الجبل أيضاً خسفة أخرى أعظم من تلك الخسفة أضعاف مضاعفة
ودورها أملس منحوتاً لا يقدر على النزول إليها بوجه من الوجوه ولا يصل إلى
٣ سفلها جبل لعظم عمقها وفى سفلها أمّة من الأمم لا يعلم ما هم من الإنس ولا من الجنّ
غير أنّهم يُرَون كأصغر ما يكون لبعد مسافة عمق تلك الخسفة ، وعندهم أشجار
وأنهار ودوابّ ومواشى وغير ذلك ويُنظَر إليهم (١٢٨) يغدون ويروحون
٦ فى معاشهم ولا يصل إليهم أحد ولا يصلون إلى أحد ، هذا ما ذكره المسعودى
فى كتابه مروج الذهب ، وقال فيه : إنّ الذى بنا قلعة باب الأبواب اسفنديار
من ولد بهراسف من أوّل طبقة ملوك الفرس الأول ورتّب فيهم رجالاً ، ويقال
٩ إنّ هذه القلعة فتحت فى أيّام عبد الملك بن مروان ورتّب فيها رجالاً من المسلمين
من العرب وهم إلى هلمّ جراً يتوارثون أمرها وتنقل إليهم الوادّ من تفليس
ونواحيها ، قالوا : وبينها بين تفليس عشرة أيّام وأهل تفليس يساعدونهم خوفاً
١٢ من العدوّ ، قالوا : ووراء هذا السور قوماً من العرب يتكلّمون بالقحطانيّة
وبينهم وبين هذه القلعة عشرة أيّام ، وقيل ثلاثة أيّام ، ثم تلى هذا السور من
ناحية المشرق أمم كثيرة : خزر ، وترك ، ولان ، وقفحاق ، وغيرهم ، ولهم ملوك
١٥ منهم ملك السرير سمّى بذلك لأنّ يزدجرد لمّا أحسّ بزوال ملكه فى آخر أيّام
عمر بن الخطّاب رضى الله عنه بعث سريراً من الذهب وأموالاً عظيمة إلى تلك
الديار ، وهلك يزدجرد لما نذكره إن شاء الله تعالى فى أيّام عثمان بن عفّان رضى
١٨ الله عنه ، فغلب على هذا السرير رجل من نسل بهرام جور وملك تلك الناحية
وفيها اثنا عشر ألف قرية ، ثم يلى هذه المملكة : اللان ويقال لملكهم كرحاح

---

(٦) غلط ابن الدوادارى : مأخوذ من مرآة الزمان ٢١ ب ، ١

(١٩) كرحاح : كرحناح مرآة الزمان ؛ كركنداج مروج الذهب ٢ / ٢٢ مادة ٤٧٩

وله مدينة يقال لها ماعص وعسكره ثلاثون ألفاً ، ومما يلى هذه الممالك جبال فيها قرود كثيرة غير تلك القرود المقدّم ذكرها على صور بنى آدم ولكن ليس لهم تلك الخاصّيّة المقدّم ذكرها . ٣

قلت : وهذه الممالك كلّها عادت بأيدى التتار عند وضع هذا التأريخ لما نذكر من أمرهم إن شاء الله تعالى .

قاسيون : جبل شمال دمشق فيه آثارات كثيرة منها : مغارة الدم ومغارة ٦ الجوع ومسجد الكهف وقبور الزهّاد والأولياء والعلماء وهو جبل مبارك والنفس ترتاح إليه وتختار المقام به ، ومن سكنه لا يطيب له (١٢٩) سكنى غيره .

وجاءت فيه آثار ، قال ابن الجوزى رحمه الله : حدّثنى به الشيخ الصالح ٩ أبو عمرو المقدسى رحمه الله قال : بلغني عن كعب الأحبار أنّه قال : أوحى الله تعالى إلى قاسيون : هب ظلّك وبركتك لجبل بيت المقدس ! ففعل ، فأوحى الله إليه لن تذهب الأيّام والليالى حتى أردّ إليك خيرك وبركتك وظلّك ويبنى لى ١٢ فيك — أو قال : فى ركنك — بيت أعبد فيه بعد خراب البيت أربعين سنة ، قال ، فقاسيون بين يدى الله تعالى بمنزلة العبد الخاضع المتواضع المسكين .

وذكر الحافظ أبو القسم ابن عساكر رحمه الله فى تأريخه : هذا الأثر عن ١٥ القسم أبى عبد الرحمن ولم ينسبه ، وذكر البيت قال : هو جامع دمشق ، وإنّ رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن دمشق فقال : بها جبلاً يقال له قاسيون فيه قتل ابن آدم أخاه وفى أسفله غار من الغرب فيه وُلد إبراهيم عليه السلام ، وذكر ١٨ حديثاً فيه أماكن ، قال ابن الجوزى رحمه الله : والعجب من رواية مثل هذا

---

(١) ماعص : مغص مروج الذهب ١ / ٨٢٢ مادة ٤٧٩
(١٦) تأريخ دمشق ٢ / ١٠٢

الحديث الذى اللفاظه تنطق بوضعه على رسول الله ﷺ فإنّ أحداً من العلما
لم يذهب أنّ قابيل قتل أخاه هابيل بالشام قطّ ولا أنّ الخليل عليه السلام ولد بالشام
٣ وإنّما وُلد ببابل وإنّما المنقول عن كعب الأحبار فى هذا الباب مارواه الثكالى :
أنّ كعباً قدم الشام ومعاوية بن أبى سفيان أميراً بها من قبل عثمان رضى الله عنه ،
وكان معاوية لمّا بلغه قدوم كعب إلى القدس فى سنة ثلاثين قال : ياليت لنا من يخبرنا
٦ بفضائل دمشق وبلغ كعباً فلمّا نزل من عقبة شحورورا دمشق نظر إلى قاسيون فقال :
لا إله إلّا الله هذا مكان قتل فيه ابن آدم أخاه ، كذا وجدته فى التوراة وهذا
الكهف الذى حزّت فيه الملائكة لآدم (١٣٠) وهذا الغار الذى وُلد فيه إبراهيم ،
٩ وأشار إلى برزة ، وعاد يقول : وهذا مكان كذا وهذا مكان كذا ، وبلغ معاوية
فبعث إليه بمال كثير ، ومعلوم أنّ عمر بن الخطّاب رضى الله عنه كان يعلو كعباً
بالدرّة ويقول : دعنا من يهوديّتك : وإنما تزار هذه الأماكن بحسن الظنّ فإنّ
١٢ الأعمال بالنيّات ، وقد طرقها خلق كثير من السادات .

جبل قُدْس : بإسكان الدال ، جبل عظيم بأرض نجد وقد ذكرته العرب .

قطن : جبل معروف ، وكانت عنده وقعة لعبس وذبيان بالحجاز ، وقد
١٥ ذكروه فى أشعارهم .

لبنان : جبل بالشام ، وهو من أعظم الجبال بركةً ، وأصله من الحجاز
يأتى من العرج ويتّصل بالجبال التى على ساحل البحر الشرقى على الطور وأيلة
١٨ ويتّصل إلى بيت المقدس ثم يمتدّ على البقاع وبلد حمص وحلب والثغور ، ثم يمتدّ
إلى الروم ويتّصل باللكام ، وفيه العيون الباردة والأشجار المثمرة والمباحات
الكثيرة والحشائش التى تدخل فى الدرياقات ، ويقال إنّ فيه حشيشة الكيمياء

(١) اللفاظه : الفاظه (١٣) الصحاح ٢ / ٩٥٧ ب (١٤) الصحاح ٦ / ٢١٨٣ آ
(٢٠) الدرياقات : الترياقات

بزعم من زعم ، وفيه الصالحون والأبدال ، وفيه جبل يقال له جبل الدير مطلّ على ساحل البحر ببيروت ، يقال إنّه الجبل الذى قال فيه كنعان بن نوح : «سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء » ، وفى سفحه أيضاً قرية يقال لها كَرَك نوح فيها قبر ٣ يقال إنّه قبر نوح عليه السلام ، وفى سفحه أيضاً قبر شيبان الراعى وقصته مع دنون المصرى مشهورة .

وحكى عن ابن الكلبى عن كعب الأحبار قال : قدم الخليل عليه السلام ٦ الشام فاشتاق إلى بيت المقدّس فقال : ياربّ أرنى الأرض المقدّسة ! فقيل له : اصعد على لبنان وانظر إلى أىّ مكان انتهى بصرك فهى مقدّسة ، أو قيل : فهو مقدّس ، وروى عن شقيق البلخى رضى الله عنه أنّه قال : (١٣١) ما اتّخذ ٩ الله وليّا حتى يسحب ذيله على لبنان :

جبل اللكام : وقد ذكره ابن حوقل فى كتاب الأقاليم فقال : جبل اللكام هو الفاصل بين الثغرين يعنى الشام والجزيرة لأنّ كلّ ما كان وراء الفرات من ١٢ الشام ومن ملطية إلى مرعش جزيرة ، قال : واللكام داخل فى بلاد الروم ، ويقال إنه ينتهى إلى نحو مائتى فرسخ ويمرّ على مرعش وعين زربة الهارونيّة ، وإلى هاهنا يسمّى اللكام إلى أن يجاوز الادقيّة فيسمّى جبل بهرا ويتمّ إلى حمص ويتّصل ١٥ بلبنان ويمرّ على فاسطين حتى ينتهى إلى بحر القلزم ويتّصل بالمقطّم جبل مصر ، قال : وأوّله بالمشرق فى بلد الصين خارجاً من البحر المحيط فيقطع بلاد التبّت وفرغانة ثم يمرّ على سمرقند على شمال الصغد ويقطع نهر جيحون إلى الخزر ويكون عن يمين ١٨ القاصد من خراسان إلى العراق ومنه يتشعّب جبال جرجان وطبرستان والديلم ،

(٢ـ٣) القرآن الكريم ١١ / ٤٣ (٥) دنون : ذو النون
(١١) صورة الأرض ١٦٨ ـ ١٧٠

ويتّصل بجبال آذربيجان والريّ ، ثم يعود إلى همذان وحلوان ، ثم إلى شهرزور
ويقطع دجلة بنواحى تكريت إلى حديثة الموصل ثم إلى الجودى ثم إلى آمد ،
٣ ومنه يتشعّب جبال أرمينية ، ثم يمرّ إلى جبل الفتح وباب الأبواب إلى بحر الخزر
إلى بلاد ياجوج وماجوج، ثم يتشعّب منه جبل يأخذ إلى الفرات ويتّصل بسميساط
إلى مرعش التى ابتدأ منها ، قال : وإذا وصل إلى المقطّم قطع النيل ، ثم مضى
٦ إلى برقة وأقصى المغرب ، ثم إلى البحر المحيط .

فالحاصل أنّ ابن حوقل قال : إنّه يخرج من البحر المحيط بالصين وينتهى
إلى البحر المحيط بالمغرب ، وهـذا تخليط ظاهر لأنّه جعله أوّلاً الفاصل بين الشام
٩ والجزيرة فينبغى أن ينقطع عن الفرات بأرض ملطية ، ثم خلّطه بجبال خراسان
والشرق ولبنان (١٣٢) ومصر ، وأين جبال مصر من جبال الشام وما وجه
الاتّصال بها ؟ وإنّما كلّ جبل على حدّة ، وذكر غير ابن حوقل وقال: واللكام
١٢ جبل مبارك فيه الأبدال والمباحات والعيون وحدّه من مرعش إلى ملطية عرضاً
ويمتدّ فى بلاد الروم طولاً إلى حيث يعلم الله تعالى، وأمّا الجبل الذى يقطع بنواحى
تكريت فهو جبل حمرين مشهور بنواحى العراق .

١٥ قٓ : وهو الجبل المحيط بالدنيا ، ذكر أبو إسحاق الثعلبى رحمه الله فى تفسير
قوله تعالى : « قٓ ، والقرآن المجيد » ، عن ابن عبّاس أنّه جبل من زمرّدة خضراء
محيط بالدنيا ، وخضرة السماء منه ، وعليه كنف الدنيا ، وما وجد الناس من
١٨ الزمرّد فهو ممّا يتساقط منه .

قال وهب بن منبّه : لمّا مرّ عليه ذو القرنين رأى حوله جبالاً صغاراً فناداه:
يا قاف ما هذه الجبال التى حولك ؟ فقال : عروقى ليس فى الدنيا مدينة إلّا وفيها

(٣) الفتح : القبح (١٦) القرآن الكريم ٥٠ / ١

عرق من عروق ، فإذا أراد الله أن يلزلزل أرضاً أمرنى فحرّكت ذلك العرق
فتزلزلت تلك البقعة من الأرض، فقال الإسكندر : فهل وراءك شيء ؟ قال: نعم ا
أرض طولها خمس مائة عام ، فيها جبال من ثلج تحطم بعضها بعضاً ولولا ذلك ٣
لاحترقت من حرّ جهنّم .

وقد ذكره الجوهرى فقال : قاف جبل محيط بالدنيا ، روى عكرمة عن
ابن عبّاس قال : بنى إبراهيم الكعبة من خمسة أجبل : أبى قبيس ، وطورسينا ، ٦
وطور زيتا : وهو جبل بيت المقدس ، والجودى ، ولبنان .

وفى الأقاليم جبال شوامخ وعرة فى ناحية الشمال ، النهار عندهم أى أهلها
ساعة ونصف لأنّ الشمس منحرفة عندهم ، وفى المغرب جبال وعرة تسكنها البربر ٩
ويعصون فلا يقدر أحد عليهم ، وفى الأندلس جبال فيها حجارة (١٣٣) تتّقد
فى الليل ويظهر منها الدخان فى النهار ، قال ابن الجوزى رحمه الله : ذكر جدّى
فى كتابه المنتظم قال : وفى اليمن جبال منها جبلين عظيمين بينهما فى السهل مسيرة ١٢
ثلاثة أيّام ورأسهما متقاربان بحيث يتناول الرجل الرجل من رأس الجبل ما يريد
لضيق ما بينهما .

ذكر الهضاب والتلال والتلاع والرمال ١٥

حكى سيبويه رحمه الله عن الخليل بن أحمد رحمه الله قال : الهَضْبة اسم لما
دون الجبل، وقال فى الصحاح: هى الجبل البسيط على وجه الأرض والجمع الهضبات،
والضراب والأعلام والتلال والتلول أيضاً ، والصوة بمعنى الهضبة ، وكذلك ١٨
التلعة وجمعها تلاع وكثير من هذا المعنى وهنّ كثيرات لا تحصى ، وأمّا العقاب

(١) يلزلزل : يزلزل (٥) الصحاح ٤ / ١٤١٩ ب
(١٥) مأخوذ من مرآة الزمان ٢٣ آ ، ـ ٤ (١٧) الصحاح ١ / ٢٣٨ ب

فكثيرة جدًّا ، منها : عقبة سرنديب ، والهند ، والصين ، وعقبة ساوة ، وهمذان ، وحلوان ، وفى خراسان عقاب كثيرة ، وفى الريّ ، وفى الحجاز عقبة هرشى ،
٣ وذكره الجوهرى وقال : هَرْشى ثَنِيّة فى طريق مكّة ، قريبة من الجُحْفة يرى منها البحر ، ولها طريقان ، فكلّ من سلكهما كان مصيباً غير خاطئ ، قال الشاعر (من الطويل) :

٦ خُذِى أَنْفَ هَرْشى أو قفاها فإنّه كلا جانبى هرشى لهن ولهن

يعنى : الإبل ، وفى طريق الحجاز أيضاً : عقبة أيلة من طريق مصر ، وفى اليمن عقاب كثيرة لا يُدرَك غايتها ، وفى الشام من طريق مصر عقبة فيق ، وعقبة شجر ،
٩ وعقبة الكرسى ، وفى لبنان أيضاً ، وقد أشار إليها المتنبّى بقوله (من الكامل) :

وعِقاب لبنانٍ وكيف بقطعها وهْو المساء وصيفهن شتاء

(١٣٤) وأمّا الرمال فكثيرة : منها الأحقاف وهى ديار عاد وبها الرمل
١٢ الكثير ، قال الجوهرى : الحِقف بكسر الحاء المُعوَجُّ من الرمل والجمع أحقاف ، ومنها رمل عالج .

قلت : ولى فى ذكره من رسالة ، وسوقاً لو عاناه الأعرابى لما صبا إلى رمل عالج ،
١٥ أو كابده الخلى لا يثنى بكبد ذات حرق ولواعج .

وعالج موضعاً بالبادية وقد ذكره ابن عبّاس رضى الله عنه فى مسئلة الغول فقال : والذى أحصى رمل عالج ، وذكرته الشعراء كثيراً ، وكذلك رمل زَرود
١٨ وهو بين مكّة والعراق ، ومنها الرمال التى بين مصر والشام بعدّة منازل تسمّى رمل الغرابى ويبتدئ من منزلة القصير إلى حدود غزّة عند الجاميز ، وهناك بئر

(٣) الصحاح ٣ / ١٠٢٧ ب (٦) ولهن : طريق الصحاح ، تحريف
(١٠) ديوان المتنبى (واحدى) ١٩٥ ، - ١٠ ؛ (عكبرى) ١ / ١٤ ، ٤ || المساء : الشتاء الديوان (١٢) الصحاح ٤ / ١٣٤٥ ب (١٩) قارن معجم البلدان ٣ / ٧٨٠

تعرف ببئر طرنطاى ، وهذه المسافة مسيرة ستّة أيّام هذا فى نفس الطريق الشامية من الديار المصرية وينتهى إلى تيه بنى إسرائيل ومتّصل بالطور والبحر والحجاز.

وقد ذكره ابن حوقل رحمه الله فى كتاب الأقاليم فقال : والرمل المعروف بالهبير هو الذى طوله من وراء جبلى طىء إلى أن يتّصل بالجفار من أرض مصر ٣ قال : وعرضه من الشقوق إلى الأجفر ويقطع النيل إلى المغرب ويمتدّ فى أرض سجلماسة إلى البحر المحيط ، وله عرق يضرب إلى عمان والبحرين ويقطع البحر ٦ الشرق إلى جيحون وخوارزم وسمرقند ويتّصل بالصين وفيه اللوان مختلفة : أصفر ، وأحمر ، وأبيض ، وأسود .

قلت : أمّا قوله : يقطع النيل ، فوهم فإنّه لا يتعدّا منزلة القصير وبين القصير ٩ وبين النيل مسافة ثلاثة أيّام وبينهما بلاد ومزارع وأعمال مصر بالوجه البحرى كأعمال الشرقيّة ببلبيس وأعمالها متّصلة بالنيل ، وكذلك الغربيّة بالمحلة وأعمالها متّصلة بالمالح ، وكذلك أعمال إشموم متّصلة إلى دمياط بالمالح . ١٢

وأمّا اتّصاله بالمالح وهو البحر الرومى فنعم ، فلو قال : إنّه يتّصل بالمغرب بعد قطعه المالح كان أقرب ، ولعلّ الرجل ما دخل مصر فنقل عن سماع فإنّه فاضل مطّلع رحمه الله . ١٥

وقال قدامة بن جعفر رحمه الله فى كتاب الخراج : وفى وسط البحر الشرقى يعنى الحبشى كثيب رمل أحمر بعيد المسافة وفيه أمّة سود الألوان عظام الأجسام ، يقال إنّهم يأكلون الآدميّين من البيض إذا وقعوا بهم من التجّار الغرقى ١٨ والذين تسوقهم إليهم الرياح لآجالهم .

وأمّا التلاع فأبلغ من أن تحصى .

---

(٣) صورة الأرض ١ / ٣٥ ، ١٢ (٧) اللوان : الوان

ذكر القلاع المشهورة

وهى أكثر من أن تحصى فى الأقاليم السبع ، فمن قلاع المشرق : قلعة سليمان
٣ بإصطخر : يقال إنّ الشياطين بنوها له عليه السلام فإنّها من عجائب الدنيا فى البناء
والارتفاع والحصانة ، وقلعة بفارس بناها زياد بن أبيه لمّا كان على العراقين من
قبل معاوية رضى الله عنه لما نذكر من خبره ، وقلاع أخر بفارس انطرور ودبول
٦ وكردكوه ، وفى خراسان حصون كثيرة مذكورة وكذ فيما وراء النهر ، فمن
حصون خراسان قلعة نيزك وهى قلعة عظيمة فتحها يزيد بن المهلّب بن أبى صفرة
فى سنة أربع وثمانين ، وقد مدحها الشعراء وليس بالشرق بعد قلعة سليمان أحصن
٩ منها ، ومن ذلك قلعة باب الأبواب بجبل الفتح ، وقد تقدّم ذكرها ، وفى جبل
الفتح عدّة قلاع ، وقد تقدّم القول بذلك . وفى بلاد أرمينية قلاع كثيرة لهم
حصانة مانعة .

١٢ ومن قلاع الجزيرة قلعة ماردين ، قال ابن المنادى رحمه الله : أُسِّسَتْ قلعة
ماردين على مصابرة العدوّ أربعين سنة ، فلو نزل عليها ملك بجيشه لما طاق فتحها
عنوةً . قال (١٣٦) : وفيها من العيون العذبة عشرة أعين ، وهذا قول
١٥ ابن المنادى وهو أيضاً وهم ، فإنّ المعتضد فتحها عنوةً بالسيف فى مدّة يسيرة ،
وكذلك العادل بن أيّوب أقام عليها دون القسمة أشهر واستظهر على فتحها فجاءه
خبر وفاة ابن أخيه الملك العزيز بمصر وخلف أولاد أخوه فرحل عنها ولو استمرّ
١٨ عليها عشرة أيّام أخر افتتحها ، وأمّا قوله : إنّ فيها عشرة أعين فقد ذكر لى
جماعة من أهلها : أنّ لم يكن بها غير عين واحدة وهى يسيرة جدّاً ، وربّما تنقطع
فى وقت من السنة .

---

(١) مأخوذ من مرآة الزمان ٢٣ ب ، ١٤
(٦) كذ : كذا ، تحريف (٩) الفتح : القبخ

وقد ذكر أيضاً ابن حوقل فقال : وجبل ماردين من قرار الأرض إلى ذروته مسيرة فرسخين أو نحو فرسخين ، و < عليه > قلعة لحمدان بن الحسن بن عبد الله ابن حمدان تعرف بالبازى الأشهب لا يستطاع فتحها عنوةً ، وفى الجبل جوهر ٣ الزجاج وبه حيات عظام ، وفى الجملة فهى أحصن قلاع الجزيرة .

وفى الشام قلاع كثيرة منها : قلعة حلب وتسمّى الشهباء ، فإنّ ملك الروم نزلها وفتح البلد ولم يقدر عليها ، وكان سيف الدولة ابن حمدان رحمه الله يفتخر ٦ بها مع اتّساع ملكه فى ذلك الوقت ويقول : معقلى حلب وشاعرى المتنبىّ ، وبقلعة حلب آثار إبراهيم الخليل عليه السلام ، ويقال : إنّه أوى إليها عند دخوله إلى الشام ، وعلى الجملة فإنّها لم تزل تعدّ فى القلاع المانعة حتى افتتحها هلاوون فى ٩ المدّة اليسيرة حسبما سنذكره من ذلك مع سائر ما ذكرنا من القلاع المانعة ، لم يتّسع على القوم سهل ولا جبل ولا اغنى منهم خيل ولا خول ولا مكر ولا حيل ولم يزالون على ذلك إلى أن كسرهم الله تعالى على يد السلطان الشهيد والبطل ١٢ الصنديد سيف الدنيا والدين قطز تغمّده برحمته وأسكنه جنّته برحمته .

(١٣٧) ومن قلاع الشام أيضاً قلعة حمص ، وحماة ، وبعلبك ودمشق ، وصرخد ، وعجلون ، والكرك ، والشوبك قبل خرابه ، وكان أيضاً مثل قلعة ١٥ القدس ، وكوكب ، والطور ، وتبنين ، وهونين ، وعكّا ، وطرابلس ، هؤلاء بالساحل وغيرهم أيضاً يأتى أسماؤهم عند فتوحهم وعودتهم فى أيدى المسلمين، أدام الله ذلك إلى يوم الدين . ١٨

وأمّا الديار المصريّة فيها أشرف القلاع ، التى تشرّفت بساكنها على سائر البقاع ، وتشنّفت بذكر محاسنها الأسماع :

(١) صورة الأرض ١ / ٢١٤ ، ١٧ (٢) عليه : مرآة الزمان ، صورة الأرض
(١٥) وكان أيضاً : وكان بالساحل قلاع أخربت كالقدس مرآة الزمان

قلعة الجبل المحروسة التى أضحت بالمقام الشريف الناصرى مأنوسة ، فمادت بزينتها بين سائر قلاع الأرض تتجلّا كالعروسة ، لما شيد فيها من البنيان ، الذى يعجز عن وصف بعضه صاحب علم البيان، فليس الخبر كالعيان، فتبارك الله الملك الدّيان ، الذى أيّد مولانا السلطان ، بالملائكة والقرآن ، حتى ذلّ له الزمان ، وعادت أيّامه من صروفه فى أمان ، فهو فى مشرفه معد بن عدنان ، وفى فصاحته قس وسحبان ، وفى بلاغته قدامة بن حطان ، وفى كرمه برمكىّ الإحسان ، وفى كتابته على ثان ، وفى عدله كسرى أنو شروان ، للملك العظيم الشأن ، ساهر من الثقلان ، المتوّج بالنيران ، الشمس والقمر من غير نقصان ، ولا تدركهما آية الكسوفان ، فهو مولانا وسيّدنا السلطان ، الملك الناصر ، الناصر لملّة القرآن ، سمّى سيّد ولد عدنان ، محمّد صلى الله عليه كلّما صدح قمرى على أعلا أغصان ، والمستبشر به لإعلاء دينه على سائر الأديان ، فهو فى عصره سليمان ، ذلّت لهيبته ملوك الإنس والجانّ ، فلو أدرك زمانه النعمان، لكان من جملة الغلمان، أو قيصر وكسرى وخاقان ، (١٣٨) لكانوا من بعض الأعوان ، ولو نال من قبله بشر فى الأفلاك مكان ، لكان ظهر جواده السما كان ، فقلوب الخلائق محبّة وحبّ الخلق لحبّ الخالق عنوان ، فهو مكىّ الحرم ، برمكىّ الكرم ، هاشمىّ الفصاحة ، حاتمىّ السماحة ، عثمانىّ الحياء ، لقمانىّ الذكاء ، يوسفىّ الخَلق ، محمدىّ الخُلق ، يظنّ فى الكرم بحراً ، ويحسب لفظه للحسن شجراً ، إذا أفصل فصلاً كان قولاً فصلاً ، وإذا أصل أصلاً لم يستطع أحد من الملوك مثله أصلاً (من البسيط) :

فاق الملوك بأخلاق مهذّبة ... وفات من كان جاراه وباراهُ
توطّد الملك مُذولى ولايته ... واستبشرت حين راعاه رَعاياهُ

وقام بالأمر مذ نيطت تمائمه قيام مضطلع قواه تقواهُ
وأعلن العدلَ حتى أمّ مذهبه من كان قدماً تعدّاه وعاداهُ
وجَدّد الجود حتى لاح معلمُهُ للمجتدين وطرّاه وأطراهُ ٣
فالدينُ والملكُ والأقوام قاطبةً راضون عن سعيهِ واللهُ والله

فلله درّه من سلطان عادل ، وملك فاضل ، يطيل الأقبال ، ويزيل الأقلال ، ويتفقّد الأحوال ، وينتقد الرجال ، ويكشف النوازل ، ويعرف المنازل ، بهيّ ٦ المنظر ، رضيّ المخبر ، لا يخيّبه أمل ، ولا يقهره بطل ، جبر الرعيّة بفضله ، وعمّ البرّية بعدله ، وحصن الأنام بكفايته، وحسن الأحكام بدرايته (من الكامل) :

متيقّظ العزمات مذ نهضت به عزماته نحو العلى لم يقعدِ ٩
وتكاد من نور البصيرة أن يرى فى نومه فعل العواقب فى غدِ

وسنذكر فى جميع أجزاء هذا التأريخ من بعض محاسنه ما يليق كلّ (١٣٩) فصل من فصوله الحسان ، ولا ندرك بعض بعض محاسن سيرة مولانا السلطان ، ويأتى ١٢ أيضاً من ذكر هذه القلعة المنصورة ، التى عادت محاسن الدنيا فى كلّ مقصورة منها عليها مقصورة .

فصل فى ذكر البحار والجداول والأنهار ١٥

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله بإسناده إلى شيخ كان مرابطاً بساحل البحر قال : لقيت أبا صالح مولى عمر بن الخطّاب رضى الله عنه فقال : حدّثنى عمر عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنّه قال : ليس من ليلة إلّا والبحر يشرف على الأرض يستأذن ربّه ١٨ ثلاثاً هل ينفضح على الأرض فيكفّه الله تعالى .

---

(١٥) مأخوذ من مرآة الزمان ٢٤ ب ، ٩ (١٦) مسند أحمد بن حنبل ١ / ٤٣

قال ابن الجوزى رحمه الله إنّ جدّه رحمه الله ذكر الحديث فى الواهية ، وقال : الشيخ الذى فى الحديث مجهول ، ثم قال : لا يقدح فى الحديث فقد أخرج الحميدى فى آخر الجمع بين الصحيحين عن رجل مجهول وغيره ، وإنّما الحديث الذى ضعّفوه رواه أبو هريرة وغيره : إنّ الله تعالى كلّم البحر الشامى فقال : يابحر ألم أخلقك وأكثرت ماءك ، وهو حديث طويل ، قال ابن الجوزى : قال جدّى رحمه الله : فى طريق هذا الحديث عبد الرحمن العمرى اتّفقوا على تركه ، وذكر غيره وقال : إنّما هو من كلام كعب الأحبار .

فإن قيل : لِمَ سمّى بحراً قلنا : لعمقه وسعته ، وقال الجوهرى : البحر خلاف البرّ والجمع أبحر وبحار وبحور ، قال : وكلّ نهر عظيم بحر ، ويسمّى الفرس الواسع الجرىّ : بحراً ، قلت : وكذلك العالِم المتّسع فى علمه يسمّى بذلك ، وقد سمّى عبد الله بن عبّاس رضى الله عنه بحراً لا تّساع علومه .

واختلفوا فى عدد البحار على أقوال : أحدها : إنّها سبعة أبحر ، منها ستّة ظاهرة وواحد محيط بالدنيا مظلم ومنه (١٤٠) تستمدّ باقى البحور ، قاله ابن عبّاس

الثانى : إنّها خمسة أبحر ، قاله مقاتل .

الثالث : أربعة أبحر ، قاله مجاهد .

والأوّل أصحّ ، شهد بذلك القرآن ، ولأنّ السموات سبع ، والأرضين سبع ، والنجوم السيّارة سبع ، والأيّام سبع ، وخُلق الإنسان من سبع ، لقوله تعالى : « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين » الآية ، ورزق من سبع لقوله تعالى : « فلينظر الإنسان إلى طعامه » الآية ، ومن قال بالأربع والخمس فهى داخلة فى السبع .

(٨) الصحاح ٢ / ٥٨٥ آ (١٨) القرآن الكريم ٢٤ / ١٢
(١٩) القرآن الكريم ٨٠/ ٢٤

وذكر فى جغرافيا أنّها مختلفة المقادير ، فمنها : ما هو على صورة الطيلسان ، ومنها ما هو على هيئة السابورة ، ومنها ما هو على التدوير ، والغالب عليها الاستدارة ، وقال ابن حوقل فى كتاب الأقاليم : وأشرّها بحر فارس والروم ٣ وهما خليجان متقابلان يأخذان من البحر المحيط، وأفسحها طولاً وعرضاً بحر فارس يعنى الشرقى ، قال : والمحيط يقال له نيطس والبحار تستمدّ منه وهى بالنسبة إليه كالخلجان ولا يتأتّى فيه الركوب ولا يعيش فيه حيوان إمّا لشدّة برده أو لحرارته، ٦ والقريب لبرده، ولا تجرى فيه المراكب لما فيه من حجارة المغناطيس ، ومن القلزم إلى الصين على خطّ مستقيم يعنى على وجه الأرض نحو من مائتى مرحلة ، وأمّا من أراد قطع هذه المسافة من القلزم إلى الصين فى البحر طالت عليه المسافة لكثرة ٩ المعاطف والتعاريج فى البحار والتواء الطرق .

ذكر البحر الشرقى وعجائبه

قال علماء الهندسة : إنّه يأخذ من البحر المحيط الكبير المظلم بالمغرب وينتهى ١٢ إلى أقصى الهند والصين وذلك ثمانية آلاف ميل ، وعرضه (١٤١) ألفان ميل وسبعمائة ميل ، وقد يختلف عرضه باختلاف الأماكن فى الضيق والسعة ، قال ابن المنادى : طول هذا البحر من القلزم إلى الوقواق أربعة ألف فرسخ ١٥ وخمس مائة فرسخ ، وفيه خلجان عظيمة منها : خليج يتّصل بأرض الحبشة ويمتدّ إلى بلاد الزنج إلى مكان يقال له بربر ، طوله خمس مائة ميل وعرضه مائة ميل ، وليس هذا بربر الموضع المعروف بالمغرب من أرض إفريقية ، وإنّما هو مكان آخر ١٨

(٣) صورة الأرض ١ / ١١ ، ١١ (١١) مأخوذ من مرآة الزمان ٢٥ آ ، ٩

فى أقصى الحبشة يسمّى بهذا الاسم وهو جنس من الأحابش ، وقال أبو معشر : وليس فى البحار أعظم من موجه يرتفع مثل الجبال ثم ينخفض حتى يصير أودية
٣ عميقة .

وذكر أحمد بن محمد بن إسحاق فى كتاب البلدان ، قال : وليس فى العالم أكبر من هذا البحر ، يعنى غير المحيط ، فإنّه يأخذ من المغرب وينتهى إلى الصين
٦ فيمرّ على النوبة والحبشة ، ثم إلى القلزم ، ثم إلى وادى القرى وجدّة ، وزبيد ، وعدن ، والشحر ، وحضرموت ، وعمان ، والديبل ، وفارس إلى الشرق ، وجميع بلاد الهند والسند عليه ، صيفهم شتاؤنا وشتاؤنا صيفهم ، فكانون وكانون
٩ وشباط عندهم مثل حزيران وتموز وآب عندنا ، قال : وعلّلوا ذلك بقرب الشمس من الأقاليم وبُعدها .

قال ابن الجوزى : وذكر من له خبرة به أنّ عمقه فى مواضع مائة ذراع
١٢ وأكثر .

وقال أبو معشر رحمه الله : قد قسم أرباب الهيئة هذا البحر الشرقى سبعة أقسام ، فالقسم الأوّل : بحر القلزم ويمرّ على النوبة والحبشة واليمن وعمان ،
١٥ وطول هذا القسم من البحر ألف وأربع مائة ميل وعليه من المدن : القصير ، وعيذاب ، وبين مدينة القلزم والفسطاط ثلاثة أيّام .

(١٤٢)الثانى : بحر فارس ، وأوّله من الأيلة والبصرة والبحرين عند الخشبات
١٨ وهى علامات منصوبة من خشب فى البحر يستدلّ بها أهل المركب عند جبل يقال له رأس الجمجمة ، وقد ذكرناه فى الجبال ، وقلنا إنّ أوّل هذا الجبل من اليمن من ناحية الشحر والأحقاف وآخره يمتدّ فى الهند إلى البحر ولا يعلم له غاية .

(٤) قارن مختصر كتاب البلدان ٧ ، ٧

وعلى هذا الخليج الذى يسمّى بحر فارس من البلاد : البحرين ، وعمان ، وسيراف ، وكرمان ، ومن عمان إلى سيراف ستّون ومائة فرسخ ، ومن سيراف إلى البصرة أربعون ومائة فرسخ ، وفيه من الأمم والجزائر ما لا تحصى ، وفيه مغاص اللؤلؤ فى جزيرة كَيش ، قال : ولا يكون ذلك فى جميع السنة بل من أوّل يوم من نيسان إلى آخر أيلول لا غير .

واختلفوا فى اللؤلؤ على قولين : أحدهما : أنّه من حيوان فى البحر يقال له البلبل وفيه لحم ويخاف على ما فيه من الدرّ من الغاصة كما تخاف المرأة على جنينها ، القول الثانى : إنّه يتولّد من الأمطار إذا وقع المطر فى نيسان ارتفع الصدف إلى وجه الماء فيفتح فاه فيقع فيه المطر ، فمن الصدف ما يضمّ على ما وقع فى فيه ويغوص ويقيم طول السنة يحفظ نفسه من استنشاق الهواء حتّى يأتى عليه نيسان وقد انعقد فى باطنه اللؤلؤ ، ومن الصدف من يشتاق إلى النسيم فيصعد على وجه الماء فيفتح فاه ويستنشق النسيم فيفسد ما فيه ، والأوّل أصحّ لأنّ الغوّاصين يستخرجون هذا الحيوان من البحر ويأكلون لحمه ويأخذون اللؤلؤ من جوفه ، ويحتمل أنّ اللؤلؤ يتولّد من المطر والحيوان جميعاً .

القسم الثالث من هذا البحر يقال له بلا ذرى وليس فى البحر الحبشى أعظم مجرًى للماء منه .

والقسم الرابع (١٤٣) يعرف بكندر لاوى وفيه العنبر الخام ، واختلفوا أيضاً فيه ، فمنهم من قال إنّه خثا سمك فى البحر وتقذفه الأمواج إلى سواحل معروفة فيه فيلقطونه أهل تلك الديار ويبيعونه على طلابه من التجّار ، ومنهم من قال إنّ أصله حشيشاً فى جزائر ذلك البحر وإنّ السمك إذا رعاه وتكوّن فى

(٤) كيش : قارن المشترك وضعاً ٣٦٥

جوفه أهلكه فيموت ويطف على وجه الماء وتقذفه الأمواج إلى سواحله فيأخذونه ويستخرجون العنبر الخام من جوفه فيبيعونه ، وعلى الجملة إنّه من سمك تلك الديار
٣ فى هذا البحر المعروف بكندر لاوى .

والقسم الخامس : يسمّى كلاه مات .

والسادس : كردنج : وهو بحر الصين .

٦ والسابع : مملكة المهراج ، وقال فى كتاب المسالك والممالك : ووراء بحر الصين مفاوز ورمال تجرى فيه السفن وهذا غريب ، وقال النوبختى : إنّ بين الهند والصين على هذا البحر ثلاثون ملكاً أصغر ملك منهم يملك مثل ملك
٩ العرب .

وفى هذا البحر الشرقى المذكور عجائب كثيرة ، منها : أنّ فيه سمكاً طول كلّ سمكة خمس مائة ذراع وأكثر وأقلّ ، وذلك بذراع أهل البحر وهو ذراع
١٢ أطول من ذراع التجّار ، ويقال لهذا السمك العمرى ، قال : وإنّ السمكة منه لترفع جناحها فيكون كالقلع العظيم وتخرج رأسها من الماء ثم تنفخ فيذهب الماء فى الجوّ صعداً ويمرّ أكثر من مرّ السهم الجيّد ، قال : وأهل المراكب يخافونها
١٥ فيضربون الدبادب والأبواق والصراخ العظيم ليفر عنهم وتبع ما تجده من السمك الصغار فيسمع لذلك فى جوفها دويّاً عظيماً ، قال : ولهذه السمكة آفة وهى سمكة صغيرة بمقدار الذراع يقال لها الكشك فإذا أراد الله تعالى هلاك
١٨ تلك السمكة العظيمة جاءت الصغيرة إليها (١٤٤) فتلصق بأصل أذنها وتعضّها فلقوّة ما تجده من الألم تغوص فى الماء إلى قرار البحر وتضرب بنفسها الأرض

(٤) كلاه مات : كلاه تار مرآة الزمان ، تحريف
(٤ ـ ٦) قارن مروج الذهب ١ / ١٨٢ مادة ٣٧٦ ؛ ١ / ١٨٣ مادة ٣٧٩
(٦) المسالك ١٧٨ ، ١١

عدّة دفوع حتى تموت وتطفو على وجه الماء كالجبل العظيم ، قلت : ونظير هذه السمكة الصغيرة التى تقتل هيتك السمكة الكبيرة الدويبة التى تقتل التمساح بنيل مصر لما نذكر .

وفى هذا البحر سمكاً يبلع المراكب بما فيها من الركّاب والأمتعة ، وفيه سمكاً طيّاراً ، وسمكاً على صوة الجمال وجوههم كوجوه البوم ، وسمكاً على صورة البقر كشبه الجاموس يعمل من جلودها الدرق المانعة ، قال ابن الجوزى : وفيه سمك فى بطن سمك فى بطن كلّ سمكة مثلها ، وفى بطن الأخرى مثلها إلى عدّة طبقات ، قلت : وهذا أيضاً يؤخذ بالقياس نسبة الأترجّة فى جوفها أترجّة بالديار المصريّة كثير جدّاً ، قال : وفيه سلاحف استدارة ظهر السلحفاة عشرون ذراعاً وأكثر يوجد فى جوفها ما يزيد عن ألف بيضة ، وقال ابن المنادى رحمه الله : وعلى هذا البحر فى الهند مدينة يقال لها مل تنبت الفلفل ، وعلى كلّ عنقود فى عناقيده ورقة تكنّه من المطر فإذا مضى زمان المطر ارتفعت الورقة وإذا عاد عادت .

وقال المسعودى : وفى مملكة المهراج الحيوان المعروف بالسكركدنّ والقرن الذى فى جبهته ينشر فيجدون فيه على صوره عدّة من الحيوانات ففيه شىء نظيره، وفيه شىء نظير الفيل والزراف والقرد وشىء شبيه الطاؤوس مع عدّة من الحيوانات فيصنعون فيه المناطق بالذهب وله قيمة كبيرة ويشدوها ملوك الصين والهند فى أوساطهم مع الرؤساء منهم ، وعدّد المسعودى أيضاً عدّة عجائب فى هذا البحر الشرقى أضربت عنها كونها فى كتابه مروج الذهب، وهو موجوداً بأيدى الناس ففيه كفاية . (١٤٥) قال ابن الجوزى: وفى هذا البحر جميع المعادن خصّص بذلك، وسنذكر مملكة المهراج عند ذكرنا للجزائر إن شاء الله تعالى .

(٢) هيتك : هذه ، لهجة (٩) قارن المسالك ٦١ ، ٨

(١١) مل : ميبار تقويم البلدان ٣٥٣ ، ـ ١

(١٣) مروج الذهب ١/ ٢٠٤ مادة ٤٣٠ (١٤) صوره : صورته ، تحريف

ذكر لمعاً من المعادن التى كالخزائن

قال الهيثم بن عدىّ : المعادن كثيرة غير أنّ المشهور منها سبعمائة منها :
٣ معدن الذهب وهى عدّة معادن مفرّقة فى أقطار الأرض ، وكذلك معادن الفضّة ، والنحاس ، والصفر ، والزئبق ، والرصاص ، والنفط ، والقار ، والمرداشيح ، والزرنيخ ، والجصّ ، والنورة ، والملح ، والنشادر ، والأطرون ، ولا يوجد
٦ الأطرون إلّا بمصر وهو من عجائبها فإنّ له بركة ينعقد بها ، ونحوه ، ولا ينعقد الملح إلّا فى السباخ ، ولا الجصّ إلّا فى الرمل يعنى فى الغالب ، وجميع المعادن مفرّقة فى الأقاليم السبعة ، والغالب على معادن الذهب والفضّة أن يكونا فى المغرب
٩ وجزائر الإفرنج .

قلت : وسنذكر من خبر معدن الذهب الذى ببلاد التكرور عند ذكرنا قدوم ملك التكرور إلى الديار المصرية طالباً للحجاز الشريف ممّا حدّثنا به عن
١٢ حقيقة أمره إن شاء الله تعالى .

قال : والغالب على الياقوت والجوهر واللآلئ أن يكون بالمشرق ، والنحاس والصفر والزفت والقار ببلاد الجزيرة ، والحديد بالشرق وبلاد الأرمن ، قلت :
١٥ والزمرّد فمعدنه المشهور بنواحى صعيد مصر فى جبل غربى النيل يضرب عروق بين صفحات ذلك الجبل فيوجد منه الكبير القدر والقابل والجيّد وهو الدبابى ومن خاصّيّته إذا نظرته الحيّات تسيل عيونها ودونه ودون الدون الساقى وهو أقلّه
١٨ ثمناً ، وسنذكر أيضاً من خبره فصلاً .

(١) مأخوذ من مرآة الزمان ٢٤ آ ، ٨

ذكر البحر الرومى وعجائبه

ذكر ابن حوقل فى كتاب الأقاليم قال : وأمّا بحر الروم فإنّه يأخذ (١٤٦)
من المحيط من المغرب فى الخليج الذى بين المغرب والأندلس حتى ينتهى إلى الثغور ٣
الشاميّة ، ومقداره فى للسافة نحو من أربعة شهور وهو أحسن استقامةً واستواء
من بحر فارس ، وذلك لأنّه إذا أخذتَ من فم هذا الخليج أدّتك ريح واحدة إلى
أكثر هذا البحر ، قال : وبين القلزم الذى هو لسان بحر فارس وبين بحر الروم ٦
على سمت الفَرَما أربع مراحل .

قلت : قصده عرض المسافة من الإسكندريّة إلى القلزم فهو أكثر من ذلك،
وإن قصد من دمياط فأيضاً أكثر ممّا ذكر ، والنهار يقطع فى مرحلتين ، والمسافة ٩
بينهما خمسة أيّام بعشرة مراحل ، قال ابن الجوزى : ويزعم بعض المفسّرين فى
قوله تعالى : « بينهما برزخ لا يبغيان » أنّه هذا الموضع القاطع بين البحرين .

وقال أبو معشر رحمه الله: بحر الرومى يأخذ من خليج يخرج من البحر المحيط ١٢
ويسمّى ذلك البحر نيطس ، قال: وأضيق مكان فى ذلك الخليج من ساحل مدينة
طنجة بالمغرب ويعرف بالزقاق عند مدينة سبتة ، قال : ويبدأ البحر الرومى من
مكان يقال له أصنام النحاس ، ليس وراءه شىء ، وعرض الزقاق ستّة أميال ، ١٥
وقيل إنّ هذا البحر مثل البركة ، ولهذا إنّ مابين الأندلس وبين القسطنطينيّة
مائة ميل ، وهذا البحر يمتدّ إلى أقصى بلاد المغرب وبلاد الفرنج ، وعليه مدينة
طرابلس الغرب ، ثم يمتدّ إلى الإسكندريّة ودمياط والفرماء وغزّة وعسقلان ويافا ١٨

(١) مأخوذ من مرآة الزمان ٢٦ آ ، ٣
(٢) صورة الأرض ١ / ١١ ، ٢٣ ـ ١٢ ، ٣
(١١) القرآن الكريم ٥٥ / ٢٠ ؛ قارن صورة الأرض ١ / ١٢ ، ٣
(١٢) بحر الرومى : بحر الروم مرآة الزمان

وقيساريّة وحيفا وعكّة وصور وصيدا وبيروت وجبيل واطرابلس الشام ، وانطرسوس وأدنة ، والمصيصة وجبلة واللاذقيّة وبلد أنطاكية ، ثم يمرّ على بلاد ٣ الأرمن تسيس إلى الروم إلى خليج القسطنطينيّة ، وقيل طوله ستّة آلاف ميل وعرضه من المائة (١٤٧) إلى الستّمائة بحسب اختلاف الأماكن فى السعة والضيق.

وفيه جزائر يأتى ذكرها ، وقيل إن ذو القرنين هو الذى فتح هذا الزقاق ٦ عند مدينة سبتة لأنّ مكان البحر كان وادياً عظيماً فيه أمم كثيرة ومدن وحصون ومزارع وقرى وآثارها باقية فيه، وكان أهلها عصاة على الإسكندر فأقام ينذرهم أربعين سنةً فلم يطيعوه فأرسل عليهم الماء من الزقاق فغرقوا .

٩ قلت : هذه رواية ضعيفة ، إن كان قصدهم ذو القرنين الإسكندر اليونانى فإنّه لم تطول مدّته إلى أربعين سنةً ، وإن أعنوا ذو القرنين الأوّل فلعلّه .

قال : ويتشعّب منه خليج طوله خمس مائة ميل ويتّصل بمدينة رومية ويسمّى ١٢ أروس ، وقد زعم قوم : أنّ البحر الرومى متّصل بالبحر الحبشى واحتجّوا بأنّه وصل فى الزمان القديم قوم إلى جزيرة الأندلس فى مراكب فأغاروا عليهم ووجدوا فى مراكبهم النارنجيل وهو شجر لايكون إلّا فى للبحر الشرقى وهو ١٥ شجر يشبه المقل وليفه يعمل به مراكب البحر الشرقى لأنّ مراكب البحر الرومى مسمرة بالمسامير والبحر الشرقى كثير الحجارة < و > المغناطيس فتشدّ المراكب بليف النارنجيل ، قلت : وهذا القول بعيد لما بين البحر الشرقى والغربى من ١٨ المسافات والبحار والجبال .

وأمّا خليج القسطنطينيّة : فقد توهّم قوم أنّ الخليج المذكور إنّما يأخذ من البحر الرومى ويصبّ فى بحر باب الأبواب والأمر بالعكس لأنّ علماء الهيئة

(١٩) مأخوذ من مرآة الزمان ٢٦ آ ، ـ ١

ذكروا أنّ فى ناحية الشمال بحر يقال له نيطس طوله ألف ميل وعرضه ثلاثمائة
ميل وهو أحد البحور السبعة ومصبّه من ناحية الشمال من بحر آخر أكبر منه ،
وعلى سواحله خلق عظيم من ولد يافث (١٤٨) بن نوح عليه السلام ، يمتدّ إلى ٣
خليج القسطنطينيّة ، وطول هـذا الخليج ثلاثمائة ميل وعرضه عشرة أميال ،
والقسطنطينيّة إلى جانبه من ناحية الشمال ، وهو خليج عَسِر كثير العطب عظيم
الأمواج ، وقال ابن المنادى : البحر المعروف بنيطس من وراء القسطنطينيّة يجىء ٦
من بحر الخزر وعرض فوهته ستّة أميال ، يمرّ على القسطنطينيّة ثم يصبّ فى بحر
الروم ويمرّ ببلاد الأندلس فإذا انتهى إليها صار بين جبلين ويضيق حتى يصير
عرضه مقدار السهم . ٩

وأمّا بحر باب الأبواب ، قال علماء الهيئة : هذا البحر مستدير الشكل إلّا
أنّه إلى الطول أقرب ، وطوله ثمان مائة ميل وعرضه ستّمائة ميل ، وعليه الخزر
والديلم وجرجان وطبرستان والترك وأمم كثيرة ، وفيه التنّين ، واختلفوا فيه على ١٢
قولين : أحدهما : إنّه دابّة تسكون فى البحر فتعظم فتؤذى دوابّ البحر فيبعث
الله تعالى عليها ريحاً فيخرجها إلى وجه الماء فيتعلّق بها السحاب فيلقيها فى الأرض ،
والثانى : إنّها ريح سوداء تسكون فى قعر البحر فتظهر إلى ظاهره ثم ترتفع إلى ١٥
الجوّ وتلتحق بالسحب كالزوبعة إذا ثارت من الأرض واستدارت وثار معها
الغبار فيتوهّم الناس أنّها حيّة عظيمة سوداء خرجت من البحر ، والأوّل أقرب
إلى الصحيح . ١٨

---

(١٠) مأخوذ من مرآة الزمان ٣٦ ب ، ٨

ذكر مبادىء البحار

اختلفوا فيه على أقوال : أحدها : إنّها من الأستقصّات الأربع خلقها الله
٣ تعالى يوم خلق السموات والأرض كما خلق جميع الكائنات .

الثانى : إنّها بقيّة طوفان قوم نوح عليه السلام ، وهذا ضعيف لوجهين :
الأوّل : أنّ قد كان من قبل الطوفان البحار فى المخلوقات الأرضيّة حسبما ذكرنا .
٦ (١٤٩) الثانى : أنّه أجمع العلماء رضى الله عنهم على أنّ طوفان قوم نوح كان
ماء أسود منتن وهذه البحار بخلاف ذلك ، وزعم قوم أنّ الطوفان لم يصل الصين
ولا الهند بزعم من زعم ، وهذه البحار فأصولها من ثَمّ ، والبحر المحيط فليس
٩ فى وجوده شكّ ولا اختلاف فيه اثنان .

والثالث : أنّ البحار من عرق الأرض لما ينالها من حرارة الشمس .
وفيه أيضاً .

١٢ والرابع : أنّها من مياه الأرض فالملح ينحدر إلى الأماكن المنخفضة فينعقد
غليظاً كدراً وتختلط به الأجزاء الناريّة ، فأمّا الأمياه العذبة فترفع فى أيّام الشتاء
إلى الجوّ فيحدث منه المطر بإذن الله عزّ وجلّ ولا تزال العين قائمة دائماً ، وهذا
١٥ قول علماء الهيئة ، وسيأتى أيضاً فى آخر جزء من هذا التأريخ من بيان ذلك
فصلًا ذكرناه فى موضعه اللائق به .

وأمّا ما ورد عن ابن عبّاس رضى الله عنه . فقد روى عكرمة عنه أنّه قال :
١٨ البحر المظلم من ورائه بحر آخر يقال له الباكى ، ماؤه عذب ، وإنّما سمّى الباكى
لأنّه يبكى من خشية الله عزّ وجلّ وليس بعده شىء ، وقال علماء الهيئة : وهذه

---

(١) مأخوذ من مرآة الزمان ٢٦ ب ، ـــ ١٣

(١١) وفيه أيضا : ناقص فى مرآة الزمان ، تحريف (١٣) الأمياه : المياه

البحار كلّها داخلة فى الفلك لأنّه محيط بالأرض كلّها .

وقال علماء الهيئة أيضاً : ثم إنّ هذه البحار تنتقل بعضها على بعض وتنتقل من مكان إلى مكان على مرّ السنين والدهور فيصير موضع البحر برّاً وموضع ٣ البرّ بحراً ، قالوا : وعلّة ذلك جريان الماء فإنّ لموضع جريانه شباباً ولموضع انتقاله هرماً وحياةً وموتاً ونشأةً كما تكون فى الحيوان والنبات ، واستشهدوا بقول أبى العلاء المعرّى (من السريع) : ٦

أجبلت الأبحر فى عصرنا وعن قليل تبحر الأجبلُ

وسيأتى أيضاً من بيان ذلك فى المكان الذى قدمنا ذكره إن شاء الله تعالى .

(١٥٠) قال ابن الجوزى : وقد شاهدنا ذلك عياناً فى الأنهار العظام كالنيل ٩ والفرات ودجلة والنجف بالكوفة ، فإنّه كان بحراً تأتى فيه السفن من الهند وغيرها فاستحال الماء إلى موضع آخر ، قال : وكذا ببغداد فى دجلة الغور فإنّها استحالت فراسخ وأخربت قرى كثيرة وهى اليوم قد استحالت أيضاً . ١٢

قلت : وكذلك جرى بنيل مصر فى أماكن كثيرة بسواحله ، أكل البحر عدّة ضياع وغمر غيرها ، وانتقل من ذلك الجانب الغربى إلى الجانب الشرقى ، والذى شاهدته أنّ كان لنا ملكاً بمكان يسمّى خور ابن الصبى وكان بينه ١٥ وبين البحر نيف وخمسين داراً فأكل البحر الجميع مع عدّة بساتين وصاروا الجميع فى البرّ الغربى برّاً متّصلاً . وأمّا المالح بالديار المصريّة فإنّه غلب على إقليم يسمّى تنّيس كان من أكبر أقاليم الديار المصريّة، يقال: إنّ كانت عدّة قراه أربعمائة ١٨ قرية وكانت مدينتها تِنّيس تضاهى الإسكندريّة ، وكان يضرب بحسن صناعة ما يعمل فيها من القماش المثل ، فيقال كأنّه من دقّ تنّيس ، فغلب عليها المالح من جهة نواحى الإسكندريّة ، وهى اليوم بحيرة عظيمة يصاد منها السمك الذى ٢١

يسمّى البورى بالديار المصريّة ويحفظ من الأموال جمل كبيرة وهو فى هذا العصر جارياً فى الخاصّ الشريف السلطانى .

٣ ## ذكر الجزائر وما فيها من العجائب والجواهر

البحر الشرقى : جزائره أبلغ من أن تحصى فنذكر ما اتّصل بنا من جزائره المشهورة ممّا ذكروه الجماعة المعنيين بحفظ أخبار العالم رحمة الله عليهم .

٦ قال علماء الأخبار من الأوائل فى كتبهم : إنّ جزائر الوقواق ستّة آلاف جزيرة .

(١٥١) منها جزيرة يستوى فيها الليل والنهار وجزيرة يقال لها جزيرة الراهب

٩ تحصى بها الخدم وملكها لاتكون إلّا امرأة تجلس على سرير ذهب وعلى رأسها تاج ذهب مرصّع بالجواهر النفيسة وهى عريانة الجسد وعلى رأسها أربعة آلاف وصيفة كلّهنّ عراة ، وقد شاهدهنّ التجّار الذين يسلكون تلك الديار .

١٢ ومنها جزيرة فيتلو يركب الناس منها إلى صحار وصحار قصبة عمان ، قال الجوهرى : وصُحارُ بالضمّ قصبة عمان ممّا يلى الجبل وتؤام قصبتها ممّا يلى الساحل قال : وصحارٌ مصروف اسم رجل من عبد القيس .

١٥ ومنها جزيرة سرنديب وهى ثمانون فرسخاً فى ثمانين إذا مات لهم أحداً أحرقوه بالنار وإن كان ملكا تهافت خواصّه وأهله حتى يحرقون أنفسهم معه ، وفى هذه الجزيرة عدّة اللوان للياقوت والبلور مع سائر أنواع الطيب ، ومنها

١٨ جزيرة أهلها سود الألوان عراة حفاة ومأواهم رؤوس الشجر لا يُفهَم كلامهم يهربون من الناس .

---

(٣) مأخوذ من مرآة الزمان ٢٧ آ ، ٣ (١٣) الصحاح ٢ / ٧٠٩ آ
(١٧) اللوان : الوان

وجزيرة فيها أشجار تسيل منها الـكافور مثل الصمغ تظلّ الشجرة منها مائة فارس وأكثر ، ومنها جزيرة لهم ليات كليات الغنم وهو سود يأكلون الرجال من بنى آدم دون النساء، وجزيرة يأكلون النساء دون الرجال، ومنها جزيرة الرامى ٣
وبها البقم وعرقه ينفع من سمّ ساعة ، وجزيرة فيها معدن الرصاص القلعى ، وجزيرة فيها القرود كأمثال الجواميس وسنانير لها أجنحة .

وفى هذه الجزيرة الـكركدنّ وهو دابّة دون الفيل وفوق الجاموس عشبى ٦
يأكل الحشيش وله قرن واحد فى جبهته طوله ذراع وغلظه قبضتان فيه صورة بيضاء فى سواد كالسبج فإذا نشر القرن عرضاً ظهرت الصورة إمّا (١٥٢) صورة إنسان أو دابّة أو طائر أو سمكة ونحو ذلك ، وقد تقدّم القول فى ذلك . ٩

قلت : قد شاهدت هذا الدابّ بالديار المصريّة فى أيّام مولانا السلطان الشهيد الملك الأشرف صلاح الدنيا والدين خليل ابن مولانا السلطان الشهيد الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون بعثه صاحب اليمن فى جملة المقرّر عليه للأبواب العالية ١٢
وهو على هذه الصفة المذكورة لـكن لم أرى ما فى قرنه كونه كان حىّ يساق بين الحيواندارية بالسلاسل ، قلت : كان ذلك فى عشر التسعين والسبعمائة من الهجرة النبويّة — على صاحبها أفضل الصلاة والسلام — ، وكنت حينئذ طفلا أوّل ركوبى ١٥
الفرس واستقلالى به فلم استوعب جميع صفته لصغر السن .

قال ابن الجوزى رحمه الله : وفى هذه الجزيرة تـكون ملوكها مخرّمين الآذان، وقال فى جغرافيا: وحصا هذه الجزيرة الياقوت والمرجان وأصناف الجواهر، ١٨
وبين هذه الجزيرة والجزيرة التى يكون فيها الملك ميل وأقلّ من ميل ، وكذلك بينهما وبين جزائر الوقواق ، وعندهم النارنجيل لا تفقد من النخل غـير الثمر وقيل هو المقل ، قالوا : والنارنجيل فيه خاصّيّة وذلك أنّ بيوت الأمـوال التى ٢١

لتلك الملكة إنّما هو الودع فإذا قلّ قطعوا من سعف النارجيل بخوصه فيطرحونه على وجه الماء فيخرج من الماء حيوان فيتراكب فيتولّد منه الودع فيطرحونه على ساحل البحر ويلقون عليه الرمل فتحرق الشمس ما فيه من الحيوان ويبقى الودع وحده فيملأون منه بيوت الأموال وهو معاملتهم فيما بينهم .

وقال النوبختى رحمه الله : وآخر هذه الجزائر جزيرة سرنديب وبين هذه الجزيرة وبينها خليج فيه حيّات (١٥٣) تبلع المراكب ، قال : وبعد سرنديب ممّا يلى المشرق ألف جزيرة فى ألف فرسخ فيها ممالك ومعادن ، ثم تليها جزائر فنصورة وهى مملكة المهراج ولا تضبط جنوده لسعة مملكته ، وفى مملكته خمسون ألف فيل يقاتَل عليها ، ومعنى المهراج ملك الملوك ، وعنده الكافور الفنصورى ، وقيل هو عيون فى الجزيرة .

وفيها جزيرة يسمع منها صوت الطبول والملاهى والرقص دائماً والتصفيق ، واسم هذه الجزيرة برطايل ، يقال إنّ الدجّال بها .

وفى مملكة المهراج جزيرة دورها أربعمائة فرسخ عمائر متّصلة ، وفيها البزاة والصقور والشواهين ، وفيها جزيرة فيها عين يقال لها ولمائها ماء العقل ، من شرب منه ازداد عقله وفهمه ، وجزيرة يقال لها سقطرة لا يوجد الصبر السقطرى إلّا بها.

وذكر صاحب المسالك والممالك : أنّه ليس وراء الصين مسلك إلّا رمال تجرى فيها السفن وبعدها مدينة قوم موسى عليه السلام يقضون بالحقّ وبه يعدلون.

وقد ذكر أبو إسحاق الثعلبي رحمه الله عن السُدّى رحمه الله قال : هم قوم بينكم وبينهم نهر من شهد ، وحكى أيضاً عن ابن جريج قال: لما قتل بنو إسرائيل

(١٢) برطايل : قارن المسالك ٦٨ ؛ مروج الذهب ١ / ١٨٣ مادة ٣٧٨

(١٦) المسالك ١٧٨ ، ١١

أبناءهم وكفروا وكانوا اثنى عشر سبطاً تبرّأ منهم سبط ممّا صنعوا واعتذروا إلى
الله عزّ وجلّ وسألوه أن يفرق بينهم ففتح لهم نفقاً فى الأرض فساروا فيه سنة
ونصف حتى خرجوا من وراء الصين فهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا ، ٣
وحكى أيضاً عن الربيع والضحاك وعطاء رحمة الله عليهم ممّا رواه عنهم الكلبي
رحمه الله ، قال : هم قوم خلف الصين على نهر يجرى الرمل فيه يسمّى نهر أوداف،
وليس لأحد منهم مال (١٥٤) دون صاحبه يمطرون بالليل ويصبحون بالنهار ٦
ويزرعون لا يصل منّا إليهم أحد ولا منهم إلينا أحد وهم قوم على الحقّ ليس
بينهم محارم .

قال الكلبي : وذُكر أنّ جبرائيل عليه السلام مرّ بالنبيّ ﷺ عليهم ليلة ٩
الإسراء فسلّم عليهم فقال جبرائيل : هل تعرفون من تكلّمون ؟ قالوا : اللهم لا !
قال : هذا محمّد ﷺ النبيّ الأمّى فآمنوا به ! قالوا : يا رسول الله إنّ موسى
أوصانا وقال: من أدرك منكم أحمد فليقره منّى السلام ، ثم أمرهم بالصلاة والزكاة ١٢
وكانوا يسبتون فأمرهم بترك ذلك وإقامة الجمعة ففعلوا .

ومن رواية المسعودى قال : إنّ بهذا البحر الشرقى جزائر الواق وهى حمل
شجر عظام معلّقة بشعورها لها ثدى وفروج شبه فروج النساء لا يزال يصحن واق ١٥
واق فإن قطعت إحداهن سقطت ميتةً لا تنطق .

وقال : إنّ من جاوزهن وقع إلى ما هو أعظم من خلقهن وأحسن إعجازاً
وبطوناً وفروجاً ووجوهاً فإن قطعت أقامت حيية اليوم واليومين وربّما جامعها ١٨
من يقطعها وهى كأحسن ما تكون النساء وأطيب رائحة وألذّ مباضعة ، وهذه
الأرض أطيب أرض تكون وهى منبت الطيب ، ويوجد فيها ثمار لا تعرف

(١٤) أخبار الزمان ١٦ ، ـ ٣ || الواق : الواق واق أخبار الزمان

أحلا من العسل وألذّ رائحة من الكافور وليس بهذه الأرض إنس ، وإنّما حُكى ذلك عن من يتوه فى البحار من التجّار وتسوقهم الأقدار إلى تلك الديار.

٣ وقال : إنّ بتلك الديار خلق على صورة النساء يقال لها بنات الماء كالنساء الحسان ذوات شعور سبطة لها فروج عظام الخلق وثدى كالنهود وبطون حسان لا يغادر الإنسان أنّها كالنساء البديعات فى الحسن الفائقات فى الجمال وأحسن

٦ منظراً وأرطب جسماً وأرقّ بشرة وأنعم لمساً كلامها قهقهة وضحكاً كأعذب ما يكون من يسمعه لذّة .

قال المسعودى : (١٥٥) حكى لى بعض ربانين المراكب ممّن لا أشكّ فى قوله

٩ لدينه وسمته ، قال : إنّ الريح ألقتهم فى بعض السنين إلى جزيرة فيها شجر وأنهار عذبة فسمعوا ضوضاه وضحكاً لذيذاً فكمنوا حتى صادوا من تلك البنات اثنتين وأوثقوهما ربطاً وأقامتا مع أولئك الذين صاداهما برهةً وعادا يقعان عليهما فى كلّ

١٢ وقت ويجدان لهما لذةً عجيبةً ، وإنّ أحدهما وثق بصاحبته ورقّ لها فحلّ وثاقها فجرت نفسها فى البحر وتركته ولم يرها بعد ذلك وبقيت الأخرى عند صاحبها مستوثقاً منها بالشدّ ووصل بها إلى بلده ، ثم أقامت عنده مدّةً طويلةً وفهمت

١٥ الكلام وعادت تتكلّم كالكلام المفهوم وأحبّها صاحبها حبّاً شديداً حتى لا عاد يطيق الصبر عنها وعلقت منه وولدت له مولود لم ينظر أحسن منه ولا اللطف شكلًا وصار له من العمر حولًا فعاود الرجل السفر فى البحر واستصحبها معه

١٨ وهو قد وثق بها لطول مكثها عنده ولأجل ولدها ، فلمّا كان بالمكان الذى يقرب من المكان الذى أخذها منه لم يشعر بها إلّا وقد استنشقت نسيم ذلك المكان وضربت بعينها نحو البحر واضطربت واعتقلت ولدها ونهظت كالبرق الخاطف

---

(٨) أخبار الزمان ١٧ ، ٨ (١٠) ضوضاه : ضوضاء
(١٦) اللطف : ألطف (٢٠) نهظت : نهضت

ثم جرت بنفسها فى البحر وتركته وتركت ولدها معها على كتفها محتطنته وغابت فى الماء فلمّا رآها صاحبها وقد فعلت مافعلت كادت نفسه تخرج فَرَقًا وأراد أن يرمى بنفسه خلفها فى البحـر لولا تعلّق أصحابه التجّار به ورفقته ولاموه وعنفوه ، ٣
وأقام ثلاثة أيّام لا يستطعم بطعـام ، فلمّا كان ثالث يوم ظهرت له وألقت إليه صدفًا فيه درّ نفيس وأشارت إليه بالسلام فصرخ وبكا فلم تلتفت لذلك وغابت فى الماء فلم يرها بعده . ٦

قلت : وقرأت فى بعض المجاميع هذه الحـكاية مسندة ، وفيها أنّها تركت ولدها ولم تستصحبه معها (١٥٦) وأنّ ذلك الولد عاش حتى توفّى والده وورثه وعاد تاجراً كبيراً يعرف بين الناس بمحمّد البحرى وله عقب بقشمير الهند والله أعلم . ٩

وأمّا جزائر بحر باب الأبواب ففيه جزائر كثيرة فيها بزاة بيض وهى أفخر البزاة ، وهـذه الجزيرة قريبة من جرجان ، والبزاة الشهب هناك كبيرة لـكثرة الثلج بها ، وأوّل من لعب بالبزاة والشواهين والصقور من العرب الحارث بن ١٢
معاوية الـكندى ، ومن ملوك قسطنطينيّة الملك قسطنطين بن مهلاى ، ومن ملوك الفرس يزدجرد بن بهرام ، والله أعلم .

وأمّا جزائر البحر الرومى ، قال النوبختى : هى جزائر كثيرة أعظمها جزيرة ١٥
الأندلس ، وسيأتى ذكرها وحدودها ومساحتها وملوكها من أوّل وقت إلى آخره إن شاء الله تعالى فى الجزء المختصّ بذكر الأمويّين المسمّى « بالدرّة السميّة فى أخبار ملوك بنى أميّة » وهو الجزء الرابع من هذا التاريخ . ١٨

(١) محتطنته : محتضنته (١٠) مأخوذ من مرآة الزمان ٢٧ ب ، ـ ٦
(١٣) مهلاى : هلانى (١٥) مأخوذ من مرآة الزمان ٢٧ ب ، ـ ٢

قال النوبختى : وجزيرة الأندلس مجاورة لأمم كثيرة من الفرج والجلالقة وغيرهم ، وقد ذكرها الحكيم بن زهر المغربى ، وقال : فيها معادن الذهب والفضّة
٣ والزئبق والنحاس والصفر وجميع ما يكون من المعادن ، وفيها الكافور والمسك والعنبر وكذلك معادن الياقوت والجوهر ، وفى أرضها أيضاً غابة تنبت الذهب ، وفيها جميع ما يوجد فى بلاد الهند والصين من الطيب ونحوه ، وذكرها ابن حوقل
٦ فى كتاب الأقاليم وقال: وأمّا الأندلس فهى جزيرة كبيرة فيها عابر وغامر وطولها دون الشهر وعرضها نيف وعشرون يوماً — أو قال مرحلة — وفيها المياه الجارية والأشجار المثمرة ، وتنتهى إلى الجلالقة ومدينتهم يقال لها سمورة ومنها الفرو
٩ والسمور ، وتنتهى إلى البحر المحيط ، وذكر ما فيها وما حولها من الأمم ، قال : ومن أعظم مدائنها قرطبة ، وكانت مقرّ الخلائف (١٥٧) من بنى أميّة ، وبها جامع بُنى على مثال جامع بنى أميّة الذى بدمشق ، وهى بمثل بغداد ودمشق
١٢ ومصر فى اجتماع العلماء بها ، وسيأتى من خبرها ما يكون شافياً كافياً إن شاء الله تعالى .

ومن البحر الرومى جزيرة صقلّيّة وكانت محلّ مملكة ابن عبّاد الآتى ذكره
١٥ فى تأريخه ، وبهذه الجزيرة حصون وقلاع وآثار الإسلام باقية إلى الآن ، وهى الآن فى أيدى الفرنج أعادها < الله > إلى أيدى الإسلام بعوائده الجميلة ، وكان ملكها الإنبرور وحاشيّته كلّهم مسلمين ، وبين الإسكندريّة وبينها إذا
١٨ طابت الريح ثمانية عشرة ليلة ، وقد ذكرها ابن حوقل فقال: وأمّا جزيرة صقلّيّة فطولها سبعة أيّام وعرضها أربعة أيّام والغالب عليها الجبال والقلاع والحصون ومدينتها تسمّى بلوم ، وكان بها المسجد الأكبر ، وكان بيعا للروم قديماً فلمّا

(٦) صورة الأرض ١ /١٠٨ (١٨) قارن صورة الأرض ١ / ١١٨

فتحها الله تعالى على المسلمين فى ذلك الحين الآتى ذكره جعلوا هذه البيعة مسجداً عظيماً ، وفيها هيكل عظيم يزعم أرباب المنطق أنّ أرسطاطاليس حكيم اليونان معلّق فى خشبة فى هذا الهيكل ، وكانت النصارى تعظّمه وتستسقى به لما رأوا ٣
عليه من اليونان .

ومن البحر الرومى جزيرة قبرص ويقال قبرس ، ودورها عشرة أيّام فى مثلها وفيها المعادن المنبوعة مثل اللادن والزاج وغيرها ، وبين اللاذقيّة وبينها فى الريح ٦
الطيّب يوم وليلة ، وبينها وبين الإسكندريّة ثلاثة أيّام .

وفى البحر الرومى من الجزائر عدّة كثيرة مثل جنوا وفيها الزعفران الجنوى، وإقريطس وفيها البنج الإقريطسى مع شىء كثير أضربت عنهـا للاختصار ، ٩
وفى هذه الجزائر الصقور والسناقر والشواهين والعقبان . وحكى النوبختى ، قال : هدى ملك الروم إلى كسرى عقاباً وقال : إنّه يصيد أكثر من البازى فاستشار وزراءه فى قبوله فقالوا : لا حاجة لك به فإنّ خيره لا يقوم بشرّه (١٥٨) فخالفهم ١٢
وأرسله على غزال فأخذه فأعجب به وسفّه آراء وزرائه ، ثم جوّعه أيّاماً ليصيد به فوثب على ولد صغير لكسرى فقتله ، فقال كسرى : وترنا قيصر لأنّه كان قد غزا بلاده فقتل وسبا وكتم كسرى أمر العقاب ثم أهدى لقيصر نمراً وقال له ١٥
إنّه ليصيد السبع فوثب يوماً على ولد لقيصر فقتله فقال قيصر : قد صدنا كسرى قبل أن يصيدنا .

قلت : وهذان الاسمان كسرى وقيصر لقبان ، وسنذكر السبب فى تلقيبهما ١٨
بهذان اللقبان موضع ذكرها إن شاء الله ، وذلك فى الجزء الثانى التالى لهذا الجزء، وقد ذكرنا أنّ بهذا البحر الرومى عدّة جزائر كثيرة أضربنا عن تعدادها

---

(٤) من : ناقص فى مرآة الزمان ؛ تحريف

طلباً للإيجاز ، وفيها أمم كثيرة من الفرنج بنى الأصفر الآتى ذكره فى تأريخه
بحول الله وقوّته وبركة إلهامه .

ذكر الجزر والمدّ وماقيل فى ذلك

قال الجوهرى : المدّ جرى المـاء والجزر رجوعه ، وقال علماء الهيئة : البحار
ثلاثة أصناف ، منها ما يكون فيه المدّ والجزر ويظهر فيــه ظهوراً بيّناً كالبحر
الحبشى عند البصرة ، وهذا مشاهد محسوس ، والثانى يظهر فيه فى وقت دون
وقت كما فى البحر الأعظم فإنّه يمدّ ستّة أشهر ويجزر ستّة أشهرفيقلّ الماء فى موضع
ويكثر فى موضع ، والثالث : لا يظهر فيه المدّ أصلاً كغير الحبشى .

واختلفوا فى علّة المدّ والجزر ، أمّا علماء الهيئة فقد اختلفوا أيضاً فقال بعضهم :
علّته القمرلأنّه مجانس لعلّة الماء وهو يسخنه فينبسط ، ثم مثلوه بقدر فيه ماء مقدار
نصفها فإذا غُلِى على النار ارتفع الغليان حتى يفور ويصعد وإذا برد الماء نقص لأنّ
من شرط الحرارة أن تبسط الأجسام ومن شرط البرودة أن تنقصها فإذا امتلأ
القمر حميت أرض البحر فانبسط المـاء وارتفع ، وإذا نقص القمر نقص الماء .

قلت : لو كان الأمر كما زعموا لـكان المدّ لا يكون (١٥٩) إلّا فى أيّام زيادة
القمر والجزر فى أيّام نقصانه ، وهذا الجزر والمدّ متّصل بالبصرة وغيرها فى طول
أيّام الشهر نسبة واحدة على ما ذكر ، والله أعلم .

وقال بعضهم : علّته الأبخرة المتولّدة فى باطن الأرض فإنّها لا تزال تتولّد
حتّى تكثر وتـكثف فيرد ماء البحر بكثافتها فإذا انقطعت الموادّ بقلّة الـكثافة

---

(٢) اللهامه : إلهامه (٣) مأخوذ من مرآة الزمان ٢٩ آ ،
(٤) الصحاح ٢ / ٦١٣ ب

عاد ماء البحر إلى قعره ، وهذا أيضاً فيه < نظر > فإنّه لو كان كما ذكر كان يكون فى وقت دون وقت .

والمختار عندى أنّ الجزر والمدّ من آيات الله عزّ وجلّ وأنّه من آثار قدرته ٣ فى العالم لأنّ كلّما لا يوجد له قياس فى الوجود فهو فعل إلاهى يستدلّ به على عظمة البارىء سبحانه وتعالى ، وليس للمدّ والجزر قياس فى العالم .

وأمّا ما قال أهـــل الأثر رضى الله عنهم فى ذلك فروى عن الإمام أحمد ٦ ابن حنبل رحمه الله قال : حدّثنا معتمر بن سليمان عن صباح بن أشرين ، قال : سئل ابن عبّاس عن المدّ والجزر فقال : قد وكّل الله بقاموس البحر ملكاً فإذا وضع رجله فيه فاض الماء وإذا رفعها غاض ، وقد ذكره الجوهرى فقال : وقاموس ٩ البحر وسطه ومعظمه ، قال : وفى حديث المدّ والجزر قال : ملك موكّل بقاموس البحر كلّما وضع رجله فيه فاض وإذا رفعها غاض ، وروى مجاهد عن ابن عبّاس قال : الملك موكّل بالبحار يضع عقبه فى بحر الصين فيكون منه المدّ ثم يرفع ١٢ قدمه فيكون الجزر ، قال مجاهد رحمه الله : وهذا ظاهر محسوس فإنّ الإنسان لو وضع قدمه فى إناء فيه ماء فإنّ المـاء يرتفع إلى رأس الإناء فإذا رفعها رجع الماء إلى حدّه ، فإن قيل : فيلزم من هذا أن يكون المدّ والجزر فى جميع البحار ، قلنا : ١٥ قد ذهب قوم إلى هذا وإنّما لم يظهر فى غير بحر البصرة لوجهين : أحدهما : لبعد المسافـة واتساع البحار ومن لحّج من المسافرين فى البحار يذكر (١٦٠) أنّه شاهده ، والوجه الثانى : فلأنّ مكان المدّ والجزر فى البصرة تحت خطّ الاستواء ١٨ واعتدال الليل والنهار وعليه الـكواكب الثابتة على ما ذكر الشيخ جمال الدين

(٣) عندى : سبط بن الجوزى ! (٧) مسند أحمد بن حنبل ٥ / ٣٨٢
(٩) الصحاح ٢ / ٩٦٣ ب

ابن الجوزى رحمه الله من ذلك ، قال : وهذا المعنى لا يوجد فى غيره ، وقد رأيت
أيضاً الشيخ جمال الدين ذكر ما ذكره العبد من الردّ على من قال وعلّل بزيادة
٣ القمر ونقصانه أنّه غير صحيح لأنّه لو كان كذلك لتعلّق بزمان مخصوص بالمعنى
الذى ذكرناه .

وكذلك قال : وأمّا من قال إنّه من الأبخرة فباطل أيضاً لأنّه يحتاج إلى
٦ زمان طويل يجتمع فيه ، وهذا يوجد فى كلّ يوم وليلة ، فرأيت من قول العبد
ما وقع على موافقة قول الشيخ رحمه الله كما قال الحريرى رحمه الله : فتواردت
الخواطر كما يقع الحافر على الحافر .

٩ قلت : وطالعت فى تأريخه رحمه الله فصلًا يتضمّن ذكر المسك والعنبر بمثل
ما ذكرناه وزاد عليه : قال : قال أحمد بن حنبل : حدّثنا سفيان عن الزهرى
عن عبيد الله بن عبد الله بن عبّاس عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله
١٢ صلى الله عليه وسلم : المسك أطيب الطيب ، انفرد بإخراجه مسلم ، وثبت عن النبىّ صلى الله عليه وسلم
أنّه كان يحبّ الطيب .

وذكرت العلماء بأخبار الهند والصين : أنّ المسك من غزلان الصين وأن
١٥ التبّتى أذكى المسك للمراعى ، وعلامة غزلان التبّت أنّ لها أنياب بارزة كأنياب
الفيل من الفكّين نحو شبر فينصب لها الأشراك وترمى بالسهام فيوجد فى صرارها
المسك وهو دم مجتمع فى نافجتها فإذا أخذت قبل أن تنضجه الطبيعة وقطع منه
١٨ وجد فيه زهوكة فتبقى زماناً حتى تذهب عنه تلك الزهوكة ، وأمّا المسك الخالص
فإنّ الغزال يأتى وقد استحكم فى سرّته المسك ودفعته الطبيعة إلى نافجته رهى

---

(٨) مقامات الحريرى ١ / ٢٦٦ (١٠) مأخوذ من مرآة الزمان ٢٨ آ ، ـ ٢
(١٢) صحيح مسلم ٧ / ٤٧ ، ألفاظ ؛ المعجم المفهرس ٤ / ٦٥
(١٦) صرارها : سررها مرآة الزمان

سرّته وقد قلق منها فيحتكّ بالصخر فتفتح وتسيل على رؤس الأحجار المحدّدة
كما يسيل الدمّل وينفجر إذا نضج فيفرع مافى نافجته ، (١٦١) والنافجة بالفارسيّة
السرّة ، فلمّا يخرج الصيّادون وقد أعدّوا له الأوعية الصينى فيأخذونه من على ٣
الصخور ويجمعونه ويودعونه الأوعية وذاك أفضل المسك وأطيبه ولا يكون له
شهوكة ويهدونه للملوك .

قال : وأمّا العنبر فقد اختلفوا فيه على أقوال : أحدها : أنّه عين فى البحر ٦
الحبشى ، قاله مجاهد ، الثانى : أنّه خثا دابّة من دوابّ البحر ، قاله الهيثم بن عدى ،
الثالث : أنّه حشيش ينبت فى جزائر البحر عند الوقواق فتبلعه دوابّ البحر
ثم تلقيه ، قاله وهب ، الرابع : أنّ البحر يهيج فيقذف بالعنبر من قعره كأمثال ٩
الجبال فيبلعه الحيوان المعروف بالأوال فإذا حصل فى جوفه مات فيطفو على وجه
الماء فيجذبونه بالكلاليب ويأخذونه ، فما وجد فى ظهر الحوت من العنبر كان
أجود ممّا يوجد فى بطنه وأقلّ شهوكة ، قاله مقاتل . ١٢

واختلفوا الفقهاء فى وجوب الخمس فى العنبر ، فقال علىّ عليه السلام
وابن عبّاس رضى الله عنه وابن مسعود : لا خمس فيه ، وبه أخذ أبو يوسف
ومالك والشافعى وأحمد لما روى أنّ عمر رضى الله عنه سأل عنه فقال : فيه الخمس ١٥
وفى كلّ ما يستخرج من البحر . ولنا إجماع من سمّينا من الصحابة ولو سلم كان
محمولاً على ما وجد فى خزائن الكفّار وبه نقول .

وقيل إنّ أجود العنبر ما وقع ببحر فارس قريباً من رأس الجمجمة عند بلاد ١٨
الشحر باليمن ، وكذلك يسمّى عنبر شحرى لخاصّيّة تلك البقعة فإنّ هناك قوم من
قضاعة يجعلون الشين المعجمة كافاً فيقولون : قلت لش ، أىّ قلت لك ، ولهم

---

(٥) شهوكة : زهوكة مرآة الزمان (٢٠) قارن مروج الذهب ١ / ١٧٨ مادة ٣٦٤

تجب سوابق معدّة على ساحل البحر لهذا ، فإذا قذف البحر العنبر أخذوه .

وقيل إنّما سمّى العنبر باسم الدابّة التى توجد فيه .

٣ قال : وأمّا العود ، قال الجوهرى : عود قِمارى بكسر القاف منسوب إلى موضع ببلاد الهند ، قال ابن الجوزى : قال جدّى فى المنتظم : قَمارى بفتح القاف منسوب (١٦٢) إلى قمارا مدينة باليمن ، وأمّا النَدّ ، قال الجوهرى : النَدّ من ٦ الطيب ليس بعربى ، قلت : والطيب وأصنافه فيه كتاب مختصًّا بذكره يجمع سائر أنواعه .

ذكر العيون والأنهار وما ورد فيها من الأخبار

٩ ذكر الجوهرى قال : أمّا النهر فسمّى نهراً لاتّساعه وفيه لغتان : نَهْر ونَهَر بفتح الهاء ، واختلفوا فى بدء الأنهار ، فروى عطاء عن ابن عبّاس رضى الله عنه أنّ جميع الميـاه من تحت صخرة بيت المقدّس ومن هناك تتفرّق فى الدنيا ، وقد ١٢ ذكر ابن الجوزى رحمه الله حديثاً مرفوعاً فى هذا المعنى فى فضائل القدس فقال : أنبأنا أبو المعمر الأنصارى إلى أبى هريرة عن النبىّ ﷺ أنّه قال: الأنهار كلّها والسحاب والبحار والرياح من تحت صخرة بيت المقدّس ، روى هذا الحديث ١٥ الشيخ جمال الدين بن الجوزى عن جـدّه ، ثمّ قال : والموقوف فى هذا على ابن عبّاس أصحّ .

وروى مجاهد عن ابن عبّاس : أنّ جميع الأنهار من البحر الذى خلف البحر ١٨ المحيط المسمّى بالباكى وماؤه عذب وقد تقدّم ذكره، وروى العوفى عن ابن عبّاس:

(٣) الصحاح ٢ / ٧٩٩ آ (٥) الصحاح ١ / ٥٤١ ب
(٨) مأخوذ من مرآة الزمان ٢٩ ب ، ١
(٩) الصحاح ٢ / ٨٤٠ آ

أنّ العيون فى الأرض كالعروق فى البدن ، وذكر مقاتل أنّ العيون تتولّد من الأبخرة فتجتمع فى الأماكن المنخفضة فإذا انتثرت فى أعماق الأرض طلبت التنفّس فتنشقّ الأرض فتنفجر العيون ، قال : والأرض على الماء مثل السباك فإذا أراد الله أن يفجر بعض العيون فى أماكن مخصوصة نظراً لعباده تنفّست الأرض فانفجرت .

ومذهب الأوائل : أنّ الماء من الأستقصّات الأربع ، فنبتدئ الآن بذكر الأنهار الكبار التى جائز عليها لفظ البحار كالنيل والفرات ودجلة وسيحون وجيحون ونحوها ومطارحها ومقدار جريانها على الأرض ، وقد ذُكر النيل والفرات فى الصحيح، فقال أحمد بن حنبل بإسناده إلى أنس بن مالك رضى الله عنه عن مالك بن صعصعة حدّثه عن رسول الله ﷺ قال : رفعت لى (١٦٣) سدرة المنتهى وإذا أربعة أنهار: نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت: ياجبريل ماهذا ؟ فقال : أمّا الباطنان فنهران فى الجنّة وأمّا الظاهران فالنيل والفرات ، أخرجاه فى الصحيحين، وقد ذُكر سيحان وجيحان فى الصحيح أيضاً، فقال أحمد بن حنبل: حدّثنا عبد الرزّاق عن همام بن منبّه عن أبى صالح عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : سيحان وجيحان والنيل والفرات كلّ من أنهار الجنّة ، وفى رواية : فجرت أربعة أنهار، فجرت من الجنّة : الفرات والنيل وسيحان وجيحان ، انفرد بإخراجه مسلم .

---

(١٠) المعجم المفهرس ١ / ١٩١ ؛ صحيح البخارى ٢ / ٢١١ ، بدؤ الخلق ، باب ٦
(١٥) المعجم المفهرس ٧ / ٨ ؛ مسند أحمد بن حنبل ٢ / ٢٨٩

ذكر ما ورد من الأثر من كلام علىّ عليه السلام

من ذلك ما أجاب به الأسقف عن ماسأله عنه من جملة مسائل فقال : يابن عمّ
٣ محمّد ! فأخبرنى عن أفضل الجبال ، وعن أفضل الأنهار ، وعن أفضل العيون فقال :
أفضل الجبال الجودى ، وعرفات ، ولبنان ، وحراء ، والطور ، وصخرة بيت المقدس ،
وأفضل الأنهار أربعة : سيحون ، وجيحون ، والفرات ، والنيل ، وأفضل العيون
٦ أربعة : عين الفلوس وهى ببيسان ، وعين سلوان وهى ببيت المقدّس ، وعين البقرة
وهى بعكة ، وعين زمزم وهى ببيت الله الحرام مكّة ، فقال له : صدقت ! فبقى لى
ثلاثون مسألة فإن أجبتنى عنها كسرت هذا الصليب وقطعت هذا الزنار وتركت
٩ دينى واتبعت دينك وشهدت بما تشهد به ، فقال له : قل ولا حول ولا قوّة إلّا
بالله العلى العظيم !

قال : أسألك عن طشت دائرة ومائدة منصوبة وعليها جواهر كبار وصغار
١٢ وقد وكل بها طائر يلتقطها إلى يوم القيامة ، وأخبرنى عن أربعة مياه مختلفة
عنصرها واحد ، وأخبرنى عن شىء خلقه الله تعالى وسأل عنه ، وشىء خلقه واشتراه ،
وشىء خلقه واستعظمه ، وعن شىء خلقه واستنكره ، وأخبرنى عن خمسة أغصان
١٥ ثلاثة منها فى (١٦٤) الظلّ واثنان فى الشمس ، وأخبرنى عن شىء لم تطلع الشمس
عليه إلى مرةً واحدةً ولا تعود تطلع عليه ، وأخبرنى عن شىء تنفّس وما له روح ،
وعن قبر مشى بصاحبه ، وعن خمسة خرجوا من الجنّة ، وعن شىء أوحى الله
١٨ إليه لا هو من الإنس ولا هو من الجنّ ، وعن شىء أقصى من الحجر وأضعف
من الهشيم ، وأخبرنى ما الطمّ ، وما الرمّ ، وما النقير ، وما الفتيل ، وما القطمير ،
وأخبرنى أين يكون مستقرّ الليل إذا أقبل النهار ، وأين يكون مستقرّ النهار

---

(١٦) إلى : إلا (١٨) أقصى : أقسى

إذا أقبل الليل ، وأخبرنى عن خمسة فيهن روح ولم يركضوا فى رحم ، وعن شىء عرج إلى السماء ولم ينزل منها،وعن شىء نزل من السماء ولم يعرج إليها،وعن شىء مات وما بلى، وشىء بلى وما مات،وأخبرنى عن شىء خلق من الماء،وشىء حُفظ فى الماء ، وشىء هلك من الماء ، وعن شىء خلق من الريح ، وشىء حُفظ فى الريح ، وشىء هلك من الريح ، وعن شىء خلق من الحجر ، وشىء حفظ فى الحجر، وشىء هلك من الحجر،وعن شىء خلق من النار،وشىء حفظ فى النار،وشىء هلك فى النار، وعن شىء خلق من الخشب ، وشىء حفظ فى الخشب ، وشىء هلك فى الخشب ، وأخبرنى عن ربّك ما سلطانه وما قدرته وما عظمته وأين مسكنه ، وأخبرنى ما العاصفات ، وما الجاريات ، وما الحاملات ، وما الفارقات ، وما المدبرات ؟

الجواب

قال : فتبسّم الإمام عليه السلام وقال : الطشت الدائرة : فهو جبل قاف المحيط بالدنيا ، والمائدة المنصوبة : الدنيا ، والجواهر التى عليها كبار وصغار : الخلائق ، والطائر : ملك الموت فلا الخلائق تفنى ولا ملك الموت يشبع إلى يوم القيامة ، والأربعة مياه التى من عنصر واحد وهى مختلفة : فماء الفم عذب ، وماء الأذن (١٦٥) ستن وماء العين مالح ، وماء الأنف مرّ .

وأمّا الشىء الذى خلقه وسأل عنه فعصا موسى عليه السلام ، قال الله تعالى : « وما تلك بيمينك ياموسى » ، والشىء الذى خلقه واشتراه فأنفس المؤمنين ، قال الله تعالى : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » ، والشىء الذى خلقه واستعظمه كيد مكر النساء لقوله تعالى : « إن كيدكن عظيم »

(١٧) القرآن الكريم ٢٠ / ١٧ (١٨) القرآن الكريم ٩ / ١١١
(١٩) القرآن الكريم ١٢ / ٢٨

والشىء الذى خلقه واستنكره صوت الحمير لقوله تعالى : « إن أنكر الأصوات لصوت الحمير » ، والخمسة أغصان ثلاثة فى الظلّ واثنان فى الشمس : أوقات الصلوات الخمس ، والشىء الذى لم تطلع عليه الشمس غير مرّة واحدة ثم لم تعود تطلع عليه مرضع انفراق البحر لموسى عليه السلام مع بنى إسرائيل ، والشىء الذى تنفّس بلا روح : الصبح لقوله تعالى : « والصبح إذا تنفّس » ، والقبر الذى مشى بصاحبه حوت يونس عليه السلام لما أبلعه ومشى به فكان بمنزلة القبر له ، والخمسة الذين خرجوا من الجنّة فآدم وحواء وإبليس والطاؤوس والحيّة ، والذى أوحى إليه لا من الإنس ولا من الجنّ فالنحل لقوله تعالى : « وأوحى ربّك إلى النحل » ، والشىء الذى أقسى من الحجر وأضعف من الهشيم فقلوب اليهود لقوله تعالى : « ثم قست قلوبهم » ، الآية ، وأمّا الطمّ فالتراب ، والرمّ فهو مجرى السيل ، والنقير فهو قشر فى باطن التمرة ، والفتيل شقّ النوى ، والقطمير قمع التمرة .

وأمّا مستقرّ الليل إذا أقبل النهار ففى سمير والنهار إذا أقبل الليل ففى سامر ، ولا الليل يعلم مستقرّ النهار ولا النهار يعلم مستقرّ الليل ، والخمسة الذين لم يركضون فى رحم وفيهم الروح : فآدم وحواء وعصاة موسى ، وكبش إسماعيل ، وناقة صالح عليهم السلام ، وأمّا الشىء الذى عرج إلى السماء ولم ينزل فإدريس عليه السلام ، والذى نزل من السماء ولم يعرج إليها فإبليس .

وأمّا الشىء الذى مات وما بلى (١٦٦) فالأنبياء صلوات الله عليهم ، وأمّا الشىء الذى خلق من الماء فهو الخلق ، وأمّا الشىء الذى حفظ فى الماء فيونس عليه السلام ، والذى هلك من الماء فقوم نوح عليه السلام .

(١-٢) القرآن الكريم ٣١ / ٢٩ (٥-٦) القرآن الكريم ٨١ / ١٨

(٩) القرآن الكريم ١٦ / ٦٨ (١٠) القرآن الكريم ٢ / ٧٤

وأمّا الشيء الذى خلق من الريح فعيسى عليه السلام ، والشى الذى حفظ فى الريح فسليمان عليه السلام ، والذى هلك من الريح فقوم عاد ، وأمّا الشيء الذى خلق من الحجر فناقة صالح عليه السلام، والشيء الذى حفظ فى الحجر فالنبى ﷺ ، ٣ والذى هلك من الحجر فأصحاب الفيل .

وأمّا الشيء الذى خلق من النار فإبليس والجانّ ، والشيء الذى حفظ فى النار فإبراهيم عليه السلام ، والذى هلك فى النار فقربان هابيل ابن آدم ٦ عليه السلام .

وأمّا الشيء الذى خلق من الخشب فعصاة موسى عليه السلام ، والشيء الذى حفظ فى الخشب فنوح والذين آمنوا معه فى السفينة ، والذى هلك فى الخشب ٩ فزكريّا عليه السلام .

وأمّا سلطان ربّى فهو الكبير الأعلى وقدرته الملكوت، وعظمته الجبروت ، وأمّا العاصفات فهى الرياح الأربع، والجاريات فهى السفن ، والحاملات فالسحب ، ١٢ والفارقات فهى الكتب الأربع : التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، والمدبّرات فهم الملائكة الأربع :جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ، فجبرائيل أمين الله على وحيه ، وميكائيل فهو موكّل بالسحب ، وإسرافيل فهو موكّل بالنفخة ١٥ فى الصور ، وعزرائيل موكّل بأرواح الخلق .

قال ، فقال الأسقف :صدقت يا بن عمّ محمّد!فمن أعظم الملائكة خلقاً ؟ قال: إسرافيل ، قال: وماخلق إسرافيل ؟ قال: هو ملك فى السماء السابعة تحت قائمة من ١٨ قوائم العرش واللوح بين عينيه والقلم وراء شحمة أذنه وسعة مابين منكبيه مسيرة خمس مائة عام ورأسه تحت العرش ورجلاه فى تخوم الأرضين السابعة نصفه من نار

---

(٢٠) السابعة : السبعة ، تحريف

ونصفه من ثلج فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفىء النار ، وهو يقول : اللهم كما ألّفت بين بارد وحارّ ألّف (١٦٧) بين قلوب عبادك المؤمنين .

٣ قال : فآمن الأسقف وأسلم وحسن إسلامه ، قلت : إنّما ذكرت هذا الأثر هاهنا لما فيه من إكمال الفائدة وتتمّة ما ورد من كلام الإمام عليّ عليه السلام فى أفضل الأنهار ، فلنعود إلى ما كنّا فيه .

٦ ذكر النيل وما ورد فيه من الأقوال

قال الجوهرى رحمه الله : النيل فيض مصر ، وأجمعوا على أن مبتدأه من جبل القمر ، وذكره فى جغرافيا وصوّره وأنّه ينبع من اثنى عشر عيناً وأنّ العيون ٩ تصبّ فى بحيرة مثل البطائح خلف خطّ الاستواء يجتمع فيه الماء ويجرى على رمال هناك وبين جبال ثم يخرق أرض السودان ثم يصبّ فى بحر الزنج وفى هذا البحر جزيرة قنبلوا وهى جزيرة عامرة وفيها قوم مسلمون لغتهم زنجيّة غلبوا على أهل ١٢ هذه الجزيرة عند انقراض ملك بنى أميّة وابتداء الدولة العبّاسيّة لما نذكر من ذلك ، ومن ذلك البحر الذى فيه قنبلوا يصبّ فى بحر عمان ومن جبل القمر إلى هذه الجزيرة مسيرة خمس مائة فرسخ ويقوى جريان مصبّه فى هذا البحر أيّام زيادة ١٥ النيل فيجرى جرانيا عظيماً ويتكدّر موضع العيون حتى قيل إنّ الماء يؤثر لونه فى لون أحلا من العسل .

وقال كعب الأحبار : وجدت فى التوراة أنّ النيل نهر من العسل من الجنّة ١٨ وأنّه يجرى على بلاد الحبشة فى قفار ومفاوز ومهامه وليس فيه مسلك ، وذكر أحمد بن بختيار وقال : العين التى هى أصل النيل هى أوّل العيون من جبل القمر

(٦) مأخوذ من مرآة الزمان ٣٠ آ ، ٢ (٧) الصحاح ٥ / ١٨٣٨ آ
(١٥) جرانيا : جريانا مرآة الزمان ، تحريف

ثم تنبعث منها عشرة أنهار نيل مصر أحدها ، قال : والنيل نقطع الإقليم الأوّل
ثم يجاوره إلى الثانى ومن ابتدائه من جبل القمر إلى انتهائه ومصبّه في البحر الرومى
ثلاثة ألف فرسخ يجرى في عامر وغامر فإذا تعدّا (١٦٨) الفسطاط انقسم قسمين : ٣
قسم يمرّ على دمياط وقسم إلى رشيد فيصبّان فى البحر الرومى، وقيل : إنّه لايعلم
مسافة جريانه إلّى الله عزّ وجلّ وهو الصحيح، ويبتدئ بالزيادة من نصف حزيران
من الأشهر الروميّة وينتهى فى أيلول ويكون ابتداء زيادته فى الأشهر القبطيّة ٦
فى شهر باونه وينتهى فى بابه

واختلفوا فى سبب زيادته ونقصانه ، فقال قوم : سبب زيادته عيونه وزيادتها
ونقصانه من نقصانها ، وقال آخرون: إنّ زيادته من الأمطار والسيول بمطر ببلاد ٩
الحبشة والنوبة أيّام الشتاء فيزيد ، وإنّما يتأخّر وصوله إلى الصيف لبعد المسافة ،
وقد ورد قوم هذا وقالوا بأنّ عيونه التى تحت جبل القمر تتكدر فى أيّام زيادته
فدلّ على أنّ ذلك من قدرة الله تعالى من غير زيادة مطر ، وهو الصحيح ، إنّ ١٢
هذه الزيادة والنقصان تدبير من العزيز الحكيم ، الذى فى كلّ شىء له آية تدلّ
على أنّه واحد .

وجميع المياه والأنهار تجرى إلى القبلة إلّا النيل لأنّه خارج عن خطّ الاستواء ١٥
فيجرى إلى ناحية الشمال ، وكذا العاصى بالشام يجرى إلى غير القبلة لما نذكر
من ذلك .

قال ابن الجوزى رحمه الله : وقالوا متى بلغ النيل ستّة عشرة ذراع استحقّ ١٨
السلطان الخراج ، وإذا بلغ عشرون ذراع مات ملك مصر، وإذا بلغ ثمانية عشر
ذراع يحدث بمصر وأعمالها وباء عظيم ، قلت هذ ذكره الشيخ جمال الدين

(٥) الى : الا (١١) ورد : رد مرآة الزمان ، تحريف

ابن الجوزى رحمه الله نقلاً عن سماع من غير مشاهدة لذلك ، وإنّما الصحيح فى ذلك أنّ عمارة ديار مصر وتعليق أراضيها بالزراعة وريّها بالكامل إذا بلغ النيل ثمانية عشر ذراع وثبت إلى طلوع نجم السماك فيكون ذلك نهاية رىّ البلاد وأقلّ من ذلك يشرق فيها وأكثر من ذلك يبحر منها ، فالقانون المستقيم فى ذلك ثمانية عشر ذراع ،وأمّا قوله عشرين ذراع فلم يعهد ذلك من أوّل عام الهجرة وإلى آخر سنة خمس وثلاثين (١٦٩) وسبع مائة ، وهو آخر ما وقف بنا القول فى هذا التأريخ المبارك إنّه وصل إلى عشرين ذراع قطّ ، اللهم إلّا يقال فى سنة من السنين فى أيّام الحاكم بأمر الله العبيدى من الخلفاء المصريّين، ولم يثبت هذا القول فإنّى نخصت عنه فلم أجد أحداً من المؤرّخين الثقاة ذكر ذلك فى تأريخه وإنّما ذلك مستفاض على ألسنة العوام من الناس .

وأمّا قوله فى الوباء فإنّه لم يكن قطّ بمصر الوباء العظيم إلّا مع الغلاء العظيم نعوذ بالله من شرّهما ، والغلاء فلا يكون بمصر إلّا لقلّة طلوع النيل وعدم وفاه دون الستّة عشر ذراع ، وربّما يقع فى بعض السنين وباء يسير لما يريده الله تعالى من فروع آجال متقاربة،وقد اعتنيت بذكر هذا النيل فى هذا التأريخ بما لم يعتنى به أحد من المؤرّخين ، وذكرت فيه فصول فيها الكفاية فى الجزء التالى لهذا الجزء وذكرت من أحواله ما فيه بلغة للمتأمّل ممّا استخرجته من تأريخ قبطى عتيق يأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

وقال ابن الجوزى رحمه الله : وبمصر ترع كثيرة منها: ترعة سنباط ، وترعة ذنب التمساح ، وترع عدّة بالصعيد ، وخليج السردوس ، وخليج أبى المنجا ، وخليج الإسكندريّة ، وخليج القاهرة ، وخليج الفيّوم المعرف بالمنهى .

---

(٩) الثقاة : الثقات (١٢) وفاه : وفاءه

قلت : وهو أقدم الجميع فإنّه من حكمة يوسف عليه السلام، وبعده السردوس
من حفر هامان فى أيّام فرعون، وبعده خليج الإسكندريّة من حفر بانى الإسكندرية
ثم جدّد حسبما نذكر من خبره فى تاريخه ، ثم خليج القاهرة حفره الحاكم العبيدى، ٣
وسيأتى من ذكر هذه الخلج فصلاً فى مكانه إن شاء الله تعالى .

وقال ابن الجوزى إنّما سمّى الفيّوم لأنّه أصله ألف يوم ، وكانت كلّ قرية
منه تقوم بأهل مصر يوماً ، قلت : وفى تسميته الفيّوم عدّة أقوال يأتى ذكرها ٦
أيضاً عند ذكرنا لعمارته فى زمن يوسف عليه السلام وقصّته إن شاء الله تعالى .

حكى لى شيخنا العلامة نادر الزمان الشيخ علاء الدين البخارى أعاد الله
علينا وعلى المسلمين من بركاته وناهيك به ثقة عالماً عارفاً محقّقاً أنّه شاهد فى بلاد ٩
الهند وقوّة المطر من نصف الجوزاء إلى نصف الميزان مدّة أربع شهور لا يفتر
فيها لحظة غير أنّه فى بعض الأوقات يقع المطر كثيراً متراكماً وفى بعضها قليلاً وأنّه
لا يقع عندهم المطر فى غير هذه الأيّام نادراً حتى أنّه لا يرى عندهم فى أيّام الشتاء ١٢
غيم البتة وأنّ هذه الأيّام تسمّى عندهم البيكار أو ما يشبه ذلك وإذا أيّام زيادة
النيل وجدتها فى هذه الأيّام سواء ولا يقال إنّ هذا فى الهند من أين يصل
إلى مصر ، فإنّا نقول : المطر ليس بخاصّ بالهند فقط بل هو مختصّ بأحد الأقاليم ١٥
السبعة التى الهند فى بعضه والإقليم كما علمت ماله من الشرق إلى الغرب فإذا أمطرت
الجبال التى ليس بيننا وبينها بحر أعنى الجبال التى من هذا الإقليم سالت به الأودية
إلى جبال القمر وصبّ فى النيل زيادة على منبعه الأصلى ولا يخرج بذلك عن لونه ١٨
تدبير العزيز الحكيم جلّ جلاله ولا إله غيره .

(٨ ــ ١٩) بالهامش بخط غير خط المصنف

وذكره الجوهرى فقال : الفيّوم من أرض مصر ، قتل بها مروان بن محمد آخر ملوك بنى أميّة ، قلت : قتل مروان بقرية بوصير من عمل غير الفيّوم بل من عمل البهنسا من طرف صعيد مصر ، قال ابن الجوزى : وفى نيل مصر عجائب كثيرة منها التمساح ولا يكون إلّى فى نيل مصر بخلاف سائر الأنهار الكبار والصغار ، قال : وله أسامى : يسمّى فى مصر : التمساح، وفى بلاد النوبة : الوَرَل وما وراء النوبة يسمّى : السوسْمار .

قال الجوهرى : التمساح دابّة من دوابّ الماء معروف بمصر ، وقال الجاحظ رحمه الله فى كتاب عجائب البلدان إنّ مهْران السند من نيل مصر ويوجد فيه التمساح ، قال ابن الجوزى : قد وهم الجاحظ لأنّ مهران السند يخرج من جبال المولتان وهى فى المشرق وداخله تحت خطّ الاستواء والاعتدال والنيل يخرج من جبل القمر من ناحية الجنوب وهو خارج عن خطّ الاستواء والاعتدال ، وبين مهران السند وبين الحبشة والنوبة البحر الشرقى ، فكيف يكون منه فإن وجد التمساح فى مهران السند فقد يوجد فيه كما وجد فى النيل .

قالوا : والتمساح لا دبر له وما يأكله يتصوّر فى بطنه دوداً فإذا أذاه ذلك خرج إلى البرّ وفتح فاه فينقض عليه طائر الماء كالطيطورى ونحوها من أنواع طيور الماء فيدخل فى فيه ويلقط ذلك الدود ، فربّما يطبق عليه فيه فى بعض الأوقات فيبلعه ، فضربت العرب المثل به فقالوا : مكافأة التمساح ، قلت : أمّا قوله إنّ التمساح ليس له دبر فنعم والطائر الذى يدخل فى فيه ويلتقط منه الدود يعرف

---

(١) الصحاح ٥ / ٢٠٠٥ آ (٢) قلت : سبط بن الجوزى !

(٤) الى : إلا (٧) الصحاح ١ / ٤٠٥ آ (٨) قارن مروج الذهب ١ / ١١٣

(١٤) قارن مروج الذهب ١/ ١٢٧

بالقطقاط وله فى منكبيه شوكتين كبائر حدّة فإذا طبق عليه التمساح ضربه بتلك الشوكتين فى حلقه فيفتح فاه له فيخرج .

قال : وآفة التمساح دويبّة تكون فى (١٧١) سواحل النيل وجزائره تكمن له فى الرمل فإذا فتح فاه وثبت فدخلت فمه ونزلت جوفه فيضرب الأرض بنفسه ويغوص فى الماء فتخرق تلك الدويبّة جوفه وترعى كبده فيموت ويهلك ويطفو على وجه الماء وتخرج تلك الدويبّة منه، قال: وهذه الدويبّة على طول الذراع ونحوه على صورة ابن عِرس ولها قوائم عدّة ومخاليب .

قلت : هذه لم تشهد بمصر قطّ ولو كانت ثمّ لكانت تعرف ولعلّها تكون ببلاد النوبة والحبشة .

وقد ذكر ابن حوقل رحمه الله أنّ بمصر أماكن لا يضرّ بها التمساح كعدوة أبو صير والفسطاط ، قلت : وهذا صحيح ، ما عُهد أنّه ضرّ أحد من أهل الفسطاط مع الوجه البحرى إلى حدود دمياط ورشيد وهو منتهى مصبّه فى المالح وإنّما مؤذيته بصعيد مصر كلّما على كان أشدّ مؤذيةً .

قال : وفى نيل مصر السمك المسمّى بالسقنقور ويصلح للجماع ، قلت : وهذا أيضاً لم يكن بالنيل وإنّما ترد به الفرنج من جزائر البحر الرومى قديداً ، قال : وفى مصر أعنى نيلها السمك الرعّاد إذا وقعت السمكة فى شبكة الصيّاد لا تزال يده ترعد مع جميع أعضائه حتّى يلقيها أو تموت السمكة، وهذه السمكة نحو الذراع، قلت : هذه موجودة كثير فى النيل ، والخاصّية فيه: ما دام حيًّا لا يطيق أحداً القبض عليه فإنّه يحصل له من الرعدة والتخدّر ما لا يطيق يملك نفسه فيه حتّى يطلقه أو تموت السمكة تبطل تلك الخاصّية، وهذه من الخواصّ التى لا تعلّل، وهى

(١٠) صورة الأرض ١ / ١٦٠ ، ١ ـ ١

توجد دون نصف ذراع وطول الشبر وأكثر وأقلّ ، ومن خاصّيّتها إذا خطّت
على من به صداع سكن عنه بحكم أنّه حبيه ، ومن خاصّيّتها إذا أخذت مرارتها
٣ وأذيقت بعسل الزنجبيل المربّى ولطخ بها الرجل إحليله بشىء منها (١٧٢) وجامع
تجد المرأة لذّة عظيمة ولا تملك نفسها دون إلّا تزال وتعلق المرأة من ساعتها ،
وهى تصلح لمن يريد الولد ، وقيل إنّ مرارة الدجاجة السوداء تقوم ببعض ذلك .
٦ قال : وفى النيل دابّة على صورة الفرس والمسكان الذى تسكون فيه لا يقربه
التمساح ، وتخرج من الماء ليلًا فترعى شىء كثير من الزرع وتفسده ، قال :
فيطرحون لها الترمس فتأكله وكذلك الحلبا وتشرب عليه الماء فيورّم جوفها
٩ فتموت .

قلت : قد طلع هذا الدابّ فى سنة إحدى عشرة وسبع مائة وسنذكرها
فى تأريخها إن شاء الله تعالى ، قال : وفى النيل الدابّة التى تعرف بالدرفيل شبه
١٢ الزقّ المنفوخ ، ومن خاصّيّتها تخلّص الغريق ، قلت : هذا أيضاً موجود عند
فم دمياط وفم رشيد ، قال : وفيه شيخ البحر وهو على صورة الآدمى وله لحية طويلة ،
والغالب أنّه يكون بنواحى دمياط وهو مشؤم فإذا رُؤى فى سنة من السنين دلّ
١٥ على الغلاء والقحط والموت والفتن ، ويقال إنّه ظهر فى دمياط سنة أخذوها الفرنج ،
قلت : هذا يقال قولًا لم أعلم صحّته من سقمه كما يقال عن الغول والقطرب لما نذكر
من خبرهما أيضاً .

١٨ قال : وبنيل مصر المقياس وهو من الأبنية العجيبة يعرف به الزيادة والنقصان ،
قال : وأوّل من حكمه وبناه يوسف عليه السلام بمنف وبنت دلوكة الملكة مقياساً
بإخميم .

(٢) حبيه : كذا (١٩) قارن مروج الذهب ٢ / ٧٠ مادة ٧٨١

قال : وفى أيّامها عملت الطلسمات بمصر ، قلت : سنذكر من هذا فصولًا جيّدة تدلّ على التقصّى وجودة الاستخراج من تواريخ قبطيّة عتيقة وقفنا عليها ووفّقنا الله تعالى لما أثبتناه فى هذا التأريخ من عجائبها وحكمها وكهنتها وسحرتها ٣ وعمارة أهرامها وبرابيها مع معظّم آثار الديار المصريّة ومدنها القديمة بالواحات ومن بناها من ملوك مصر القديمة مفصّلًا مبرهناً ، (١٧٣) وذلك كلّه يكون بمعونة الله فى الجزء الثانى منه إن شاء الله تعالى . ٦

قال ابن الجوزى أيضاً : وأمّا المقاييس التى بنيت بالديار المصريّة فى الإسلام فأوّل من بنى مقياساً بها عبد العزيز بن مروان لمّا كان بمصر بناه بناحية حلوان، قال : وهذا المقياس بناه المأمون ، وقيل إنّما بناه أسامة بن زيد التنّوخى ودثر ٩ فجدّده المأمون ، وكان أسامة بناه فى أيّام سليمان بن عبد الملك ، قال : وبنا أحمد ابن طولون مقياساً بالجيزة والآخر بقُوص ، قال : وهو إلى الآن .

قلت : أمّا هذا المقياس القائم الآن يقاس فيه الماء بالجزيرة المعروفة بالروضة ١٢ فعنى بعمارته المتوكّل جعفر بن الواثق ، وكان المتولّى أمر بنائه الفرغانى لما نذكر من ذلك ، وهذا هو المعروف عند المؤرّخين والمتّفق عليه وما عدا ذلك فلم يكن له يومئذ أثر والله أعلم . ١٥

ذكر الفرات ومبدأها ومنتهاها

قال علماء اللغة : الفرات أصلها من الفرت وهو الشقّ ، قال الجوهرى : والفرات اسم نهر بالكوفة والفرات الماء العذب ، قال الله تعالى : « ماء فراتاً » . ١٨

واختلفوا فى مخرجها على قولين : أحدهما : أنّها من جبل ببلد الروم يقال له

(١٦) مأخوذ من مرآة الزمان ٣١ آ ، ٨ (١٧) الصحاح ١/٢٥٩ ب ؛ ١/٢٦٠ آ
(١٨) القرآن الكريم ٧٧ / ٢٧

أفردحس بينه وبين قاليقا سيرة يوم ، والثانى: أنّها تخرج من أطراف أرمينية ثم
تجرى إلى بلاد الروم ويجتمع إليها أعين كثيرة ويصبّ إليها خليج من بحيرة
٣ المارزبون وليس ببلاد الروم بحيرة أكبر منها دورها أكثر من شهر ، ثم تمرّ
الفرات بأرض ملطية على مسيرة ميلين منها ، ثم تمرّ على شميصات وتجوز من
تحت قلعة الروم والبيرة وجسر منبج وبالس وقلعةجعبر والرقّة والرحبة وقرقيسيا
٦ وعانة والحديثة وهيت والأنبار ، ومن تحت الأنبار يأخذ منها نهر عيسى ونهر الملك
فصبّان فى دجلة ثم تمرّ الفرات بالطوف (١٧٤) ثم بالحلّة ثم بالكوفة وتنتهى
إلى البطائح وتصبّ فى البحر الشرقى .
٩ قالوا : ومقدار جريانها على وجه الأرض أربعمائة فرسخ وقد كانت تمرّ
ببلاد الحيرة ونهرها بيّن إلى الآن ويُعرَف بالعتيق ، وعنده كانت وقعة القادسيّة
الآتى ذكرها ، وكان البحر المعروف بالنجف فى ذلك العهد جارياً ، وكان مرسى
١٢ السفن من بلاد الهند والصين ذلك المكان تحمل فيه الأمتعة إلى ملوك الحيرة لمّا
كانت عامرة لما نذكر من ذلك، ولمّا استحال الماء وانقطع عن الحيرة وعن مصبّه
فى البحر صار ذلك البحر برّاً وصار بين الحيرة والبحر مسافة ، والنجف بالتحريك
١٥ المكان الذى لا يعلوه الماء ، قال الجوهرى : وكذا النجفة بالتحريك مكان
لا يعلوه الماء مستطيلًا ، ويقال إنّ اسم هذا المكان فى الأصل نج وكان أهل
الحيرة يستقون منه الماء فأصبحت امرأة على العادة لتستقى فرأته يابساً فقالت نج
١٨ جف ثم خفّفوه .

وقد روى فى فضل الفرات حديث ، قال ابن الجوزى رحمه الله: حدثنا جدّى
رحمه الله بإسناده إلى الأعمش عن أبى وائل عن ابن مسعود عن النبىّ ﷺ

(١) قاليقا : قاليقلا مرآة الزمان ، تحريف (٤) شميصات : سميساط
(٧) بالطوف : بالطفوف مرآة الزمان (٥) الصحاح ٤ / ١٤٢٩ ب

أنّه قال : ما من يوم إلّا وتنزل مثاقيل من بركات الجنّة فى الفرات ، قال :
حدّثنى هذا الحديث فى الأحاديث الواهية لا يصحّ ، فى إسناده الربيع بن بدر
تركوا حديثه ، وقال ابن حبّان : تروى عن الثقات الأحاديث الملومات وعن ٣
الضعفاء الموضوعات ، قلت : وقد ذكر الزهرى ما يدلّ على صحّته لأنّه قال :
ومصداق هذا الحديث أنّ الفرات مدّت فى بعض السنين فجاءت برمّان كل
رمّانة مثل البعير فكانوا يرون أنّه من الجنّة ، هذا قول ابن الجوزى ، وقال : ٦
وقد أخرج الخطيب هذا (١٧٥) الحديث فى تأريخه ، وذكر أنّ فى إسناده الربيع
ابن بدر عن الأعمش عن أبى وائل شقيق عن ابن مسعود رفعه ، وقال البخارى
بإسناده عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : يوشك أن يحسر الفرات عن ٩
كنز من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شىء ، وفى رواية : عن جبل من ذهب ،
أخرجاه فى الصحيحين ، ولمسلم عن أبى هريرة عن النبىّ ﷺ قال : لا تقوم
الساعة حتّى يحسر الفرات عن جبل من ذهب تقتل الناس عليه فيقتل من كلّ ١٢
مائة تسعة وتسعون ويقول كلّ رجل منهم : لعلّى أنا الذى أنجو ، وروى أنّ
دانيال عليه السلام حفرها .

ذكر دجلة ومبتدأها ومنتهاها ١٥

قال الجوهرى رحمه الله : دجلة نهر بغداد ، وذكر أبو بكر الخطيب رحمه
الله أنّ دانيال حفرها والفرات ، فقال : حدّثنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد

---

(٤) قلت : سبط بن الجوزى (٧) تأريخ بغداد ١ / ٥٥ ، ٩
(٨) صحيح البخارى ٤ / ٢٣١ ، ٥ ، الفتن (١١) صحيح مسلم ٨ / ١٧٤ ، الفتن
(١٢) تقتل : تقتتل صحيح مسلم (١٥) مأخوذ من مرآة الزمان ٣١ ب ، ٩
(١٦) الصحاح ٤ / ١٦٩٥ آ (١٧) تأريخ بغداد ١ / ٥٦ ، ١٣

مولى بنى هاشم بإسناده عن عثمان بن عطاء عن أبيه قال : أوحى الله تعالى إلى
دانيال : أن احفرلى سيبين بالعراق فقال : يارب بأىّ مكاتل وبأى مساحى وبأىّ
٣ رجال ؟ فأوحى الله إليه أن اتّخذ سكّة حديد وعرّضها واجعلها فى خشبة وألقها
خلف ظهرك فإنّى باعث إليك ملائكة يعينونك على حفرها فكان إذا انتهى
إلى أرض لأرملة أو يتيم حاد عنها حتى حفر دجلة والفرات .

٦ وقال الخطيب أيضاً بإسناده عن ابن عبّاس قال : أوحى الله تعالى إلى دانيال
أن فجّر لعبادى نهرين عظيمين واجعل مغيضهما إلى البحر فقد أمرت الأرض أن
تطيعك فأخذ قناة فجعل يخدّ فى الأرض والماء ينبع ويتبعه ، وفى رواية : فأخذ
٩ قصبة وكان إذا وصل إلى أرض شيخ كبير أو يتيم ناشده الله فيحيد عن أرضه
(١٧٦) فعواقيل دجلة والفرات من ذلك ، قال الجوهرى : العاقول من النهر
والوادى ما اعوج منه .

١٢ وقال أرباب العلم بهذا الشأن : مبدأ دجلة من بلاد آمد وديار بكر وميا فارقين
وأرمينية تجتمع عيون ثم تمرّ ببلاد حصن كيفا والجزيرة والموصل وتستمدّ من
الزابين الأعلا والأسفل وهما من عيون ببلاد أرمينية ثم تمرّ بتكريت وبغداد ثم
١٥ بواسط ، وتنقسم عدّة أودية ثم تصبّ فى البطائح وتختلط بالفرات ويصبّان فى
البحر الشرقى ، قالوا : ومقدار جريانها على وجه الأرض ثلاثمائة فرسخ ، وقيل :
إن الذى حفرهما أفريدون الملك ، وليس بصحيح ، والله أعلم .

---

(١٠) الصحاح ٥ / ١٧٧٠ آ

ذكر سيحون وهو نهر الهند

ويقال : مهران السند ، وقال الجوهرى رحمه الله : وسيحون نهر بالهند ، وسيحان نهر بالشام، وساحين نهر بالبصرة، وانساح أى اتّسع ، ومخرج سيحون ٣ من جبال ماسَبذان وينتهى إلى بلاد المولتان، وتفسيره مرج الذهب ، ثم ينتهى إلى إلى القنصورة ثم يصبّ فى البحر الشرقى ، ويقال : مقدار جريانه على وجه الأرض ستّمائة فرسخ ، والتماسيح فى خلجانه على ماذكر الجاحظ ولا يوجد سوى فيه وفى ٦ نيل مصر ، وقد ذكرنا ذلك والله أعلم .

ذكر جيحون وهو نهر بلخ

قالوا : إنّ أصل منبعه من عيون ببلاد التبّت المتقدّم ذكرها ولا يزال حتى ٩ يمرّ ببلاد بلخ والترمذ وإسفرايين وخوارزم ويمضى حتى يصبّ فى بحر جرجان ثم يمرّ على بلاد الترك .

قالوا : ومقدار جريانه على وجه الأرض ثلاثمائة فرسخ تقدير جريان الفرات ١٢ أو قال تقدير جريان دجلة، وقيل إنّه يصبّ فى مهران السند وليس كذلك وبينهما مسافة بعيدة ، وقد سمّاه فى (١٧٧) الحديث عن النبى ﷺ جيحون .

قلت : وقد ذكروا فى العالم أنهار كثيرة، قال أحمد بن بختيار إنّ بالبصرة ١٥ جزيرة يقال لها جزيرة الفضّة يخرج منها ثلاثة أنهار مثل جيحون والنيل والفرات، وهذا غلط أن يشبه فى الدنيا نهر مثل النيل وهو لا يعرف له مبتدأ فلو قال : مثل جيحون ودجلة والفرات لأمكنه المثل . ١٨

---

(١) مأخوذ من مرآة الزمان ٣١ ب ، ـ ٣ (٢) الصحاح ١ / ٣٧٧ ب
(٨) مأخوذ من مرآة الزمان ٣٢ آ ، ٢
(١٠) الترمذ : مرآة الزمان ؛ قارن مروج الذهب ١ / ١١٥ ، هامش ٦
(١٥) مأخوذ من مرآة الزمان ٣٢ آ ، ٧

ومنها نهر آتل يأتى من المشرق فيصبّ فى بحر الخزر ويقال إنّه يتشعّب منه نيف وسبعون نهراً وهو أكبر من جيحون ، ومنها الهندمند ومخرجه من
٣ جبال خراسان ويصبّ فى البحر الشرقى .

وذكر فى جغرافيا أنّ العيون الكبار التى تنبع فى الأرض مائتى عين وثلاثين عيناً دون الصغار ، وعدد الأنهار الكبار الجارية فى الأقاليم السبعة على الدوام
٦ مائتان وتسعون نهراً ، وقال ابن المنادى : فى الإقليم الأوّل من الأنهار والعيون ثلاثة وعشرون ، وفى الإقليم الثانى تسعة وعشرون ، وفى الإقليم الثالث أربعة وعشرون منها النيل فى أكثره ، وفى الإقليم الرابع ستّون منها دجلة والفرات ،
٩ وفى الإقليم الخامس عشرون ، وفى الإقليم السادس ستّة وعشرون ، وفى الإقليم السابع البقيّة من العدّة المذكورة ، وجميع ماذكرناه من الأنهار والعيون داخل فى الأقاليم السبعة إلّا العيون التى فى جبل القمر فإنّها خارجة عن ذلك لأنّها ليست فى خطّ
١٢ الاستواء ، وقيل إنّها فى أطراف الهند وهو الأوّل .

وذكر صاحب المسالك والممالك أنّ ببلاد المشرق تلّاً له ألف عين تجرى إلى المشرق ، قال : ويسمّى بركوب ، معناه الماء المقلوب ، وصيده درار يج سود ،
١٥ قلت : هذا النهر ذكره صاحب كتاب أصول الترك واسم الكتاب باللغة التركية : ألوا طابتيك ، معناه : كتاب الأب الكبير ، وسنذكره (١٧٨) عند ذكرنا لبدء خروج التتار ، وأصل مخرج هذا النهر من سفح جبل عظيم لم يذكروه فى الجبال
١٨ إمّا لبعد مسافته أو لكون اتّصاله بالمحيط ، وهذا الجبل يسمّى باللغة التركيّة قرا طاغ ، معناه الجبل الأسود ، وسيأتى ذكره وسمت علوّه فى الجوّ وارتفاعه فى الهواء وعظمه بين الجبال حسبما ذكره جبريل بن بختيشوع لما حلّه من اللغة الفارسيّة
٢١ إلى العربيّة إن شاء الله تعالى .

(١٣) المسالك ٢٨ ، ٤ (١٤) درار يج : تدارج المسالك

قال ابن الجوزى رحمه الله: وقد روى أبو بكر الخطيب رحمه الله فى تأريخه
حديثا يأتى على سيحون وجيحون والفرات والنيل، فقال: حدثنا أبو القسم الحسن
ابن الحسين بن على بن المنذر القاضى وأبو القسم على بن محمد بن يعقوب الأيادى ٣
وأبو على الحسين بن أحمد بن شاذان البزاز بإسنادهم عن مقاتل بن حيان عن عكرمة
عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: أنزل إلى الأرض خمسة أنهار:
سيحون وهو نهر الهند، وجيحون وهو نهر بلخ، ودجله والفرات وهما نهران ٦
بالعراق، والنيل نهر بمصر، أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل
درجاتها على جناحى جبرائيل عليه السلام واستودعها الجبال وأجراها فى الأرض
وجعل فيها منافع للناس، وذلك قوله تعالى: « وأنزلنا من السماء ماء < بقدر > ٩
فأسكناه فى الأرض »، فإذا حان خروج يأجوج ومأجوج أرسل جبرائيل فرفع
من الأرض هذه الأنهار الخمسة والقرآن والعلم والحجر والركن والمقام وتابوت
موسى عليه السلام بما فيه يرفع الكل إلى السماء فذاك قوله تعالى: « وإنا على ١٢
ذهاب به لقادرون »، فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض فقد خير الدين والدنيا،
قال ابن الجوزى: إلا أن هذا الحديث غريب والأصح أنه موقوف على
ابن عباس. ١٥

(١) تأريخ بغداد ١ / ٥٧، ١٤ (٩-١٠) القرآن الكريم ٢٣ / ١٨
(١٢ - ١٣) القرآن الكريم ٢٣ / ١٨

ذكر سيحان وجيحان وهما نهران أيضا

(١٧٩) قال النوبختى رحمه الله: هذان نهران فى بلد الروم، فأمّا سيحان
٣ فتخرج من عيون بينها وبين ملطية ثلاثة أيّام ثم يمتدّ إلى ناحية الغرب وعليه من
المدن أدنة فيصبّ فى البحر الرومى، وأمّا جيحان فيخرج من عيون بينها وبين
مرعش ثلاثة أيّام وعليه المصيصة، ويصبّ أيضاً فى البحر الرومى، والنهر الأسود
٦ الذى غرق فيه ملك الألمان قريب من بلد الروم.

وأمّا البحيرات فكثيرة جدّاً منها بحيرة ساوة وسنذكرها، وبحيرة أرمينية
وبحيرة الروم، وأمّا الشام فبحيرة قَدَس بحمص معروفة وبحير فامية أيضاً معروفة،
٩ وبحيرة دمشق، وبحيرة طبرّية ودورها ثلاثة وثلاثون ميلاً ويصبّ الماء إليها من
حوله بانياس ويخرج منها النهر المعروف بالأردنّ ويمرّ فى الغور إلى بحيرة زُغَر من
أرض الكرك، وقال الجوهرى رحمه الله: الأردنّ اسم نهر وكورة بأعلى الشام،
١٢ وقال ابن الجوزى: قال جدّى رحمه الله فى المنتظم إنّ بحيرة طبرّية تصبّ فى نهر
أنطاكية والظاهر أنّه قلّد مَن لا يعرف، وأين بحيرة طبرّية فى الشام الأعلى
وأنطاكية فى الشام الأسفل؟ وإنّما الذى يصبّ فى نهر أنطاكية بحيرة فامية،
١٥ ومنها بحيرة تنّيس بالديار المصرّية وكانت قبل ذلك قرى ومزارع لم يكن بمصر
مثلها فغلب عليها الماء وقد تقدّم ذكرها.

---

(١) مأخوذ من مرآة الزمان ٣٢ ب، ٤
(٧) مأخوذ من مرآة الزمان ٣٢ ب، ٨
(١١) الصحاح ٢١٢٢/٥ ب

ذكر أنهار الشام

أمّا أنهار دمشق فأصل مياهها بردا وعين الفيجة ، يجتمع بردا عند عين
الفيجة ثم تنحدر إلى قرية يقال لها الهامة فينفصل منها نهر يزيد و يمتدّ إلى قاسيون ٣
وينتهي إلى دوما وقد كان يمتدّ فى الزمان القديم إلى الماطرون ودنبة والقناطر فى
لحف الجبل باقية إلى الآن ، وكذا الآثار ، وهو منسوب إلى يزيد الرومى ، فأمّا
يزيد بن معاوية فإنّه وسّعه وعمّقه فنُسب إليه ، (١٨٠) وأمّا نورا فيأخذ من ٦
فوق الربوة ويمتدّ إلى قريب القصير ويقال إنّ كان عليه ثلاثمائة وستّين ماصية ،
وأمّا باناس وهو نهر الجامع الأموى ، وكذلك القنوات ونهر المزّة ويتفرّع من
هذه الأنهار عدّة أُخَر معلومة . ٩

وأمّا العاصى : فهو نهر حماة وأصله من جبل لبنان من قرية يقال لها اللبوة
ثم ينزل إلى بحيرة قَدَس ويخرج العاصى منها فيمرّ بأرض حمص وشيزر وفامية إلى
قريب من أنطاكية ، ثم يصبّ إلى البحر الرومى ، وقيل إنّما سمّى العاصى لأنّه ١٢
يجرى إلى غير القبلة ، ومسافة جريانه ثلاثة أيّام ، وأمّا قُوَيق فهو نهر حلب يخرج
من قريه يقال لها سنياب على سبعة أميال من حلب ثم يمرّ على حلب وقنّسرين
وينتهى إلى المرج الأحمر وماؤه موصوف بالرقّة والخفّة وقيل إنّ أوّله وخم فإذا ١٥
امتدّ طاب .

وأمّا أنهار الجزيرة منها البلخ بين حرّان والرقّة ، ويقال إنّ الخليل عليه السلام
نزل بذلك المكان وقال له ابلخ فيتفجّر وعنده مقام إبراهيم عليه السلام ، وكانت ١٨
عليه منازل الوليد بن عقبة ابن أبى معيط الآتى ذكره فى تاريخه ، ومنها الخلات :

---

(١) مأخوذ من مرآة الزمان ٣٢ ب ، ـ ١١
(١٧) مأخوذ من مرآة الزمان ٣٣ آ ، ١

وهو نهر حرّان وماؤه خفيف ويقال إنّ أوّله رخم ثم يصحّ وأوّله من عين ببلد
الرها ، ومنها الهرماس وهو نهر نصيبين ويقال إنّه يسقى ثلاثين ألف بستان
٣ ومبدأه من جبل نصيبين ، ومنها الخابور ، وهما خابوران : خابور رأس العين
ويمتدّ منها إلى الفرات فيصبّ فيها تحت قرقيسيا وعليه المجدل وغيره من القرى ،
وأمّا الخابور الثانى ففى ديار بكر عند قردى ومارندى وهى ديار بنى حمدان الذين
٦ ملكوا الموصل والجزيرة والشام بحلب الآتى ذكرهم فى تأريخهم إن شاء الله تعالى ،
ومخرج هذا النهر من بلاد أرمينية ويصبّ فى دجلة وماؤه عذب وفيه قال
الشاعر (من الطويل) :

٩ (١٨١) بقردى ومارندى مصيف ومربع وعذب يحاكى السلسبيل برودُ
وبغداد ما بغداد أمّا ترابها فحم وأمّا حرّها فشديدُ

ذكر أنهار العراق

١٢ حكى الخطيب رحمه الله فى تأريخه عن الأوائل أنّ ملوك الأردوان وهم النبط
الأول كانوا فى السواد قبل فارس وهم الذين استنبطوا المياه وحفروا الأنهار
العظام بالعراق وصرّفوا دجلة والفرات بالسكور وقسموا المياه ، يقال لهم ملوك
١٥ الطوائف وإنّما سمّوا بذلك نبطاً لأنّهم استنبطوا المياه أى استخرجوها .

وذكرهم الجوهرى فقال : النبط والنبيط قوم ينزلوا البطائح بين العراقين ،
وقال ابن قتيبة رحمه الله : هم قوم ملكوا العراق ألف سنة ، وقال ابن المنادى :

---

(٣) مارندى : بازندى مرآة الزمان ؛ المسالك ٩٥ ، ١٠
(١١) مأخوذ من مرآة الزمان ٣٣ آ ، ١٢٠
(١٥) بذلك : ناقص فى مرآة الزمان ، تحريف (١٦) الصحاح ٣/ ١١٦٢ ب

كان ملكهم من عانات وكور دجلة والبصرة وكانوا يصرّفون الفرات ودجلة كيف شاءوا وما فضل يصرّفونه إلى البحر الشرقى فلهذا سمّوا نبطاً .

قلت : ولعلّ من آثارهم وغرسهم التفّاح المعروف بالنبطى موجوداً بالشام ٣ إلى الآن وهو أكثر ما يكون .

وحكى الخطيب أيضاً عن الهيثم بن عدى عن عبد الله بن عيّاش المنتوف قال : كان حدّ ملك النبط الأنهار إلى عانات كسكر إلى ماوالاها من كور دجلة ٦ إلى كوجا والسواد ، وكان فى أيدى النبط سرّة الدنيا وكانت الفرات ودجلة لا ينتفع بهما حتى يأتيان بلادهم فيحفّونها ويفجّرونها فى كلّ موضع ويسوقونها إلى البحر الشرقى وحفروا الصراة العظمى ونهر سورا ، وقيل إنّما جفر الصراة ٩ ملوك فارس ثم وليت الفرس فحفروا الأنهار (١٨٢) مثل نهر الملك ، والخالص ، ودبالى ، وفم الصلح ، وقيل إنّما حفر نهر الملك أنقورشه آخر ملوك النبط ويقال إنّه ملك مائتى سنة ، وقيل إنّما حفره سليمان بن داود عليه السلام ، وقيل إنّما ١٢ حفر فم الصلح خالد بن عبدالله القسرى لمّا كان متولى العراق ، وفم الصلح كان قد أقطعه المأمون للحسن بن سهل لما تجوّز ابنته بوران لما نذكر من ذلك فى آخر جزء هذا التأريخ وهو الجزء المسمّى بالدرّ الفاخر فى سيرة الملك الناصر أخّرناه ١٥ لمكان لائق به فأثبتناه إذ كان القصد من ذكره عظم أمر الوليمة التى كانت فى ذلك الوقت لما يقف عليه من تطلبه .

قال: وأمّا النيل الذى بأرض العراق فيقال إنّ الحجّاج بن يوسف حفره وهو ١٨ قريب من واسط .

---

(٧) كوجا : كوثى مروج الذهب ١ / ٢٥٤ مادة ٥٢٣

واختلفوا في الذي حفر نهر عيسى وهذا النهر الذي يأخذ من الفرات ويصب
ببغداد وعليه المحول وغيرها على أقوال: أحدها أنّه سليمان بن داود عليهما السلام،
٣ الثاني: أنّه أنقورشه آخر ملوك النبط، الثالث: أنّهم ملوك الفرس، وقيل عيسى
ابن على بن عبد الله بن عبّاس، وبه عُرف، وليس كذلك فإنّه قديم وإنّما عيسى
ابن على المذكور ابتنا عليه قصراً فعُرف به، وأمّا الصراة نقديمة أيضاً، قال
٦ الجوهري وذكرها: الصراة بالفتح نهر بالعراق وهي الصراة العظمى والصغرى
وصرا الماء إذا طال مكثه وتغيّر.

وأمّا دجيل فهو الذي غرق فيه شبيب الخارجي لما يأتي من خبره، واختلفوا
٩ أيضاً فيه، فقال الهيثم بن عدى إنّ سليمان عليه السلام أمر الشياطين فحفرته وألقت
ترابه بين قصر (١٨٣) شيرين وخانقين وقيل إنّ بعض ملوك الفرس حفره.

انتهى القول فيما اشترطناه من ذكر الأقاليم السبع والبحار السبع وما
١٢ في ضمن ذلك من الجزائر والبحيرات والأنهار والبلدان، مع ما مضى من ذكر
الجبال والتلاع والقلاع والرمال وغير ذلك ممّا لخصناه من عدّة تواريخ وكتب
الحديث النبويّ من الصحيحين وما اشتمل عليه هذا الجزء المبارك من الأخبار
١٥ وتبعها من الآثار، وجميع ذلك بحول الله وقوّته وحسن عنايته وبركة توفيقه
وإلهامه وهدايته، ولنبتدىء الآن بذكر عجائب المخلوقات وبدائع المصنوعات
في كلّ إقليم وما اختصّ به واجتمع فيه موفّقاً لذلك إن شاء الله تعالى.

---

(٦) الصحاح ٦ / ٢٤٠٠ آ (٧) الصحاح ٦ / ٢٣٩٩ ب

ذكر مافى الدنيا من العجائب وفنون الغرائب

ذكر عجائب المشرق

ذكر العلماء بأخبار العالم أنّ بالهند عجائب كثيرة ، منها : هيكل عظيم من ٣
أعظم الهياكل يقال له بلاذرى مستدير الشكل له سبعة أبواب وفيه قبّة عظيمة
شاهقة فى الهواء قائمة على سبعة أعمدة ، وفى رأسها جوهرة بمقدار رأس الفحل
يضىء بها جميع أقطار ذلك الهيكل ، وإنّ جماعة من الملوك حاولوا أخذ تلك الجوهرة ٦
فما استطاعوا وهلكوا دون قصدهم ، وكلّ من دنا منها خرِمّيتاً ، وفيه صنم
ذهب وزنه مائة ألف مثقال تزعم الهند أنّه نزل من السماء، يقصدونه من الآفاق،
قلت : هذا ماذكره ابن الجوزى فى تأريخه مرآة الزمان ، ويالله العجب كيف ٩
يقول مثل هذا الكلام المناقض بعضه لبعض قد ذكر أنّ أحداً لا يستطيع الدنوّ
من هذا المكان ومن قرب منه هلك فمن حرّر زِنَةَ هذا الصنم حتى إنّه <وجده>
مائة ألف مثقال لايزيد ولاينقص . ١٢

---

(١) مأخوذ من مرآة الزمان ٣٣ ب ، ٦

(١٠) بالهامش بخط غير خط المصنف :

ليس فى كلام ابن الجوزى مناقضة لأنه يحتمل أنه أراد بقوله : كل من دنا منها خرميتاً يعنى كل من دنا منها بقصد أخذ الجوهرة أو إفساد شىء من أحوال المكان هلك ، وهذا ظاهر لأن الأقدمين من الحكماء جميع ماابتنوه وبنوه وأحكموا أمره على أى وجه أرادوا جعلوه مطلتماً نمن أراده بسوء هلك ؛ وكون أن المصنف أنكر على ابن الجوزى فى قوله من حرر وزن هذا الصنم فهذا غير ممتنع من وجهين : أحدهما إنه ممكن وزنه ولا يهلك لفاعل ذلك إذ الكون أنه ماقصد إفساده . والثانى أنه يمكن أن هذا الهيكل له تأريخ مذكور فى وزن هذا الصنم فإن مثل هذا الهيكل لايهمل أمر ذكر مانسبه والعجائب فيمكن أن أصحابه أثبتوا وزن الصنم فى نفس هذا الصنم أو فيما يقارنه من البناء أو فى كتاب متوارث عند أهل ذلك الزمان ولو علم المصنف هذا الاعتراض لما انفسد علينا غالب الأمور القديمة المذكورة فى الكتب ، وابن الجوزى رحمه الله تعالى لايعترض عليه فى مثل ذلك فإنه لولم يكن من فضله إلا كتاب تأريخ مرآة الزمان فإن تسمية هذا الكتاب مما يحسد عليه ، والله تعالى أعلم

(١٨٤)قال: وأساس هذا الهيكل من حجارة المغناطيس وبنى على سير الكواكب
السبعة بالحركات السماوية ، وفيه بئر عليها طوق من الحديد الصينى مكتوب عليه
٣ بالقلم المسند : هذا البئر فيه علوم السموات والأرض وما مضى وما يأتى ، وفيها
خزائن الأرض لا يصل إليها من العالم إلّا مَن وازن قدرته قدرتنا واتّصل علمه
بعلمنا وساوت حكمته حكمتنا ، وكلّ من نظر فيه خاف وارتعد ووقع هاوياً على
٦ أمّ رأسه ميّتاً لا يختلج ، وكذلك كلّ من نظر إلى هذا الهيكل خاف وارتعد
وضعف قلبه فى أوّل وهلة ، وعلى هذا الهيكل عدّة أوقاف منها مدينة برستاقها ،
وحول هذا الهيكل ألف مقصورة فيها جـــوارى حسان لمن تقدّم زائراً لهذا
٩ الهيكل يتمتّع بما شاء منهنّ .

ومنها غدير عظيم فى مملكة المهراج وعليه قصر شاهق فى الهـــواء ويتّصل
بخليج إلى البحر من خلجان الزابج ، والغدير مملوءاً لبناً من ذهب ، وكلّ ملك
١٢ يلى أمر المهراج يضرب كلّ عام لبنة منه ويلقيه فى ذلك الغدير ، وهذا الخليج
يمدّ ويجزر كلّ يوم فإذا جزر ظهر ذلك اللبن وتقابله عين الشمس بشعاعها فيلمـع
ذلك الغدير بما فيه من اللبن الذهب لمعاناً يأخـذ بالأبصار ، فإذا مات الملك وقام
١٥ بعده آخر أخرج ما فى الغدير من ذلك اللبن وجمعه إليه وفرّقه على أهل المملكة
من الخواصّ أوّلا ثم فى العوامّ فإن فضل شىء فرّقه فى المساكين ، ثم يكتب
عدد اللبن ووزنه فى لوح من الذهب منقوشاً : وإنّ فـــلاناً عاش فى الملك كذا
١٨ كذا سنة وخلّف فى غـــدير الذهب كذا كذا لبنة ، وكانوا يتوارثون ذلك
ويفتخرون بمن تطول أيّامه وتـكثر لبنه .

ومنها أطمة بساحل الهند بين مملكة سروان والمهراج يخرج (١٨٥) منها نفط
٢١ أبيض وليس فى العالم نفط أبيض سواه ، وعنـدها نار لا تخمد ليلاً ولا نهاراً ،

وليس فى إطام الأرض أعظم منها ويضىء فى الليل منها نار ترى فى البحر الشرقى
من مائة فرسخ وتقذف بجمر كالجبال وقِطَع الصخور تتراءى فى الهواء ثم ينعكس
سفلاً فيهوى فى قعرها وهى سود لما نالها من الحرارة ، قال الجوهرى: والأُطم مثل ٣
الأُجم جمع أجمة تخفّف وتثقّل والجمع آطام والآطام حصون أهل المدينة .

قلت : أجمع أهل التاريخ على وجود هذه الأطمة بهذه الديار ومنهم من أطنب
وأطال فى ذكرها مثل المسعودى وغيره فدلّ ذلك على صحّة وجودها . ٦

ومنها بطّة نحاس على عمود نحاس بين الهند والصين فى أرض يقال لها كمار ،
حكى ابن الجوزى رحمه الله بإسناده إلى عبد الله بن عمرو بن العاص قال : إذا كان
يوم عاشوراء مدّت تلك البطّة عنقها إلى نهر تحتها فتشرب منه ثم ترتفع إلى مكانها ٩
وتفتح منقارها فيفيض منه من الماء ما يكفى لسكّان تلك البلاد وزروعهم ومواشيهم
إلى مثل يوم عاشوراء من السنة الأخرى .

قلت : وهذا أيضاً فيه نظر من جهة العقل ، وذلك أنّه لو قال: يوم فى السنة، ١٢
لأمكن وإنّما قال: يوم عاشوراء ، ويوم عاشوراء لا يكون إلّا فى السنة العربيّة
والسنة العربيّة تدور ويجىء يوم عاشوراء فى سائر فصول السنة الأربع والزرع
لا يكون إلّا فى فصل مخصوص فى سائر الأقاليم السبعة كلّ إقليم وما يوافق فيه ١٥
فى أوانه ويكون فى فصل استقبال الشتاء ليتربّا الزرع فى رطوبة الوقت ويدرك
الحبّ فى استقبال الصيف فيحسن حصاده، ويوم عاشوراء تدور فى الفصول الأربع،
فلا يصحّ ذلك ، والله أعلم إلّا أن يكون فى يوم من الشهور (١٨٦) الروميّة ١٨
أو القبطيّة ، وهذا ظاهر .

---

(٣) الصحاح ٥ / ١٨٦٢ آ (٧) كمار : كذا

ومنها قنطرة بين السوس وبين جندى سابور ذكرها صاحب المسالك والممالك وقال : هى على واد عظيم منه أنهار جندى سابور والسوس ، وطول هذه القنطرة أربعمائة ذراع بناها سابور وأساسها فى الأرض ثلاثون ذراعاً وارتفاعها فى الهواء مائة ذراع ، وبين صخورها الرصاص مصبوب ، وفيها نيف وعشرون طاقاً كلّ طاق عشرة أذرع ، يخرج من تحت القناطر نيف وثلاثون نهراً تسقى رستاق السوس وجندى سابور ولا ينقص الماء شيئاً .

قلت : وهذه القنطرة أيضاً مذكورة ، وقال المسعودى : إنّها من بناية الفرس الأول، وإنّ الإسكندر لمّا ظهر أخربها، وكذلك كانت قنطرة على سيحون بناها الضحاك فأخربها أيضاً الإسكندر ، هكذا قال المسعودى ، والله أعلم .

ومنها ما ذكره ابن حوقل فى كتاب الأقاليم فى صفة الدنيا ، قال : الخزر اسم إقليم وقصبته تسمّى آتل ، وآتل أيضاً اسم النهر الذى يجرى إليها من بلاد الروس وبلغار ويصبّ فى بحر الخزر وقد ذكرناه ، وكذلك اسم أى من تملّكهم من ملوكهم أيضاً آتل وقصره مبنىّ بالجص والآجرّ ، ولا يسمح لأحد من رعيّته فى البناء بهما ، وهو يهودى وعسكره اثنا عشر ألفاً كلّهم يهود ، وحاشيته أربعة آلاف ، وفى بلادهم مسلمون ونصارى ومجوس ومن يعبد الأوثان ومن يعبد الكواكب ومن يعبد الشمس والقمر ، وعنده سبعة من الحكّام لهذه الأديان المتفرّقة يقضون بين الناس ، وقال المسعودى فى ذكر ذلك : وإنّ هؤلاء الحكّام السبعة متى اختلفوا فى شىء ولم يجدون عندهم لذلك قياس رجعوا فيه لحاكم المسلمين، قال ابن حوقل : ولا يصل أحداً (١٨٧) إلى الملك إلّا فى النادر .

(١) المسالك ١٧٦ (١٠) صورة الأرض ١ / ١٥ ، ١٥
(١٤) قارن صورة الأرض ٢ / ٣٩٠ (١٧) مروج الذهب ١ / ٢١ : مادة ٤٥٢

وذكر ابن حوقل حكاية طويلة ملخّصها أنّ رجلاً وُلد له ولد وكان له غلام يتّجر بماله ، فمات الرجل بعد ما كبر الولد الغلام وبلغ حدود الرجال ووصل غلام أبيه فنازع الولد فى المال وقال : إنّه أبى دونك وإنّك ليس بولده ، والمال لى أستحقّه دون استحقاقك ! وأقاما يتحاكمان عند الحكّام سنة وأقام كلّ منهما البيّنة ، ومن عاداتهم إذا امتدّت الحكومة سنة ولم تنفصل تولّى الملك الأمر بنفسه ، قال : فأحضرهما بين يديه وأعيدت عليه الدعاوى وأحضر كلّ منهما بيّنته فلم يترجّح عند الملك لأحد منهما حقّ على الآخر فلم يجد ما يقضى به الترجيح بين البيّنتين فأفكر ساعة وقال للولد: أتعرف قبر أبيك؟ فقال : كنت غائباً لمّا مات، ولما قدمت قالوا هذا قبر أبيك ، فقال للغلام المدّعى البنوّة : أتعرف قبر أبيك؟ قال: نعم أنا قدمت من سفرى قبل وفاته وتولّيت دفنه، فقال الملك: علىّ برمّته ! فأحضرت ، فقال: افصدوا الغلام الذى تولّى دفنه على هذه الرمّة ففصدوه فكان الدم يحيد عنها يميناً وشمالاً لا يعلق منها بشىء ، ثم أمر أن يُفصَد الولد ففصدوه عليها فعاد الدم يتعلّق بالرمّة وشربته شرباً ، فسلم الولد مال والده وعوقب المدّعى وقُرّر نقرانه مدّعى فأدّب وشهّد وكذلك بيّنته .

ذكر عجائب العراق

قال ابن الجوزى رحمه الله : قال جدّى عن حميد الدهقان الفلّوجة السفلى قال : كان ببابل سبع مدائن فى كلّ مدينة أعجوبة ليست فى الأخرى ، فكان فى المدينة الأوّلة هيئة مثال الأرض كلّها ، وفيها صورة أنهار فإذا التوى أهلها

(١) صورة الأرض ٢ / ٣٩١ ، ٦ (١٤) نقرانه : وقرر أنه ؛ تحريف
(١٥) مأخوذ من مرآة الزمان ٣٤ ب ، ١ (١٧) المسالك ١٨٢ ، ١٤

خرق أنهارها المصوّرة فيتفجّر عليهم الماء حتى (١٨٨) يغرقهم فلا يستطيعون سدّها حتى يطيعونه وينقادون إليه .

٣ وكان فى المدينة الثانية حوض من رخام فإذا أراد الملك أن يجمعهم لطعامه يأتى منهم من أراد بما أحبّ من أنواع الأشربة فيصبّه فى ذلك الحوض الرخام فيختلط الجميع ثم تقوم السقاة فيصبّونه فى الأوانى فمن صبّ فى إنائه شراب كان ٦ شرابه بعينه لا يختلط بشىء .

وكان فى المدينة الثالثة طبل محكوم من خاصّيّته إذا غاب أحد من أهل تلك المدينة غيبة منقطعة وأرادوا أهله يعلموا أحىّ هو أو ميّت أتوا الطبل ٩ وضربوه فإن صوّت فهو حىّ وإن لم يصوّت فهو ميّت .

وكان فى المدينة الرابعة مرآة محكومة من الحديد الصينى ذات أخلاط مركّبة إذا غاب من أهل تلك المدينة غائب وأرادوا أهله يعلموا على أىّ حالة هو يأتوا ١٢ إلى تلك المرآة فينظرونه على الحالة التى هو عليها .

وكان فى المدينة الخامسة إوزّة محكومة من نحاس على باب المدينة ، فإذا دخلها غريب صرّتت تلك الإوزّة صوتاً يسمعه أهل البلد فيعلمون أنّ غريباً ١٥ طرقهم .

وكان فى المدينة السادسة صورة قاضيان جالسان على الماء فإذا تقدّم إليهما الخصمان ليتحاكما كان يمشى المُحِقّ على الماء ولا تبتل قدماه ويغوص المبطل .

١٨ وكان فى المدينة السابعة شجرة عظيمة إذا جلس تحتها ألف رجل أظلّتهم وإن زادوا واحداً عادوا الجميع فى الشمس ، ومن عجائب العراق إيوان كسرى .

وأمّا عجائب بلاد الموصل

قال ابن الجوزى رحمه الله : بأرض للموصل جبل قريب منها من ناحية الشرق
عليه دير يقال له دير الخنافس للنصارى فيه عيد فى السنة له ليلة فى السنة يجتمع إليه ٣
جميع الخنافس التى فى الدنيا حتى تعود أرضه مسوّدة (١٨٩) من كثرتهم حتى
لا يعودون الناس يرون الأرض ولا يدوسون إلّا عليهم طول تلك الليلة فإذا كان
الصباح لم يوجد ن تلك الخنافس شيئاً ، وقيل إنّ بأرض المعرض آخر مثله ، ٦
والله أعلم .

وأمّا عجائب بلاد اليمن

قال النوبختى فى كتابه : إنّ ما بين الشحر وحضرموت شخص من نحاس ٩
على عمود من نحاس مادّاً يده إلى خلفه كأنّه يشير أنّه ليس وراءه مسلك ، قال :
وهى أرض رجراجة لا تستقيم عليها الأقدام ، يقال إنّ ذو القرنين وصل إليها
فخرج عليه نمل كالبخاتى فكانت النملة تصرع الفارس فرجع وصنع ذلك الشخص ١٢
ليعلم أنّه ليس وراءه مذهب .

ومنها وادى برهوت بحضرموت فيه جبّ يقال إنّ فيه أرواح الفجّار ،
وفى هذا الوادى أطمة عظيمة تقذف بالجمر والنار كالتى بالهند المقدّم ذكرها . ١٥

قال ابن الجوزى رحمه الله : حكى جدّى رحمه الله فى مجالس وعظه وأنا أسمعه
وقد ذكر وادى برهوت فقال : قدم بغداد رجل من خراسان حاجّاً وكان معه
مال فأودع بعضه عند بعض الزهّاد ومضى إلى الحجّ فلمّا عاد وجد الزاهد قد مات ١٨

---

(١) مأخوذ من مرآة الزمان ٣٤ ب، ــ ١٢ (٨) مأخوذ من مرآة الزمان ٣٤ ب، ــ ٨
(٩) قارن التبصرة لأبى الفرج ابن الجوزى ٢ / ١٨٩

فاغتمّ فسأل بعض العلماء عن الطريق فى أمره وكشف الحال ، فقال له : ما تمّ
إلّا أن ترجع إلى مكّة وتقف على زمزم وتنادى باسمه : يا فلان ! فإن أجابك
٣ فاسئله عن وديعتك وإلّا فاذهبْ إلى برهوت ففيه بئر فيها أرواح الفجّار وفى
زمزم أرواح المؤمنين ، فرجع الرجل إلى مكّة ووقف على زمزم ونادى : يافلان!
فلم يجبه فخرج إلى اليمن ووقف على البئر بوادى برهوت وإذا هو جبّ عميق مظلم
٦ يطلع منه الدخان وحمو النار واللهب فناداه : يا فلان ! (١٩٠) فأجابه بانكسار
وقال : لبّيك ! فقال : وأين مالى ؟ قال : تحت الدرجة الفلانيّة ، اذهبْ إلى أهلى
وأولادى وعرّفهم فإنّهم يعطوك مالك ، فقال : ألست الزاهد العابد ؟ فما الذى
٩ أوقعك ها هنا ؟ فقال : كانت أعمالى لغير الله تعالى ، قال : وعاد الرجل إلى بغداد
وعرّف أهله وأولاده فحفروا المكان وأعطوه ماله .

وأمّا عجائب الشآم ومصر والمغرب

١٢ قلت : نذكر ها هنا من عجائب مصر نتفًا لطيفة ، وذلك ما ذكره الشيخ
جمال الدين ابن الجوزى وغيره وتأخّر الجملة من عجائب مصر فى الجزء الثانى
المختصّ بذكرها وعجائبها ومدنها وغرائب ما فيها من الحكَم والأبنية والطلسمات
١٥ والأسماء ليكون ذلك مذكوراً مع من ملكها من ملوكها وكلّ ملك وما بنا
وما صنع فى أيّامه من العجائب الغريبة والصنائع المحكمة ، وبالله أستعين فإنّه
خير معين .

١٨ قال ابن الجوزى رحمه الله : حُكى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنّه قال:
عجائب الدنيا حمّام طبريّة ، ومنارة إسكندريّة ، وقال آخر : نهر الذهب ،

(١١) مأخوذ من مرآة الزمان ٣٥ آ ، ٨ (١٨) قارن التبصرة لابن الجوزى ١٨٨/١

وجبّ الكلاب ، وقلعة حلب ، فأمّا جبّ الكلاب فيقال : إنّه فى الروم وماؤه يبرى من الكلاب، وأمّا نهر الذهب فيقال نهر بزاعة فإنّه يسقى البساتين والأراضى وما يفضل عنه يصير فى البريّة ملحاً ، قلت : الأَولى بتسمية نهر الذهب على هذا الحكم نيل مصر فإنّه يسقى من الأراضى أضعاف ما يسقيه نهر بزاعة وماؤه يحمل ويباع بالذهب .

وكانت قلعة حلب تعدّ من العجائب حتى هدموها التتار لما نذكر .

ويقال أيضاً مع حمّام طبريّة ومنارة إسكندريّة : وجامع بنى أميّة وإن كان عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه ما ذكره فإنّه لم يدركه وسنذكره عند ما بناه الوليد بن عبد الملك فى تأريخه إن شاء الله تعالى .

(١٩١) ومنها بمصر بئر البلسم التى تسقى حشيشة البلسم لا توجد فى غير هذه البقعة ويستخرج من هذه الحشيشة دهن عجيب يدخل فى كثير من المنافع ويعمل منه النفط الذى لا يوجد له نظير ، ومن خاصّيّة هذا الدهن أنّه يقيم المُقعَد ولا يكون إلّا فى خزائن الملوك وله عدّة منافع عجيبة .

ومنها على ما قال ابن الجوزى الهرمين ، قال : وسَمْك كلّ واحد منهما خمس مائة ذراع فى ارتفاع مثلها وكلّما ارتفع البناء دقّ علوّه حتى يصير أعلاه فى مقدار مفرش حصير ، قال : وهما من المرمر وعليهما جميع الأقلام القديمة المعجمة من اليونانيّة والعبرانيّة والسريانيّة والمسندة والحميريّة وكذلك الروميّة والفارسيّة القديمان .

قلت : أمّا قوله إنّهما من المرمر فلا وليس فيهما شىء منه وإنّما هما حجراً أصمّ مانع ولا تعمل فيه المعاول إلّا بالجهد ، وقوله سائر الأقلام ، وذكرهم ، فليس كذلك أيضاً فإنّ الأقلام الذى ذكرهم يوجد من يحلّهم وهذا القلم الذى منقوش

فيهما قلم غريب قديم قد انقطع من يفهمه ولا يعلمه ، ولعلّ أنّ العبد واضع هـذا التأريخ يفهم شيء من حلّ بعض الأقلام الذى ذكرهم ، ولقد نظرت ما على هذين الهرمين من الرقم فلم أفهم منه حرف واحد ، ورأيت أيضاً القلم الذى كان على تربات إخميم فهو هذا القلم الذى على الأهرام بعينه، والذى ظهر لى أنّ هذه الكتابة رموز زبروا فيها القوم علومهم بخلاً منهم على ما ضمنوه وكان أولئك القوم يدينون بالرجعة فرمزوا علومهم على أن تكون لهم رجعة فخابت آمالهم وغابت أموالهم .

وحكى أيضاً ابن الجوزى رحمه الله قال : حُكِى عن بعض علماء مصر قال : إنهم حلّوا بعض الأقلام فوجدوه : إنّى بنيتهما بملكى فمن ادّعى قوةً فليهدمهما فإنّ الهدم أيسر من البناء .

(١٩٢)وقال ابن الجوزى أيضاً : حكى جدّى فى المنتظم عن ابن <للنادى> رحمه الله أنّه قال : فحسبوا خراج الدنيا مرار فلم يفِ بهدمهما ، قلت : وهذا أيضاً وهم فإنّ السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب رحمه الله أمر أن يؤخذ من حجارتهما وتبنى قنطرة فهدموا منها شيء كثير وبنى بذلك جسراً تمشى عليه الناس أيّام زيادة النيل بالديار المصريّة ، وتولّى هدمها وعمارة الجسر والقنطرة بهاء الدين قراقوش الآتى ذكره عند ذكر دولة بنى أيّوب إن شاء الله تعالى، وفى هذا العصر أيضاً قد هُدم منهما شيء كثير ، وإنّما فى هدمهما صعوبة وكلفة لصلابة الحجارة وكونها متداخلة ذكر فى أنثى ، وقد شاهدتهما مراراً ولا أشكّ أنهما نواويس للملوك الذين كانوا من قبل ، يدلّ على قوّة سلطانهم وكثرة أعوانهم وطول آمالهم وسعة آجالهم وأموالهم ، وسأذكر من أمر الأهرام ما وجدته فى تأريخ عتيق

(١٢) قلت : سبط بن الجوزى

قبطى بالدير الأبيض قبالة سوهاى بصعيد مصر وأذكر سبب وقوعى على هـذا التأريخ المذكور فى الجزء الثانى منه إن شاء الله تعالى .

وقال ابن الجوزى أيضاً : واختلفوا فى من بنى الأهرام ، فقال بعضهم : ٣ يوسف عليه السلام ، وقال آخرون : نمرود بن كنعان، وقال قوم : دلوكة الملكة الساحرة ، وقال آخرون : إنّما بناها القبط من قبل الطوفان فإنّهم كانوا يروا أنّه سيكون كائن سماوى فبنوها ونقلوا إليها ذخائرهم ورمزوا فيها علومهم وجاء ٦ الطوفان فما أغنى عنهم شيئاً .

قلت : هذا قريب ممّا وجدته فى ذلك التأريخ : وإنّ الذى بناها هو سوريد ابن سلهوق بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام ، هـذا قول ٩ ابن الجوزى .

(١٩٣)وأمّا ماوجدته فى التأريخ القبطى فسأذكره مفصّلاً حسبما اشترطناه، ولعلّه الصحيح من أمرهم ، ورأيت المسعودى وافق على كثير منه ولعلّه وقف على هذا ١٢ التأريخ المذكور ، وقد ذكرت ما استنسخته من الكتاب القبطى وقابلت عليه من تأريخ المسعودى يظهر صحّة ذلك لكلّ واقف عليه .

وحكى ابن الجوزى أيضاً : أنّ بعض شيوخ مصر ممّن كان يعرف لسان ١٥ اليونان حلّ بعض الأقلام بالأهرام ونقلها إلى العربيّة فإذا هى : بنا هذان الهرمان والنسر الواقع فى السرطان، قال: فحسبوا من ذلك الوقت إلى زمان نبيّنا محمّد ﷺ فإذا هو ستّة وثلاثون ألف سنة وقيل اثنان وسبعون ألفاً ، وقيل إنّ القلم الذى ١٨ عليها تأريخه قبل بناء مصر بأربعة آلاف سنة لا يعرفه أحد .

وقال : إنّه قيس عرض الهرم الشرقى فكان خمسمائة ذراع ونيف وسطحه ٢١

تسعة أذرع وطوله فى الهواء مائة وثمانون صفاً من الحجارة كلّ حجر عرضه ثلاثة أذرع ، قال : وعرض الهرم الغربى أربعمائة وستّون ذراعاً وطوله كذلك .

٣ وبالقرب منها صخرة عظيمة قد صوّروا منها رأس شخص صفة صنم يسمّونه أبو الهول .

قلت : ومن غريب ما حكى لى رجل شيخ من أهل الفيّوم عدل رافقنى

٦ فى وقت فى سفر فى مركب إلى نحو صعيد مصر قال : كان لى ابن أخت بمدينة الفيّوم وكان صعلوك يكرى على جمل له من الفيّوم إلى مصر ومن مصر إلى الفيّوم، قال : فهو ذات ليلة نائم بمدينة الفيّوم إذ أتاه آت وقال له : قم خذ رزقك من أذن

٩ أبو الهول ! قال : فانتبه وتعوّذ ونام ، فأتاه الآت يقول له كذلك ثلاث مرار ، قال : فنهض ولم يذكر لزوجته (١٩٤) وأوصاها على الجمل وقال : لى أجرة عند فلان بالبلد الفلانيّة فإنّى أغيب اليوم والغد ، قال : وخرج فلم يزل إلى أن وصل

١٢ إلى الأهرام من طريق يعرف بطريق العبيد الآتى ذكرها ، قال : ثم وصل إلى تحت أبى الهول وعاد يدور حوله ويقف وينظر إليه ولا يدرى ما يصنع وحار فى أمره ، فبينما هو كذلك إذ وقف عليه جندىّ راكب فرس بعدّة حسنة ،

١٥ فقال له : أيش أنت ؟ فقال : يا خوند عابر سبيل ، فقال: أنالى زمان أنظر إليك وأنت دائر حول هذا الصنم وتنظر إليه فقل لى أيش أنت وإلّا قتلتك ، فإمّا تكون قاطع طريق أو مطالبى! ثم هوّل عليه بالدبّوس ، فلم يقدر على الخلاص منه

١٨ وقال له : والله يا خوند قصّتى كيت وكيت ، قال : فترجّل الجندىّ وقال له : امسك فرسى أنا أطلع آخذ مافى أذنه وأعطيك منه شيء! قال: فما هو إلّا أن تسلّق ومدّ يده إلى أذن الشخص فضربته منه حيّة رمليّة جعلت ذلك الأذن وكرها ،

٢١ قال : فسقط ميّتاً وقد صار كالفحمة السوداء ، قال : فلمّا عرفه قد فرط فيه دوره

فوجد على وسطه كيس دراهم ألف درهم وأخذ حياصته وقلع فضّة سرجه وعدّته وسيّب فرسه وتوجّه عائداً إلى أهله ، فكان ذاك سبب سعادته وعاد له دنيا كثيرة . ٣

وحكى لى ذلك العدل أيضاً ، قال : كان الجبّاس المشهور بالسعادة العظيمة التى كانت تحيّر العقول حتى من جملة ما كان له فى كلّ يوم بدينار ذهب فاكهة مشموم كلّ أوان بما فيه من الشموم يرمى من ليله ويجدّد غيره ، وكان له أربعين ٦ حضيّة من سائر الأجناس ، كلّ واحدة فى دار لا تعرف بها الأخرى ، وحكى عنه أنّه وُلد له ولد من بعض حضاياه وكانت أعزّهم عليه وأحضاهم عنده ، فقال لها : أيش تشتهى يكون متبوعك ؟ قالت : (١٩٥) أشتهى كلّ امرأة أمير فى ٩ الدولة تكون فى فرحى ، فقال لها : حبّاً وكرامةً ! فلمّا كان يوم الفرح سيّر سائر حضاياه فى أفخر الملابس من سائر ما ينبغى أن يلبسنه نساء الأمراء وأوصاهنّ أن تقول كلّ واحدة منهنّ : أنا امرأة الأمير الفلانى ! فى ذلك الوقت ، ومضى ١٢ لهنّ يوم ما شُهد مثله فلمّا انقضى واجتمع بتلك الحضيّة صاحبة الفرح سألها كيف كان يومها ، فشرعت تحكى له على عادة ما تحكى النساء لأزواجهنّ : كانت امرأة الأمير الفلانى صفتها كيت وكيت وكان عليها من القماش والزركش والمصاغ ما من ١٥ صفته كذا وكذا ، حتّى ذكرت الجميع وهى تطنب فى حسنهنّ وملبوسهنّ ، قال : فتبسّم وقال لها : جميع مَن نظرتِ خُشدا شيّتك وأنتِ ستّهم .

قلت : إنّما ذكرت هذه الواقعة قبل حكاية الشيخ عنه فى سبب سعادته ليعلم ١٨ سعة سعادة هذا الرجل ، ولقد أدركته بالمولد ورأيته وسأذكر ما سمعته عنه وعاينته منه بعد ما أذكر ما حكاه العدل عن سبب سعادته .

قال : كان هذا ابن الجبّاس أبوه صاحب جبّاسة بمصر وتوفّى وخلف هذا ٢١

شاباً فودّر جميع ما تركه له أبوه فى مدّة يسيرة وركبه دين كثير فاختشى وخاف
من الاعتقال ، قال : فتزوّد رغيفين خبز وقليل جبن وعدا إلى برّ الجيزة على عزم
٣ التسحّب من الدَّين ، قال : فهو عند قناطر الجيزة وجد ورقةً عتيقةً مرميّةً فقرأها
فإذا فيها يقول : باب الدينار : وهو أن تأخذ من البخور كيت وكيت وتأتى إلى
عند أبى الهول فتبخر بذلك البخور وتتلوا هذه الأسماء سبع مرات والبخور عمّال
٦ فإنّه يُخرج لك لسانه وعليه دينار فتناوله منه ولا يهولك ذلك فإذا صار فى يدك
بخّره بكيت وكيت وضعه فى كفّة الميزان تجد قبالته مثله فخذه واجعله معه تجد
قبالتهما (١٩٦) مثلهما كذا حتى لانهاية له ، قال : فرجـــع إلى سوق الجيزة
٩ واشترى البخور وتوصّل إلى عند أبى الهول وفعل جميع ماأُمر به فخرج له الدينار
فـكان سبب سعادته .

قلت : هذا ما حكاه ذلك الشيخ العدل الفيّومى ولعلّه كان كذلك فإن
١٢ سعادة ذلك الرجل كانت ممّا تحيّر العقول .

ويقال إنّ سبب سعادته أنّه كان يخدم عند الطواشى فاخر الخزندار فى أيّام
مولانا السلطان الملك المنصور فى دولة مولانا السلطان الشهيد للملك الأشرف ،
١٥ وكانت الخزانة فى ذلك الوقت فى تصرّف الطواشى المذكور ، وكان هذا ابن
الجبّاس الغالب على عقل الطواشى فحصل ما حصل ، وعلى الجملة : إنّ العبد سمع من
القاضى فخر الدين ناظر الجيوش المنصورة وكان فى ذلك الوقت فى كتابة المماليك
١٨ السلطانيّة وصحابة الديوان برفقة القاضى بهاء الدين بن الحلّى يقول لوالدى وأنا
أسمع : لنا اليوم ثمان ليال نقصد نخلّى الحمّام ما نقدر ، فقال الوالد : ولِمَ ذاك ؟
قال : لأنّها مخلية مع هذا الرجل السعيد النصبة ابن الجبّاس منذ ثمان ليال كلّ
٢١ ليلة يدخل مع جوار له غير الذين دخلوا البارحة ، وآخر أمره أنّه توفّى فى سعادته

ولم يعلم حقيقة حاله، ورأيت بعد ذلك ولده يخدم فى الفرع المعروف بالعطّارين من فروع دار الوكالة بمصر المحروسة من جملة القباض بدرهم كلّ يوم وأحكيت حكاية الفرع الذى تقدّم ذكره لوالده مع بعض حضاياه، فقال : يا سيّدى والله الفرح كان فى ولادة المملوك، يعنى عن نفسه، وهذه والدتى تعيش وأحكت لى هذه الحكاية بعينها، فقلت : فكيف حالها؟ قال : والله تنتظرنى بغير أكل حتى أعود إليها آخر النهار بهذا الدرهم فتتبلّغ به، ثم بكا وقال : هذا بذاك ولا عتب على الزمن .

رجع ما انقطع

(١٩٧) قال ابن الجوزى رحمه الله : وحول الهرمين الكبار أهرام صغار عدّة، ويقال إنّ ملك اليونان عمرها، ولمّا ملك أحمد بن طولون الآتى ذكره فى تأريخه الديار المصريّة حدّثته نفسه بالوصول إلى الأهرام من أبوابها فحفر عدّة حفائر حولها فلم يقع عليها ووجدوا فى بعض الحفائر قطعة مرجان منقوش عليها سطور باليونانى فأحضر من يعرف ذلك القلم وإذا هى أبيات شعر فترجمت فإذا هى (من الطويل):

أنا بانى الأهرام فى مصر كلّها ... ومالكها قِدْماً بها والمقدَّمُ
تركتُ بها آثارَ علمى وحكمتى ... على الدهر لا تبلى ولا تتثلّمُ
وفيها كنوز جمّة وعجائبٌ ... وللدهر لينٌ مرّةً وتهجُّمُ
وفيها علومى كلّها غير أنّنى ... أرى قبل هذا أن أموت فتعلَمُ
ستُفتَح أقفالى وتبدو عجائبى ... وفى ليلة فى آخر الدهر تنجُمُ

(٩) قارن المسالك ١٥٩

ثمان وتسع واثنتان وأربعٌ وسبعون من بعد المبين تسلّمُ
ومن بعد هذا آخر تسعين برهةً وتلقى البرابى تسحر وتهدمُ
٣ تدبّر فعالى فى صخور قطعتها ستبقى وأفنى قبلها ثم تعدمُ

قال : فجمع ابن طولون الحكماء والحسّاب وفضلاء الناس وأمرهم بحساب هذه المدّة فلم يقدروا على تحقيق ذلك فيئس وزال الطمع .

---

٦ ومن عجائب مصر المطالب ، قال ابن الجوزى رحمه الله : والمطالب بمصر كثيرة إلّا أنّ الغالب عليها لها طلسمات تمنع من الوصول إليها ، قال : وحكى الهيثم بن عدى وغيره أنّ رجلًا جاء إلى عبد العزيز بن مروان وهو يومئذ أمير ٩ مصر من قبل أبيه مروان بن الحكم ، فقال له : أيّها الأمير ! إنّى قد وجدت كتاباً قديماً يشير إلى بعض الأماكن أنّ فيه كنزاً به أموال جمة، (١٩٨) فخرج معه إلى ظاهر مصر على أميال وجاء به إلى تلّ عظيم فقال : تحت هذا ! فقال : ١٢ فمن أين لك ؟ فقال : علامة ذلك إذا كشفنا هذا التلّ ظهر لنا بلاط مختلف الألوان ثمّ نحفر فيظهر لنا باب من صفر ففيه المطلب ، قال : فأمر بحفر ذلك التلّ فأزالوا بعض التلّ فظهر البلاط ثم ظهر الباب وإذا عليه أقفال عجيبة فعالجوها ١٥ حتى فتحوها ، وإذا بدرج إلى بهوّ عظيم فيه قناطر ومجالس عليها أبواب الذهب المرصّعة بالجواهر التى تشعل كالسرج ، وذلك الدرج من نحاس مسبّك ، وفى أوّل درجة عمود من ذهب فى أعلاه ديك عيناه ياقوتتان تساويان خراج الدنيا ١٨ وجناحاه من زمرّد أخضر ، فضرب ذلك الرجل رأس الديك فلمع شىء منه كالبرق الخاطف وذلك بما فى عينى الديك من الياقوتتان فظهرت الدرج بأسرها والبهوّ فبادر واحد من الرجال فوضع قدمه على أوّل درجة فلمّا استقرّت قدماه عليها

(٨) قارن مروج الذهب ٢ / ٩٥ مادة ٨٢٣

ظهرت سيفان عظيمان غادهان عن يمين الدرجة وشمالها فالتقيا على ذلك الرجل
فقطعاه نصفين وأهوى جسده إلى الدرج، فلمّا استقرّ على بعضها اهتزّ العامود وصفر
ذلك الديك صفرة عظيمة رجفت لها القلوب ثم حرّك جناحيه وظهرت بعد ذلك ٣
أصوات مزعجة وصرخات هائلة نكرة قد عملت على الكواكب السبع بالحركات
الفلكية ينزعج لها السامع ولا يكاد يثبت، قال: فشجّع الناس بعضهم بعضاً،
وتقدّم آخر فجرى عليه كذلك وقُطع نصفين، وجرت تلك الأحوال النكرة ٦
وتلك الأهوال المزعجة، قال: وآخر وآخر حتى قُتل نيف وألف رجل، فقال
عند ذلك عبد العزيز: حسبنا الله هذا أمر لا يُدرَك ولا يوصل إليه، ثم أمر
بردّ التراب بعد غلق الباب على تلك القتلى فكانت تلك الحفرة (١٩٩) قبورهم ٩
وموضع ترابهم.

قلت: وقد يأتي في الجزء الثاني منه ذكر عدّة من هذه الحفائر التي أودعوها
ملوك القبط أموالهم وذخائرهم وأمتعتهم وجعلوها نواويسهم ومقابرهم، وذلك ١٢
ما تضمّنه ذلك التأريخ القبطي المختصّ بذكر ملوك مصر، وكذلك قد ذكرت
في الجزء المختصّ بالعبيدين خلفاء مصر قطعة جيّدة من كتاب حلّ الرموز في علم
الكنوز ومن اتّصل إلى بعضها من ملوك مصر وخلفائها ما فيه بلغة المتأمّل. ١٥

قال ابن الجوزي رحمه الله: ومن عجائب مصر جبل الطير بصعيدها وهو جبل
فيه مغار وفي ذلك المغار شقّ فإذا كان يوماً معيّناً في السنة اجتمع إليه طيور سودانيّة
من جميع الأقطار فيأتي كلّ منهم إلى ذلك الشقّ ويضع منقاره فيه ثم يخرجه ويطير ١٨
ويأتي آخر فيفعل كذلك، ولا يزالون يفعلون كذلك حتى يطبق ذلك الشقّ على

(١٤) بالعبيدين: بالعبيديين

منقار أحدهم فإذا تعلّق بمنقاره فى ذلك الشقّ طاروا الجميع بعد ذلك وتركوه
معلّق بمنقاره إلى السنة الأخرى مثل ذلك اليوم فينفتح ذلك الشقّ ويسقط الميّت
٣ ويتعلّق غيره .

قلت : هذا صحيح ، وقد فحصت عنــه وحكى لى جماعة لا أشكّ فى قولهم
بصحّة ذلك ، ولقد حكى للعبد إنسان كان متولّى منية بنى خصيب الذى هذا الجبل
٦ مقابلها يسمّى شمس الدين سُنقُر من مماليك كدت أنّه شاهد ذلك بعينه وأنّ
الطير لا يبرح معلّق فى ذلك الشقّ وسألنى أن أتوجّه وأنظره فلم يتهيّأ ذلك
لشغل الوقت ، فقلت : قد اكتفيت < بقولك > عن المعاينة ، وحكى أيضاً أنّ
٩ فى سنة من السنين التى كان بها والياً تعلّق طائر منهم على العادة وطاروا البقيّة
وتركوه فلم يبعدوا حتى لحق بهم ذلك الطائر وقد تخلّص ، فعادوا على بدء إلى
(٢٠٠) ذلك المغار وأعرضوا أرواحهم فى ذلك الشقّ حتى طبق على واحد منهم
١٢ فتركوه ومضوا لحالهم ، وهذه من العجائب التى لا تتكيّف .

ومن عجائب مصر عمود بثغر الإسكندريّة يُعرَف بعمود الصوارى ليس
يوجد له نظير فى الطول والجفاء وهو من حجر أسود أصمّ لا يوجد له معدن
١٥ بالديار المصريّة حتى قيل إنّه معجون من أخلاط عدّة وكذلك جميع الأعمدة التى
التى بالبرابى المصريّة من معدنه ، لكن ليس فيهم مثله ، وقيل إنّ أخاه بآخر
أعمال أسوان وهى آخر حدود الديار المصريّة .

١٨ قلت : ولعلّهما جُعلا حدوداً لأعمال الديار المصريّة أحدهما هذا المذكور وهو
حدّ ديار مصر إلى البحر الرومى من هذه الجهة والآخر حدّ ديار مصر من بلاد
النوبة ، فهذا ما ظهر للعبد من أمرهما ، والدليل على ذلك أنّى رأيت هذا العامود
٢١ بثغر الإسكندرية على تلّ عال ليس إلى جانبه عمارة ولا منه شىء غامض فى ذلك
التلّ ، فيقال : قد كان عليه عمارة وزالت وأقام وإنّما إقامته إشارة لشىء مخصوص
به ، ولعلّه كما خطر للعبد ، والله أعلم .

ذكر عجائب المغرب

قال ابن الجوزى رحمه الله : منها نار فى جزيرة صقلّية تشعل فيها الحجارة ولا يمكن أحد الوقود منها ، قالوا : وليس بصقلّية نملة ترى حتى قيل إنّ بها ٣ طلسماً بسبب ذلك ، ومنها حجارة أيضاً بأرض القيروان تقد فيها النيران ترى فى الليل من مسافة بعيدة وفى النهار دخاناً صاعداً وذلك لغلبة شعاع الشمس ، وهى فى جبل يقال له جبل البركان . ٦

ومنها بيتان بالأندلس يعرفان بالملوك ، ولمّا فُتحت الأندلس فى زمان الوليد ابن عبد الملك حسبما نذكر ذلك فى تأريخه وجدوا هذين البيتين مختوم عليهما ففتحوا (٢٠١) إحداهما فإذا فيه أربعة وعشرون تاجاً على كلّ تاج اسم صاحبه مكتوب ٩ عليه ومبلغ سنه ومدّة ملكه ، ووجدوا فيه مائدة سليمان بن داود عليهما السلام وهى من الذهب ، وقيل من الياقوت ، وعليها أطواق الذهب مرصّع بالجوهر النفيس ، فحملت إلى الوليد بن عبد الملك . ١٢

قال : ووجدوا على باب البيت الآخر أربعة وعشرون قفلاً ، كان كلّ ملك يملك منهم تلك البلاد يزيد على ذلك الباب قفلاً ، ولا يعلمون ما فى ذلك البيت فسألوا عن ذلك فقال لهم بعض الرهبان : إنّ آخر ملوك الأندلس لمّا ملك قال : ١٥ لا بدّ أن أفتح هذه الأقفال وأنظر ما فى هـذا البيت ، فنهاه الحكماء والوزراء والكبراء عن ذلك وقالوا : ما وُضعت هذه الأقفال إلّا لحكمة فخالفهم وفتحه وإذا فيه صفة رجال العرب قد صُوّروا على خيولهم وعليهم العمائم والأسلحة ، ١٨ فدخلتم أنتم الجزيرة فى السنة التى فُتح فيها ذلك البيت على صفة الصور التى كانت فى ذلك البيت .

---

(١) مأخوذ من مرآة الزمان ٣٦ ب ، ٥

(٢) المسالك ١٥٥ ، ١ — ١ (٧) المسالك ١٥٦ ، ١٣

قلت : هذا ما حكاه ابن الجوزى فى تأريخه مرآة الزمان فى أوّل جزء منه ،
وسنذكر من أخبار الأندلس ما هو أكثر من هذا وأوضح وأشفى للطالب فى
٣ الجزء المختصّ بذكر بنى أميّة وكيف كان دخول عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس
وتملّكه إيّاها مع من تلاه من ولده إلى آخر ما انقطع عنهم الملك بالجزيرة
المذكورة إن شاء الله تعالى .

٦ ومن عجائب الدنيا أيضاً ما ذكره ابن الجوزى رحمه الله قال : إنّ برومية
صفة طائر سودانى مصنوع من نحاس على عمود من نحاس على الباب الشرقى فإذا
كان أوان الزيتون صفر ذلك السودانى فلا يبقى سودانيّة من الطيور إلّا جاءت
٩ بثلاث زيتونات فى منقارها (٢٠٢) زيتونة وزيتونتان فى رجليها فتلقى ذلك على
تلك السودانية المصنوعة النحاس فيأخذه أهل رومية فيعصرونه لما يكفيهم لأدمهم
ووقيدهم وضروراتهم إلى العام القابل فإنّ بلاد رومية ليست ببلاد زيتون ولا
١٢ يفلح فى أراضيها .

قلت : قد مضى القول فيما تقدّم من الفنون، المشنّف المسامع، المنزّه للعيون،
حسب الطاقة وجهد الاستطاعة بحكم التلخيص ، وترك الإطالة والتفحيص ، وإنّما
١٥ أتبعنا من كلّ قول أحسنه ، ومن كلّ فنّ أجمله ، ولنردف القول الآن بذكر
طبائع الأزمان ، ونتلو ذلك بالمخلوقات من الأمم الفانيات ، والرمم الباليات ، ممّن
أكل الدهر عليهم وشرب ، ليعتبر بذلك الفاضل اللبيب الأرب ، ونجمع إلى
١٨ الأخبار نكت الآثار وما قيل عن زعم الفلاسفة الكبار ، وما خلق بزعمهم قبل
آدم عليه السلام ، من الأمم الذين طحنتهم الأيّام، وأكلتهم السنون من الأعوام،
وليكون قولنا فيما زعموا للتعجّب لا للتصديق ، وبالله التوفيق .

---

(٦) قارن كتاب التبصرة ١٨٨ ، ١ ــ ١

ذكر الطبائع

قال علماء الأوائل : العالم ومافيه أربعة أجزاء: فالربع الأوّل المشرق ، وجميع مافيه حارّ رطب ، وله الهواء والدم ، وله ريح الجنوب ، وزمانه < الربيع > ، ٣
ويختصّ من الكواكب بالقمر والزهرة، وله من البروج الحمل والثوروالجوزاء .

والربع الثانى : المغرب ، وجميع مافيه رطب ، وله الماء وله البلغم ، وله من الريح الدّبور ، وزمانه الشتاء ، وله من الكواكب عطارد والمشترى ، ومن ٦
البروج الجدى والدلو والحوت .

والربع الثالث : اليمن ، وجميع مافيه حارّ يابس ، وله النار وله المرّة الصفراء وله من الريح الصبا وزمانه الصيف، وله من الكواكب الشمس ، ومن البروج ٩
الأسد (٢٠٣) والسرطان والسنبلة .

والربع الرابع : شمالى : وجميع مافيه يابس ، وله التراب وله المرّة السوداء ، وله من الريح الشّمال وزمانه الخريف ، وله من الكواكب زحل ، وله من ١٢
البروج الميزان والعقرب والقوس .

قلت : هذا تفسير الأوائل، والأصح أنّ الشمس تختصّ بالمشرق وكذا المرّيخ يختصّ بالترك والعقرب يختصّ بالحجاز . ١٥

وقالوا فى القول الآخر : إنّ الطبائع أربعة ، فالأولى طبيعة النار وهى حارّة يابسة مسكنها الرأس ، والثانية : طبيعة الهواء وهى حارّة رطبة مسكنها الصدر ،
والثالثة : طبيعة الماء وهى باردة رطبة مسكنها الوسط ، والرابعة : طبيعة التراب ١٨
وهى باردة يابسة مسكنها السفل ، فاثنتان منها يذهبان الصعداء وهما النار والهواء، واثنتان يرسبان سفلًا وهما الماء والتراب .

---

(١) مأخوذ من مرآة الزمان ٣٦ ب ، ـ ٦ (١٤) قلت : سبط بن الجوزى !

ذكر سكّان الأرض من أوّل زمان

روى مجاهد عن ابن عبّاس قال : كان فى الأرض أمم قبل الجنّ والبنّ
٣ فانقرضوا ، وقبل آدم أيضاً .

وقال الجوهرى : الجِنّ بالكسر حىّ من الجنّ ، قال : ويقال : الجِنّ خلق
بين الجنّ والإنس ، وروى مقاتل عن عكرمة عن ابن عبّاس قال : أوّل من سكن
٦ الأرض أمّة يقال لهم : الجِنّ والبنّ ، ثم سكنها الجنّ ، وأقاموا يعبدون الله زماناً طويلاً
فطال عليهم الأمر فأفسدوا فأرسل الله إليهم نبيّاً منهم يقال له يوسف فلم يطيعوه وقاتلوه
فأرسل الله تعالى الملائكة فأجلتهم إلى البحار ، وكان مدّة إقامتهم فى الأرض ألف سنة ،
٩ قال ابن الجوزى : قد ضعّف العلماء رواية مقاتل فإنّ الله تعالى لم يبعث نبيّاً قبل
آدم عليه السلام ، وإنّما قيل إنّ يوسف كان ملكاً لهم ، وسأذكر من أمر
ماذكر عن الحنّ والبنّ والطمّ والرمّ فى تأريخ عتيق غريب الاسم والحديث
١٢ لشخص يسمّى جدع بن سنان (٢٠٤) الحميرى بإسناده إلى عامر بن شراحيل
الشعبى رحمه الله بعد ذكرنا ماهو أهمّ وأصحّ ممّا وردت به الأخبار وتداولت به
الآثار .

١٥ قال ابن الجوزى رحمه الله : حدّثنا عبد القادر الرهاوى بإسناده إلى سعيد
ابن المسيّب عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : إنّ
بالمغرب أرضاً بيضاء تسير الشمس فيها أربعين سنة بها أمّة من الناس لم يعصوا الله
١٨ طرفة عين ، قالوا : يارسول الله فأين الشياطين عنهم ؟ قال : لايدرون خُلِقَ
الشيطان أم لا ، قالوا : فمن بنى آدم هم ؟ قال : مايدرون خُلِق آدم أم لا ، قال
ابن الجوزى : والأصحّ أنّه موقوف على بريدة عن أبيه .

---

(١) مأخوذ من مرآة الزمان ٣٧ آ ، ٧ (٤) الصحاح ٥ / ٢١٠٦ آ

ذكر من ملكها وقطع سبلها وسلكها

قال ابن الجوزى رحمه الله : حدّثنا عبد العزيز بن محمود البزّاز بإسناده عن سعيد بن المسيّب عن عكرمة عن ابن عبّاس قال : قال رسول الله ﷺ: ملك ٣ الأرض أربعة : مؤمنان وكافران ، فالمؤمنان سليمان وذو القرنين ، والكافران نمرود وبختنصر وسيملكها خامس من أهل بيتى. وقيل إنّ هذا الحديث موقوف على ابن عبّاس ، والمراد به العمران من الأرض فإنّ الخراب مفاوز ومهالك وقفار ٦ وبحار .

وقال ابن المنادى رحمه الله : ملك الأرض من الجنّ والإنس ثمانية : ثلاثة من الجنّ والإنس ثمانية: ثلاثة من الجنّ، وخمسة من الإنس، فأمّا الذين من الجنّ : ٩ فطهمورث وكيمورث وأوشنج ، ومن الإنس : جمشاد من ولد قابيل كان يقطع الدنيا فى يوم واحد كما تقطعها الشمس ، ونمرود ، وبيسو راسب وهو السفّاك المعروف بالضحّاك ، والإسكندر وسليمان . ١٢

قلت : هذا وهم منه رحمه الله فإنّ أجمعت (٢٠٥) أرباب التواريخ متقدّمهم ومتأخّرهم رحمة الله عليهم وعفى عنهم أنّ كيمورث وطهمورث وأوشنج من ولد يافث بن نوح ، ومنهم من ادّعى أنّهم من ولد قابيل ابن آدم ، وعلى القولين ١٥ فليس هم بجنّ ولم يوافق < ابن > المنادى أحد من الناس أنّ هؤلاء الثلاثة من الجنّ ، وسأذكرهم فى عداد ملوك الفرس من الطبقة الأولى وهم المسمّيون الفيشدادية ، وأمّا ما ذكره عن جمشاد ففى غاية البعد أيضاً والعقول السليمة تأباه ، ولا خلاف ١٨ بين علماء السِيَر أنّ الله تعالى طرد أولاد قابيل إلى جبال الهند ولعنهم ، وقالوا إنّ لم

---

(١) مأخوذ من مرآة الزمان ٣٧ آ ، ـ ٨ (٢) قارن التبصرة لابن الجوزى ٢ / ١٨٩
(١٣) قلت : سبط بن الجوزى

يكن فى نسل قابيل ملك ولارئيس على إحدى القوانين ، والاعتماد فى الباب على
مارويناه عن ابن عبّاس رضى الله عنه وإن ذكرنا غير ذلك ، فنذكر ماقالوه
الجم من الناس وخلفهم فيه على عدّة وجوه لئلّا نكن قد أخلينا بشىء من
أقوالهم كون هذا التأريخ ملخّصاً من عدّة تواريخ ، الوارد أسماؤهم فى الجدول
الذى ضمّناه فاتحة هذا الجزء المبارك ، والله الموفّق لذلك .

ذكر الحنّ والبنّ والطمّ والرمّ

قال جدع بن سنان الحميرى وهو أحد أبناء أقيال اليمن : أجمع أهل التاريخ
أن الله عزّ وجلّ خلق قبل آدم عليه السلام أمماً : منهم الحنّ والبنّ والطمّ
والرمّ ، وأنّهم أفسدوا فى الأرض فأرسل الله تعالى إليهم ملكاً فقاتلهم حتى
بلغ الدم إلى لَبَب الخيل ، ولم يذكروا صفة خلقهم غير أنّ هذا كلام يدلّ على
أنّهم ليسوا بأرواح عرية عن أجسام كالملائكة والجنّ بل أجسام مركّبة فإنّ
الدم لايكون إلّا فى جسد مركّب .

وقد أوردنا فى هذا التأريخ عن عامر بن شراحيل الشعبى رحمه الله فصلا
ذكره عند عودته من عند ملك الروم (٢٠٦) لمّا كان توجّه رسولًا من قبل
عبد الملك بن مروان وهو : قال الشعبى رحمه الله ، وقد تقدّم القول فى اسمه
ونسبه : بعثنى عبد الملك بن مروان رسولاً إلى ملك الروم فلمّا وصلت إليه
وأقمت عنده جعل لايسألنى عن شىء إلّا أجبته ، وكانت الرسل من قبل لاتطيل
الإقامة عنده ، قال: فحبسنى عنده أيّاماً كثيرة حتى استحثثت خروجى وسألته فى
ذلك مراراً وهو لايكاد ينعم لى بذلك ، فلمّا أذن لى بالانصراف قال لى : أمن
أهل بيت الملك أنت ؟ قلت: لا ! ولكنّى من العرب فى الجملة، قال : فهمس بشىء
ودُفعت إلىّ رقعة مختومة وقال لى : إذا أدّيت الرسائل إلى صاحبك فأوصل إليه

هذه الرقعة ، قال : وجهّزنى بأحسن جهاز وأنعم علىّ بشىء كثير وتوجّهت من عنده مكرّماً ، فلمّا وصلت إلى عبدالملك بن مروان وأدّيته الرسائل وأنسيت الرقعة فى طىّ عمامتى وخرجت من عنده فلمّا صرت فى بعض الدهليز أريد ٣
الخروج تذكّرتها فرجعت إليه وأوصلتها له ، فلمّا قرأها قال لى : ياشعبى أقال لك قبل أن يدفعها إليك شيئاً ؟ قلت : نعم ! قال لى : أمن أهل بيت المملكة أنت ؟
فقلت : لا ! ولكنّى من العرب فى الجملة ، ونسبنى فانتسبت إلى قومى حمير ، ٦
فقال : ملوك قد انقرضوا ، ثم دفع لى هذه الرقعة بختمها كما رآها أمير المؤمنين ، قال : أتدرى ما فيها ؟ قلت : لا وحياة أمير المؤمنين ! قال ، فدفعها إلىّ فإذا فيها
مكتوب: عجبت من قوم فيهم مثل هذا كيف ملكوا غيره ، فقلت: والله لو علمت ٩
ما حملتها وإنّما قال ذلك ولم يرك ولا أحد من أهل بيتك! قال: أفتدرى لِمَ كتبها؟
قلت: لا ! قال: حسدنى عليك وأغرانى بقتلك ، قال، فبلغ ذلك ملك الروم(٢٠٧)
فقال : والله ما أردت إلّا ما قال ! ١٢

قال الشعبى رحمه الله : ثم إنّ عبد الملك سأل منّى بعد ذلك المجلس ما كان سبب احتباسى عند ملك الروم وعمّا كان يتحدّث به معى فى مدّة إقامتى عنده ،
فقلت : كان يخوض معى فى كلّ بحر غويص من كلّ فنّ ويدقّق علىّ المسائل ١٥
وأخرج له منها بمعونة الله تعالى وبركة أمير المؤمنين ، وسألنى عن قومى ، فانتسبت إلى حمير ، فقال : ملوك من ولد سام بن نوح ونحن معاشر الروم من ولد يافث
ابن نوح ، ثم قال : هل تعلمون معاشر المسلمين أنّ الله تعالى خلق خلقاً قبل آدم ١٨
أبى البشر ؟ فقلت : يورد أنّه عزّ وجلّ خلق خلقاً عديداً لا يحصيهم غيره منهم : الحنّ والبنّ والطمّ والرمّ والجنّ، وذكرت له ما ورد فى ذلك من الأخبار والآثار،

---

(٢) أنسيت : نسيت ، هجة

قال : فهمس بشيء لا أفهمه فأحضر كتاب عتيق بخطّ لا أفقهه وأحضر شيخاً
مبجّلاً عنـده فأمره بقراءته علىّ فأجده تأريخاً يتضمّن بدء الأشياء كلّها بكلام
٣ غريب لم أسمع بمثله فى الإسلام ، وذكر قصّة الحنّ والبنّ والطمّ والرمّ ، فقال
عبد الملك : فكيف سمعت ؟ قال ، فقلت : نعم يا أمير المؤمنين :

قال: إنّ الله عزّ وجلّ خلق قبل آدم عليه السلام أبى البشر وصاحب الذريّة
٦ الوارثون الأرض من الأمم المخلوقة بعظمة الخالق : الحِنّ فكان شخصاً ذكراً
بديع الخلق من عنصر ليس كالعناصر الأربع فكان أصغر ما فى خلقه قدمه التى
يسعى بها فكان مسيرة أثرها سبعة أيّام للراكب المجدّ ليلاً ونهاراً ، وكان ظلّه
٩ فى عين الشمس إذا ساوت سمت رأسه مسيرة شهر كامل للراكب المجدّ فى سيره
ليلاً ونهاراً ، (٢٠٨) وكان خلقه جسد شفاف دموى بين البياض والحمرة يصيف
بالمشرق ويشتى بالمغرب ، وكانت البنّ على خلقه من صفته وعظمه أنثى وركّب
١٢ فيهما حبّ الشهوة فتزاوجا فكان من نسلهما عنق وعنقاء وولد عنق بالمشرق
وعنقاء بالمغرب وهى عنقاء مغرب المذكورة ، ثم كان من نسل عنق وعنقاء عوج
ابن عنق ، قال : وكثر فسادهم فى الأرض وطالت أزمنتهم ودهورهم ما شاء الله
١٥ تعالى من ذلك .

وكانت الملائكة تنزل إلى الأرض ويرونهم ويكلّمونهم فسطوا بشرّهم
على الملائكة فشكوهم إلى الله عزّ وجلّ فخلق الله تعالى الطِمّ والرِمّ من عنصر
١٨ ضدّاً لذلك العنصر الذى خلق منه الحِنّ والبِنّ وذلك ما اقتضته الحكمة الإلهيّة
ذات الاختراع، فكانا كصفقى طائرين عظيمين إذا نشرا جناحيهما سدّا المشرق
والمغرب ، وخلق مخاليبهما من نار السموم ، وسلّطهما على الحِنّ والبِنّ فقتلاهما
٢١ وذريّتهما ولم يبق فى الأرض منهم غير عنقاء مغرب وولدها عوج، وذلك لمّا عاينا

ما نزل بقومهما تابا إلى الله عزّ وجلّ وكفّا عن الفساد ، وكانت العنقاء لها عشرة أوجه كوجوه بنى آدم من أحسن الخلق وكان لها أربعين جناحاً مكلّلة بأنواع الجواهر واليواقيت ، وإذا حلقت فى فلك الهوى يسمع لها دويّاً كأعظم ما يكون ومن اللذّ سماع يكون وكان لها فهماً وعقلاً تدرك بهما الأشياء ، فلمّا سمعت تسبيح الملائكة فى فلك القمر تعلّمته فكانت تسبّح الله تعالى كتسبيح الملائكة بألذّ نغمة وأطيب حسّاً وأطرب صوتاً ، قال : فمكثت فى الأرض إلى عهد سليمان بن داود عليه السلام .

(٢٠٩) وأمّا عوج فاستقرّ فى الأرض وكان من نسله الجبّارين، وكان فى عظم جدّه الجنّ بغير أجنحة ، ولمّا كان الطوفان عاد يمشى فيه ويخوضه وهو إلى حقويه ويحاذى السفينة ويقول لنوح عليه السلام : ياعمّ أترانى أغرق قصيعتك هذه .

قلت : هذا ما ذكره جدع بن سنان فى تأريخه بإسناده إلى الشعبى لما ذكرناه ، وهو حديث غريب لم أرى أحد من المؤرّخين ذكره على هذا الوجه ، وإنّما المذكور من قصّة عوج أنّه ابن عناق وأجمعوا أنّ عناق ولدتها حواء من آدم عليه السلام فوضعتها مشوّهة الخلق لها رأسان وفى كلّ يد عشرة أصابع وأنّها ولدتها بتفردها بغير توأم معها ، وقد روى عن الإمام علىّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه أنّه قال : هى أوّل من بغا وعمل بالفجور وجاهر بالمعاصى ، واستخدمت الشياطين وصرّفتهم فى وجوه السحر ، وقد كان الله تعالى أنزل على آدم عليه السلام عوده وأسماء تطيعه بها الشياطين والمردة وأمره أن يدفعها لحواء تعلّقها عليها ويكون ذلك حرزاً لها ، ففعلت ذلك حواء فاعتقلتها عناق وهى نائمة

---

(٣) الهوى : الهواء (٤) اللذ : ألذ

فأخذتها منها واستجلبت بها الشياطين والعتاة من المردة ، وصرّفت ذلك فى أنواع السحر وأضلّت كثيراً من ولد آدم عليه السلام ، قال : فدعى عليها آدم عليه السلام فأرسل الله تعالى عليها أسداً عظيماً فأهلكها .

وأجمع جماعة من المؤرّخين أنّ عوج ولدها وأنّ الطوفان بلغ بعض جسده وأنّه عمر إلى زمان موسى بن عمران عليه السلام وأنّه قطع صخرة قدر عسكر موسى عليه السلام وكانوا (٢١٠) فى أكثر من مائتى ألف وأراد أن يطرحها عليهم ، فأرسل الله تعالى طائراً فنقر تلك الصخرة فنزلت فى عنقه ولم يفارق حتى أتاه موسى عليه السلام فضربه بعصاه فى بزّ كعبه ، وقيل : كانت العصاة سبعة أذرع وطول موسى عليه السلام سبعة أذرع وطاح فى الهواء سبعة أذرع حتى لحق بزّ كعبه فضربه فقتله .

قال جدع بن سنان رحمه الله لما أسنده إلى الشعبى رحمه الله فى تتمّة قصّة الحنّ والبنّ والطمّ والرمّ والجنّ وما أضاف إلى ذلك من ذكر الزهرة وإبليس وهاروت وماروت :

ولمّا كثر فساد الحنّ والبنّ فى الأرض وأرسل الله عليهما الطمّ والرمّ وأمرهم بقتل الحنّ والبنّ فقتلوهم قتلًا ذريعاً عامًّا حتى إنّ الأرض اسودّت من دمائهم وكانت من قبل أشدّ بياضاً من الكافور وأطيب رائحة من المسك إذا كانت بكراً لم يعص الله تعالى عليها قطّ قبل الحنّ والبنّ ولمّا أهلكهم الله بفسادهم وشرورهم استقرّ فى الطمّ والرمّ وتوالدوا وكثر نسلهم وأقاموا فى الأرض ما شاء الله تعالى من الأزمنة والدهور ، فأفسدوا وكثر شرّهم وعصوا وفعلوا كأقبح من فعل الحنّ والبنّ ، فشكاهم الملائكة إلى خالقهم فخلق تعالى الجنّ من مارج من نار وأمرهم بهلاك الطمّ والرمّ ففعلوا ، واستقرّت الجنّ فى الأرض

مع عدّة مخلوقين لا تدرك فأفسدت الجنّ أيضاً فى الأرض وبغا بعضهم على بعض
وغارت القبائل منهم عليهم وكانت بينهم حروب وقتال وقتل وزاد الأمر فأهبط
الله تعالى إليهم إبليس وجعله ملكاً فى الأرض وأمره بقتال الجنّ وقتلهم (٢١١) ٣
فقاتلهم وقتلهم قتلاً ذريعاً وأخلى منهم العامر من الأرض وأسكنهم خرابها لما
نذكر من ذلك إن شاء الله تعالى .

ذكر إبليس والزهرة وهاروت وماروت ٦

من تأريخ جدع بن سنان

قال جدع بن سنان : إنّ إبليس من خلق الجنّ من مارج من نار ، وكان
عظيم الخلق حسنه وكان يسكن الأرض ، وسبب اتّصاله بمحلّ الملائكة أنّه كان ٩
خادماً للزهرة ، وكانت الزهرة خلقاً حسناً فى الأرض من جملة مخلوقات الله عزّ
وجلّ ، وكانت أنثى ذات جمال فائق ونور ساطع وبهاء وافر ، وكانت الحروب
يومئذ بين قبائل الجنّ متّصلة ، فلمّا قال الله تعالى للملائكة : « إنى جاعل ١٢
فى الأرض خليفة » ، وقرئت : «خليقة» قالوا : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك
الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك » ، بناء لما فعله الحنّ والبنّ والطمّ والرمّ
والجنّ . ١٥

قلت : هذا ماذكر فى هذا التأريخ الغريب إذ قصدنا نورد ها هنا ما تضمّنه
من القول وإنّما سأذكر من ذلك ما استخرجته من الصحيحين ، وما ورد من
تفسير هذه الآية من الوجوه الحسنة وذلك فى أوّل الجزء الثانى منه عند ذكرنا ١٨
لخلق آدم عليه السلام ، ومهما ورد ها هنا فهو جمع لما قالوه جماعة من المؤرّخين .

(١٢ـ١٤) القرآن الكريم ٢ / ٣٠

قال جدع بن سنان رحمه الله : فقال الله تعالى وهو أعلم بما يكون وبما كان وما هو كائن : فاختاروا أيتها الملائكة من بينكم من ينزل إلى الأرض فيحكم
٣ بين مخلوقاتى ويأخذ القصاص ممّن بغا من بغى عليه فإنّى لا أحبّ الظلم وأنا القوى العزيز ! قال : فاختاروا من بينهم الملكين هاروت وماروت ، وكانا أشدّاء أهل السموات السبع عبادة وأكثرهم (٢١٢) تسبيحاً وتقديساً .
٦ فكانا ينزلان إلى الأرض فيحكمان فيها بين مخلوقات الله عزّ وجلّ على اختلاف أنواعهم وتغاير أجسامهم وتباين خلقهم من عدّة أمم لا تحصى وخلائق لا تدرك فى البرّ والبحر ، الجميع يفدون على هاروت وماروت ويحتكمون إليهما
٩ من خلق البرّ والبحر حتى إنّ الذرّة لتأتى إليهما وتقول : إن الذرّة مثلى غدت على قوت لى كنت قد ادّخرته لمشتاى فيحكمان بينهما بما ألهمهما الله تعالى من فصل الخطاب ، حتى إنّ السمكة الصغيرة تستغيث بهما من أذاء الكبيرة فيغيثاها
١٢ ويمنعاها من أذاءها .

ولا يزالا كذلك طول نهارهما إلى آخره فإذا جنحت الشمس للغروب نهضا وقالا: سبحانك اللهم وبحمدك ،فيكون ذلك منتهى حكمهما ذلك اليوم ، ثم يتليان
١٥ أسماء الصعود فيصعدان إلى محلّ عبادتهما .

قال : فركّب الله تعالى فيهما حبّ الشهوة وأتت الزهرة تستغيثهما من حادث حدث عليها فامتُحنا بها لمّا عاينناها وعادا يردّدانها فى حكومتها ذلك اليوم أجمع
١٨ وقد اشتغلا بها عن سائر الحكم بين الخلائق ولم يحكمان ذلك اليوم بين أحد من خلق الله عزّ وجلّ حتى نصراها على غريمها ومالا على غريمها وحكما عليه بغير الحقّ .

٢١ قال جدع بن سنان : فلمّا كان وقت صعودهما قالت لهما الزهرة وقد تحقّقت

ميلهما إليها : لو علّمتمانى الأسماء حتى كنت أصعد معكما ولا أفارقكما ، قال : فإنى قد علمت مرادكما ، قال : فعلّماها الأسماء ، وكان إبليس قائماً معها فاسترق الأسماء وسبقها صعوداً ثم تبعته ، فمُسِخت كوكباً فى السماء الثالثة وذلك كان ٣ مكان محلّ عبادة هاروت ، وصعد إبليس إلى محلّ عبادة ماروت فى السماء الدنيا وتقرّب بالعبادة والتسبيح والتقديس حتى تعجّبت منه ملائكة (٢١٣) السماء الدنيا فاشتاق إليه أهل السماء الثانية فطلع وصعد إليهم وفعل من الاجتهاد فى ٦ العبادة فوق ما فعله فى السماء الدنيا ، فاشتاق إليه أهل السماء الثالثة فصعد إليهم وفعل كذلك ، ولم يزل يتقرّب بالعبادة وكثرة التسبيح والتقديس حتى سمّى طاؤوس الملائكة وعاد قريب القدرة ونديم الحضرة وعلم بإرادة الله عزّ وجلّ ٩ وبما سبق له فى غامض علمه الذى لا يعلمه سواه جميع المخلوقات فى السموات السبع والأرضين السبع .

قال جدع بن سنان : فلمّا كثر فساد الجنّ فى الأرض لما تقدّم فى ذلك من ١٢ القول وقد ذكرت الهند والفرس واليونان فى كتبهم — من رواية المسعودى رحمه الله — قال : إنّ الجنّ كانوا أحد وعشرين قبيلة وإنّ بعد خمسة آلاف سنة من خلقهم ملكوا عليهم سبعة ملوك وجعلوا لكلّ يوم وليلة من أيّام الجمعة ١٥ لملك من السبعة يحكم فيه عليهم بما شاء كحكم الملوك .

قال الإمام فخر الدين الرازى المعروف بابن خطيب الرىّ رحمه الله : هؤلاء الملوك السبعة حكّام الأيّام السبعة خدّام الكواكب السبعة وهم من المنظرين إلى ١٨ يوم الوقت المعلوم ، فيوم الأحد الحاكم فيه شمهورش ، ويوم الاثنين الحاكم فيه برقان الأعظم ، ويوم الثلاثاء الحاكم فيه زوبعة ، ويوم الأربعاء الحاكم فيه ميمون

(١٢) أخبار الزمان ١٢

السحابى ، ويوم الخميس الحاكم فيه الأبيض ، ويوم الجمعة الحاكم فيه الأحمر ، ويوم السبت الحاكم فيه المذهب .

٣ وقيل غير ذلك فى تنقل الأيام بين هؤلاء الملوك السبعة ، والمتفق عليه أن أسماءهم هذه ، ومنهم من قال إنهم جميعهم من أولاد إبليس ومنهم من قال إنهم ملوك الجن من قبل هبوط إبليس إليهم وإن إبليس قاتلهم وأجلاهم (٢١٤)

٦ عن العامر من الأرض وأسكنهم خرابها .

وأما الزهرة فمُسخت كوكباً حسبما ذكرنا ، وأما هاروت وماروت فإنهما لما علما الزهرة وإبليس الأسماء سُلباها وعلما أنهما قد عصيا فسألا الله عز وجل

٩ عذاب الدنيا دون عذاب الآخرة فهما يعذبان بأرض بابل ، ويعلمان الناس السحر كما قال الله تعالى فى كتابه العزيز : « وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة » ، الآية .

١٢ وقد عنوهما الشعراء وذكروهما فى أشعارهم ونسبوا إليهما السحر ولذلك عُرفت بابل بالسحر ، ومن جملة من ذكرها فى شعره من شعراء الدولة الأيوبية كمال الدين ابن النبيه عفى الله عنه ، وقال من قصيدة (من البسيط) :

١٥ ولو رآ مقلتاه هاروت آيته الـكبرى لآمن بعد الكفر ساحرُهُ

وهذه القصيدة من قصائده الطنانات التى أولها يقول (من البسيط) :

باكر صبوحك أهنى العيش باكرُهُ فقد ترنم فوق الأيك طائرُهُ

١٨ والليل تجرى الدرارى فى مجرته كالروض تطفو على نهر أزاهرُهُ

وكوكب الصبح نجاب على يده مخلق تملأ الدنيا بشائرُهُ

(١٠-١١) القرآن الكريم ٢ / ١٠٢

(٥) ديوان ابن النبيه ٩٣ ؛ فوات الوفيات ٣ / ٦٩ ؛ رآ : رأت الديوان || مقلتاه : مقلتا الديوان

فانهض إلى ذوب ياقوتٍ لها حَبَب ... تنوب عن ثغر من تهوى جواهره
حمراء فى وجنة الساقى لها شبه ... فهل جناها مع العنقود عاصره
ساق تكوّن من صبح ومن غسق ... فابيضّ خداه واسودّت غدائره ٣
سودٌ سوالفه لُمْس مراشفه ... نعس نواظره خُرس أساوره
تعلّمت بازة الوادى شمائله ... وزوّرت سحر عينيه جآذره
منها : ٦
قامت أدلّة صدغيه لعاشقه ... على عذول أتا فيه يناظره
بنىٌ حُسن أظلته ذوائبه ... وقام فى فترة الأجفان ناظِرُه
منها : ٩
فلو رأى مقلتاه هاروت آيته الـ ... ـكبرى لآمن بعد الكفر ساحره
(٢١٥) خذ من زمانك ما أعطاك مغتنماً ... وأنت ناهٍ لهذا الدهر آمرُه
فالعمر كالكأس تُستحلا أوائله ... لكنه ربما مُجّت أواخرُهُ ١٢
واجسَر على فرص اللذّات محتقراً ... عظيم ذنبك أن الله غافِرُهُ

وفى هذه القصيدة امتدح الملك الأشرف مظفّر الدين موسى بن العادل بن أيوب لما نذكره فى تأريخه إن شاء الله تعالى ، وأضربنا عن كثير من شعر ابن النبيه ١٥ المذكور فى جميع أجزاء هذا التاريخ للعلّة التى يأتى ذكرها فى الموضع اللائق بها .

ولبعض العصريّين من قصيدة امتدح بها القاضى المرحوم علاء الدين بن الأثير صاحب ديوان الإنشاء الشريف فى أوّل الدولة الناصريّة بالمملكة الثالثة ١٨ أعزّها الله بالنصر والقهر ، وأدام أيّام مولانا مالكها إلى آخر الدهر ، تضمّن

(٤) أسواره : أساوره الديوان (١٠) قارن ص ٢٤٠ ، ١٥

بيت منها ذكر هاروت وهو فى غزلها :

نسبوا لبابل سحر مقلته التى ۔۔۔ هاروت منها ظل فى تعقيد

٣ وأوّلها (من الكامل) :

لولا الولوع بمقلة وبجيدِ ۔۔۔ ما كحّلت جفناى بالتسهيدِ

كلا ولا لذّ الملام لمسمعى ۔۔۔ من عاذل ومفنّدٍ وحسودِ

٦ ما فى الغرام علىّ عار بالذى ۔۔۔ فتن الأنام بحسنه المشهودِ

منها :

باتت بدور التمّ تحسد حسنه ۔۔۔ وأصابها النقصان بعد مزيدِ

٩ باهته فى إشراقة شمس الضحى ۔۔۔ فرمى الكسوف بها إلى التسويدِ

غارت غصون البان من أعطافه ۔۔۔ حنقاً فشانتها يد التعقيدِ

لو سالمت تلك الغصون قوامه ۔۔۔ لم تشك يوماً آفة التجريدِ

١٢ ما طال جنح الليل إلا أنّه ۔۔۔ يهوى ذؤابة شعره الممدودِ

تهوى الصبا لفتات واضح جيده ۔۔۔ فلأجل ذا خصّت بحسن الجيدِ

نسبوا لبابل سحر مقلته التى ۔۔۔ هاروت منها ظلّ فى تعقيدِ

١٥ (٢١٦) رجع ما انقطع

قال المسعودى رحمه الله : ثم كانت بين الجنّ اختلاف وغارات بين القبائل وعادت بينهم حروب ووقائع وفساد كثير ، قال : وكان إبليس من خلقهم

١٨ وكانت له عدّة أسماء على اختلاف لغاتهم ، واسمه بالعربيّة الحارث وكنيته أبو مرّة ، ومرّة هذه هى أوّل مولود وُلد له فى الأرض على ما ذكره المسعودى ،

(١٦) أخبار الزمان ١٢

وسنذكر ما قاله غيره بعد ذلك ، وقال : وكان اسمه فى السماء عزازير ، ولم يكن
فى الجانّ أعظم من خلقه ولا أشدّ بطشاً ولا أعظم طاقة ، وكان يصعد إلى السماء
ويقف فى صفوف الملائكة ويجتهد فى العبادة فلمّا بغا بعض الجنّ على بعض ٣
وكانت بينهم تلك الحروب أُهبط إلى الأرض بإذن الله تعالى فى جند من الملائكة
فقتل من الجنّ قتلاً ذريعاً وهزمهم إلى خراب الأرض وجُعل ملكاً من قبل
الله عزّ وجلّ على الأرض يحكم بين خلقه من الجنّ بأمر الله وخافوه سائر قبائل ٦
الجنّ ، وأقام فى الأرض ملكاً ما شاء الله عزّ وجلّ من الدهور .

وكان يصعد لمحلّ عبادته ليعبد الله تعالى ويهبط إلى الأرض لمحلّ ملكه ،
ولم يزل كذلك حتى بلى بمحنة آدم عليه السلام لمّا تجبّر وطغا وتمرّد ، وكان ٩
من امتناعه من السجود لآدم صلوات الله عليه ما أخبرنا الله تعالى عنه فى كتابه
العزيز على لسان نبيّه الكريم ﷺ لما نذكر من ذلك فى موضعه .

قال المسعودى : وأُهبط إلى الأرض بعد قصّته مع آدم عليه السلام فى أقبح ١٢
صورة وأشدّ تشويهاً فأنكره جميع قبائل الجنّ واستوحشوه واستبشعوه
وامتنعوا عليه من الطاعة له فلمّا رأى ذلك سكن البحر المحيط وجعل له عرشاً
على الماء وألقى عليه (٢١٧) حبّ الشهوة وعاد لقاحه كلقاح الطير وله بيض يحضنه ١٥
كما يحضن الطير ، ورُزق من الأولاد خلق كثير وهم الذين فى طاعته لوسوسة
بنى آدم .

قلت : هذا ما رواه المسعودى رحمه الله ، ولنذكر الآن ما رواه فى هذا ١٨
الفصل الشيخ جمال الدين ابن الجوزى رحمه الله فإنّه فصل حسن .

ذكر إبليس وأولاد وجنوده وحشوده

قال ابن الجوزى رحمه الله : اختلفوا فى اشتقاقه ، قال علماء التفسير : اشتقاق
٣ إبليس من الإبلاس وهو الإياس وإبليس يأس من رحمة الله ، وقال الجوهرى :
يقال : أبلس فلان إذا سكت غمّاً .

واختلفوا فى كنيته على قولين أحدهما : أبو مرّة ، والثانى : أبو العمر ،
٦ واختلفوا فى اسمه أيضاً ، فقال الجوهرى: كان اسمه عزازيل وهو قول ابن عبّاس،
وقيل الحرث .

واختلفوا هل كان من الملائكة ، رواه سعيد بن جبير ، والثانى أنّه من
٩ الشياطين ، قاله الحسن البصرى ، قال : ولم يكن من الملائكة قطّ ، واحتجّ بقوله
تعالى : « إلا إبليس كان من الجنّ ففسق عن أمر ربّه » ، الآية ، والثالث :
إنّه لامن الجنّ ولا من الملائكة بل هو خلق مفرد خلقه الله من النار كما خلق
١٢ آدم من الطين ، قاله مقاتل ، وقد رجّح علماء التفسير قول ابن عبّاس إنّه كان من
الملائكة ، واحتجّوا بقوله تعالى : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا
إلا إبليس » ، وهذا استثناء متّصل فدلّ على أنّه منهم ، وأمّا قول الحسن إنّه
١٥ كان من الجنّ وما احتجّ به من الآية فقد فسّره ابن عبّاس قال: أشراف الملائكة
والكبراء منهم يقال لهم الجنّ لأنّهم استتروا عن أعين الملائكة لشرفهم وكان
إبليس منهم .

١٨ قال : وكان له سلطان السماء الدنيا وسلطان الأرض وكان يسمّى طاؤوس
للملائكة وليس فى (٢١٨) السماء الدنيا مكان إلّا وقد سجد عليه ، ولما عصت

(١) مأخوذ من مرآة الزمان ٣٩ آ ، ــ ٤
(٣) الصحاح ٢ / ٩٠٦ ب
(١٠) القرآن الكريم ١٨ / ٥٠
(١٣) القرآن الكريم ١٨/ ٥٠

الجنّ فى الأرض بعثه الله فى طائفة من الملائكة فطردوهم إلى الجزائر وأطراف الجبال ، فاغترّ فى نفسه وقال : من مثلى ؟ ولم يسجد لآدم فمسخه الله شيطاناً .

قلت : وظاهر الآيات تقتضى التعارض فينبغى التوقّف ، قال ابن الجوزى : ٣
وقد قال : خلقتنى من نار وخلقته من طين ، وإذا كان مخلوقاً فى الأصل من النار فكيف يخلق من النور لأنّ الملائكة خلقوا من نور لما ذكرنا من قبل .

وذكر أبو جعفر الطبرى رحمه الله فى تأريخه الكبير الذى اعتماد أهل عصرنا ٦
عليه لثقته وفضله وتأييده فى هذا الفصل إنّ إبليس بُعث حاكماً فى الأرض يقضى بين الجنّ ألف سنة ثم عرج إلى السماء فأقام يتعبّد الله عزّ وجلّ حتى خلق الله آدم عليه السلام . ٩

وقال شهر بن حوشب : كان إبليس من الجنّ الذين يعملون فى الأرض بالفساد ، فأسره بعض الملائكة فذهب به إلى السماء ، قلت : وهذا الوجه ضعيف جدّاً لم أجد أحد من علماء السِيَر وافقه عليه . ١٢

وقال قتادة فى تفسير قوله تعالى : « ففسَق عن أمر ربّه » ، أى : خرج عن طاعته ، والفسق الخروج من قولهم : فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها .

وقال عبدالله بن أحمد بإسناده إلى ثابت البنانى قال: بلغنا أنّ إبليس ظهر ليحيى ١٥
عليه السلام فرأى عليه معاليق من كلّ شىء ، فقال له : ويحك ما هذه المعاليق ؟ فقال: الشهوات التى أصيب بها بنى آدم! قال: فهل لى فيها شىء؟ قال: ربّما شبعت فتثقّلت فى الصلاة وتغلب على الذكر ، فقال يحيى : فلله علىّ لا أملأ بطنى من ١٨
طعام أبداً ، فقال إبليس : ولله علىّ أن لا أنصح مسلماً قطّ ، وفى رواية: بشراً قطّ .

وبه قال عبد الله بن أحمد بإسناده عن ابن عبّاس ، قال : كان إبليس يأتى (٢١٩) يحيى بن زكريا طمعاً أن يفتنه وعرف ذلك يحيى منه ، وكان يأتيه فى ٢١

---

(٣) قلت : سبط بن الجوزى (٦) تأريخ الطبرى ١/ ٨٥ ، ١٣

صور شتى فقال له : أحبّ أن تأتينى فى صورتك التى أنت عليها ، فأتاه فيها فإذا هو مشوّه الخلق كريه المنظر جسده جسد خنزير ووجهه وجه قرد وعيناه مشقوقتان طولاً وأسنانه كلّها عظم واحد وليس له لحية ويداه فى منكبيه وله يدان آخرتان فى جانبيه وأصابعه حلقة واحدة وله ضفيران كالليف، وعليه لباس المجوس واليهود والنصارى ، وفى وسطه منطقة من جلود السباع فيها كيران معلّقة وعليه حلاحل ، وفى يده جرس عظيم ، وعلى رأسه بيضة من حديد معوّجة كالخطّاف ، فقال له يحيى عليه السلام : ويحك ما الذى شوّه خلقك ؟ فقال : كنت طاوٌوس الملائكة فعصيت الله فسخنى فى أنجس صورة وهى ما ترى، قال: فما هذه الكيران ؟ قال: شهوات بنى آدم ، قال : فما هذا الجرس ؟ قال : صوت المعازف والنوح ، قال : فما هـذه الخطاطيف ؟ قال : أخطف بها عقولهم ، قال : فأين تسكن ؟ قال : فى صدورهم وأجرى فى عروقهم ، قال : فما الذى يعصمهم منك ؟ قال : بغض الدنيا وحبّ الآخرة !

وقال الخطيب بإسناده عن ابن المنادى ، قال : يجىء الشيطان الذى يقال له القرقيّة فى صورة طائر ، وفى رواية : يجىء الشيطان فى صورة طائر يقال له القرقيّة فيخفق بجناحه على عين الرجال الذى يقر أهله على الفاحشة فلا ينكرها بعد ذلك .

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله بإسناده عن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ : يضع إبليس عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلةً أعظمهم فتنةً ، يجىء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا ، فيقول : ما صنعت شيئاً ، ويجىء أحدهم (٢٢٠) فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله فيدنيه منه

---

(١٧) المعجم المفهرس ٢ / ٤٦١ ؛ صحيح مسلم ٨ / ١٣٨ ، المنافقون

ويلتزمه ويقول : نعم أنت أنت ، انفود بإخراجه مسلم .

وذكر عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه عن ابن مسعود أنّ الشيطان إذا طاف بأهل مجلس ذكر ليفتنهم فلم يقدر على التفرقة بينهم فأغرى بين أهل المجلس الآخر فاقتتلوا فقام أهل الذكر على التفرقة بينهم فحجزوا بينهم حتى تفرّقوا .

وذكر عبد الله أيضاً عن قتادة ، قال : لإبليس شيطاناً يقال له قبقب يحمّه أربعين سنة فإذا دخل الغلام فى هذا الطريق قال له : دونك وإيّاه فإنّما أحممتك لمثل هذا أجلب عليه وأفتنه .

وقد ورد فى الشيطان حديث أنّه جاء إلى النبيّ ﷺ ، قال ابن الجوزى : حدثنا جدّى حدّثنا محمدّ بن عبد الملك بن جيرون بإسناده إلى عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : كنّا عند رسول الله ﷺ فجاء رجل أقبح الناس وجهاً وثياباً وأنتنهم ريحاً حافياً يتخطّى رقاب الناس فجلس بين يدى النبيّ ﷺ فقال : من خلقك ؟ قال : الله ، قال : فمن خلق السماء والأرض ؟ قال : الله ، قال : فمن خلق الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : هذا إبليس جاء ليشككّكم فى دينكم ! قال ابن الجوزى : قال جدّى : هذا حديث لا أصل له وعبد الله بن دينار ضعيف تهم فى الأحاديث ، وهـذا إنّما هو حديث أبى هريرة عن رسول الله ﷺ : إنّ الشيطان يأتى أحدكم فيقول : من خلق كذا من خلق كذا من خلق الله ، وتمّ الحديث ، وقد خلّطه ابن المدائنى ، وحديث أبى هريرة صحيح ، ولمسلم عن جابر عن النبيّ ﷺ أنّه قال : إذا أذّن المؤذّن هرب الشيطان حتى يكون بالروحاء من المدينة ثلاثون ميلاً .

(٢٢١) ذكر أولاده الخمسة

قال الله تعالى : « أفتتخذونه وذرّيته أولياء من دونى » ، الآية ، وروى
٣ مجاهد عن ابن عبّاس أنه قال : بلغنا أنّ لإبليس أولاد كثيرة ، واعتماده على
خمسة منهم : ثبر ، والأعور ، ومسيوط ، وداسم ، وزلبنور ، وقال مقاتل : لإبليس
ألف ولد ينكح نفسه ويلد ويبيض كلّ يوم ما أراد ، وقال كعب الأحبار :
٦ ومن أولاده : المذهب وخنزب ، وهفاق ، ومرّة ، والولهان ، والمتقاضى ، فأمّا
ثبر فصاحب المصائب يأمر بلطم الخدود وشقّ الجيوب ودعوى الجاهليّة ، وأمّا
الأعور فصاحب الزنا يزيّنه إلى الذكور والإناث ، وأمّا مسيوط فصاحب الكذب
٩ والنميمة ، وأمّا داسم فيُرى الرجل عيوب أهله فيبغضهم إليه ، وأما زلبنور
فيركز رايته فى الأسواق ويأمرهم بالتطفيف والخيانة ، وأمّا المذهب فوكل بالعلماء
يردّهم إلى البدع ، وأما خنزب فوكل بالمصلّين يلقى عليهم النوم والسبات .
١٢ وقد روى فى خنزب حديث فقال أحمد بإسناده إلى أبى العلاء بن الشخير
أنّ عثمان بن أبى العاص الثقفى قال : يا رسول الله : حال الشيطان بينى وبين
صلاتى وبين قراءتى ، قال : ذاك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله
١٥ منه واتفل عن يسارك ثلاثاً ، قال : ففعلت ذلك فأذهبه الله عنّى ، انفرد بإخراجه
مسلم ، وهفاق صاحب الخمر ، ومرّة صاحب اللواط ، والولهان يوسوس
فى الوضوء .

---

(١) مأخوذ من مرآة الزمان ٤٠ ب ، ٥ (٢) القرآن الكريم ١٨ / ٥٠
(٤) قارن التبصرة ٢ / ١٩٠ ، ٤
(١١) مسند أحمد بن حنبل ٤ / ٢١٦ ؛ لسان العرب ١/٣٥٤

ذكر الجن رواية ابن الجوزى

قال علماء اللغة : أصل الجنّ من الاستتار ومنه الجنين لأنّه مستتر (٢٢٢)
في بطن أمّه ، ومنه المِجنّ لأنّه يستر حاملهُ من وقع السهام ، ومنه الجنّة لاستتار ٣
أرضها بورقها ، وقال الجوهرى : إنّما سُمّوا بذلك لأنّهم لا يُرَون .

وأمّا الشيطان، فقال الجوهرى : الشيطان كلّ عاتٍ متجبّر من الإنس والجنّ
والدوابّ ومن بعد غوره فى الشرّ ، واختلفوا فى اشتقاقه على قولين: أحدهما: من ٦
شطن ، أى : بعد عن الخير فنونه على هذا أصليّة ، والثانى : أنّه من شاط يشيط
إذا احترق ، ومنه شاطت القدر ، وقال أحمد بن حنبل : حدّثنا عبد الرزّاق ،
حدّثنا معمر ، حدّثنا الزهرى عن عروة عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ : ٩
خُلق الجانّ من مارج من نار ، وقد فسّره ابن عبّاس فقال : المارج لسان النار
الذى يكون فى < طرفه > إذا التهبت . وقال الجوهرى : المارج نار لا دخان لها
خُلق منها الشيطان . ١٢

واختلف الرواة عن ابن عبّاس : هل الجانّ إبليس أم غيره ، فروى عنه
عكرمة أنّه قال : إبليس أصل الجنّ والشياطين وهو أبو الكلّ ، وروى مجاهد
عنه أنّه قال : الجانّ اسمه شومان ، وهو أبو الجنّ كلّهم كما أنّ آدم أبو البشر ١٥
كلّهم ، وروى سعيد بن جبير عنه أنّه قال : هذا الفنّ خمسة أنواع : جانّ وجنّ
وشيطان وعفريت ومارد، وأضعفها الجانّ وهو مسيخ الجنّ كما أنّ القردة والخنازير

(١) مأخوذ من مرآة الزمان ٣٨ ب ، ٢ (٤) الصحاح ٥ / ٢٠٩٣ آ
(٥) الصحاح ٥ / ٢١٤٤ ب
(٨) المعجم المفهرس ٦ / ١٩٦ ؛ مسند أحمد بن حنبل ٦ / ١٥٣ ؛ ٦/ ١٦٨
(١١) طرفه : مرآة الزمان || الصحاح ١ / ٣٤١ آ ؛ الشيطان : الجان الصحاح
(١٤) قارن كتاب التبصرة ٢ / ١٨٩ ، ٣ — ٣

مسيخ الإنس وأقواها المارد ، وقال الحسن البصرى : الشياطين أولاد إبليس
لا يموتون إلّا معه والجنّ يموتون قبله ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال :
٣ خلق الله قبل آدم الجانّ بألفى سنة ، وقد روى مرفوعاً ، والموقوف أصحّ .

(٢٢٣) وحكى السُدّى رحمه الله عن أشياخه ، قالوا: فى الجنّ المؤمن والكافر
والقدريّة والمعتزلة والجهميّة والشيعة وجميع الفرق ، وحكى مجاهد عن ابن عبّاس
٦ أنّه قال : هم قوم على أصناف على صور الحيات والعقارب والأسد والذباب
والثعالب ونحوها ، وقال الترمذى : حدّثنا على بن حجر بإسناده عن أبى هريرة ،
قال : قال رسول الله ﷺ : اقتلوا الأسودين ولو كنتم فى الصلاة : الحيّة
٩ والعقرب ، ووفّاه أبو داود ، وفيه : أمر رسول الله ﷺ بقتلهما ، قال الترمذى :
وفى الباب عن رافع بن خديج وابن عبّاس ، وحديث أبى هريرة صحيح حسن ،
والعمل عليه عند بعض أهل العلم من الصحابة وغيرهم من بعدهم ، وكره بعضهم
١٢ ذلك ، والقول الأوّل أصحّ .

قلت : وعامّة العلماء على جواز قتل الحيّة والعقرب فى الصلاة وكرهه إبراهيم
النخعى لأنّه عمل كثير ، وقد روى أنّ النبى ﷺ أمر أن يؤذنوا قبل قتلهم ،
١٥ فقال عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه بإسناده عن جرير بن عبد الله قال :
أمر رسول الله ﷺ أصحابه إذا ظهروا فى مكان أن يؤذنوا بالانصراف قبل
قتلهم يقال : خلّ الطريق ومر بإذن الله يعنى إذا تصوّر الجنّ فى صورة كالحيّات
١٨ والعقارب . وقال ابن أبى ليلى : الحيّة البيضاء التى تمشى مستوية هى الجانّ فتلك
التى تنذر قبل قتلهم ، أمّا غيرها فلا ينذر بل يقتل ، قال أبو جعفر الطحاوى :

(٧) سنن الترمذى ١ / ٢٤١ ، الصلاة ، باب ٢٨٣
(٩) قارن المعجم المفهرس ٣ / ٢٠

والمختار عند أصحابنا قتل الجميع بغير إنذار بحديث أبى هريرة الذى رويناه فإنّه مطلق فى حقّ الكلّ ، قال : لأنّه بلغنا أنّ النبىّ ﷺ عهد ليلة الجنّ إلى الجنّ وأكّد عليهم العهود والمواثيق أنّهم لا يدخلون بيوت أمّته ولا يظهرون ٣
فإن (٢٢٤) ظهروا قُتلوا ، لكن الأولى هو الإنذار عملاً بجميع الروايات فإن لم يرجع قُتل .

وروى عروة أنّ عائشة قتلت حيةً فأتيت فى منامها فقيل لها : قتلت مسلماً ! ٦
فقالت : لو كان مسلماً لما دخل بيوت أزواج النبىّ ﷺ فقيل لها : هل كان يدخل عليك إلّا وعليك ثيابك فأصبحت فزعة فتصدّقت بأثنى عشر ألفاً ، فأوّل هذا الخبر إباحة قتله من غير إنذار وآخره استحباب ذلك ، وروى مجاهد عن ٩
ابن عبّاس أنّ الكلاب من ضعفاء الجنّ ، وقال أحمد بن حنبل بإسناده إلى أبى ذرّ ، قال : قال رسول الله ﷺ : الكلب الأسود شيطان ، انفرد بإخراجه مسلم ، وفيه : الكلب الأسود البهيم ، وبهذا الحديث يحتجّ أحمد بن حنبل ١٢
فى إحدى الروايتين عنه أنّ الكلب الأسود البهيم يقطع الصلاة ، ويروى عن معاذ وطاووس ومجاهد ، قال أحمد : وفى نفسى من المرأة والحمار شىء وعند أهل الظاهر يقطع الصلاة . ١٥

قال ابن الجوزى: ومذهب أصحابنا ومالك والشافعى وعامّة الفقهاء أنّه لا يقطع الصلاة مرور شىء من ذلك لقوله ﷺ : لا يقطع الصلاة مرور شىء ، وحديث أبى ذرّ حجّة فيه وقد بيّنّا هذا فى شرح البداية ، يقول ذلك ابن الجوزى رحمه ١٨
الله ، وقال الحسن البصرى : الجنّ ثلاثة أصناف : صنف فى البحر وصنف فى البرّ وصنف فى الهواء ، وروى عكرمة عن ابن عبّاس أنّه قال : هم أربعون خيلاً كلّ خيل ستمائة ألف وهم مأمورون ومنهيّون . ٢١

(١٠) المعجم المفهرس ٦/٥٢ ؛ صحيح مسلم ٢ / ٥٩ ، الصلاة

واختلفوا هل بُعث فيهم نبيّ أم لا ، على قولين : أحدهما : إنّه بعث إليهم نبيّ اسمه يوسف لقوله تعالى : « يا معشر الجنّ والإنس ألم يأتكم رسل منكم» ، وقال تعالى: « فوربك لنحشرنهم والشياطين »، فعلى هذا هم يحشرون ويحاسبون، والقول الثانى : إنّه لم يبعث فيهم نبيّ (٢٢٥) وإنّما كان فيهم منذرين بدليل قوله تعالى : « ولوا إلى قومهم منذرين » ، قاله مجاهد ، وقال الكلبى : كانت الرسل قبل محمّد ﷺ يبعثون إلى الإنس والجن جميعاً .

ذكر الجنّ وعدّة قبائلهم وأصنافهم

رواية المسعودى

قال المسعودى رحمه الله : زعموا أنّ الشياطين خمسة وثلاثون قبيلة ، وأنّ الذين يطيرون فى الهواء خمسة عشر قبيلة ، والذين يمشون على أرجلهم خمسة وعشرون قبيلة ، والذين فى الماء عشرون قبيلة ، والذين يمشون ويخرجون مع الزوابع اثنا عشر قبيلة ، والذين خُصّوا بلهب النيران عشر قبائل ، ومسترقون السمع ثلاثون قبيلة، وسكّان الهواء وهم مثل الدخان ثلاثون قبيلة، ولكلّ طائفة من هؤلاء القبائل ملك يردّ شرّهم .

قلت : وقد ذكر الإمام فخر الدين الرازى فى كتابه المعروف بالسرّ المكتوم المختصّ بعلم الأسماء والطلسمات وهو كتاب جليل القدر فى هذا الفنّ جميع أسماء هؤلاء الملوك والرؤساء من الجنّ واستنزالهم وعزائمهم وكذلك ذكر الحكّام عليهم من الكواكب السبع السيّارة وذكر تسابيحهم وكيفيّة الأعمال فى الأوقات المخصوصة ما إذا أراد المتمهّر فيها إنشاء ما شاء من سائر العزائم التى تطيعها الملوك

---

(٢) القرآن الكريم ٦ / ١٣٠ (٣) القرآن الكريم ١٩ / ٦٨

(٥) القرآن الكريم ٤٦ / ٢٩ (٩) أخبار الزمان ١٢ ، ــ ٢

السبعة وكبار الرؤساء مثل: مثل: استمزال شمحيائيل الرئيس، والسيد سقريطس وغيرهم من الرؤساء المطاعين فى جميع قبائل الجنّ ممّا يضيق هذا التأريخ عن وصفهم.

وقال المسعودى أيضاً : ومن الجنّ صنفاً يعرفون بالسعالى يتصوّرون ٣ فى صور النساء الحسان يتزوّجن برجال من الإنس ، فما حكى من ذلك أنّ رجلاً يقال له سعيد بن الجهم تزوّج امرأة منهم وهو لا يعلم بها (٢٢٦) فأقامت عنده وولدت منه أولاداً ، وأنّها معه على سطح يشرف على الجبّانة إذا بصرت نيراناً ٦ فى أقصى الجبّانة تأتلق فطربت وقالت : أما ترى إلى نيران السعالى شأنك وبنيك أستوصى بهم خيراً ! وطارت من بين يديه فلم تعد إليه .

ومنهم من يظفر بالآدمى فى الأماكن الخالية وفى القفار وفى الأماكن الخربة ٩ فيرقصه حتى يسقط ويمصّ دمه ويتركه طريحاً ، ومنهم صنف لا يفارق صور الحيّات والأفاعى فربّما قتلها الرجل فيهلك لوقته وإن كان صغيراً وكان له ولد قتل به ، وذكر جدع بن سنان فى تأريخه عن عبيد الأبرص الشاعر الجاهلى الآتى ١٢ ذكره وخبره فى أخبار الشعراء الجاهليّة آخر الجزء الثانى إن شاء الله تعالى ، قال : إنّ عبيد بن الأبرص خرج فى سفر له يريد الشأم من الحجاز مع نفر من قومه فلمّا صار ببعض الطريق إذ هو بشجاع قد أقبل وهو يلهث عطشاً وخلفه حيّة ١٥ سوداء تطرده ، فقال بعض أصحاب عبيد : لو نزلت إليهما فقتلتهما لرجوناك ، فقال عبيد : هذا إلى أن أنضح عليه ماء أحبّ إلىّ من أن أقتله ، ثم نزل فقتل ذلك الأسود وحلّ أداواته فشرب وسقّى الشجاع ونضح عليه من الماء وانساب ١٨ ذلك الشجاع ودخل جحره ، ومضى عبيد فقضى حاجته بالشأم فلمّا انصرف عائداً أغفى فى مفازة فانتبه وقد ضلّ واستابت قلوصه ولحقت بالظعن وبقى حائراً وأيقن

(٣) أخبار الزمان ١٣ ، ٣ (١٢) أخبار الزمان ١٣ ، ـ ٥

الموت فلمّا جنّه الليل إذا بهاتف يقول (من الرجز) :

يا صاحب البَكر المضلّ مذهبُهْ ما عنـده من ذى رشاد يصحبُهْ

٣ دونك هذا البكر منّا فاركبه حتى إذا الليل تولّى غيهبُهْ

(٢٢٧) وأقبل الصبح ولاح كوكبُهْ فحطّ عنـــه رَحلَهُ وسَيِبُهْ

فالتفت عبيد فإذا هو ببكر كأحسن ما يكون فركبه وسار ليلته فأصبح بمنزله

٦ وكان بينه وبين أهله إحدى وعشرين مرحلة ، وسبق رفقته بهذه المدّة ، فنزل عنه وأنشأ يقول (من البسيط) :

يا أيها البكر قد أنجيت من كرب ومن فياف تضلّ المدلج الغادى

٩ ارجعْ حميداً فقد بلغتَ مأمننا بوركتَ من ذى سنام رائح غادى

فأجابه البكر يقول (من البسيط) :

أنا الشجاع الذى أبصرته رمضاً فى مهمه < نازح > عن أهله صادى

١٢ فجدت بالماء لما ضنّ صاحبه أرويت من ضماء ولم تهمم بأنكادِ

الخير يبقى وإن طال الزمان به والشرّ أخبث ما أوعيت من زادِ

ثم قال: إنّ الأسود الذى رأيته يطردنى فهو عبدى أراد قتلى فكفيتنى شرّاً

١٥ وأرويتنى من ضماء ولن يضيع الخير بين حرّين ، وأستحاف الله عليك ، ثم غاب فلم أره .

قلت : وقرأت هذه الحكاية بعينها فى تأريخ صاحب حماة للملك المنصور

١٨ الآتى ذكره وذكر تأريخه فى موضعه ، وأورد البيت الثانى من قول الشجاع مكان : أرويت من ضماء : رويت منه ، والرواية الأوّلة أصحّ .

---

(١١) نازح : أخبار الزمان

(١٢) أرويت من ضماء : رويت منه أخبار الزمان || ضماء : ظماء (١٥) ضماء : ظماء

وقال المسعودى بإسناده عن ابن عبّاس أنّه قال : إنّ الجنّ وإنّ الكلاب من الجنّ فإذا رأوكم تأكلون فالقوا إليهم فإنّ لهم أنفساً يعنى أنّهم يأخذون بالعين .

ومن تأريخ جدع بن سنان أنّ رجلًا من حمير كان بسوق عكاظ مع جماعة من قومه وغيرهم ، قال : فوقف عليهم راكباً على جمل قدر (٢٢٨) شاة وهو عليها كالطود العظيم فأنشد :

ألا من يهبنى ثمانين بكرة هجانا سود عيونها مغبرة الألوانا

يكن له بها إلينا امتنانا نجيبة فى ضيقه إذا دعانا

قال : فلم يجبه أحداً فضرب جمله فطار به مثل البرق الخاطف حتى دهش وحار كلّ من حضر ، قال : فقال رجل من فزارة كان حاضراً : ألا أحدّثكم أهل ذا النادى بشىء رأيته بعينى وسمعته بأذنى ؟ فقالوا : بلى والله ! فقال : لقيت رجلًا فى بعض المعابر راكباً على نعامة وعيناه مشقوقتان طولًا فى أم رأسه تتّقد كالجمر فراعنى والله ! فاستوقفنى وقال : ألا أنشدك شيئاً من شعرى ؟ فقلت : بلى والله ! فأنشد :

أباركه تذللها قطامى قطنا بالتحية والسلام

قال : حتى أتى على آخرها ، فقلت : هيهات سبقك إليها أخو بنو ذبيان فقال : أبالله أنا والله نطقت بها على لسانه بسوق عكاظ وقلتها قبله بأربعمائة سنة ، ثم تركنى وطار على نعامته .

(١) أخبار الزمان ١٤ ، ـ ٤ (٤) أخبار الزمان ١٤ ، ـ ١

ذكر الأمم المخلوقة من رواية المسعودى

قال المسعودى رحمه الله : روى أنّ الله عزّ وجلّ خلق ألفاً وعشرون أمّة
٣ حذاء الكواكب الثابتة ، فى البحر منها ستمائة أمّة وفى البرّ أربع مائة وعشرون
أمّة ، فأحبّها إلى البارئ سبحانه وأفضلها عنده صورة الإنسان فإنّه خلقه على
صورة إسرافيل عليه السلام ، وفى الحديث أنّ الله خلق آدم على صورته ، قلت :
٦ قال العلماء رضى الله عنهم : معناه على صورة آدم التى عليها هو فى الأرض وقالوا :
يعود الضمير (٢٢٩) إلى أقرب مذكور ، وكأنّ الحديث جواب عن سؤال مقدّر
تقديره : هل تغيّرت صورة آدم ممّا خلقها الله كما جرى لإبليس والحيّة لما نذكر
٩ من ذلك ، فقال : إنّ الله خلق آدم على صورته دفعاً لهذا السؤال ، وأمّا النقص
من طوله إنّما هو تغيير لشكله إلى هيئة هى أليق بالأرض ، وجاء فى الحديث :
لا تضربوا الوجوه فإنّها على صورة إسرافيل .

١٢ ذكر الأمم المخلوقة بإزاء منازل القمر

قال المسعودى رحمه الله : زعموا أنّ كانت الجملة ثمان وعشرون أمّة بإزاء
منازل القمر وهى المنازل العالية التى تقدّم ذكرها يحلّها القمر ، قال : لأنّه عندهم
١٥ المتولّى لتدبير العالم الأرضى بإذن الله تعالى ، فخلقت أمزجة مختلفة أصلها الماء
والهواء والتراب والنار ، فهى متباينة الخلق ، فمنها خفاف طوال ذوات أجنحة ،
كلامهم قرقعة ، ومنها أمّة أبدانهم كما يكون بدن السبْع ورؤسهم رؤوس الطير
١٨ لها شعور وأذناب طوال ، كلامها دوىّ ، ومنها أمّة لها وجهان : خلفها وقدّامها
فى رأس واحدة وأرجل كثيرة ، كلامها كلام الطير ، ومنها أمّة من الجنّ

(٢) أخبار الزمان ٩٥ ، ١٠ (٥) المعجم المفهرس ٣ / ٤٣٨
(١٣) أخبار الزمان ١٠ ، ٥

فى صورة الكلاب لها أذناب، كلامهم همهمة، ومنها أمّة تشبه بنى آدم أفواههم فى صدورهم وكذلك أعينهم، يصفرون صفيراً، ومنها أمّة كخلق الحيّات الهائلات لها أجنحة وأرجل وأذناب، ومنها أمّة تشبه نصف شقّ الإنسان بعين واحدة ويد واحدة ورجل واحدة يقفزون قفزاً، كلامهم شبه كلام الغرانيق، ومنها أمّة وجوههم كوجوه الآدميّين وظهورهم كأصلاب السلاحف، فى رؤوسهم قرون طوال كلامهم كعوى الذئاب، ومنها أمّة لكلّ واحد منهم رأسان (٢٣٠) ووجهان كوجه الآدميّين طوال الجثث جدّاً، كلامهم كالرعد يهول من يسمعه، ومنها أمّة مدوّرة الوجوه، لهم شعور بيض، وأذناب كأذناب البقر، يرزقون من أفواههم النار، كلامهم كهمهمة الأسود، ومنها < أمّة > فى خلق النساء، لها شعور وثدى، وليس فيهم ذكر يلقحوا من الريح وتلد أمثالها، ولها أصوات مطربة يجتمع إليها كثير من هذه الأمم لحسن أصواتها، ومنها أمّة فى خلق الهوامّ والحشرات إلّا أنّها عظيم الخلق تأكل وتشرب شبه الحيوانات العشبيّة، ومنها أمّة شبه دوابّ البحر لها أنياب محدّدة كالخنازير بارزة وآذان طوال كآذان الحمير.

قال المسعودى: وتتمّة ثمانية وعشرون أمّة على صور مختلفة لا يشبه بعضها بعضاً.

قلت: لعلّ ما ذكروا من أمثال هذه الأمم أجْرَوهم على اختلاف صور الكواكب التى ذكرناها فى المنازل القمريّة فاختلاف صور هذه الأمم لاختلاف صور الكواكب المذكورة، هذا إنّما ذكروه من طريق الحدس والظنّ لإثبات

(٦) كعوى : كعواء (٩) أمة : أخبار الزمان

قولهم إنّ الأمم المخلوقة ثمانية وعشرون أمّة بإزاء الثمانيـة وعشرون منزلة ، مـكان هذا القول يحتاج إلى ما ذكروه من اختلاف خلق هـذه الأمم ، وهذا
٣ عندى وعند كلّ ذى ذوق فاسد ، وذلك أن قالوا إنّ هـذه الأمم فى حكم البرّ لا البحر ، والناس من عالم بنى آدم ما خلى منهم مكان من المعمور فى الأرض فلم يشهدوا ولا أمّة واحدة من هذه الأمم المذكورة فى جميع مسكون الأرض ،
٦ ولا ورد عن أحد من العلماء ولا ممّن يثق به أنّه رأى شىء منها ، هذا فى العامر من الأرض ، وأمّا الخراب منها فأجمع الناس أنّه لا يمكن أن يكون فى الخراب من الأرض حيوان لما ذكرنا من قبل ، فأين تـكون هذه الأمم ؟

٩ (٢٣١) وقال المسعودى أيضاً: وإنّ هذه الأمم أعنى الثمانية وعشرين أمّة جميعها رُكّب فيها حبّ الشهوة ، وإنّهم تناكحوا فيما بينهم بعضهم ببعض فصاروا مائة وعشرون أمّة مختلفين الخلقة ، ــ بالله العجب من رجل عالم مصنّف مطّلع
١٢ يذكر مثل هذا القول ويحرّر العدّة مائة وعشرين لا تزيد ولا تنقص ، من أين لنا هذا ؟ فلو قال ــ عفى الله عنه: وإنّهم تناكحوا فصاروا عدّة كثيرة ولا حرّر عددها لـكان أقرب .

١٥ ومن رواية المسعودى رحمه الله أنّه قال : ومن عجائب خلق الله تعالى خلق النسانس ، وقد ذكر قوم أنّهم خلقوا كمثل نصف الإنسان يعدو عَدْواً أشدّ من الريح ، وربّما كان ببلاد العجم وبعاد وبؤكل ومنه برّى ومنه بحرى ،
١٨ قال : وذكر قوم أنّ سيّارة وقعوا بنسانس كثيرة فى مكان هو موطنهم فصادوا منهم واحد وذبحوه وأكلوا وكان سميناً ، وقال أحد القوم : ما أسمنه ! فناداهم آخر من النسانس وهو مختف فى شجرة كثيفة : لا يا كاذبين ! فقال إنّه كان

(١٥) أخبار الزمان ١٦ ، ٥ : وقارن مروج الذهب ٢ / ٣٦٤ مادة ١٣٣٨

يأكل الضرو كثير فسمن لذلك ، ففهمهم مكانه ونمّ على نفسه حتى أخذوه وذبحوه ، فقال بعض القوم : ما أحمر دمه ! فأجابه آخر من النسانس مختف أيضاً وقال : كان يأكل السمّاق كثير ، فنبّه أيضاً على نفسه فأخذوه وذبحوه ، فقال آخر من النسانس : لو كان سكت ما علموا بمكانه ، فصادوا الآخر فناداهم آخر منهم : أنا والله ساكت ما أعلمكم بمكانى ! فأخذوا الآخر .

قلت : أمّا النسانس فقد ذكروهم جماعة من الناس والمسافرين وذكروا أنّ فيهم بريّاً وبحريّاً وقد ذكرهم ابن زولاق رحمه الله فى تأريخه ، وقال : إنّ النسانس شبيه بالإنسان يكمل بسائر أعضائه غير أنّ ركبتيه مُسح وهو أشدّ (٢٣٢) عَدْواً من الغزال ، وذكر أنّ رجلاً من التجّار سفّاراً ورد إلى بلاد هى بلاد النسانس البحريّة والبريّة، فاستضاف برجل من أهل المدينة ، ودار الرجل مطّلمة على البحر ، قال : فنزل الضيف فى عُلّيّة مطلّة على البحر ، ونزل صاحب المنزل فى حاجته ، قال : فسمع الضيف من صدر العلّيّة كلاماً يقول : يا سيدى ارحمنى لله تعالى وافتح علىّ هذا الباب ! قال: فنهط ذلك الرجل وفتح باب مغلق فخرجت منه جارية عريانة الجسد فخرّت نفسها من طاق مطلّ على البحر فغاصت ولم تظهر ، قال : فحزن ذلك الرجل الضيف وندم ندماً عظيماً وقال فى نفسه : هذه جارية هذا الرجل وقد كان محترزاً عليها فما ألجأنى إلى التعرّض وفتحى لها الباب حتى أهلكت نفسها ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ، فبينما هو كذلك إذ طلع صاحب المنزل بالغداء للضيف فوجده كئيباً فسأله عن أمره فقصّ عليه الأمر وقال : معذرة إليك يا أخى ! وها مالى بين يديك خذ منها ما شئت ! قال : يقول ذلك والرجل صاحب المنزل يتبسّم منه وقال : يا أخى خفّف عليك

(١٣) فنهط : فنهض

إنّما هى سمكة كان فى أجلها بعد بقيّة فنجت ، فقال : كيف سمكة ؟ فقال : هذه
من نسانس الماء شريتها البارحة من صيّادها بخمس كرادخ يعنى خمس الدراهم
٣ لأطعمك هى شواء ، ثم كشف عن ما أحضره وقال : بسم الله وناولنى معصم
بكفّ قد طبخ فى ذلك الطعام مع بقيّته ، فقلت : أعوذ بالله ما هذا ؟ قال : فزاد
ضحك الرجل وقال : كُل وطيب نفسك فإنّه مأكول لذيذ وسمك جيّد وليس
٦ لأهل هذه البلاد مأكولاً أنخر منه ، قال : فأبيت فأحضر إلىّ من غير ذلك
فأكلت وعدت أكرّر عليه السؤال فقال : إلى نهار الغد إن شاء الله أريك عجباً
تصدق القول فيه .

٩ قال : فلمّا كان الثلث الأخير من الليل أحضر لى دابّة وركب (٢٣٣)
أخرى وخرجنا إلى ظاهر المدينة وصحبتنا جماعة من أهل الرجل وعلى أيديهم
كلاب كالأسود فظهر لنا ثلاثة نسانس شابّين وكهل فأطلقوا عليهم الكلاب
١٢ فأدركوا الكهل وفاتوهم الشباب ، قال : فلمّا أدركوا الكلاب الكهل وعادوا
يراوغونه سمعت الكهل ينوح وينشد :

يا ما مرّ لى يا ما قد دهانى قد غدر بى دهرى ورمانى زمانى
١٥ آف لدهرى كيف عادانى من بعد ما كنت منه فى أمانِ
لو كنت شابًّا لما أدركتمانى ولكن لسنى وشيبى إلى علانى
آه من فرقتى لصحبي وخلانى ومراتعى ومرابعى وقيعانى

١٨ قال : ثم أدركوه الكلاب وبطحوه ولحقوه القوم وذبحوه .

ثم سرنا غير بعيد فظهر لنا رجل وامرأة ومعهما صغيرة تقدير سباعيّة العمر ،
قال : فأدركوا الصغيرة فأخذوها ونجا الرجل والمرأة ، قال : فعادت المرأة تنظر
٢١ إلى ولدها الصغيرة وتبكى وتولول والصغيرة أيضاً كذلك ، قال : فكدت

أسقط عن الدابّة لما لحقنى من الرحمة على تلك الطفلة وقد قصدوا ذبحها والأمّ تنظر إليها وهى تستغيث لأمّها بأعذب كلام ، قال : فلم أملك نفسى دون أن أطرحت عليها وسألتهم فيها وخلّصتها وأطلقتها لأمّها فأخذتها وعديا أشدّ عدواً ٣ من الغزال .

ومن عجائب الدنيا

ما ذكره صاحب كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان فى غرائب ٦ البلدان والمسالك إلى جميع الممالك تأليف أحمد بن عمر بن أنس العذرى رحمه الله ، قال : باليمن جبل ينبع منه ماء فتسيل على جانبيه فتجمد قبل أن يصل إلى الأرض فيكون منه الشب اليمانى . ٩

وقال : ومن العجائب أنّ أهل (٢٣٤) الحجاز واليمن يمطرون الصيف كلّه ويخصبون الشتاء ومطر صنعاء اليمن وما والاها حزيران وتموّز وآب ، وبعض أيلول ، من الزوال إلى المغرب لا يصحون ويلقى الرجل منهم صاحبه فيكلّمه ١٢ فى حاجة وذلك يكون فى نصف النهار فإذا أطال معه الحديث يقول له : عجّل قبل نزول المطر ! هذا والسماء صاحية والشمس ظاهرة تحرق بحرّها ولا غيم ظاهر ولا سحاب متراكم ، فيكلّمه أيسر كلام لأنّه جرت عوائدهم أنّه لابدّ من مطر فى ١٥ مثل ذلك الوقت فإن طال كلامهم لحظة واحدة أدركهم المطر فلا تزال تمطر إلى المغرب مطراً مترادفاً متراكماً وتمتلىء السماء سحباً وتغيب الشمس عن الأبصار بالسحب والأمطار فى ساعة واحدة ، هذا دأبهم دائماً . ١٨

قال : وفى بلاد الروم مدينة يقال لها المستطلة المطر فيها وفى أعمالها دائماً ليل

---

(٨) المسالك ١٧٢ ، ١٢ (١٠) المسالك ١٥٦ ، ٩ (١٩) المسالك ١٥٦ ، ٤

ونهار لا يصحون صيفاً ولا شتاء حتى إنّ أهلها لا يقدرون على دراس زروعهم
جملة كافية وإنما يجمعونها ويحزمونها بسنبلها فى بيوتهم فإذا احتاجوا لشىء منه
٣ فركوا منه كفايتهم ، وهم على هذه الحالة فى جميع الزمان ليس يوجد عندهم قمحاً
ولا شعيراً ولا أرزّاً إلّا فى سنبله .

قال : وفى أرض عاد منارة نحاس عليها راكب من نحاس فإذا كان أوّل
٦ الأشهر الحرم يهطل منها الماء فيشرب منها الناس ويسقون بها بهائمهم ويتلأّون
منه جميع أجبابهم وحياضهم وصرفوه فى جميع مصالحهم واختزنوا منه كفايتهم ،
فإذا انقضت الأشهر الحرم انقطع سيلان ذلك الماء من تلك المنارة ولم يبق له أثر ،
٩ قال : ذكر ذلك أبو الحسن الجيهانى ، والله أعلم .

(٢٣٥) قال : وذكر أبو الحسن الجيهانى أيضاً أنّه رأى بين ملحسان وبين
ركن منذك فى جبل كبير عالى فرساً واقفاً فى أوعر موضع يكون فى الجبل وصورته
١٢ صورة فرس كاملة أشهب اللون مليح الكفل والأذنين حسن التناسب لم يوجد
مثله فى الخيل لحسن صفته وهو فى موضع لا يقدر أحد أن يصل إليه قائم على صفاة
هنالك، وذكروا رفقته الذين كانوا معه أنّهم لم يزالوا يرونه هنالك واقف فى نفس
١٥ تلك الصخرة وأنّه لم يقدر أحداً أن يصل إليه بحيلة ولا بوجه من الوجوه .

وقال أحمد بن عمر : وفى جزيرة فى المشرق يقال لها واق الواق أهلها مثل
أهل الصين إلّا أنّهم أعظم أجساماً وأجمل ولسانهم غير لسان الصينيّين ،
١٨ وطعامهم الحنطة وشرابهم ممّا يتّخذونه من الحنطة ، وذهبهم كثير حتى إنّ سلاسل
كلابهم ذهب وكذلك أطواقهم ويأتون للتجّار بقمص منسوجة بالذهب للبيع
ممّا يدلّ على كثرة الذهب عندهم .

٢١ وذكر أنّ بهذه الديار مرامى ولكلّ مرساة منهم نهر عظيم تدخل فيه السفن،

وأنّه دخل قوم فى نهر من أنهار تلك المراسى وأخطئوا الطريق ، فدخلوا فى بعض خلجان ذلك النهر فوقعوا فى جزيرة فرأوا أمّة من أمم الصين فصار الأبدان على مقدار أربعة أشبار ، ولهم ملكاً منهم يملكهم ويرجعون إليه ، ولهم قرى حسنة بتلك الجزيرة كثيرة الخير والرزق والطير والبطّ والدُرّاج ، وأنّ أهل مملكته لمّا رأوهم استنكروهم لعظم أبدانهم فنادوا بلغتهم أنّ الشياطين قد أقبلوا فسمّوهم الشياطين .

وسئلوا هؤلاء المسافرين عمّا رأوا من العجائب فذكروا أنّ البحّارين يشدّون نشّابة لها نصل على أعلا الصارى ويصيرون ريشها عالياً ونصلها (٢٣٦) سافلاً فإذا أصابتهم شدّة من عواصف الرياح وطغى عليهم البحر وترادفت أمواجه وكثر الرعد والبرق ويأسوا من كل شىء فيروا شيئاً فى البحر كالكوكب الضخم على طرف النشّابة فيكون ذلك علامة السلامة وأماناً لهم من الغرق ، وربّما رأوا ذلك فى الليل ثلاث مرّات وأكثر من ذلك ، ولا يكون ذلك فى ليالى الصحو ، وعامّة ما يرى ذلك فيما بين سرنديب إلى أن يجاوز ميكالوس .

وقال أحمد بن عمر : وكذلك إذا كان وقت هيجان الريح واضطراب الأمواج فى البحر الشامى وجزع أهل السفينة نزل نور على رأس الصارى وربّما تنقّل ذلك النور إلى موضع آخر من السفينة فإذا رأوه البحريّون استبشروا بالسلامة وقالوا : نزل علينا مصباح السلامة .

قال : وذُكر أنّ سمكة يقال لها وال طولها مقدار مائة وأربعين ذراعاً فإذا شربت الماء العذب ماتت ، يكون رأسها قدر باعين وإذا كانت ملقاة بين رجلين قائمين لم يرى أحدهما الآخر ويكون طول جناحيها خمسة أبواع ، وربّما كان جناحها الواحد إذا رفعته فوق الماء كالقلع الكبير ، ولا تؤذّى هذه السمكة إلّا

أن تكون نائمة فلذلك يتيقّضون عامّة الليل لئلّا يمرّون بها وهى نائمة فتخرق السفينة إن مرّت بها .

وذكر أيضاً أنّ سمكة يقال لها بث الأصمّ يزعمون أنّها لا تسمع ولا تؤذّى أحد ولا تعيش فى الماء العذب وإذا الزقت بالسفينة لم تفارقها حتى يبدو لها البرّ .

وذكر أنّ سرطاناً يسمّى نشك يكون فى بلدة تسمّى شرارب قريب من سرنديب ، وأنّها ما دامت فى الماء وهى حيّة يأكلونها فإذا خرجت صارت حجارة .

وزعموا أنّه رأى رجلاً فى غبّ سرنديب (٢٣٧) فى موضع يقال لهموزرة فى غياضها أراد أن يقطع خشباً لإصلاح مركبه فرأى جارية عريانة على طول أربعة أشبار صغيرة الفرج فى رأسها زغب وإنّها هربت منه ، فلمّا وقف أقبلت تنظر إليه فلمّا عاود طلبها ضربت بيدها إلى بعض أغصان شجرة من تلك الأشجار الشاهقة الطول ثم تصلّقت فيها من غير أن تضع رجلها على شىء من تلك الشجرة فرجع عنها ثم إنّه حكى ذلك لأهل تلك البلدة وسألهم عن ذلك فقالوا له : إنّ عند ملكنا رجل منهم فذهبوا به حتى رآه فإذا هو مثل تلك الجارية التى رآها على قدّها وصورتها وخلقها ، وذكره مثل ذكر الرجال إلّا أنّه صغير ، وزعموا أنّ مثله فى تلك الغياض كثير يأكلون ثمر الشجر والجوز واللوز وما أشبه ذلك ولا يتكلّمون إلّا صفيراً .

وذكر أنّه رأى بجزيرة بيومة التى منها إلى قشمير الهند مسيرة خمسة أيّام سنانيراً لها أجنحة كأجنحة الوطواط ولها شعر كشعر الخنازير وهى على صفة القطّ وهو السنّور .

---

(١) يتيقضون : يتيقظون (١٢) تصلقت : تسلقت

قلت : انتهى الكلام فيما وقعنا عليه من العجائب وذلك ما حققناه بالإسناد إلى الثقاة من الرواة ، وما عدى ذلك من الأحاديث الشاذّة فأضربنا عنها لقلة الثقة بناقليها ، ونبتدىء الآن بذكر النار أجارنا الله من عذابها وما أعدّ الله ٣ فيها من العذاب للمجرمين الكافرين ، وأخّرنا ذكرها إلى هاهنا كونهم أجمعوا على أنّها سفلًا وليس بعلوّ ،فاقتضى ذلك أن نذكرها فى الحقوق الأرضيّة ، ونذكر ما ورد فى ذكرها من الأخبار ونتبعه من الآثار ، ونسأل الله أن يجيرنا ٦ من عذابها ويجعلنا من أهل جنّته الداخلين من أبوابها والملتذّين بنعيمها وشرابها .

(٢٣٨) ذكر النار أجارنا الله من عذابها ٩

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله بإسناده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: كنّا جلوساً عند رسول الله ﷺ فسمعنا وجبة، فقال رسول الله ﷺ: ما هذا ؟ قلنا الله ورسوله أعلم ، قال : هذا حجرا أرسل فى جهنم من سبعين خريفاً والآن ١٢ انتهى إلى قعرها ، انفرد بإخراجه مسلم ، والوجبة هى السقطة مع هذه ، وهذا الحديث يدلّ على أنّ النار فى الأرض وقد نصّ عليه ابن سلام وقال : كذا هو فى التوراة ، فإن قيل : ففى حديث المعراج أنّ النبىّ صلّى الله عليه وسلّم قال : ١٥ رأيت الجنّة والنار ولم يقل رأيت النار فى السماء .

قال ابن الجوزى رحمه الله : أنبأنا جدّى بإسناده إلى سعيد بن بشر عن قتادة

---

(٢) الثقاة . الثقات (٩) مأخوذ من مرآة الزمان ٣٧ ب ، ـ ٢١

(١٠) المعجم المفهرس ٧ / ١٤٠ ؛ مسند أحمد بن حنبل ٢ / ٣٧١ ؛ صحيح مسلم ٨ / ١٥٠ ، الجنة .

(١٢) حجرا : حجر مسند ابن حنبل

وفى رواية عن ابن أبى الدنيا عن شعبة ، قال: أخبرنى من رأى عبادة بن الصامت
على حائط بيت المقدّس الشرقى يبكى ويقول : من ها هنا أخبرنا رسول الله ﷺ
٣ أنّه رأى جهنّم ليلة المعراج ، قال : وكذلك سمّى وادى جهنّم ، ويحتمل أنّ الله
تعالى أراه إيّاها فى تلك الليلة كما جلّى له بيت المقدّس ، وذلك أبلغ فى إظهار
القدرة ولأنّ النار حبس والحبس يكون فى جهة السفل بخلاف الجنّة فإنّها بستان
٦ والبستان فى جهة العلوّ .

وروى مجاهد عن ابن عبّاس فى تفسير قوله تعالى : « لها سبعة أبواب » ،
قال : دركات بعضها فوق بعض ، فأوّلها : جهنم ، ثم لظى ، ثم الحطمة ، ثم السعير ،
٩ ثم سقر ، ثم الجحيم ، ثم الهاوية .

قال ابن الجوزى رحمه الله : قرأت على شيخنا أبى اليمن زيد بن الحسن
الكندى رحمه الله قال : قرأت على شيخنا أبى المنصور ابن الجواليقى (٢٣٩)
١٢ رحمه الله قال : اشتقاق جهنّم من قول العرب : ركيّة جِهنّام ، بكسر الجيم إذا
كانت بعيدة القعر .

وكذا قال فى الصحاح : جهنّم من أسماء النار التى يعذب الله بها عباده ، قال:
١٥ ويقال : هو اسم فارسى معرّب ، وركية جهنام بكسر الجيم والهاء ، فأمّا لظى ،
فقال الجوهرى : هى اسم من أسماء النار معرّفة لا تنصرف وأصلها من اللهب ،
وأمّا الحطمة فمن الحطم وهو الكسر لأنّها تحطم ما تلقى ، وأمّا السعير فمن السّعر
١٨ وهو التوقّد ، وأمّا سقر فمن البعد ويوم مسقر ومصقر شديد الحرّ ، وأمّا الجحيم ،

(٧) القرآن الكريم ١٥ / ٤٤ ؛ قارن الجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٣٠
( ) المعرب ١٠٧ (١٤) الصحاح ٥ / ١٨٩٢ آ
(١٦) الصحاح ٦ / ٢٤٨٣ ب

فقال الجوهرى : كلّ نار عظيمة فى مهواةٍ فهى جحيم من قوله تعالى: « قالوا ابنوا له بنياناً فألقوه فى الجحيم »، والجاحم المكان الشديد الحرّ ، قال الجوهرى : وأمّا الهاوية فإنّما يقال : هاوية أى مستقرّهُ فى النار ، قال : والنار تجمع الكلّ وهى مؤنّثة من ذوات الواو ، وتصغيرها نويرة وجمعها نور وأنور ونيران .

وقد جاءت فى ذكر النار أحاديث قال : حدّثنا أحمد بن حنبل حدّثنا عبد الرزّاق حدّثنا معمر عن همام بن منبّه عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ناركم هذه ما توقد بنى آدم جزءاً واحداً من سبعين جزءاً من حرّ جهنّم ، قالوا : يا رسول الله والله إنّها لكافية ، فقال : إنّها فضلت عليها بتسعة وستّين جزءاً كلّهن مثل حرّها ، أخرجاه فى الصحيحين .

وفى الصحيحين أيضاً بهذا الإسناد عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: اشتكت النار إلى ربّها فقالت : يا ربِّ أكل بعضى بعضاً فنفّسنى فأذن لها أن تتنفّس نفسين نفساً فى الشتاء ونفساً فى الصيف فأشد ما تجدون من الحرّ فمن حرّ جهنّم وأشدّ ما تجدون من البرد من زمهرير جهنّم (٢٤٠) فى أخبار كثيرة .

قال أحمد بن حنبل بإسناده إلى حميد بن عبيد يقول : سمعت ثابتاً البنانى يحدّث عن أنس بن مالك عن النبىّ ﷺ أنّه قال لجبرائيل : مالى لم أر ميكائيل ضاحكاً قطّ؟ فقال: منذ خلق الله النار لم يضحك، أخرجه أحمد بن حنبل فى المسند،

---

(١) الصحاح ٥/١٨٨٣ آ (١ـ٢) القرآن الكريم ٣٧/٩٧ (٢) الصحاح ٦/٢٥٣٩ آ

(٧) المعجم المفهرس ٥ / ١٥٨ ؛ صحيح البخارى ٢ / ٢١٩ ، بدؤ الخلق ، باب ١٠ ؛ صحيح مسلم ٨ / ١٤٩ ، الجنة || ناركم ـ جهنم : ناركم هذا التى يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزء من حر جهنم : صحيح مسلم

(١٠) صحيح البخارى ٢ / ٢١٩ ، بدؤ الخلق ، باب ١٠

(١٦) مسند أحمد بن حنبل ٣ / ٢٢٤

وقال أحمد : حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا موسى بن على ، سمعت أبى يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال عند ذكر أهل النار : كل جعظرى جواظ مستكبر جماع مناع ، الجعظرى : الفض الغليظ ، وذكره الجوهرى : وقال : قال ابن السكيت : يقال للرجل إذا كان قصيراً غليظاً جعظارة بكسر الجيم ، والجواظ الجموع للمنوع ، قال الجوهرى : الجواظ والجظ الرجل الضخم ، قال : وفى الحديث : أهل النار كل جعظ مستكبر ، قال : وكذا الجعظ .

ومذهب أهل الحق أن النار مخلوقة ، وقالت المعتزلة والجهمية : لم تخلق بعد لأنها دار تعذيب وجزاء ، وليس هذا وقته ، ودلنا قوله تعالى: «أعدت للكافرين» ، والمعد ما يكون موجوداً ، وما ذكروه فنقول : جهنم حبس العصاة نوجودها أبلغ فى الزجر من عدمها ، وعلى هـذا الخلاف الجنة أيضاً ، وقد تقدم القول بذكرها متعنا الله بها بجواره بمحمد وآله .

ذكر من تحت الأرض من السكان

وهل ذلك خلا أم ملا حسب الإمكان

روى السُدّى عن أشياخه أن لكل أرض سكاناً فسكان الأرض الثانية : الريح العقيم ، وهى التى أهلكت قوم عاد ، وسكان الثالثة : حجارة جهنم التى ذكرها الله تعالى فى قوله : « وقودها الناس والحجارة » ، الآية (٢٤١)، الرابعة : كبريت جهنم ، الخامسة : فيها حيات جهنم ، السادسة : فيها عقارب جهنم كالبغال الدهم وأذنابها مثل الرماح ، السابعة : إبليس وجنوده .

---

(٤) الصحاح ٢ / ٦١٥ ب (٥) الصحاح ٣ / ١١٧١ ب
(٩) القرآن الكريم ٢ / ٢٤ (١٣) مأخوذ من مرآة الزمان ٣٧ ب ، ٦
(١٥) قارن كتاب التبصرة ١ / ١٨٩ (١٧) القرآن الكريم ٢ / ٢٤

وروى عن عكرمة عن ابن عبّاس أنّه قال : فى كلّ أرض آدم كآدمكم ، وهذا القول بعيد ولم يرد به خبر ولا أثر ، وإنّما هو آدم واحد وهو أبو البشر ، وقد أُخذ على أبى العلاء المعرّى قوله (من الطويل) : ٣

وما آدم فى مذهب العقل واحد ولكنه عند القياس أوادمُ

ومن المستحسن فى المعنى قول الآخر (من السريع) :

افترق العالم من آدم واجتمع العالم فى آدمى ٦

فجملة العالم من واحدٍ وواحد من جملة العالمِ

ومذهب الأوائل أنّ الأرض على صفة واحدة كالمحّة فى البيضة وإنّما تختلف أجناسها وليس تحتها سوى الماء ، والله أعلم . ٩

قلت : قد انتهى القول فى ذكر الأرض وخلقها وجميع ما ورد واتّصل بنا من مخلوقاتها وسكّانها ببرّها وببحرها ، وسهلها ووعرها ، جهد الطاقة وحسب الاستطاعة ، وذلك كلّه بمعونة الله تعالى وحسن توفيقه ، ولنتبع ذلك بذكر مقامة ١٢ من مقامات ابن الجوزى رحمه الله فيما يتعلّق بذكر الجنّة والنار ، لما فيها من الأخبار والآثار ، تبصرة وذكرى لأولى الأبصار .

ثم نتلوها بما للعيون يجليها ، وللقلوب يجلوها ، لقول الإمام على عليه السلام: ١٥ إنّ القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد فابتغوا لجلائها طرائف الحِكَم .

وأثبتّ هذا الفصل آخر هذا الجزء لثلاث وجوه : الأوّل : اتّباعاً لهذا الخبر الوارد عن مثل الإمام الأروع والبطل السميدع (٢٤٢) الأسد الواثب ، والليث ١٨ الغالب ، الإمام علىّ بن أبى طالب، الثانى: إنّا ذكرنا الأرض وجبالها ، ورمالها وتلالها ، وبحارها وأنهارها وسكّانها من أممها جنّها وإنسها من مخلوقاتها ، فأحببنا أن نردف ذلك بذكر المحبوب من نباتها ، من أزهارها وثمارها والمستحبّ من ١٢

أوقاتها ، وهو زمن الربيع وما قيل فى جميع ذلك ممّا اخترناه من الشعر البديع ، ووطّئنا لذلك من قولنا منثوراً يفوق المنثور ، ويطابق القريض فى الأثمار ٣ والزهور ، ممّا لعلّه يستحلا حين يستجلا .

الثالث : أنّ شرطنا أن نتلو آخر كلّ جزء من أجزاء هذا التأريخ بذكر فضلاء أوانه ، الكاتبين فى مدّة زمانه ، من أهل المشرق والمغرب ، ونذكر من ٦ أشعارهم ما استملحناه لما لحناه من طبقتى الرقص والطرب ، ولما كان هذا الجزء الأول ليس يختصّ زمانه مخاوق ننقل عنه مااشترطناه من هذه الآثار ، ولا كائن من هذه الأمم المذكورة من نورد عنه أشعار ، أثبتنا هذه المقاطيع الزهريّات ٩ المختصّة بذكر بعض ما فى الأرض من النباتات ، ليكون لهذا الجزء النسبة بما يتلوه من أمثاله ، وإن كان ليس فيهم إلّا من يضاهيه فى مثاله ، ويناظره فى حكمه وأمثاله .

١٢ المقامة الرابعة والأربعون لابن الجوزى رحمه الله

ما زلت أعاهد على أن أتعاهد المواعظ ، وأسعى بوسعى حتى أملأ سمعى من كلّ واعظ ، نخلت بلدتنا مع كثرة العالم من عالم ، فبقيت فيها كالحوت فى البيداء ، ١٥ والضب فى البحر ، ثم سمعت أنّ عربيّاً غريباً قد قدّم وجلس ، فزاحمت مزاحمة من صَدَمَ وصُدِمَ (٢٤٣) حتى جلس ، فحمّدك وسبّحك ودعا ، ثم قال: رحم الله من سمع ودعا ، فتأملته فإذا سوقب دملص ، وإذا سحر كلامه لسحرى يمتضّ ، ١٨ فقلت : إنّ هذه لشجرة وريقة فأنا أغتنم لفظ هذا وريقه ، فأروى بجزع مواعظه كلّ نسيس ، وأهوى بزواجره خدع إبليس .

فجملت ذهنى إلى ما يقال ، فأدرك حفظى من لفظه أن قال : يا بن آدم تفكّر

فى أمرك ، تعرف قصر عمرك وتلمح انقضاض قصرك عند انقضاء عصرك ، فكأنك بك وقد نودى راكب شؤونك ابرك ، وسطت العلل ، فانبسطت انبساط الفلل ، من شونك إلى ظفرك فيا كثرة مرضك ويا قلة صبرك ، ثم جاء الملك فواقعها فانتزعها من صدرك ، ثم ألفيت دليلاً وألقيت فى قبرك ، ورمت فى قفرك قد منيت بعقرك ، ثم تقوم حزيناً يوم نشرك لحشرك ، وينصب لك ميزان ربحك وخسرك ، وربما امتدت يد الفضيحة إلى هتك ستر سترك ، ثم تمشى وأى قدم على جسرك .

فقام شيخ فقال : حيرتنى بزجرك ، فقال : يابعيداً عنا أما تمل طول هجرك ، أما يكفيك بعدظلام الشباب طلوع فجرك ؟ قال : فما حيلتى؟ قال : أدرك واستدرك ويحك والله ما تساوى الملذات أن تخاطر فيها بالذات ، وأى راحة فى لقمات عند الحساب منتقمات ، كم وقعت فى مهـــواة شهوات ، ثم فارقت فأرقتَ وتبعت تبعات فدارك مادمت فى دارك هفوات الفوات ، فما بينك وبين ما إذا نزل من الآفات آفات ، إلا أن تعاين الوفاة وقات ويحك إنما هو صبر مناعة عن الحرام أو للطاعات ، فاز به المتيقظون وفات أهل (٢٤٤) الغفلات ، وثبوا إلى الخير بين جمع وثبات ، فنظر إلى ثباتهم فأعينوا بصبر وثبات ، وتلقتهم الراحة يوم التوفى واندفعت الكربات ، فلو رأيت العاصى وقد استلبته عند الرحيل أيدى النائبات ، أصبح على الخمر والناى ، فانظر أين بعد هـــذا الناى مات ، « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات » .

فقال السائل : بين لى أفعال القسمين ! فقال : بين بين وسم الوسمين ! أما الصالحون نخلصوا نفوسهم من رق الهوى وأعتقوا ، وسمعوا من ذا الذى يقرض

(١٧ - ١٨) القرآن الكريم ٤٥ / ٢١

الله فصدقوا فصدّقوا ، فتراهم بين راكع وساجد إلى المساجد، قد سبقوا ولم يُسبقوا ، فلو عاينتهم فى الدجى وقد استغفروا وتعلّقوا ، وغربوا عن وادى الاعتذار عن الزلل وشرقوا ، وجلوا مراد العين وخلوا ، وطلقوا يتقلقلون كأنهم غرقى قد تشبثوا وتعلقوا ، فإذا جاء النهار هجروا مشتهاهم وطلقوا ، حاسبوا أنفسهم على الكلمات والنظرات وحققوا ، وبالغوا فى الورع وتناهوا ودققوا ، وما كانت معاناة زرود إلّا أيّاماً وأعرقوا .

قال : صف لى من حالهم ، وقت ارتحالهم ! فقال: لمّا نزل الموت وتيقّنوا أنّه آنهْ ، وتقلقلت النفوس بين زفرة وأنّه ، جاء ركابى : « يأيتها النفس المطمئنة » ، فكشف سجاف المنزل فحرّكوا الأعنّة ، فرحلوا فوصلوا فدخلوا الجنّة ، فأرواحهم فى حواصل طير تعلّق من تلك الشجر ، وبقبورهم يستشفى ويستسقى المطر ، فإذا نفخ فى الصور وأعيدت تلك الصور ، جىء النجباء بنجائب مرحلة بالدرّ لا بالشعر فركبوا من قبــورهم إلى قصورهم ما عندهم من (٢٤٥) الحساب خبر ، فتلقاهم الولدان ، ومنع الجـور البرور الخفر ، فإذا التقوا أحضرن مستبشرات بعن حضر ، فلو رأيتهم متّـكئين على الأرائك بعد بُعد تعب السفر ، والكئوس دائرة والقطوف دانية بأنواع الثمر، يجرى تحت القصور جزاء ترك القصور نهر بعد نهر ، فكم من ساقية جارية عليها جارية ساقية يحار فيها البصر ، وعيدان الأشجار تغنّى فتغنى عن عيـدان الوتر ، فإذا اشتاقوا إلى الإخوان نفر نفر إلى نفر فحدّثهم ما كانوا فيه من صيام وسهر ، نالوا بعد أن حدّق يأس مالا يدخل تحت حدّ قياس من الظفر ، والملائكة تدخل عليهم مسلّمة للجدال فى فضل البشر ، وما كفاهم ما أعطاهم حتى تجلّا مولاهم للنظر ، فلا تعبّد مفترض ولا تكاليف معترض ، ولا يقال عرض قد انكسر ، ولا شقـاق ألفة

---

(١٣) البرور : كذ

ولا فراق طرمة ، ولا مشاق كلفة ، لطهارات البشر ، ولا همّ يهمّ ولا غمّ يغمّ ولا تحريم يزمّ ، عن قضاء الواطر ، ولا عناء نصب ولاسقاء تعب ولا لقاء وصب يوجب دموع كدر ، فسبحان من جاد عليهم غاية الجود ، وبلغهم نهاية المقصود ، ٣
ومنّ وما منّ بدوام الخلود ، وهو آخر الأمل المنتظر .

فقال السائل : اذكر لى حال القسم الآخر ! فقال : كم بين من تقدّم ومن تأخّر ، هؤلاء زلّوا بإيثار ما يزول ، واستحلّوا ما يتغيّر ويحول ، تكاسلوا عن ٦
الصلاة ، فإن صلّوها نقصوا وأهملوا جانب الزكاة ، فإن أخرجوا انتقصوا ،غطوا أبصار البصائر بالخمر ، وشغلوا أسماعهم عن الزواجر بالزمر ، وبادروا بارد العيش فإذا البرد جمر ، ورضوا فى الدين (٢٤٦) بالوهى معرضين عن النهى والأمر . ٩

قال : صف لى مآلهم ، وعرّفنى ما لهم ! فقال : كلّما اشتدّ بالقوم عند الموت الألم ، صاح لسان اللوم ألم أقل ألم ، ثم تمزج لهم كؤوس الحسرات بدم ندم ، فيتمنون لما قد صدم العدم ، رحلت اللذّة عن الأفواه وتخلّفت مرارة الأسف ، ١٢
وصار بدر الأمل كالعرجون ثم أمحق وخسف ، واشتدّ عليهم كرب الموت وتحسر به الفوت وعسف ، فإذا الغصن الغضّ قد نحل وشسف ، ثم نقلوا إلى قبر أخصب ما فيه العجب ، وأزرى من تربة زرود النجف ، فلو رأيته بالعاصى ١٥
قد تزلزل ورجف ، ثم يأتى منكر ونكير إلى مقرّ بذنوبه قد اعترف ، فلا يجد مقرّاً ولا مقراً أودى من الحيف ، فعذابه دائم وعتابه قائم على الشرف ، فإذا انشقّ ضريحه ظهر قبيحه ، وانكشف فلقى فى القيامة ما يعجز عن وصفه ١٨
من وصف ، ثم يحمل إلى النيران فيلقى بين الأنتان والجيف ، عقابها عميم ، وشرابها حميم ، وعذابها أليم ، هذا وقد عكف ، مقامعها حديد ، وبلاؤها شديد ،

وقعرها قعر بعيد ، والصديد مكان الصلف ، فيها السلاسل والأغلال ، والمقامع
والأنكال ، وهم بحال أي حال أصلح منها التلف ، تولّى عنهم الأقارب ، فتولّتهم
٣ حيّات وعقارب، كأنّها البغال أو تقارب ، تدنو منهم وتقارب، فإذا اللحم مختطف،
زمانهم ليل حالك ، وضجيجهم ضجيج هالك ، ويستغيثون يا مالك ، وما التفت
ولا انعطف ، عقابهم عقاب وجيع ، ونديمهم بئس القرين والضجيع ، تجرى
٦ الدموع ثم التجيع ، على القبيح الذى سلف ، أفلا مميّز بين الدارين ، أفلا فارق
بين الفريقين (٢٤٧) ، أفلا مغتنم للحين بعد الحين ، بلى من أحضر ذهنه عرف .

فارتجن المجلس ثم ارتجّ ، ولم يبق فيه عين إلّا مجّ ، فمنهم من تعلّق بالمنبر
٩ ومنهم من هجّ ، فانحطّ الشيخ عن كرسيّه وانزجّ ، فإذا أبو التقويم أعرفه
بالحاجب الأزجّ ، فأسرع فتبعته من فجّ إلى فجّ ، فقال : ترانى أهرب وأنت
تطلب يا فج ، فقلت : الصحبة ، قال : نويت الحجّ ، فاجتهدت وألححت فولج
١٢ الدار ولجّ ، فرجعت وما حظيت من حجّته إلّا بالمجّ والثجّ .

تفسير الغريب من هذه المقامة

الشوقب : الطويل ، والدملص : الأملس البراق ، والنسيس : العطش ،
١٥ والغلل : الماء الذى يجرى تحت الشجر ، ومنيت : ابتليت ، وشسف : قحل ،
وارتجن : مثل ارتجّ .

تمت ولله الحمد والمنّة .

ذكر المنظوم والمنثور فى الأثمار والزهور

قلت : كنت قد ألفت قبل هـذا التأريخ عدّة كتب مفيدة تشتمل على
جواهر فريدة : منها : كتاب وسمّيته : بحدائق الأحداق ، ودقائق الحذاق ، ٣
فى جزءين يجمع اثنتا عشرة حديقة ، وتشتمل على معانى دقيقـة وأشمار رقيقة
كلّ حديقة لها عشرة أبواب ، من فنون الآداب .

ومنها كتاب سمّيته : تبر الطالب وكفاية الطالب : لخّصت فيه اثنى عشر ٦
كتاب، من كتب الآداب ، مثل كتاب زهر الآداب ، وكتاب تباشير الشراب،
وكتاب الحيوان ، وكتاب الخراج ، وكتاب أبكار الأفـكار ، وكتاب
ملح الملح ، وكتاب كنز البراعة ، وكتاب الـكامل، وكتاب أدب الكاتب ، ٩
وكتاب الصادح والباغم ، وكتاب المستجاد من أفعال الأجواد ، وكتاب جامع
اللذّة ، فى أربعة أجزاء .

(٢٤٨) وكتاب سمّيته ذخائر الأخائر يشتمل على ثلاثة ذخائر : ١٢
الأولى : ذخيرة الدرّ الثمين فى ذكر الأوائل والمتقدّمين ، الثانية : ذخيرة
الياقوت البهرمان فى تأييـد تنزيل القرآن بالدلائل القاطعة والبرهان ، الثالثة :
ذخيرة اللؤلؤ والمرجان فى خصائص البلدان فى جزء واحد . ١٥

ومنها كتاب سمّيته : معادن الجوهر ورياض المنبر ، يجمع ثلاث معادن
فى عدّة فنون من الأدب فى جزء واحد ، مع عدّة كتب هزليّة ألّفتها فى عصر
الشباب الذى ذهب ، فليتنى أقدر على استرجاعها ومحوها ولو بما أملك من فضّة ١٨
وذهب ، لـكن سارت بها الركبان ، وتعلّقت بأجنحة العقبان ، وعادت كشبابى
الذى لا أقدر على ردّه ، الذى كان كأنّه عارية مستردّة ، فلذلك لم أذكرها ،
وإن كنت لم أحصرها . ٢١

ومنها كتاب ألّفته قبل وضعى لهذا التأريخ المبارك ، وله فى معانيه مشارك ، وسمّيته أعيان الأمثال ، وأمثال الأعيان ، وذلك لما طالعت كتاب كليلة ودمنة
٣ لحكماء الهند ، وعلماء السند ، وإنّ جماعة من الفضلاء الإسلاميّين نسجوا على منواله ، ولم يبلغوا أمثاله ، فمنهم صاحب كتاب الصادح والباغم الشريف أبو يعلى محمّد بن الهبّاريّة رحمه الله ، ومنهم كتاب سلوان المطاع لابن ظفر
٦ رحمه الله ، ومنهم كتاب ثعلة وعفرة لسهل بن هارون الذى كان يسمّى بزرجمهر الإسلام ، ولعمرى لقد أجادوا البلاغة ، وأحسنوا الصياغة ، وفضحوا بمدهم من رام الفصاحة ، أو تجلّا بملاحة ، غير أنّ العهد على شعارهم ، واقتبس من
٩ أنوارهم ، وألّفت هذا الكتاب الذى سأذكر منه ما يليق بذكره فى هذا التأريخ وأقمت دعائمه على اسمين حسان ، تورية عن القلب واللسان فأحدهما وتممته ناطق الظّنين ، والآخر سمّيته حاذق الأمين ، (٢٤٩) فوقع غريب فى أمثاله ، لا يوجد
١٢ مثاله ، إذ هو إسلامى جاهلى ، عربى عجمى ، ملوكى سوقى ، خاصّى عامّى .

وجعلته عشرة محاضرات :

الأوّلة : المحاضرة الربيعيّة ممّا تزهو على الدرّ المنثـــور فى تشابيه الفواكه
١٥ والزهور ، وهى التى أثبتها بجملتها فى هذا التأريخ إذ كلّ سمع للذّة سماعها يسيح .

الثانية : المحاضرة الأوائليّة ، التى بأخبار الأمم القديمة مليّة ، وقد لخّصت منها فى هذا التأريخ أيضاً ، ممّا يزهو بحسنه على الفضّة البيضاء .

١٨ الثالثة : المحاضرة النبويّة المشرّفة بذكر خير البريّة .

الرابعة : المحاضرة الخليفيّة التى كلّ القلوب إلى سماعها مشتهية ، وهذه المحاضرة والتى قبلها وما بعدها من هذا الباب ، موفرة إجلالاً لذلك الكتاب ، للا يكن
٢١ قد أغرنا على جملته ، وأضعنا حرمته .

(٢٠) للا : لئلا

الخامسة : المحاضرة الملوكيّة ، أولى المعانى الزكيّة .
السادسة : المحاضرة الوزرائيّة ، التى لأولى الفضل مرضيّة .
السابعة : المحاضرة القضائيّة التى عن العلماء مرويّة . ٣
الثامنة : المحاضرة الشعرائيّة المشتملة على ذكر الشعراء الأوائليّة والعصريّة .
التاسعة : المحاضرة الفلسفية الصادرة عن أقوال الحكماء المسميّة .
العاشرة : المحاضرة النجوميّة ، المشتملة على ذكر الأفلاك العليّة . ٦

المحاضرة الأولة : وهى الربيعية

حُدّث أنّه كان بجبل إصبهان ، من بعد ما نسفته المزاود ، وأفنته المراود ،
تِنِّين ، له عدّة من السنين ، قد ألف آلاف من الدهور ، وألّف ألفاً من الجحور ، ٩
بين تلك الأحجار والصخور ، وأخاف تلك المسالك ، حتى جفل القاطن ، وقفل
السالك ، وتحاماه الأقران ، وتبادره الشجعان ، إذ ليس يقطع فيه المران ، ولا ينفع
فيه سيف ولا سنان ، (٢٥٠) ودرست تلك الجادة الدوارس ، ولا عاد يفترعها ١٢
راجل ولا فارس ، حتى عادت بكراً عذراء ، لا تخطر على فكر عذراء ، لعظم
شرره وشرّه ، وسمومه وحرّه ، فلمّا تعطّلت تلك الربوع من الساكن والسامر ،
وأمنت وطء الخفّ والحافر ، عظمت أشجارها ، وتكاثفت أثمارها ، وطرز ١٥
الأرض نباتها ونوارها ، وأينعت أزهارها ، وتجاوبت على أفنانها أطيارها ؛
شحرورها وبلبلها وقمريّها وهزارها ، وتكسّرت على حصبائها أنهارها ،
وأمالت الأرواح من الأشجار أغصانها ، تقبّل فى الروض أوجه غدرانها ، ١٨
فكلّما زمر النسيم صفق الغدير على نغمات تلك الأطيار باختلاف ألحانها ،
فعادت كقول ابن وكيع فى زمن الربيع (من الكامل) :

فَرَش الفضاء بأصفرٍ وبأحمرِ وبدت لنا حُلَل الربيع الأزهرِ
وأما على أثر الشتاء كأنه إقبالُ جَدٍّ بعد أمرٍ مُدْبرِ
٣ وكأنّ ذلك كان وجهَ محذَّرٍ وكأنّ هذا جاء وَجهَ مبَشَّرِ
وَرْدٌ كوجنة كاعبٍ قد موزحتْ فتراجعتْ خجلاً بفرطِ تخفّرِ
وكأنّما التآريخ فى أغصانه أكرٌ خرِطن من العقيق الأحمرِ
٦ وكأنّ نور البــاقلاء دراهم قد ضُمّخت أوساطها بالعنبرِ
وكأنّما الأترجّ أكؤسُ عَسْجَدٍ ولها مقابضُ من حريرٍ أخضرِ
والنرجس الريّان بين رياضةٍ يرنو بعين الباهت المتحيّرِ
٩ والجلّنار يُريك من أثوابه نوعين بين مزعفرٍ ومُعصفرِ
فالآن فاغْدُ إلى الخلاعة والصبا لا تصغين إلى العذول المكْثِرِ

أو كما ذكرنا من المنقول ، لأبى إسحق الأندلسى حيث يقول : (من
١٢ الكامل) :

(٢٥١)وعشيّة كم بتّ أرقب وقتها سمحتْ بها الأيّامُ بعد تَعذُّرِ
نلنا بها آمالنا فى جنّة أهْدت لنا سفها شميمَ العنبرِ
١٥ والروضُ بين مفضّض ومذهّب والزهر بين مُدَرْهَمٍ ومدنّرِ
والوُرق تشدو والأراكة تنثنى والشمس ترفل فى قميص أصفرِ
فكأنّه وكأنّ خضرة شطّه سيف تعلّق من نِجادٍ أخضرِ
١٨ وكأنما جنّاته محفوفة بالآس والنعمان خدُّ مُعذَّرِ
نهرٌ يهيم بحسنه من لم يهم ويجدّ فيه الشعر من لم يشعرِ
ما اصفرّ وجه الشمس عند غروبها إلّا لفرقة حسن ذاك المنظرِ

(١ـ١٠) ديوان ابن وكيع ٦٣ ، رقم ٣٥ ؛ قارن حلبه ٣٦٠

وقوله (من الخفيف) :

في رياض أريضة تشرب فيها السواري أعلامها المُعلمات
بين صفر وبين حمر كلونَي أوجه الخائفاتِ الخَجِلاتِ ٣
ضاحكاتٍ إلى بروق توالت إذ توالت في شربها باكياتِ

وكقول ابن وكيع أيضاً في الربيع (من الطويل) :

ألست ترى وشيَ الربيع المُنَمْنَما وما رصَّع الربعي فيه ونظّما ٦
فقد حكّت الأرضُ السماء بنورها فلم أدرِ في التشبيه أيّهما السما
فخضرتها كالجوّ في حسن لونه وأنوارها تحكى لعينيك أنجُما
قُمْ فاسقني ما حرّموه فما أرى من العيش حلواً غير ما قيل حُرِّما ٩

وكقول ابن سهل فيه الذى كاسم أبيه (من الكامل) :

الأرضُ قد لبستْ رداءً أخضرا والطَلُّ يَنثُرُ في رُباها جوهَرا
فاحت فخِلتُ الزهر كافوراً بها وحسبتُ فيها التُربَ مِسكاً أذفرا ١٢
وكأنّ سَوسَنَها يصافح وردَها ثغراً يقبّل منه خدّاً أحمرا
والنهر فيه والنبات يحفّه سيف تَعلّق من نِجادٍ أخضرا
(٢٥٢) وجرت بصفحته الصبا فحسبتَه كفّاً تُنَمّق في الصحيفة أسطُرا ١٥
والطيرُ قد قامت عليه خطيبةً لم تتّخذ إلّا الأراكة منبَرا

وكقول من صدق في جلق (من البسيط) :

في جِلّقٍ نزلوا حيث النعيم غدا مطوّلاً وهو في الآفاق مختصرُ ١٨

(٦-٩) ديوان ابن وكيع ٩٣ ، رقم ٣٥
(١١-١٦) ديوان ابن سهل الأندلسي ١٦٣ ، ٤ ، رقم ٥٤ / ١ - ٤

(١٢) فاحت : هاجت الديوان (١٣) ثغراً : ثغر الديوان
(١٤) والنهر - سيف : والنهر ما بين الرياض تخاله سيفاً الديوان

القضب راقصة والطير صادحة والنشر مرتفع والماء منحدرُ
وقد تجلّت من اللذات أوجهها لكنّها بظلال الدوح تستترُ
٣ وكلّ وادٍ به موسى يفجّره وكلّ روض على حافاته الخِضْرُ

وكقول من شكره وجب فى حلب (من الكامل) :

خلع الربيع على الرياض ملابساً رفلت بها فى جِدّةٍ وشبابِ
٦ فتباشرتْ أغصانُها وتعانقتْ حَلْيها كتعانق الأحبابِ

وكقول بعض القوم وقد أتى الربيع فى الصوم (من الكامل) :

انظرْ إلى نَور الربيع وزهرِه فى الصوم كيف يُجَيِّش الأطرابا
٩ فكأنّه مستحسن مستظرف نصب الصدود لعاشقيه حجابا
وكأنّما سترت محاسنُ وجهِها معشوقةً جعلتْ عليه نِقابا
وكأنّما خُلق الربيعُ كواكباً وكأنّما خُلق الصيام سحابا
١٢ والزهر يكتب فى الرياض لناظر شوّال أفلح من أعدّ شرابا

ولم يك أطبع من قول ابن القوبع (من البسيط) :

هذا الربيع أتى والصوم فى قرن وكيف يصنع ذو الآداب والطرَبِ
١٥ كأنّما هو معشوق أتى حَذَراً فصدّ عنه المنّا لحظَ مرتقبِ
(٢٥٣) والله لولا أمور أنت تعلمها هتكت بالراح ما أرخاه من حُجُبِ
حتى ألذّذَ بالدنيا وزينتها ذى حرفة الفقه- لا - ماقيل فى الأدبِ

١٨ رجع الكلام إلى القوّين المسمّى بظَنين

وكان ظنين قد حُصّ بنطق اللسان ، وعلّمه الرحمن علم البيان ، وخُلق ملهوماً عالم ، من غير امتزاج بالعالم ، فخرج يوماً من جُحره ، يتيس إعجاباً فى

كبره ، ظانّا أنّ ليس له شبيه فى عصره ، وأنّ لا سبيل إلى نفاذ عمره ، فحدّق
إلى تلك الحدائق بالأحداق ، وكان من أدقّاء الحُذّاق ، والوقت وقت الخليع ،
كونه زمان الربيع ، والنور فى كلّ يوم يزيد ويهيج ، والأرض قد أنبتت من ٣
كلّ زوج بهيج ، وحدائق النرجس قد حدقت بأحداقها لمّا رأت عرائس السرو
وقد شمّرت عن ساقها ، ورنت إلى الأقحوان ، لمّا أراد لثم شقائق النعمان ، فقال
ما ألذّ أوقاتى ، فهذا الوقت الذى قال فيه ابن الساعاتى (من الكامل) : ٦

ما الجوّ إلّا عنبرٌ والدّوحُ إلّا جوهرٌ والروضُ إلّا سُندسُ
سفرتْ شقائقها فهمّ الأقحوا نُ بلثمها فرنا إليه النرجسُ
فكأنّ ذا خدّ وذا ثغرٌ بجا وله وذا أبداً عيونٌ تحرسُ ٩

وليس فى قوله متهم بل برىء ابن الصنوبرى (من الكامل) :

ياريم قومى الآن ويحكِ وانظرى ماللرياض قد أظهرتْ إعجابَها
كانت محاسنُ وجهها محجوبةً فالآن قد كشف الربيعُ حِجابَها ١٢
وردٌ بدا يحكى الخدودَ ونرجسٌ يحكى العيونَ إذا رأت أحبابَها
والسروُ تحسبه العيونُ غوانياً قد شمّرتْ عن سُوقِها أثوابَها
(٢٥٤) لو كنتُ أملكُ للرياض صيانةً يوماً لما وطىء اللئامُ ترابَها ١٥

ثم نظر إلى الورد وحقّق ، فإذا هو بين مفتق ومحقّق ، ومذهّب ومعقّق ،
كأحقاق ياقوت أحمر ، فكعبة بزبرجد أخضر ، قد ضمّت على شذور من التبر
الأصفر ، قد عطر بشذاه الأكوان ، وجمع من الحسن اللوان ، فبين أحمر قانى ، ١٨

---

(٧) ــ (٩) ديوان ابن الساعاتى ٢ / ١٦٤ ، ٤ ؛ جوهر الكنز
(١١) ــ (١٥) ديوان الصنوبرى ٤٥٤ ، ٦ ، رقم ١٣

---

(٩) فكأن ــ ثغر : فكأن ذا ثغر وذا خد الديوان (١٠) ابن : غلط ابن الدوادارى
(١١) للرياض : للربى الديوان (١٨) اللوان : ألوان

لخدود القيانى ، أو لخمر القنانى ، ومضاعف قيان ، كوجنات الفتيان ، المضرّجة بالاحمرار ، أو كشعلة من نار ، وأبيض يقق ، قد كلّل الطلّ منـه الورق ،
٣ كواضح غيداء كلّله العرق ، عندما مازحها عاشقها ، من بعد ما عانقها ، فرشح جبينها اليقق خجل ، حتى عاد يضرب به المثل ، فصاح العاشق : ياالقومى ! هـذا والله كقول ابن الرومى (من البسيط) :

٦ قالت وفى كفّها ورد تجمّشنى ... يا حسن حمرته سقياً لجانيهِ
فقلت خدّكِ لو أبصرتُ حمرته ... أدقّ والله عندى من معانيهِ
الورد يقطف فى إبّان زهرته ... وورد خدّك لا ينفكّ أجنيه

٩ ولابن المعتزّ فى تشبيه وردة مفردة (من الطويل) :

سقانى وحيّانى حبيبى بوردة ... على نغمة منه وحسن سماعِ
فجاءت تحاكى وجنةً ذهبيّةً ... وقد تقطعت من فوقها ماعى

١٢ ولابنِ الحجّاج فى معشوق مليح القوام ممشوق : (من السريع) :

جنى من البستان لى وردة ... أحسن من إنجازه وَعْدى
قال والوردة فى كفّـــــه ... مع قدح أذكى من النَدّ
١٥ هنيئاً لك يا عاشقى ريقى ... من كفّى على خدّى

ومن التشبيه فيه (من البسيط) :

أما ترى شجرات الورد طالعةً ... منها بدائع قد ركّبن فى قضبِ
١٨ كأنّهنّ يواقيتٌ يُطيف بها ... زبرجدٌ وسطه شذرٌ من الذهبِ

(٦) ـ (٨) الشعر ناقص فى ديوان ابن الرومى
(١٠) ـ (١١) الشعر ناقص فى ديوان ابن المعتز
(١٣) ـ (١٥) حلبة ٢٣٩ ، ٧ ـ ٧
(١٧) ـ (١٨) ديوان على بن جهم ١١١ ، ـ ٢ ، رقم١٣ ؛ حلبه ٢٣٨ ، ٨ (منسوب إلى محمد بن عبد الله بن طاهر) ؛ نهاية الأرب ١١ / ١٨٩ ، ١٠ (منسوب إلى محمد بن عبدالله ابن طاهر وعلى بن جهم) ؛ ديوان المعانى ٢ / ٢٣ ؛ معاهد التنصيص ١ / ١٧١ ؛ زهرالآداب ٥٢٤ ، ـ ٤ ؛ شرح المقامات الحريرية ١ / ١٥١ ، ١٥ ؛ ألف ليلة ٢ / ٤١٠ ، ـ ١٢

(١١) فوقها ـ ماعى : كذا (١٤) مع قدح أذكى : بكفه أزكى حلبة

(٢٥٥) ونظيره لابن وزير الجزيرة (من الرمل) :

إن أتاك الورد لا تعـ ـتبه في طول المغيب

فقد كفاه خجلاً في خدّه الغض الخضيب ٣

لا تقابله بغير الـراح أو وجه الحبيب

واطرد النرجس عنه إذ حكا لحظ الرقيب

ولأبي عامر في الورد الباكر (من المتقارب) : ٦

أتتك أبا عامر وردة يحاكي لك الطيب أنفاسها

كعذراء أبصرها مبصر فغطّت بأكمامها رأسها

ومن محاسن التشبيه فيه (من المنسرح) : ٩

ووردة في بنانِ معطار جيابها في ضمير أسراري

كأنّها وجنة الحبيب وقد نقطها عاشق بدينارِ

ومن القول العلي للسقلي (من السريع) : ١٢

كأنّما الورد الذي نشره يعبق من طيبِ معاليكا

دماء أعدائك مسفوكة قد قابلتْ بيض أياديكا

---

(٧) ـ (٨) حلبة ٢٤٠ ، ٢١ (منسوب إلى أبي العلاء صاعد بن الحسن البغدادي) ؛ نهاية الأرب ١١ / ١٨٩ ، ؛ مطالع البدور ١ / ٩٥ ، ٩ (دون نسبة) ؛ غرائب التنبيهات ٨٣ ، ٢ (منسوب إلى صاعد اللغوي الأندلسي) ؛ ألف ليلة ٢ / ٤١٠ ، ١٩ (دون نسبة)
(١٠) ـ (١١) حلبة ٤٢ ، ٥ (منسوب إلى أبي طاهر الرفا) ؛ نهاية الأرب ١١ / ١٩٠ ، ـ ٥ (منسوب إلى أبي طالب الرقي) ؛ ديوان ابن المعتز ٢ / ٢٨٩ ، رقم ١٣٩ ؛ غرائب التنبيهات ٨٢ ، ٩ ؛ يتيمة الدهر ١ / ٢٩٩
(١٣ ـ ١٤) حلبة ٢٤١ / ـ ١٠ (منسوب إلى أمية بن أبي صلط الداني لكن لا يوجد في الديوان)

---

(٣) فقد : كذا
(١٠) في ضمير : في خفي ديوان ابن المعتز ، غرائب التنبيهات ، يتيمة الدهر

وقول ابن بسّام الذى بغيره لا نسام (من البسيط) :

أما ترى الورد يدعو للورود على ... حمراء صافية فى لونها صُهُبُ

٣ مداهنٌ من يواقيت مركبة ... على الزبرجد فى أجوافها ذَهَبُ

خاف الملالَ إذا طالت إقامته ... فصار يظهر أحياناً ويحتجبُ

وممّا فيه ذكر الورد من هذا السرد لابن سكّرة (من المنسرح) :

٦ فى وجنة إنسانةٍ كلفتُ بها ... أربعةٌ ما اجتمعن فى أحدِ

الخدّ وردٌ والصدغ غاليةٌ ... والريق خمر والثغر من بَرَدِ

وفى الورد الأحمر والأبيض لابن الرومى (من البسيط) :

٩ أهدت إلىّ يد نفسى الفداء لها ... الوردَ نوعَين مجموعين فى طَبَقِ

كأنّ أبيضَه فى وسط أحمرهِ ... كواكبٌ طلعتْ فى حُمرة الشَفَقِ

(٢٥٦) ولابن المعتزّ فى المعنى لمن يتمعنى (من الخفيف) :

١٢ أطلع الحسن من جبينك شمساً ... فوق ورد بوجنتيك أطلّا

وكأن العِذار خاف على الور ... د جَفافاً فمد عليه بالشعر ظلا

---

(٢) ــ (٤) حلبة ٢٣٨ / ٤ (دون نسبة) ؛ نهاية الأرب ١١ / ١٨٩ ، ــ ٢ (منسوب إلى ابن طاهر وابن بسام) ؛ شرح المقامات الحريرية ١/١٥١ ، ــ ٥١ ؛ ديوان المعانى ٢/٢٣ (٣ فقط) ؛ محاضرات الأدباء ٤ / ٥٨٥ (منسوب إلى ديك الجن ، ٤ فقط) ؛ ديوان ديك الجن ١٥٢ ، رقم ٩ ؛ نظم ٤ / ١٥٣ ، ٣ ؛ Basim le Forgeron 98,16

(٦) ــ (٧) تأريخ بغداد ٥ / ٤٦٦ ؛ من غاب ٨٢ ؛ خاص الخاص ١٦٧ ، ٦ ؛ إعجاز ٨٢ ، ١٥

(٩ ــ ١٠) ديوان ابن المعتز ٢ / ٦٢٣ ، ــ ٢ رقم ١٠٩٣ ؛ حلبة ٢٤١ ، ــ ٧

(١٢ ــ ١٣) صرار المجالس ١١٦ (منسوب إلى ظافر الحداد أو معز الدولة)

---

(٩) أهدت ــ الفداء : أهدت إلى التى نفسى الفداء الديوان

(١٠) فى وسط ــ طلعت : من فوق أحمره كواكب أشرقت الديوان

ومن هجو ابن الرومي فيه في التشبيه (من البسيط) :

يا مادح الورد ما ينفكّ من غَلَطِهْ أما تأملته في كفّ ملتقطِهْ
كأنه مُرمُ بغلٍ حين أبرزه إلى الخراءة باقي الروث في وسطِهْ ٣

وقوله (من الكامل) :

خَجِلتْ خدودُ الورد من تفضيله خجلاً توردُها عليها شاهدُ
لم يخجل الورد المضاعف لونه إلا وناحِلُه الفضيلةَ عائدُ ٦

أوّلها يقول :

للنرجس الفضلُ المبين وإن أبى آبٍ وحاد عن الطريقة حايدُ
أين الخدود من العيون نفاسةً ورياسةً لولا القياسُ الفاسدُ ٩
إنّ الكواكب وهي التي ربّتهما بحيا السماء كما يربّي الوالدُ
فانظر إلى الولدين من أدناهما شَبَهاً بوالده فذاك الماجدُ

فقال أبو الحسن المصري في الردّ عليه (من الكامل) : ١٢

يا من تشبّه نرجساً بنواظرٍ دُعْجٍ تَنَبَّهْ إنّ ذهنك فاسدُ
إن القياس لمن يَصِحّ قياسُه بين العيون وبينه متباعدُ
أو قلت إنّ كواكباً ربتهما بحيا السحاب كما يربى الوالدُ ١٥

---

(٢) – (٣) ديوان ابن الرومي ٤ / ١٤٥٢ ، ٣ – ٣ ، رقم ١١٠٧ ، ٢–٣
(٥) – (٦) ديوان ابن الرومي ٢ / ٦٤٣ ، ٣ ، رقم ٤٧٠ ، ١ – ٢
(٨) – (١١) ديوان ابن الرومي ٢ / ٦٤٣ ، ٣ رقم ٤٧٠ ، ٦ ، ١٤ ، ١٢ ، ١٣
(١٣) – (١٥) سمط اللآلىء ٥٩٤ ، – ١١ (منسوب إلى أحمد بن يونس الكاتب) ؛ زهر الآداب ٥٢٣ ، – ١٠ ؛ مطالع البدور ١ / ١٠١ ، – ٣ ؛ عنوان المرقصات ٧٣ ؛ حلبة ٢٣٤

---

(٢) أما – في : ألست تبصرة في الديوان
(٣) حين – الخراءة : حين يخرجه عند الرياث الديوان
(٥) عليها : عليه الديوان (٦) المضاعف : المورد الديوان || عائد : عاند الديوان
(٩) أين الخدود من العيون : أين العيون من الخدود الديوان
(١١) فانظر إلى الولدين : فتأمل الاثنين الديوان

فانظر إلى المصفرّ لوناً منهما   وافطَنْ فما يصفرّ إلّا الحاسدُ

وقوله ينتصر للورد ويقصد الردّ (من الرمل) :

٣ أصبح الورد أميراً   وله النرجس عبدُ
جالس هذا وهذا   قائم يقلق وجدُ
وكذا كلّ أمير   هو فى الإمرة فردُ

٦ وقول حمّاد بن بكر فى الورد (من الكامل) :

الوردُ أحسن منظراً   فتمتّعوا باللحظ مِنْهُ
فإذا انقضت أيّامه   أنت الخدود تنوب عَنْهُ

٩ وقول الطوسى (من المجتثّ) :

الورد عندى أحسن   من جوهر الياقوتِ
فذاك لا عَرف فيه   وذا كمسك فتيتِ

١٢ وممّا يلتحق بذكر الورد من رقّة الشعر (من المنسرح) :

يا قبلةً نلتُها على دهشٍ   من ذى دلالٍ مهفهفٍ غنجِ
قد حيّر الحسن غنج مقلته   والورد توريد خدّه الضرجِ
١٥ إذا انثنى أو قام معتدلاً   قال له الغصن أنت فى حرجِ
قد قسم الحسن مقلتيك   بالقسم بين الفتور والدعجِ
قل لهما يرفقا بقلب فتًى   طويت أحشاؤه على وهَجِ

١٨ وممّا فيه ذكر الورد (من الوافر) :

سقانى ثمّ نقّلنى بلثمٍ   على عجلٍ وحيّانى بوردِ

---

(٧) نهاية الأرب ١١ : ١٩٠ ، ٧

---

(٧) أحسن ـ باللحظ : أحسن منظر تستمتع الألحاظ نهاية الأرب
(١٥) انثنى : كذ

وشمّر ساعداً فيه رسوم بقلبي مثلها من حرّ وجدِ
فكان كفضّة سبكت عموداً عليها أسطر اللازوردِ

أوّله :

وضبي زارني من غير وعد نعمت بوصله بأتمّ سعدِ

(٢٥٧) النرجس

وأمّا النرجس فقد قام على ساق ، يرنو بنواظر كالأحداق فلمّا عاد كعيون الرقباء والحساد ، جعل اصفراره فكان السواد لتتعانق غصون البان ، ولتتمكن من ملاحظته في أمان ، وترشف الشمس نداً كالراح ، في كؤوس الأقاح ، ويجتمع الورد والآس ، في سوالف خدود كلّ ذي قدّ ميّاس ، فطامن البنفسج برأسه حنقاً من الآس وحياء من الناس ، فخاطبه الريحان ، بقلب منكسر غير فرحان: أظنّك يامالك الزهور ، أضحيت غيور لإغارة الآس ، على سوالف الأكياس ، إذ أنت أحقّ بالتقدّم منّا ، وبك غناء عنّا ، وكلّ ذلك لإغضاء عيون النرجس في هذا المجلس ، فلذلك أمن الآس ، لما تمعنى قول أبي نواس : (من الطويل) :

لنا نرجس غضّ القطاف كأنّه إذا ما مَنَحْناه العيونَ عيونُ
مخالفة في شكلهنّ فأصفر مكان سوادٍ والبياضُ جفونُ

وكأنّه فاز لما فرّ بقول ابن المعتزّ (من الطويل) :

وعجنا على الروض الذى طلّه الندا وللصبح في ذيل الظلام حريقُ
كأنّ عيون النرجس الغضّ بينهُ مداهنُ دُرٍّ حشوهن عقيقُ
إذا بلّهنّ القطرُ خلتَ دموعَها بكاء جفونٍ كحلهنّ خلوقُ

(١٤–١٥) ديوان أبي نواس ٥٩٩ ، ٤ ــ ٥
(١٧–١٩) ٢/ديوان ابن المعتز ٦١٩/٢ ، ٢ ، رقم ١٠٨٥

(٤) ضبي : ظبي (١٤) لنا نرجس : لدى نرجس الديوان
(١٥) فأصفر : فصفرة الديوان (١٧) في ذيل : في ثوب الديوان

ولقوله (من المتقارب) :

وأحسن ما فى الوجوه العيونُ وأشبه شىء بهـا النرجسُ

٣ تظلّ تلاحظ عين النديم فريداً وحيداً فيستأنسُ

وكأنّ الآس وعى أيضاً قول أبى نواس (من الـكامل) :

غُضّى جفونك ياعيون النرجس حتّى أفوز بقبلة من مؤنسِ

٦ فلقد تحير إذ رآك شواخصاً ترمقنه بلواحظ المتفرسِ

فأجابنى بحلاوة وفصاحة لم تحرس . . . . . .

قبل جبينك ما استطعت فإن من عاداتنا كتمان سر المجلسِ

٩ (٢٥٨) ومن التشبيه فيه لأبى فراس الحمدانى (من السريع) :

كأنّما النرجس فى روضةٍ وقد أتته الريح من قُرْبِ

أقداح ياقوت تعاطيكها أناملٌ من لؤلؤٍ رَطْبِ

١٢ ومن الفاخر قول الآخر : وهو ابن المعتزّ (من الوافر) :

تنزّه فى رياض الأرض وانظر بدائع ما صنـــــع المليكُ

عصىّ من زبرجد قائمات على أطرافها الذّهب السّبيكُ

١٥ عيونٌ من لُجَينٍ شاهداتٌ بأنّ اللهَ ليس له شريكُ

(٢ ـ ٣) ديوان ابن الرومى ٣ / ١٢٣٤ ، ـ ٧ ، رقم ١٠١١ ؛ ديوان عبـد الله بن طاهر ، رقم ٢٢ ؛ حلبة ٢٣٠ ، ـ ٤ ؛ نهاية الأرب ١١ / ٢٣٥ ، ٣ ؛ ربيع الأبرار ١ / ٢٧٠ (دون نسبة) ؛ مطلع الفوائد ٢٤١ ، ٦ (منسوب إلى ابن الرومى)

(٥ ـ ٦) حلبة ٢٢٩ ، ٥ ؛ مطالع البدور ١ / ٩٩ ، ـ ٣ ؛ محاضرات الأدباء ٢ / ٣٣٧ ، ١٣

(١٠ ـ ١١) الجماهر ١٢١ ، ـ٢ (منسوب إلى الصنوبرى) ؛ ديوان الصنوبرى ، ذيل رقم ٢٧ ، ١ ـ ٢

(١٣ ـ ١٥) ديوان ابن المعتز ٣ / ٤٠٥ ، ٤ ، رقم ٣٩٦ ؛ حلبة ٢٣٣ ، ـ ٧ (دون نسبة) ؛ فتح الرحيم الرحمن ١٥٢ ، ـ ٧

(٣) تنزه : تأمل الديوان || بدائع ما : آثار ما الديوان (٧) كذا

(١٤) عصى ـ السبيك : عيون من لجين ناظرات على أحداقها ذهب سبيك الديوان

(١٥) عيون ـ شاهدات : على قضب الزبرجد شاهدات الديوان

وقوله (من المنسرح) :

نرجسةٌ لا تزال قائمةً لم تكتحلْ قطُّ لذةَ الغمْضِ

أمالها القطرُ وهي باهتةٌ تنظر فِعْلَ السماء بالأرضِ ٣

وإلى ذلك يومىء ابن الرومى (من الوافر) :

قضيبُ زبرجدٍ تعلو عليه عيون لم تذق طعم اغماضِ

توهّمت السحاب لها رقيباً فنكّست العيون إلى الرياضِ ٦

وممّا فيه ذكر النرجس (من الوافر) :

سعى ساق إلىّ بكأس خمرٍ وباقةِ نرجسٍ فسقّى وحيّا

فلم أر مثله بدراً منيراً سقى شمساً وحيا بالثريّا ٩

البنفسج

فقال البنفسج : إن كان الآس غار على السوالف ، فأنا بالعذار آلف ، فإذا انقضت دولتى بمرور الزمان ، استنبتك تقوم مقامى أيها الريحان ، فإنّ لك ١٢ بى فى العذار تشبّه ، ولا بدّلك عليه من وثبة ، ودَع الآس ولا باس ، فإنّه أخينا فى الاشتراك ، ولا بدّ لك عند وثبك أن تتّصل بذاك ، ثم تقلَعا جميعاً وتقطع النزاع ويقع الاصطلاح ، إذا طلعت نجوم الصباح ، وأقبلت دولة الياسمين والأقاح ، ١٥ وكن فى أيّام دولتك مدارى ، واعى لما قال خليل عذارى (من الطويل) :

أقول لخلّى حين ألقى بنفسجاً بقرب عذارٍ للغرام يُهيّجُ

(٢٥٩) أعيذك فرّقْ بين هذين فارتأى زماناً وقال الكلّ عندى بنفسجُ ١٨

(٢ ـ ٣) ديوان ابن المعتز ٢ / ٦٠٩ ، ـ ٢٢ ، رقم ١٠٧١

(٥ ـ ٦) حلبة ٢٣٣ (دون نسبة) ؛ المستطرف ٢ / ٢٨٢ ، ـ ٩ (دون نسبة)

(٢) قائمة : محدقة الديوان

هذا وقد نجم من جمه وازهرّ ، كياقوت أزرق فى أطباق زمرّد أخضر ،
وقد أمال برأسه ، وعطّر الكون بأنفاسه ، فياحسنه من نشر فيّاح ، وزهرٍ
٣ إليه كلّ النفوس ترتاح ، فرتبته بين الأزاهر ، كالبدر بين النجوم الزواهر ،
فهو كما قال الشاعر (من البسيط) :

للوردِ فضل على كلّ الرياض على أنّ البنفسج أذكى منه فى للهجِ
٦ كأنه وعيون الناس ترمقه آثارُ قرص <بد> فى خدّ ذى غنجِ

ومن البديع كقول ابن وكيع (من البسيط) :

بنفسج جُمّعَتْ أوراقُه فحكت كُحلًا تشرّب دمعًا يوم تشتيتِ
٩ كأنّهُ وضعافُ القُضْب تحمله أوائلُ النار فى أطرافِ كبريتِ

ومن التشبيه فيه لابن الرومى (من الكامل) :

اشربْ على زهر البنفسج قبل تأنيب الحسودِ
١٢ فكأنّما أوراقه آثار قَرْصٍ فى خدودِ

(٥ ــ ٦) المستطرف ٢ / ٢٨٢ ، ــ ٩ (دون نسبة)
(٨ ــ ٩) حلبة ٢٤٧ ، ٤ (منسوب إلى ابن المعتز) ؛ ديوان ابن المعتز ٢ / ٥٢٧ ، رقم ٩٨٣ ، ١ و ٣ ؛ نهاية الأرب ١١ / ٢٢٦ ، ــ ١ ؛ مطالع البدور ١ / ١٠٦ ، ٥ (دون نسبة) ؛ ديوان المعانى ٢ ، ٢٤ ؛ ديوان ابن الرومى ١ / ٣٩٤ . ٢ و ٤٠ ، رقم ٣٢٣ ، ١ و ٣
(١١ ــ ١٢) نهاية الأرب ١١ / ٢٢٨ ، ٥ (منسوب إلى أبى الحسن الشاطى وابن الرومى ؛ ديوان المعانى ٢ / ٢٥ (منسوب إلى ابن الرومى)

---

(٦) بد : المستطرف

وممّا يلتحق بالمعنى قول بعضهم (من الكامل) :

ومعذّر قال الإلاهُ لوجهه كن جامعاً للطيبات فكانَهُ
زعم البنفسج أنّه كعذاره سفهاً فسلّوا من قفاه لسانَهُ ٣

الآس

فلمّا وعى الآس من البنفسج مقاله ، انتصر لحاله ، وقال وهو بين الأزهار ، وقد زاد فى الاخضرار ، تأمّل إلىّ أيّها الأخ الخليل ، والسيّد الجليل ، كيف ٦ حاورت الورد ، من بعد ما كنت فرد ، وزمانى بزمانه متّصل ، فمن قصد تشبيه حدّ بالاحمرار وعذار بالاخضرار ، فباجتماعنا قد حصل ، فلك الآن الاعتذار كيف صرت أحقّ منك بالعذار ، وإنّما أنا قانع بالسوالف ، حتى إنّى لا أخالف ٩ ولا عليك أحالف (٢٦٠) ، لكن أملك لقلب الخليع ، ومستحقّاً قول ابن وكيع (من الطويل) :

خليلىّ ما للآس يعشق نشره إذا هبّ أنفاس الرياح العواطرِ ١٢
حكى لونه أصداغ ريمٍ مُعَذّرٍ وصورته آذان خيلٍ نوافرِ

(٢ ـ ٣) ديوان المعانى ٢/ ٢٤ ، ـ ٢ (منسوب إلى العسكرى) ؛ ديوان المعانى ١ / ٢٤٩ ؛ مطالع البدور ١ / ١٠٥ ؛ خاص الخاص ١٦٦ (منسوب إلى أبى العباس أحمد بن إبراهيم الضبى) ؛ لإيجاز ٨٢ ؛ أسرار البلاغة ٢٦٤ ؛ شعر أبى هلال العسكرى ١٥٧ ، رقم ١٢ ، ١ ـ ٢ ؛ ديوان العسكرى ٢٢٤ ، ـ ٣
(١٢ ـ ١٣) حلبة ٢٥٠ ؛ نهاية الأرب ١١ / ٢٤٢ ، ـ ٦ ؛ ديوان ابن وكيع ٦٣ ، رقم ٣٤

---

(٢) ومعذر ـ فكأنه : ومغنج قال الكمال لوجهه كن جمعاً للطيبات فكانه ديوان العسكرى
(٣) سفها : حسناً ديوان العسكرى (١٢) يعشق : يعبق نهاية الأرب

وقوله (من السريع) :

وغادةٍ أهدت إلى إلفها قضيب آس زاد فى ظَرْفِها

٣ كأنّما خُضرةُ أوراقه بَقيّةُ الحناء فى كفّها

ولابن المعتزّ فى الآس (من المجتثّ) :

يقول لى الآس قل لى علامَ تكثُر لثمى

٦ فقلت أشبهتَ عندى عذارَ من لا أُسمّى

وله فيه (من الكامل) :

آس كأنّ غصونه فى كفّ ظبى أغيدِ

٩ قضبان قد كللت فيها فصوص زبرجدِ

الريحان

فأجابه الريحان ، وهو يتمايل فى دوحه كالسكران الفرحان، دات نشر فيّاح ،

١٢ يحيى بشذاه الأرواح ، بجماجم كجماجم الرؤوس ، أو كبرادة الآبنوس ، وقال : لقد تعدّيت طورك أيها الآس على أولاد الناس ، وليس من يباع بالفلوس كمن تفزع فى ثمنه الأكياس ليكون حضرة بين الكؤوس ، فالعاقل من عرف

١٥ قدره ليقام عذره ، كيف تناظر أمير الرياحين فى كلّ وقت وحين ، وإنّما أنت فاجر كما قال الشاعر (من الوافر) :

إذا عدل الأمير فلا عجيب إذا جارت رعيّته عليه

١٨ وأنا نِظرك بل كبيرك ، فلو تعلّمت مثلك بهذه الرتب ، وأسأت الأدب ، لكان يحقّ لى أن أهتزّ ، إذا سمعت قول ابن المعتزّ (من الطويل) :

(٢ ـ ٣) نهاية الأرب ١١ / ٢٤٢ ؛ ٤

---

(٣) الحناء فى : الحنا على نهاية الأرب (٩) قضبان ـ كللت : كذا

قضيبٌ من الريحان شاكلَ لونُه إذا ما تبدا للعين لون الزبرجدِ
فشبهته لما بدا متجعّداً عذار تبدا فى سوالف أغيدِ

أو كالقول البديع لابن وكيع (من الكامل) : ٣

وقضيب ريحان كأنّ نباته عذراء تمرح فى قميصٍ أخضرِ
قد تُوّجت بدم وضُمّخ رأسها وتطيّبت من فوقه بالعنبرِ

ولابن وكيع فى الريحان الحماحم (من المجتثّ) : ٦

هذا الحماحم زهرٌ فيه حياة النفوسِ
كأنّه حين يبدو بُرادة الآبنوسِ

وله فيه (من الوافر) : ٩

وريحانٍ يتيه بحسن زهر يطيب بشمّه شرب الكؤوسِ
كسودان <كُسوا> قمصان خزٍّ على قصب مغطّاة الرؤوسِ

وأنشدنى بعض فضلاء العصر فى الريحان ، ويعرف فى العرب بالحبق (من ١٢ البسيط) :

إن كنت تنعت نبتاً فابدأ بالحبق واستنشق المسك مفتوقاً من الورقِ
كأنّ أوراقه والقضب تحملها زمرّد العقد منظوماً على عنقِ ١٥

(١ – ٢) ديوان ابن المعتز ٣ / ٢٦٨ ، ٣ – ٤ ، رقم ١٠٢ ؛ المستطرف ٢/٢٨٥ ، ١١
(٧ – ٨) ديوان ابن وكيع ٨٠ ، رقم ٤٢
(١٠ – ١١) حلبة ٢٥١ ، ١٣ ؛ (دون نسبة) ؛ نهاية الأرب ١١ / ٢٥٤ ، ٤ (دون نسبة)

---

(١) شاكل : شابه الديوان || تبدا : بدا الديوان || الزبرجد : الزمرد الديوان
(٢) فشبهته – أغيد : وشبهته لما تأملت حسنه عذاراً تدلى فى عوارض أمرد الديوان
(١٠) يتيه – زهر : يميس على غصون حلبة
(١١) كسوا – خز : لبسن ثياب خضر || على – الرؤوس : وقد وقفوا مكاشف الرؤوس حلبة

وكقول من عزّ لما بزّ ابن المعتزّ (من الطويل) :

وباقة ريحان كعقد زبرجد حوتْ منظراً للناظرين أنيقا

٣ إذا شمّها المعشوق حكت اخضرارها ووجنته فيروزجاً وعقيقا

وقوله (٢٦١) (من الوافر) :

وريحان بدا فى حسن زهر يطيب بشمّه شرب الكؤوسِ

٦ كسودانٍ أتوا فى قمص خضر وانطلقوا مكاشيف الرؤوسِ

البـان

هذا والبان ، قد تفتق أكمامه فبان ، فماد كتوت علاه اخضرار ، لولا

٩ تزغّب ثوبه مع الاصفرار ، وكلّ إليهما الأنفس تائقة ، هذا لمشتمّه وهذا لذائقه ،

فياحسنه من زهر قد فاق ، وعطّر بذكا شذاه الآفاق ، زمانه أطيب الدهور ،

كما إنّه أشرف الزهور ، وهو مع ذلك صاغى ، لما بين الآس والريحان من التناغى ،

١٢ فلمّا فهم منهما ذلك المقال ، تقدّم وقال : أراكما منذ اليوم تتناغيان ، وأنتما باغيان ،

أما تعلما أن لولا رشاقة القدود ، لما استحسنت حمرة الخدود ، ولا تحقيق النهود ،

ولولا لين المعاطف ، لما استملحت خضرة السوالف ، ولا استعذبت خمرة المراشف ،

١٥ وأنا الذى بمدحى يتحلّا كل مادح ، وعلى أغصانى تغرّد الطيور الصوادح ،

وبى يشبه كلّ قدّ فتّان ، من القدود الحسان ، من القيان والفتيان ، فيقال لكلّ

(٢ ـ ٣) حلبة ٢٥١ ، ـ ١١ (منسوب إلى أبى سعيد الإصفهانى) ؛ نهاية الأرب ١١ / ٢٤٢ ، ٧ (دون نسبة) ؛ نهاية الأرب ١١ / ٢٥٤ ، ـ ١ (منسوب إلى الإصفهانى)

(٥ ـ ٦) قارن ص ٢٩٣ ، ١٠ ـ ١١

---

(٢) وباقة ـ زبرجد : وشمامة مخضرة اللون غضة حلبة

(٣) حكت : خلت حلبة

قوام فتّان ، كقضيب البان ، فأمّا الذى شبّهنى بأذناب الثعالب ، فإنّه أبعد ولم يقارب ، فمن أين لتلك الأذناب القباح أرجى الفيّاح، الذى إليه كلّ النفوس ترتاح ، وهو هذا البيت الفذّ ، الذى ظنّ قائله أنّه ليس له ندّ (من الكامل) : ٣

والبان شبه ثعالبٍ مكسوحة قد كشّفت أذنابها

وأمّا التشبيه المنصف ، فقول المصنّف :

كأنّ البان والتوت تشابها في رؤية العين لا في الخبر ٦

فهذا لنا ريحه عطراً وذاك لنا طعمه كالسكر

(٢٦٢) وقوله :

انظر إلى البان فى دوحه مائساً تميله الأرواحُ فى جنّة الخلد ٩

شبّهته لمّا انثنى فى رياضه قوام قدّك فى أغصانه الملد

الأقحوان

فقطع عليه الأقحوان وصاح : أين أنت يا صاح عن الإقاح ، ذى الأرج ١٢ الفيّاح ، وزين الرُّبى والبطاح ، المشبّه به ثغور الملاح ، فلولا نقاء الثغور لم يكن حسن مذكور ، فالثغور غاية الأمل ، ومحلّ اللثم والقبل ، فأنا الشبيه بالشعراء ، وفى وصفى بالثغور أكثرت الشعراء ، وكلّ لقوله انتصر ، فمنهم من أجاد ومنهم ١٥ من قصر ، وأجمع أهل المعانى ، أنّه لم يُقَل كهذين البيتين للنابغة الذبيانى (من الكامل) :

تجلوا بِقادِمتَىْ حمامةِ أيكةٍ بَرَدًا أُسِفَّ لِثاتُهُ بِالإثمِدِ ١٨

كالأُقحوانِ غداةَ غِبِّ سمائِهِ جَفَّتْ أعالِيه وأسفلُه نَدِى

(١٨ ــ ١٩) ديوان نابغة ٩٤

(٦ ــ ٧) و (٩ ــ ١٠) مضطرب الوزن

وفى التشبيه فيه (من البسيط) :

تبسّم الأقحوان الغضّ إذ خجلت خدودُ وردٍ بحسنِ اللون منعوتِ

٣ كأنّه- عاشق قد سره محضر المعشوق فافتر عن بيض . . .

وفيه والأقحوان مع الشقيق (من المتقارب) :

كأنّ الشقائق والأقحوان خدود تقبلهن الثغورُ

٦ فهاتيك يخجلهن الحيـــاء وهاتيك يضحكهن السرورُ

السوسن

فقال السوسن ، وقد يقق بياضه ، وتقطّرت بشذاه أحواضه ، وهو يميس ،

٩ كخود فى ثوب نفيس ، أو كخلق نضيف على جسم مليح ، وقد لعبت بأذياله الريح وذلك الخلق النضيف ، لبس المضيف ، أنا شريكك فى اللون الأزهر ، لـكنّي أذكى منك وأعطر ، فأنا الزهر النفيس ، المتشبّه بى أذناب الطواويس ،

١٢ فاسمع ما قال الخليع ، فى ذى المعنى البديع (من البسيط) :

سقياً لأرض إذا ما نمتُ نبهنى بها الصبا وقرع النواقيسِ

كأنّ سوسنها فى كلّ شارقة على الميادين أذناب الطواويسِ

١٥ (٢٦٣) وسقياً ورِيّاً لقول أبى زكريا (من المتقارب) :

مررت بسوسنة سحرةً وقد رنّح الطلّ أهدابها

(١٣ـ١٤) حلبة ٢٤٩، ـ ٧ (منسوب إلى أبى نواس) ؛ نهاية الأرب ١١ / ٢٧٥، ـ ١ (منسوب إلى الأخيطل الأهوازى)؛ ديوان ابن المعتز ٣ / ٣٠٧ ، رقم ١٨٤ ؛ ربيع الأبرار ١ / ٢٦٩ (منسوب إلى مهرم بن خالد العبدى)

---

(٣) عن بيض : كذا

(١٣) بها ـ قرع : بعد المجوع بها ضرب حابة || نبهنى بها الصبا : أرقنى بعد الهدوء نهاية الأرب ١١ / ٢٧٥ ، ـ ١

(١٦) سحرة : كذا

ـريك بمقلوبها خيمةً وقد مزّق الريح أطنابها

وفى هديته (من السريع) :

بعثت بالسوسن لما غدا تصحيفه للمبهج سوء «يبينْ» ٣

وقلت لما غدا رافعاً أنمله يدعو بهذا آمينْ

الياسمين

وقال الياسمين وقد تطرّف بياضه بالاحمرار كشفق علا فى أوّل النهار ٦
أو كعضّة صبّ ذو لهيب فى أنامل الحبيب ، فطاب حصاده لما حلّ فصاده ،
وعبق بنشره ، فوجب مدحه وذكره ، لما غلب على نشر كلّ زهر خدّاه بعطره
وشذاه : أنا الياسمين ، من بدائع خلقة ربّ العالمين ، أيّها السوسن فلأنّك ملسّن ٩
فأنا منك أعطر وأحسن ، بحضورى تطيب المجالس ، وأنت قائم وأنا جالس ،
وأنا المشبّه بالكواكب ، وبالنجوم الثواقب ، وبنهود الكواعب ، ولست
أفارق حضرة الأجواد ، واسمع ما قال فىَّ ابن عبّاد (من المنسرح) : ١٢

كأنّما ياسميننا الغضُّ كواكبٌ فى السماء تنقضُّ

والطرف المحمر فى جوانبه نهود عذراء مسها عَضُّ

ومن المختار قول ابن الأبّار (من الوافر) : ١٥

حديقة ياسمينٍ لا تهيم بغيرها الحَدَقُ

إذا خفن الغمام بكى تبسّم ثغرها اليَقَقُ

كأطراف الأهلّة سا ل فى أفنائها الشفقُ ١٨

(١٣–١٤) نهاية الأرب ١١ / ٢٣٧ ، – ٢؛ شرح المقامات الحريرية ١ / ١٥١ ، ١٧

---

(١٣) تنقض: تبيض نهاية الأرب

(١٤) والطرف – مسها : والطرق الحمر بواطنه تحد عذراء منه نهاية الأرب

ولابن الرومى إلى تشبّهى بومىء (من المنسرح) :

كأنّما الياسمين حين بدا من كفّ ظبيء أتى به عجبا

٣ صلبان دير بدت معطرة ينشرها ذو الدلال أن لعبا

أو درهم الصرف حين ينثره ذو جدّة يوم عرسه طربا

(٢٦٤) الشقيق

٦ هذا والشقيق قد جلك وأقنّ ، فجلّ من أبدع وأتقن لخمرته كالعقيق ، أو كخدّ عاينه أنيق ، وقد زُيّن من المسك بخال ، إذا كان من الخال خال ، أو كشبه خود هُتكت حجابها ، لفقد أحبابها ، وضمخت بالدماء أثوابها :

٩ (من الرجز) :

شعرها كقلبه اسودادا وخدّها كلونه احمرارا

أو ككؤوس من عقيق ، بها بقيّة من أسود الخمر العتيق ، أو كما قيل

١٢ من البديع كقول ابن الرومى أو ابن وكيع (من السريع) :

يا هل ترى أطرف من يومنا قد قلّد الأُفق جيدَ العقيقْ

وأنطق الورق على عيدانها مرقصة كلّ قضيب وريقْ

١٥ والشمس لا تشرب خمر الندا فى الروض إلّا بكؤوس الشقيقْ

وروى : . . . . قلّد جيد الأفق طوق العقيق

ويروى : وأنطق الورق بعيدانها . . . .

١٨ والأصحّ أنّه لأبى جعفر .

ومن التشبيه لابن الرومى فيه (من السريع) :

شقيقة شقّت على الورد ما قد ألبستْ من بهجة الصبغِ

كأنّها من حسنها وجنة يلوح فيها طرف الصُّدغِ ٣

وقول الآخر (من الخفيف) :

ما ترى الأرض خضراء من النبت وحمراء من نبات الشقيقِ

كسماء من الزبرجد فيها طالعاتٌ كواكبٌ من عقيقِ ٦

ومنه للمعرّى (من الكامل) :

هذا الشقائق قد أتانا زائراً من بعدِ جفوته وبُعد مزارِهِ

فكأنّ أحمره وأسوده معاً خدّ الحبيب ملاصقاً بمدارِهِ ٩

أو وجه زنجىّ بثوب أحمر لبس القميص فعيق من أزرارِهِ

ومنه لابن الرومى (من الكامل) :

حيّيته بشقائق فى مجلس ورأى الرقيب فشقّ ذاك عليهِ ١٢

فاحمرّ من خجل فأنبت خدّه أضعافَ ما دفعتْ يداى إليهِ

(٢ ـ ٣) نهاية الأرب ١١ / ٢٨٤ ، ٨ (دون نسبة)
(٨ ـ ١٠) حلبة ٢٥٢ ، ١٤ (دون نسبة ، ٨ و ٩ فقط)
(١٢ ـ ١٣) المستطرف ٢ / ٢٨٣ ، ـ ٩ (دون نسبة)

---

(٢) من بهجة : من كثرة نهاية الأرب
(٣) من : فى نهاية الأرب (٥) ما ـ الشقيق : كذا
(٨) من ـ وبعد : من بعد غيبته وطول حلبة

وله وأبدع (من الكامل) :

من شاء تشبيه الشقائق فليقل كنساء ثكلى قد خرجن نوائحا

٣ (٢٦٥) ألبسن أردية الدماء شناعةً ونشرن شعراً ثم قمن صوائحا

ولابن المعتزّ فى الشقيق وأبدع (من المجتثّ) :

قم سقّنى يا رفيقى من السلاف الرحيقِ

٦ أما ترى الطّلّ يبدو على احمرار الشقيقِ

كلآلئٍ ضمنتها مداهن من عقيقِ

النيلوفر

٩ والنيلوفر قد أحسن كلّ الإحسان ، وظهر فى عدّة ألوان ، فعاد فى حسنه المنعوت ، بين أحمر وأزرق كالياقوت ، مع عدّة ألوان أُخَر ، نزهةً للبصر ، يغيب وقت المغيب ، وجلاً من لحظ الرقيب ، فإذا أمن من الظلام ، ظهر ضاحكاً

١٢ ذو ابتسام ، قد بات ليله فى عيش خصيب ، إذ فاز بمعانقة الحبيب ، أمناً من نظر الحسود الرقيب ، فليله فى عناق ، ونهاره ذات ألسُنٍ ظاهرة بتسبيح الخلّاق ، فلرقّة هذه المعانى قال فيه الإصفهانى (من السريع) :

١٥ وبركةٍ أحيا بها ماؤها من زهرها كلّ نبات عجيبْ

كأنّ نيلوفرها عاشق نهاره يرمق وجه الحبيبْ

حتى إذا الليل دنا جنحه وانصرف المحبوب خوف الرقيبْ

١٨ أطبق جفنيه عسى فى الكرى يبصر من فارقه عن قريبْ

(١٥ــ١٨) نهاية الأرب ١١ / ٢٢١ ، ــ ٤ (منسوب إلى أبى بكر الزبيدى الأندلسى)؛ محاضرات الأدباء ٢ / ٥٨١ (منسوب إلى أبى عبد الله)

---

(١٧) الليل دنا : بدا نجمه نهاية الأرب

ومن ذلك ما الجاد له يهتزّ قول ابن المعتزّ (من السريع) :

وبركةٍ تزهو بنيلوفرٍ ... نسيمه يشبه ريح الحبيبْ

نهاره مبتسم ضاحك ... حتى إذا الشمس دنت للمغيبْ ٣

أطبق كمّيه على رأسه ... وغاص فى البركة خوف الرقيبْ

ولابن الرومى فيه (من السريع) :

ناولنى طاقة نيلوفر ... محشوة من شعر الزعفرانْ ٦

وقال شبّهها فشبّهتها ... بحُقّ ياقوت على خيزرانْ

وللملك السعيد ابن أرتق صاحب ماردين (من السريع) :

فى بركة الخابور أبصرت ... ما يقصر عنه كلّ إبلاغِ ٩

ولاح نيلوفرها حاكياً ... تلوينه أنمل صبّاغِ

ولم يكن أكثر تلويناً من النيلوفر بالخابور .

ولأبى إسحق الخولانى (من البسيط) : ١٢

نيلوفر شكله كشكلى ... يعوم فى أبحر الدموعِ

مثل مسامير مذهبات ... فى حلقات من الدروعِ

ولبعضهم وقيل هو الشافعى رحمه الله (من البسيط) : ١٥

باكرت يوماً إلى النيلوفر النضرِ ... إذ كان صَبّاً ورؤيا الصّبّ من وطرى

فاصرن بكرا أجفانه برَكٌ ... قد بات منها غريق الدمع والسهرِ

حتى إذا أيقضته الشمس طالعةً ... وأطلع الرأس إطلاع الفتى الحذرِ ١٨

عاتبتُه أينام المستهام كذا ... حتى الصباح إن ذا منى أعجب الخبرِ

(٢ ـ ٤) نهاية الأرب ١١ / ٢٢٤ ، ٩ (دون نسبة)؛ حلبة ٢٥٣ (دون نسبة)؛ المستطرف ٢ / ٢٨٣ ، ٤ (منسوب إلى تميم بن المعز) ديوان تميم بن المعز ٨٢ ، ٢ ـ ٣

---

(١٨) أيقضته : أيقظته

فقال لا رغبةً فى النوم بل وعدوا طيفاً فتمنيت لهم نوما منظر
أما ترى بين أجفانى احمرار دمى إذ بتّ أغمضها غضباً على الار

٣ ولبعض المصريين ما فوق على الدرّ الثمين (من السريع) :

وبركة حُفّت بنيلوفر أوصافه بالحسن منعوته
كأنّما كلّ قضيب له يحمل فى أعلاه ياقوته

٦ ومن القول النفيس لابن حمديس (٢٦٦) (من السريع) :

اشربْ على بركة نيلوفر محمرّة الأوراق خضراء
كأنّما أزهارها أخرجت ألسنة النار من الماء

٩ ومن المستجاد قول أبى عبد الله الحدّاد (من السريع) :

رأيت فى الأزهار نيلوفراً وقد أرانى منظراً أزهرا
تفاءلت نفسى بتصحيفه فعنده النبل لها والقرا

١٢ وفى هديّته (من السريع) :

نيلوفر قدّمته متحفاً فاقبلْه يا مولاى من عبدكا
أهديته إذ لاح لى كلّه أنسنةً تُثنى على مجدكا

١٥ النسرين

والنسرين فاسمه إذا صحّفته تقرّ به العين ، وإذا تفألت به كان يسرين ، قد جمع بين الصفرة والبياض ، فكأنّه العيون المراض ، لولا الصفر بمكان السواد ،

(٤ ـ ٥) حلبة ٢٥٣ ، ٨ و ١٠ ؛ ديوان ابن المعتز ٢ / ٥٢٦ ، ـ ٤ ، رقم ٩٨٢ ، ١ و ٤ ؛ ديوان المعانى ٢ / ٢٨ (دون نسبة)
(٧ ـ ٨) ديوان ابن حمديس رقم ٣٠ ؛ نهاية الأرب ١١ / ٢٢٢ ، ـ ٢ (دون نسبة)؛ ديوان ابن المعتز ٢ / ١٧ ، رقم ٥٩٩ ؛ عنوان المرقصات ٦٩ ، ٤ ؛ كنز الدرر ٧ / ٣٩٤ ، ١

---

(٤) حفت : تزهو الديوان

لـكان هو القصد والمراد ، فياحسنه من زهر ذكىّ الأنفاس ، محبوب إلى قلوب الناس ، كأنما الطلّ على أوراقه ، دموع كاعب آلمها إلفها بفراقه ، فبياضه كخدودها ، ودموعها كطلّه لفقيدها ، فياله من نبات لطيف ، كما قال الطوسى ٣ الشريف (من السريع) :

كأنّما النسرين لما بدا يصفرّ فى الأبيض عند المغيبْ
متيّم فارقه محبوبه مستعجلاً قبل حضور الرقيبْ ٦

الثامر

وأمّا الثامر ، ففى الربيع قد اضمحلّ ، إذ ليس بزمانه ، من بعد ما كان متلعّباً فى أغصانه ، فعاد فى زهره مزرور ، وهو فى أعالى شجره محصور ، فهو بين الأزهار ٩ كالضيف ، إلى أوان الصيف ، فحينئذٍ يظهر فى (٢٦٧) لونه الأصفر كنبات الأصفر ، وقد عطّر نشره وفاح ، على رؤوس الربا والبطاح ، فيا له من زهر طريف ، كما قال الطوسى الشريف (من السريع) : ١٢

كأنّما الثامر فى روضة لو لم يكن ذا أُرَجٍ طيّبِ
مدّ به من شَعَرٍ أصفر يومى بها أو ذَنَب الثعلبِ

الجلّنار ١٥

والجلّنار ، قد زاد فى الاحمرار ، وحكى خدّ معشوق ذى خمار ، من شرب العقار ، كأنّه أحقاق من عقيق ، على قضبان زمرّد أنيق ، أو كخود بمعجز زعفران عذرا ، على غلالة حمرا ، تمرح بين أترابها ، وتميس بإعجابها ، تملك قلب ١٨ العاشق من غمزة ، فهى كما قال ابن حمزة (من الرجز) :

وجلّنارٍ مشرقٍ على أعالى شجرهْ
كأنّ فى رؤوسه أحمره وأصفرهْ
٣ قراضة من ذهب فى خرق معصفرهْ

وما أحسن هذا الرجز لابن المعتزّ :

ألا ترى البستانَ كيف نوّرا وَنَشَر المنثورُ بُرداً أصفرا
٦ وفَرَجَ الخشخاشُ فيها وفَتَقْ كأنّه مَصاحفُ بِيضُ الوَرَقْ
أو مثل أقداح من البلُّورِ تخالها تجسّمتْ من نُورِ
تُبصِرُه بعد انتثار الوَرْدِ مثلَ الدّبابيس بأيدى الجُنْدِ
٩ وضَحِكَ الوردُ إلى الشقائقِ واعتنقَ الغصن اعتناقَ الوامقِ
والسَّوسَنُ الموفق منشورُ الحُلَلْ كقُطُنٍ قد مسّه بعضُ بَلَلْ
وجلّنارٍ كاحمرار الخَدِّ أو مثل أعرافِ دُيوكِ الهِنْدِ
١٢ وهى طويلة وهذا ملخّصها ، والقصد منها ذكر الجلّنار .

(١ ـ ٣) حلبة ٢٥٤، ١ ـ ٣ (منسوب إلى أبى نواس) ؛ نهاية الأرب ١١ / ١٠٤، ١ ـ ٢ (منسوب إلى أبى فراس الحمدانى)؛ محاضرات الأدباء ٢ / ٥٨٠ (منسوب إلى الحمدونى)؛ المستطرف ٢ / ٢٨٤ ، ـ ٣ (دون نسبة) ؛ يتيمة الدهر ١ / ٣٩ ، ـ ٥ ؛ غرائب التنبيهات ٨٣ ، ـ ١ (منسوب إلى أبى فراس) ؛ معاهد التنصيص ١ / ١٦٩ ، ١٧ (منسوب إلى أبى فراس)

(٥ ـ ١١) ديوان ابن المعتز ٢/ ٥٤٠ ـ ٥٤٤ ، رقم ٩٩٦

---

(٢) رؤوسه : أغصانه نهاية الأرب
(٣) خرق : خرقة حلبة ، نهاية الأرب
(٦) فيها : جيباً الديوان
(٧) أو مثل أقداح : صار كأقداح الديوان || تخالها : كأنما الديوان
(٩) الغصن : القطر الديوان || الوامق : وامق الديوان
(١٠) الموفق : الأزاذ الديوان

(٢٦٨) للمنثور

والمنثور ، كالدرّ المنثور ، فى الرياض مبثور ، قد جمع بين النّور والنور ، قد تنوّع فى صبغته ، فسبحان من ذى الصبغة صبغته ، وذى الصنعة صنعته ، فهو بين ٣
أزرق سماء ، وأبيض ماء ، وأحمر قانى ، وأصفر فاقع ، يسرّ الناظرانى ، مع عدّة الوان ملهيات ، متنوّعة من هذه الأمّهات ، تنزّه الناظر ، وتهيم الخاطر ، فأصفرها
كالدينار ، وأحمرها كالجلّنار ، وأبيضها يقق ، على خضرة ذلك الورق ، وكذلك ٦
الفيروزج الأزرق ، وهو فى رياضه ملتزّ ، كما قال ابن المعتزّ (من السريع) :

أصبح ذا المنثور منثورا   يبهر فى الحسن الدنانيرا
كأنّه منطقة فصلت   تبراً وياقوتاً وكافورا ٩

وقوله : (من السريع) :

انظر إلى المنثور ما بيننا   وقد كساه الطلّ فصبّغا
وقد أصاغته أيدى الحياء   من سائر الياقوت صائغا ١٢

وعلى هذا القياس لأبى نواس (من الطويل) :

وأنواع منثور تحاكى نعوته   إذا ما بدا
فأبيضه يحكى الوصال   بمن غدا يعذبنى بالمطل ١٥
وأصفره جسمى العليل   بهجره وأحمره دمعى ادا

ومن القول المعتدل لابن للمَذَّل (من الوافر) :

ومنثور حططت إليه رحلى   وقد طلعت لنا شمس النهارِ ١٨
كأنّه جواهر من كلّ فنّ   مخلطه صغار مع كبارِ

(١٨ - ١٩) ناقص فى ديوانه

(١٤) نعوته - بدا : كذا (١٥) بمن - بالمطل : كذا (١٦) واصفره - ادا : كذا
(١٩) مضطرب الوزن

ومن غريب الأمثلة قول عرقلة (من السريع) :

قد أقبل المنثورُ ياسيدى كالدرّ والياقوت فى نَظْمِهِ
ثناك لا زال كأنفاسِهِ ومُخٌّ من يسناك مثل اسمِهِ ٣

(٢٦٩) رجع الكلام إلى التنين المسمى ظنين

فلمّا انتهى تأمّله إلى تلك الرياحين والزهور ، وفهم بمعقوله ما قيل فيها من منظوم ومنثور ، فكان خاتمة هذا الفصل المنثور ، رفع إلى العلوّ بصره ، وحقّق ٦ نظره ، فإذا الأشجار تميس ، كأذناب الطواويس ، وتلك الأشجار قد ثقل حملها بالأثمار ، فالنخلة وجنيها ، كالنحلة وجنيها ، أو كالحبلة وجنيها . وكذلك سائر الأشجار ، قد أوسقت من الثمار ، ممّا ينزّه الأبصار ، وتحيّر فى صفاته الأفكار ، ٩ صنوان وغير صنوان ، تسقى بماء واحد ، فالويل كلّ الويل للكافر الجاحد ، وإذا شجرات السرو بين تلك الربا والأزهار ، كعرائس تجلا فى حلل الاخضرار ، أو كغيد تجللوا بالشعور ، وشمّروا أثوابهم عن سوقهم بين تلك المروج المنثور ، ١٢ أو كشموع مجلّلة ، فى مشاهد مبجّلة ، أو كرايات على سمر الرماح ، كما قال ابن وضّاح (من الطويل) :

أياسروُ لا يعطشْ منابتك الحيا ولا يرعن أشجارك الورقالنضرُ ١٥
لقد كسيت أعطافك الملد مثلما يلفّ على الخطىّ ر باته الخضرُ

التفاح

هذا ، والتفّاح ، قد عطر وفاح ، وعاد فى خضرة أوراقه بين الأزاهر ، كخضرة ١٨ السماء وقد زُيّنت بالنجوم الزواهر ، فالأنفس إليه تتوق ، إذ جمع بين لونَى

(٢ ـ ٣) ديوان عرقله ٩٤ ، ٥

(٣) ومخ من يسناك : ومح من يسنوك الديوان

عاشق ومعشوق ، فياحسنه من ثمر قد أينع ، وأفنّ وافتقع ، وجمع من المحاسن صنوف وألوان ، ما يكلّ لعدّتها لسان الإنسان ، إن كان مأكولاً ، فكان مأكولاً ظريف ، أو مشموماً ، فكان مشموماً لطيف ، وإن بُعث رسولاً ٣ كان نجيح ، وإن جعل نديماً (٢٧٠) كان مليح ، ترتاح إليه النفس ، وتسكن إليه الحواسّ الخمس ، فهو لذيذ المسّ ، حسن الاسم فى الحسّ ، حلو المذاق ، عطر الاستنشاق ، نزه المنظر ، كأنّه خدّ معشوق أحمر ، فلمّا كملت نعوته ، وجب ٦ أن نذكر من مفعوته (من الطويل) :

فتًى جمع العلياء علماً وعفّةً ... وبأساً وجوداً لا يفوق مُذاقا
كما جمع التفّاح حسناً ونظرةً ... ورائحةً محبوبةً ومذاقا ٩

ومن النادر لعبد الله بن طاهر (من السريع) :

لم أر كالتفّاحِ فى مجلسٍ ... أذكا ولا أقضى لحاجاتِ
إنّ الذى يأكل تفّاحةً ... لجاهلٌ حقّ التحيّاتِ ١٢

ولهذا يومىء ابن الرومى فى تفّاحة (من المنسرح) :

أرسلنى عاشق لحاجته ... فجئت بين الرّجاء والأَمَلِ
لا تُخجِلَنّى بالردّ حسْبك ما ... ترى بخدّى من حُمرة الخجلِ ١٥

(٨ ـ ٩) نهاية الأرب ١١ / ١٦٧ ، ٦ (منسوب إلى أبى الفتح البستى) ؛ ديوان أبى الفتح ٢٨٥ ، ٨ ؛ زهر الآداب ١٠١١ ، ـ ٢ ؛ التمثيل والمحاضرة ٢٧٠ ؛ يتيمة الدهر ٤ / ٢٩٨ ؛ تحفة الوزراء ٢٦

(١٤ ـ ١٥) ديوان ابن الرومى ٥ / ١٨٩٤ ، ٣ رقم ١٤٥٥

---

(٩) ونظرة : ونضرة

(١٤) لحاجته : بحاجته الديوان || والأمل : والوجل الديوان

وآخر (من المنسرح) :

عضضت تفّاحة فعاتبني فتىً رآها كخدّ معشوقه

٣ فقال خدّ الحبيب تأكله فقلت لا بَلْ أمُصّ من ريقه

ولابن المعتزّ ممّا له يهتزّ (من الطويل) :

وتفّاحة من سوسن صيغ نصفها ومن جلّنار نصفها وشقائق

٦ كأنّ الهوى قد ضمّ من بعد فُرقةٍ بها خدّ معشوق إلى خدّ عاشقِ

السفرجل

ولا ينكر فضل السفرجل ، إذ هو بين الأثمار الأمير الأحلّ ، فعزّ خالقه

٩ وجلّ ، فرياضه كرياض الجنان ، وأشجاره كالحور الحسان ، وزهره فى اللون كورد مضعف ، وطعمه كالشهد حين يقطف ، فإذا تكامل وراق ، (٢٧١) وظهرت مواقع مفرداته بين اخضرار الأوراق ، تخاله كأكر من عسجد ،

١٢ قد علت على كلّ غصن أملد ، قد صاغها صانع بديع ، حكيم عليم بصير سميع ، قد أتقن ما صنع ، وأحسن ما جمع ، فألبسها ثوب من زغب ، على حقّ من ذهب ، تميس فى خضرة وشباب ، تبصرة لأولى الألباب ، فمن القول البديع لابن وكيع

١٥ وقيل لابن حمزة وهو الصحيح (من المجتثّ) :

نصف السفرجل ثدى والشطر تحسب سرّهْ

فمن أحبّ رآه فما يغادر درّهْ

(٢ ـ ٣) نهاية الأرب ١١ / ١٦٧ ، ـ ٥ (دون نسبة) : محاضرات الأدباء ٢/٣٤٧ ، ٦ (منسوب إلى الجزارزى) ؛ ديوان المعانى ٢ / ٣٧ (منسوب إلى نصر بن أحمد)

(٥ ـ ٦) حلبة ٢٥٧ ، ٣ (دون نسبة) ؛ نهاية الأرب ١١ / ١٦٤ ، ـ ٢ (منسوب إلى أبى بكر بن دريد) ؛ من غاب ٤٥ (دون نسبة) ؛ غرائب التنبيهات ١٠٦ ، ٩

---

(٢) عضضت : أكلت نهاية الأرب || فتى : خل نهاية الأرب

(٦) الهوى : النوى نهاية الأرب

وقوله وقد أبدع (من الطويل) :

ومصفرّةٍ تختال فى ثوب نرجسٍ وتعبق عن مسكٍ ذكى التنفّسِ
لها ريح محبوبٍ وقسوة قلبه ولون محبٍّ حلّه السقم مكتسى ٣
فصفرتها من صفرتى مستعارة وأنفاسها فى الطّيب أنفاس مؤنسِ
فلمّا استتمّت فى القضيب شبابها وحاكت لها الأوراق أثوابَ سندسِ
مددتُ يدى باللطف أبغى اقتطافها لأجعلها ريحانةً وسط مجلسِ ٦
ولمّا تعرّت عن يدى من لباسها ولم تبق إلّا فى غلالة نرجسِ
ذكرتُ لها مَن لا أبوح باسمه فأذبلها فى الكفّ من حرّ تنفّسى

الكمثرى ٩

والكمثرى قد تخلّق ، وراق وتعبّق ، وعاد فى أعالى الأشجار ، كنهود الأبكار ، قد جمع بين العطريّة والطعميّة ، فهو من أشرف الفواكه الشاميّة ، على أنّه فى الوجود موجود ، تخاله فى عوده حين يباع ، ككوز من فقّاع ، ١٢ لكن الفقّاع مصنوع (٢٧٢) صنعه مخلوق من سكر وسذاب ، والكمثرى صنعة خالق من ماء السحاب ، فياحسنه من ثمر رقّت معانيه ، فسقياً ورياً لجانيه ، ولقد أبدع ابن الرومى التشبيه فى معانيه (من الوافر) : ١٥

وكمّثرى حكى نهد الغوانى وقد لبست غلائل زعفرانِ
تميل غصونه ميل السكارى وما شربت معتّقة الدنانِ

(٢ ـ ٣) نهاية الأرب ١١ / ١٧٠ ، ٧ ـ ٧

(٢) نرجس : سندس نهاية الأرب
(٣) مكتسى : قد كسى نهاية الأرب

ومن التشبيه لابن المعزّ فيه (من الطويل) :

لنا مجلس يحكى المحاسن كلّها فما منه إلّا لذّة وسرورُ

٣ ظللنا نديرُ الكأس والليل عاكف إلى أن بدا ضوء الصباح نذيرُ

نحيّا بكمّثرى جنىّ كأنّه نهود عذارى مسّهنّ عبيرُ

وقوله (من الوافر) :

٦ وكمّثرى سبانى منه طعم كطعم المسك شيبَ بماء وَردِ

لذيذ خلقه لما أتانا نهود السمر فى لون وقدِّ

وقوله فى كمثراته (من السريع) :

٩ حيّا بكمثراته لونها لون محبّ زايداً لصفرهْ

تشبه نهد البكر إن أقعدت وهى لها إن قلبت سرّهْ

وفيه ويعرف فى الأندلس بالإجّاص لأبى حفص (من الكامل) :

١٢ أهديتُ يا من يهتدى رصانه من يانع الإجّاص أجمل منظرِ

كنهود غيدٍ لحلختْ أو ضمّخت بالزعفران جماجمٍ من سكرِ

وله فى الإجّاص المعروف بعين البقر (من الكامل) :

١٥ فكّرت فى إتحاف مجـ ـدك من جنا ثمر الجنانِ

فبعثتُ أحداق العيو ن لمن غدا عين الزمانِ

وله فى الخيرى (من السريع) :

١٨ سار لك الخيرىّ يا سيّدى عنّى لما فاتنىَ السيرُ

وإنّ أولى تحفة أهديت ما كان فى أوّلها خيرُ

(٦ ـ ٧) حلبة ٢٥٧ ، ـ ١٢ (منسوب إلى عبد الله بن برغش) ؛ المستطرف ٢ / ٢٨٧ ، ـ ٣

(٩ ـ ١٠) حسن المحاضرة ٢ / ٤٣٧ (دون نسبة)

---

(١٢) رصانه كذا

ولأبى عامر فى الخيرى (من الطويل) :

وخيريّة بين النسيم وبينها حديثٌ إذا جنّ الظلام يطيبُ
لها نفس تسرى مع الليل عاطراً كأنّ لها سرّاً هناك تريبُ ٣
يدبّ مع الإمساء حتّى كأنّما له خلف أستار الظلام حبيبُ
وتخفى مع الإصباح حتّى كأنّما يظلّ عليه للصباح رقيبُ

ولابن المعتزّ فى الإجّاص (من السريع) : ٦

إنما الإجّاص فى صبغه يسترق فى اللون صبغ المهجِ
كأكر العنبر ملمومة أو خرزاتٍ خُرطتْ من سَبَجِ

والإجّاص المعروف بعين البقر لله طعمه ما أحلاه من ثمر ، شبّهته لما ثناها ٩
فى العمر ، نهود عذراء فى غلالة خمرى ، فياحسنه من تحفة زهيّة ، وهديّة سنيّة ،
فهو كما قيل .

(٢٧٣) المشمش ١٢

والمشمس قد أنقع بالاصفرار ، وأقنّ بالاحمرار ، فنصف كعاشق دنف ،
ونصف معشوق صلف ، وعاد فى قشره الأملس ، كثوبى أطلس ، أو كبيادق
من خالص الإبريز ، فسبحان من صاغه من إبليز ، قد رقّ وراق ، وتجلّا بين ١٥
اخضرار الأوراق ، تخاله جلاجل من ذهب ، أو نجوم ذات لهب ، فمن القول
البديع ، لابن وكيع (من الطويل) :

---

(٢) ـ (٣) نهـاية الأرب ١١ / ٢٧٢ ، ٥ (منسوب إلى ابن خفاجة) ؛ ديوان ابن خفاجة رقم ٢٤ ، ١ ـ ٢ ؛ الوافى بالوفيات ٦ / ٨٩ ، ٤

بدا مشمش الأشجار يذكو شهابه على خضر أغصانٍ من الريّ مُيَّدِ
حكى وحكت أوراقه فى اخضرارها جلاجلَ تبر فى سماء زبرجدِ

٣ ومن التشبيه لابن الرومى فيه (من الكامل) :

قشر من الذهب المصفرّ حشوه شهدٌ لذيذٌ طعمه للجانى
ظلنا لديه ندير فى كاساتنا خمراً تُشَعْشَع كالعقيق القانى
٦ فكأنّما الأفلاك من طرب بنا نثرتْ كواكبها على الأغصانِ

ولابن المعتزّ (من البسيط) :

ومشمِش بانَ فيه أعجبُ العَجَبِ يدعو النفوسَ إلى اللذّات والطرَبِ
٩ كأنّه فِى غصُونِ الدَوح حين بدا بنادقٌ خُرِطتْ من خالصِ الذّهَبِ

وله (من الطويل) :

بدا مشمش الأشجار فيها كأنّه يلوح على خضر الغصون الموائلِ
١٢ قبابٌ بمخضرّ الدبابيج غشّيت وقد زيّنت من عسجد بجلاجلِ

(١ ــ ٢) حلبة ٢٥٨ ، ــ ١ ؛ نهاية الأرب ١١ / ١٤١ ، ٧ ؛ المستطرف ٢ / ٢٨٨ ، ١ (دون نسبة) ؛ غرائب التنبيهات ١٠٧ ، ــ ٢ ؛ ديوان ابن وكيع ٥٢ ، رقم ١٨
(٤ ــ ٦) نهاية الأرب ١١ / ١٤١ ، ــ ٣
(٨ ــ ٩) ديوان ابن المعتز ٣ / ٢٣٦ ، ١ ، رقم ٣٦
(١١ ــ ١٢) حلبة ٢٥٨ ، ــ ٤ (دون نسبة)

---

(١) يذكو : يبدو حلبة || على خضر : على حسن حلبة || من الرى : من الدوح حلبة
(٢) فى سماء : فى قباب نهاية الأرب
(٤) المصفر : المصفى نهاية الأرب
(٦) كوابها : كوا كبها ، تحريف
(١٢) الدبابيج غشيت : الرياحين عشبت حلبة

الخوخ الزهري

والزهري في أعالي شجره ، لمّا بدا في أصفره وأحمـــره ، كقينة تورّدت خدودها ، لمّا أعلت الصوت عند جسّ عودها ، بقناع أصفر علا على نهودها ، ٣
أو نصفه كلون عاشق مهجور ، ونصفه الآخر كخدّ معشوق مخمور ، وفرقه كفرق معصم مخضّب ، وماد لمن تأمّله معذّب ، فياحسنه (٢٧٤) من ثمر عجيب . كأنّ طعمه ريق الحبيب ، لونه كثوب من القزّ ، فهو كما نعته ابن المعتزّ (من السريع) : ٦

وخوخةٍ يحكي لنا نصفها وجْنة معشوق رآه الرقيبْ
ونصفه الآخر يحكي لنا وجه محبّ صدّ عنه الحبيبْ

وقوله (من السريع) : ٩

كأنّما الخوخ على دوحه وقد بدا في حمرة العندمِ
بنادق من ذهب أصفرٍ قد خضّبت نصفها بالدمِ

وقوله فيه (من البسيط) : ١٢

أما ترى في الغصون خوخاً منظره منظرٌ أنيقُ
فدواد يمين ذا بهار لمجتنيه وذا شقيقُ
كوجنة لُطخت خَلوقاً وزال عن نصفها الخلوقُ ١٥

(٧ ـ ٨) حلبة ٢٥٩ ، ـ ١٣ (دون نسبة)
(١٠ ـ ١١) ديوان الصنوبري ، رقم ٣٧٤ ، ١ ، ٥ ، ٦ ؛ نهاية الأرب ١١/ ١٣٩ ، ٣ ، ٦ ، ٧ ؛ محاضرات الأدباء ١ / ٣٨٤ ، ٦ ؛ المستطرف ٢ / ٢٨٨ ، ٧ (دون نسبة)

---

(٨) ونصفه ـ صد : ونصفها الآخر شبهته بلون صب عاب حلبة
(١٣) أما ـ خوخاً : أهدى إلينا الزمان خوخاً الديوان
(١٤) فدواد ـ ذا : ذات أديمين ذا الديوان || لمجتنيه : لمجتليه الديوان
(١٥) لطخت : ألبست الديوان

ومن البديع لابن وكيع فى المشمش (من السريع) :

يا حبّذا الخوخ إذا مابدا فى القضب المخضرة الملد
٣ كأنّه خدّ رشا لم يزل نسرينه يقرن بالورد
صوّره الله لنــا فضّةً بيضاء تحــكى خلقة النهد

وكتب بعضهم مع بواكر خوخ (من الوافر) :

٦ بعثت بها إليك نباتَ أيكٍ غداها فى الثرى درُّ القطارِ
لها لونان مخضرّ غضيضٌ وأحمر قانى كالجُلّنارِ
ولم تبصر أبا العبّاس حُسناً يروقك كاخضرارٍ فى احمرارِ
٩ كمثل الخدّ أخجله التلاقى فطرّزَ وردَه آسُ العــذارِ

ولابن المعتزّ وأبدع (من السريع) .

خوخة بيضاء مقسومة فنصفُها الواحدُ من وَرْدِ
١٢ كأنّما العَجَم فى جوفها خُصيةُ مَقْرورٍ من البَرْدِ

الرمان

(٢٧٥) والرمّان ، قد عاد فى أعالى الأغصان ، كقيان ذوات نهود وقوف ،
١٥ فى غلائل مصبّغة تملأ الــكفوف ، أو كأحقاق من الذهب المنعوت ، قد ضمّت على حبّ من الياقوت ، ولفّاته مفلح النهود ، فعاد كأعراف ديوك الهنود ، فلولا حمرة حبّه الملصوق ، لــكان أشبه شيئاً بثغر المعشوق ، فن المعنى اللطيف ، قول العلوى
١٨ الشريف (من المجتثّ) :

أنظرْ لرمّانِ دوحٍ فيه لذى اللُّبّ سِرُّ
حصّنْ له شرفات فيه يواقيت حمرُ
٢١ لولا احمراراً إذا <ما> قبّلتها قلتَ ثغرُ

ومن بديع التشبيه لابن الرومى فيه (من الكامل) :

رمّانة صبغ الزمان أديمها فتبسّمت فى خضرة الأغصانِ
فكأنّما هى حُقّةٌ من صَنْدَلٍ قد أودعت خَرزًا من المرجانِ ٣

ومن البديع الفاخر قول الآخر (من البسيط) :

شبهتُ رمّانة من فوق دوحها مثالها ببديع الحسن منعوتُ
القشر حُقّ لها قد ضمّ داخلها والشحم قطن والحَبّ ياقوتُ ٦

الكروم والأعناب

والكرم بالشمس تحرّش ، ومدّ أغصانه وعرّش ، وعاد ظلّه غزير ، على حسن خرير الغدير ، وتهدّلت أقطافها ، وتدانت لقطافها ، وعادت الشمس من ٩ بين خلال الأوراق منقّطة ، كدراهم ملتقطة ، لكن ظلّها ظليل ، فهى كما قيل (من الطويل) :

ولا ظل إلا ظل كرم معرش تغنّيك من قطربه أرقّ الحمائم ١٢
سماء غصون يمنع الشمس أن تُرى على الأرض إلّا مثل نثر الدراهم

(٢ ـ ٣) نهاية الأرب ١١ / ١٠٢ ، ١١ (دون نسبة)
(٥ ـ ٦) حلبة ٢٦٠ ، ٧ (دون نسبة) ؛ غرائب التنبيهات ١١٥ ، ـ ٤ (٦ فقط)؛ نهاية الأرب ١١ / ١٠٢ ، ٨
(١٢ ـ ١٣) ديوان السرى الرفاء ٢٤٢ ، ـ ٣ ؛ حلبة ٢٦١ ؛ شرح المقامات الحريرية٢ / ٤٢ ، ١

---

(٥) شبهت ـ مثالها : رمانة صنع الرحمن خالقها أمثالها حلبة ؛ لله رمانة من فوق دوحتها نهاية الأرب
(٦) القشر ـ ياقوت : والقشر من حولها قد صان داخلها والقطن حب لهـا والشحم ياقوت حلبة ؛ حق نضار ضم قطن له نهاية الأرب
(١٢) أرق : ورق الديوان (١٣) يمنع : تحجب الديوان

(٢٧٦) العنب الأبيض

والعنب الأبيض أوّل ما حصرم وعقد ، كما يجمع الحمص الأخضر عنقوداً
٣ للمنتقد ، ثم ترقّ بشرته ويحلا مذاقه ، فسبحان خلّاقه، الذى بخلقته افتخر ، دون
سائر الثمر ، فأمّا قطوفها البعلية بين عروشها فى أرضها، كنعامة قد فرشت جناحيها
على بيضها ، وأمّا قطوفها المتلية فى كرومها ، فكالسماء وقد زيّنت بنجومها ،
٦ ومن المستحسن البديع ، قول ابن وكيع (من الطويل) :

شربتُ مجاج الكرم تحت ظلاله على وجه ممشوق الشمائل أغيدِ
كأنّ عناقيد الكروم وظلّها كواكب درٍّ فى سماء زبرجدِ

٩ ومن ذلك ما حضر وامله مبتكر (من الطويل) :

كأنّ القطوف الدانيات من الأرضِ وقرب تراكم البعض منها على البعضِ
نعامة فيحاء فى أرض قفرة تضمّ جناحيها لحضانة البيضِ

١٢ العنب الأسود

والعنب الأسود بين أوراقه والعروش ، كأطفال الحبوش فى خضر الفروش ،
ومن القول الفاخر ، قول الآخر (من البسيط) :

١٥ وكرمة ذات أعناب مهدلة تبين من أقطارها تحت الأفانينِ
شبهت فيها العناقيد التى أينعت أوالاد زنجية فطس العرانينِ

(٧ ـ ٨) ديوان ابن المعتز ٢ / ٥٦٧ ، ٤ ، رقم ١٠٠٤

---

(٧) مجاج : عصير الديوان
(١٦) أوالاد : أولاد ، تحريف

ومن المطرب المستحسن قول ابن عبد المحسن وقد أهدى إليه محللًا بأسود (من الخفيف) :

جاءنا منك تحفة نحن فيها ... أبداً في تضاعُف السَّرّاء ٣
عنب أســــود كأنّ عليه ... حُللًا من حنادس الظَّلماء
خِلْته في خلال أوراقه الخضــــر ولون اسوداده والصفاء
كدموع على أنامل خَوْدٍ ... غنج في كُمٍّ لاذةٍ خضراء ٦

(٢٧٧) التين

وأما التين ، فياحسنه من ثمر في حــــلاوته صادق ، وكلّ لسان في وصفه ناطق ، فأبيضه كأحقاق كافور ، تخــالها تجسّمت من نور ، وأزرقه كحماحم ٩ الريحان ، أو كجماجم السودان ، مخربشة الوجوه كالوحوش أو كأولاد الحبوش ، فهو في حلاوة طعمه مكمّل ، قد جمع بين سكر وشهــد مرمّل ، فكلّ نفس له تشتهيه ، ولقد أجاد ابن الرومي في التشبيه (من الطويل) : ١٢

التين يعدل عندي كلّ فاكهة ... إذا بدا باكراً في حسنه الزاهي
مخمّش الوجه قد مالت علاوته ... كأنّه ساجد من خشية الله

(٣ ـ ٦) نهاية الأرب ١٢ / ١٥١ ، ٥ (منسوب إلى عبد المحسن الصوري) ؛ غرائب التنبيهات ١٠٩ ، ٩ (منسوب إلى محمد بن عبد المحسن الكفرطابي)

---

(٦) غنج : لحن نهاية الأرب

ومن التشبيه لابن المعتزّ فيه (من المنسرح) :

قم بنا يا نديم في الغسق قبل نزول الفدا عن الورقِ
٣ أما ترى التين في الغصون ضحاً ممزق الثوب مائل العُنُقِ
كأنه رَبُّ نعمةٍ سُلبت أصبح بعد الحديد في خَلَقِ
أو كأخي شرّةٍ أغيض وقد خرق جلبابه من الحَنَقِ
٦ منها :
حشوه المسك والزعفران والعسل النحل وحبّ الخشخاشِ في نَسَقِ

وللأندلسي فيه (من المتقارب) :

٩ وسود الوجوه كلون الصدود تبسّمن تحت ذيول الغَبَشْ
إذا ما تجلّا بياض الضحى تطلعنَ في وجهه كالنَمَشْ
كأنّي أقطّف منها قبيـــل ضحا صغار ثدى بنات الحَبَشْ

١٢ وللقيرواني في ذمّ التين المسكين (من السريع) :

لا مرحباً بالتين لما أتى يسحب كالليل عليه جناحْ
ممزّق الجلباب يحكى لنا هامةَ زنجى عليها جِراحْ

(٢ ـ ٧) نهاية الأرب ١١ / ١٥٨ ، ـ ٢ (منسوب إلى أسامة بن منقذ) ؛ غرايب التنبيهات ١١٨ ، ٢ (منسوب إلى أسامة بن منقذ)
(٩ ـ ١١) نهاية الأرب ١١ / ١٥٩ ، ٨ (منسوب إلى ابن خفاجة) ؛ غرائب التنبيهات ١١٧ ، ـ ٣ ؛ ديوان ابن خفاجة ٣٧٤ ؛ رقم ٣٢٢
(١٣ ـ ١٤) نهاية الأرب ١١ / ١٦٠ ، ٧ (منسوب إلى محمد بن شرف القيرواني)

---

(٢) قم ـ الغسق : فقم بنا نحوه نباكره نهاية الأرب || نزول : جفاف نهاية الأرب
(٣) ضحاً ؛ بدا نهاية الأرب || الثوب : الجلد نهاية الأرب
(٥) اغيض : أغيظ || خرق : مزق نهاية الأرب
(٧) حشوه ـ وحب : فالشهد والزعفران مع عرق الورد وحب نهاية الأرب
(٩) ذيول : عبوس الديوان (١١) منها ـ ثدى : منها ضحى ثدى صغار الديوان
(١٣) عليه جناح : عليه وشاح نهاية الأرب

النخيل وأثمارها

(٢٧٨) وهنا حكاية طريفة فى التين نذكرها قبل ذلك : قيل : دخل مريد على بعض المشايخ القرّاء وقد أهدى للشيخ تين فى أوّل أوانه فلمّا أحسّ به جعل الطبق تحت السرير ثم قال لمريده : ما الذى جاء بك فى هذا الوقت ؟ قال : يا سيدى مررت بباب أبى العبّاس الكاتب فسمعت جارية تقرأ بلحن ما سمعت أطيب منه فلم أزل مصغيًا لها حتى أتقنت حفظه وأتيتك لمعرفتى لمحبّتك فى القراءات، قال : هات وأوجز ! فتنحنح وقال : بسم الله الرحمن الرحيم « والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين » ، فقال : ويحك وأين التين ؟ قال : هاهو تحت السرير : فضحك منه وتوا كلا جميعاً .

ولنعود لذكر النخيل

والنخيل بين تلك الأدواح ، يتلاعب بسعفه الأرواح ، قد تهدّلت قنوها ، كوالدة حملت بينها من حنوها ، أو كما ذُكر أنّ ملكة للسودان فى بعض الجزائر عريانة الجسد وتاجها على رأسها منوّعاً بأفخر الجواهر ، وقلت فى ذلك ما حضر ، وهو معنى مبتكر (من السريع) :

كأنّما النخلة فى دوحها ... وبسرها زاد فى أبهاجها
كما حدث عن مليكة عريانة ... وعلى رأسها تاجها

ومن البديع قول ابن وكيع (من البسيط) :

أما ترى النخلَ حاملاتٍ ... بسراً حكى صبغه الشقيقا
كأنّما خُوصه عليه ... زبرجد مُثمراً عقيقاً

(٧ ـ ٨) القرآن الكريم ٩٥ / ١ ـ ٣
(١٨ ـ ١٩) حلبة ٢٦١ ، ٣ ـ ٤ (دون نسبة) ؛ نهاية الأرب ١١ / ١٢٧ ، ٨ (دون نسبة) ؛ غرائب التنبيهات ١١٢ ، ٧ (منسوب إلى ابن وكيع)

(٩) توا كلا : تآكلا (١٥ ـ ١٦) مضطرب الوزن
(١٨) بسراً ـ الشقيقا : ولونه قد حكى الشقيقا حابة

البسر الأحمر

والبسر الأحمر الأنيق ، كأنامل قد قمعت بالعقيق، وقد تطرف بسواد (٢٧٩)
٣ فكأنما تلك الأنامل المخضوبة قمت بخضاب فعادت أعلق بالفؤاد ، أو كفتية
سمراء عليها غلالة حمراء ، إذا تأملها العاشق اهتز ، فهو كما قال ابن المعتز (من
المتقارب) :

٦ وبسر أتانا به أهيف تميس بأعطافه قدّهُ
كأن حلاوته ريقه وحمرة أثوابه خدّهُ

ومن البديع قول ابن وكيع (من المنسرح) .

٩ أما ترى النخل مثمراً بَلَحاً جاء بشيراً لدولة الرُطَبِ
مخارقٌ من زبرجد خُرطتْ مُقمعات الرؤس بالذَهَبِ

وله فى الرطب (من الرجز) :

١٢ ياحبذا البرنىّ من بين الرطبْ كأنه حين تبدّى واقتربْ
مخارقٌ قد خرطت من الذهبْ أو ركوة مملوءة من الصربْ

ولغيره فى الأصفر (من الرجز) :

١٥ انظر إلى البسر الذى قد جاءنا بالعجبِ
كيف غدا فى لونه كعاشق مكتئبِ
كأنه من فضة قد طُليت بالذهبِ

(٩ ـ ١٠) حلبة ٢٦١ ، ١٥ (دون نسبة) ؛ نهاية الأرب ١١ / ١٢٦ ، ـ ١ (منسوب إلى ابن وكيع) ؛ ديوان ابن وكيع ٤٠ ، رقم ٨

(١٥ ـ ١٧) غرائب التنبيهات ١١٢ ، ـ ١ (منسوب إلى ابن وكيع) ؛ نهاية الأرب ١١ / ١٢٧ ، ـ ٣ (منسوب إلى ابن المعتز) ؛ ديوان ابن المعتز ٣ / ٢٣٤ ، رقم ٣٣

---

(٩) لدولة ؛ بدولة حلبة

(١٠) مخارق من زبرجد خرطت مقمعات : مكاحل من زمرد مقمعات حلبة

وممّا يشنف السمع لابن المعتزّ فى الطَلْع (من الخفيف) :

قد أتانا الذى بعثتَ إلينا   وهْو فى وقتنا معدومُ
طلعةٌ غضّةٌ أتتنا تحاكى   سَفَطًا فيه لؤلؤ منظومُ ٣

ومن قوله فيه (من الكامل) :

أفدى التى أهدت إلينا طَلْعةً   فأهدت إلى القلب المشوق بلابلا
فكأنّما هى زورق من عسجد   قد أوسقوه من اللُجين سلاسِلا ٦

وله فيه (من السريع) :

كأنّما الطلع وقد جاءنا   للعين تشبيهاً وتقديرا
دُرجٌ من الصندل قد أودَعَتْ   فيه يد العطّار كافورا ٩

ومن البديع لابن وكيع (٢٨٠) (من الطويل) :

وطَلْعٍ هتكنا عنه جيب قميصه   فياحسنه من منظر حين هُتِّكا
حكى صدر خَوْدٍ من بنى الروم هزّها   سماع فقدّت عنه ثوباً مُمَسَّكا ١٢

(٢ ـ ٣) نهاية الأرب ١١ / ١٢٥ ، ـ ٤ (منسوب إلى كشاجم) ؛ ديوان كشاجم رقم ٤٣١ ، ١ ؛ غرائب التنبيهات ١١١ ، ٥ (منسوب إلى كشاجم)
(٥ ـ ٦) ديوان ابن المعتزّ ٢ / ٦٤٥ ، ـ ٢ ، رقم ١١١٦
(٨ ـ ٩) نهاية الأرب ١١/ ١٢٤ ، ـ ٢ (منسوب إلى ابن وكيع) ؛ غرائب التنبيهات ١١٠ ، ـ ٣ (منسوب إلى ابن وكيع)
(١١ ـ ١٢) نهاية الأرب ١١ / ١٢٥ ، ٢ (منسوب إلى محمد بن القاسم العلوى) ؛ غرائب التنبيهات ١١١ ، ٢ (منسوب إلى ابن وكيع)

---

(٢) وهو فى : وهو شىء الديوان
(٥) أفدى ـ القلب : افدى الذى أهدى إلينا طلعة أهدت إلى قلبى الديوان
(٦) عسجد ـ أوسقوه : فضة قد أودعوه الديوان
(١١) حسنه ـ منظر : حسنه فى لونه نهاية الأرب

ومن ملح ابن الرومى (من الكامل) :

أهدى الذى سلبت نوا دى بالجمال وبالذوائبْ

٣ أهدت إلينا طلعة شبهاً لأذناب الأرانبْ

تحكى سلاسل فضة أو كالثغور من الحبائبْ

ولابن المعتز فى الجمّار (من السريع) :

٦ جمّارة كالماء لكنّها ما بين أطمارٍ من الليفِ

كأنّها جسم رطيب وقد لُفّ فى ثوب من الصوفِ

ولابن وكيع فيه (من الكامل) :

٩ أهدى لنا جمارةً من لست أخلو من عذابِهْ

فكأنّما هى جسمه لمّا تعرّى من ثيابِهْ

وقال (من السريع) :

١٢ جمّارة جاءتك من نخلة باسقة قد أفرطتْ فى البُسوقْ

كأنّها فى كفّ معشوقةٍ قد خُضّبتْ راحتها بالخَلوقْ

مهاة بلّور وقد أشرقت فى جامة مخروطة من عقيقْ

١٥ فاشربْ على الجمّار فى كفّها والورد فى وجنتها والشقيقْ

(٦ ـ ٧) نهاية الأرب ١١ / ١٢٤ ، ـ ٩ (دون نسبة) ؛ غرائب التنبيهات ٣١١ ، ـ ٥ (دون نسبة)

(٩ ـ ١٠) حلبة ٢٦١ ، ٩ (دون نسبة)

---

(٦) لكنها : تبدو لها نهاية الأرب

(٧) كأنها ـ لفف : جسم رطيب اللمس لكنه قد لف نهاية الأرب

(١٠) تعرى : تجرد حلبة

اللوز الأخضر

واللوز متحفة لطيفة ، وخلقة شريفة ، فياطول اشتياقى وا كتئابى، إلى اللوز العقابى ، فنهاية أربى ، عند لوز ابن عربى ، فنَوره كالفُور ، أو كأقاع البلّو ر ، ٣
فما أحلاه من ضيف ، مبشراً بقدوم الصيف ، فلهذا تتهاداه الأحباب ، ولو على ورق السذاب ، وفى ذلك قيل (٢٨١) (من المنسرح) :

ما أحسن اللوز إذ بدا أخضرا   فهو لعمرى من أحسن التُحَفِ ٦
وقد حبا قشره القلوب لنا   كأنّه الدرّ داخـــل الصَدَفِ

وفى هديّته يقول (من الوافر) :

تَقبّلْه فديتُك فهو طعمٌ   يَميل إلى هديّته الظريف ٩
كأنّ زبرجداً يحوى نُضاراً   حوى درًّا له صَدَفٌ لطيفُ

الجوز الأخضر

والجوز فى المنظر ، كأنّه بنادق من زمرّد أخضر ، وداخله مقصوم ، كالدرّ ١٢
المنظوم ، أو كالمستكا المعلّقة فى اللون والبياض ، وقد مضغتها خود ذات أعين مراض ، أو كداخل الطلح ، وقد اعترى كوزه الفلح ، أو كخصيّة مقرور ، فى كانون من الشهور ، فمّا قيل فيه ، من التشبيه (من الـكامل) : ٧٥

والجوز مقصوم يروق كأنّه   لونًا وشكلاً مصطـكاً ممضوغُ

(٦ ـ ٧) نهاية الأرب ١١ / ٨٨ ، ٨
(١٦) نهاية الأرب ١١ / ٩٠ ، ٨

---

(٦) ما ـ التحف : أما ترى اللوز حين ترجله عن الأفانين كف مقتطف نهاية الأرب
(١٣) المستكا : المصتكا
(١٤) حضية : حظية
(١٦) مقصوم : مقشور نهاية الأرب

ومن التشبيه الفضيع لابن وكيع (من السريع) :

لا تهد لى جوزاً فاهدأوه رُفاعة فى حلق يبدو
٣ كأنه فى قشره إذ بدا خُصًى وقد كرنشه البردُ

النبق

والنبق فى أشجاره كما ، تكون نجوماً صغاراً فى خضرة السما ، تزهر
٦ باحمرار ، كأنها شعل نار ، فياله من ثمر جمع بين نكهة الصهباء ، وطعم الكمثراء ،
حاوياً لنزهة النضارة ، إلى نشوة العطارة ، وهو شريكاً للوز فى البشارة ، وقد أبدع
فى التشبيه من قال فيه (من الكامل) :

٩ انظر إلى النبق الذى فيه الشفاء لكلّ ذائقْ
فكأنّه فى دوحه والليل ممدود السرادقْ
النشر منه طيّب فأضحى على الكافور فائق
١٢ (٢٨٢) ذهبٌ ببهرجه الصيا رف صيغ حَبّاً للمخانقْ

ومن البديع لابن وكيع (من الرجز) :

أشبّه النبق على صفرته وقد بدت حمرته الملمّعهْ
١٥ بحسن أطراف بنان كاعب نواعم قد أبرزت مقمعهْ

ومن التشبيه لابن المعتزّ فيه (من السريع) :

كأنّما النبق إذا ما بدا يلوح فوق الغصن الأملدِ
١٨ بنادق للرجان مخروطة أو كجلاجل من عسجدِ

(٩ ـ ١٢) نهاية الأرب ١١ / ١٤٥ ، ٢ (منسوب إلى ابن المعتز) ؛ ديوان ابن المعتز
٣ / ٣٣٥ ، رقم ٢٣٧

---

(١) الفضيع: الفظيع (١٢) صيغ : صار نهاية الأرب (١٨) عسجد : المسجد

الفستق

والفستق فى أشجاره الريّا ، كنجوم الثريّا ، معقد فى كلّ غصن مائس كقناديل معلّقة فى بيع الكنائس ، تخال ثمره كمناقير ، الدُوريّة من العصافير ، فمن ٣
التشبيه للمصنّف فيه (من السريع) :

كأنّما الفستق فى دوحه ذات عناقيد كالأكاليلِ
بيعة رهبان تجمعت بها معلقة القناديلِ ٦

وفى الفستق المملوح (من البسيط) :

كأنّما الفستق المملوح حين بدا قدامنا فى لطيفات الطيافيرِ
والقلب ما بين قشريه يلوح لنا كألسن الطير ما بين المناقيرِ ٩

التوت لابن القيروانى (من السريع) :

انظرْ إلى توت الجنان الذى وافا به الناطور فى جسامِ
يحكى جراحاً دمها سائلٌ لدى جُسوم من بنى حسامِ ١٢

الموز

لابن المعتز (من الكامل) :

يا طيب يوم مرّ بى متنزّهاً ما بين موزٍ ريُحه كالعنبرِ ١٥
(٢٨٣) كمكاحل التبر البديع إذا بدت محشوة بالشهد وبالسكرِ

(٨ ــ ٩) نهاية الأرب ١١ / ٩٤ ، ٩ و ٦ (دون نسبة) ؛ غرائب التنبيهات ١٢٤ ، ٨ (دون نسبة)
(١١ ــ ١٢) نهاية الأرب ١١ / ١٦٢ ، ٢ (منسوب إلى محمد بن شرف القيروانى)

---

(٨) قدامنا : مشققا نهاية الأرب || الطيافير : الطوامير نهاية الأرب

وله فيه وأبدع (من الكامل) :

مَوزٌ حلا فكأنه عَسَلٌ ولكنْ غير جارى
٣ ذو باطن مثل الأقا ح وظاهر مثل النهارِ
يحكى إذا قشّرته أنيابَ أفيلة صغارِ

وقوله (من السريع) :

٦ وموزة جاء بها شادن ناولنيها وهو لا ينطقُ
كأنّها كافورة ضمّها من بعد نصح ذهبٌ مخرقُ

ومن ملح ابن القيرواني (من الطويل) :

٩ ألا حبّذا البستان والطير ناطق بأرجائه والروض طرّز بالوردِ
وقد عبقت للزهر فيه نوافح ورائحتها أذكى من الندِّ
وقد قام يسقينا به الراح شادنٌ هظيم الحش مخطوفه أهيف القدِّ
١٢ به ما حوى من وردتين بخدّه وآس عذارٍ ثم رمّانتى نهدِ
كأنّ بنات الموز فيه وقد بدا مخارق عقيان ملين من الشهدِ

العُنّاب

١٥ لابن المعتزّ (من الرمل) :

إنّ فى العنّابِ معنى حَسَنًا بين المعانى
حَسَنًا فى كلّ حين وأوانٍ وزمانِ
١٨ فتراه أبداً كلّما استحضرته وسط الصوانى
كقلوب الطير رطباً أو تطاريف البنانِ

(٢ ـ ٣) نهاية الأرب ١١ / ١٠٧ ، ١٠ (دون نسبة)

(٣) النهار : النضار نهاية الأرب
(٩) من الند : كذا (١٠) هظيم : هضيم

أخذه من قول (من الطويل) :

كأنَّ قلوبَ الطير رَطباً ويابساً لدى وكرها العُنّابُ والحَشَفُ البالى

القسطل

٣

لابن المعتزّ (من المنسرح) :

انظرْ إلى القَسْطَل المقشَّر من قشرته بعد الجفاف فى الشجرِ

(٢٨٤) كأنّه أوجه الصقالبة البـ يض وقد كَرْنشتْ من الـكِبَرِ ٦

الأترجّ

والأترجّ فى الأغصان ، كعذارا عليهنّ غلائل زعفران ، أو كقلوب مخلّقة ، فى الأشجار معلّقة ، أو كأمشاط من سمك تقلّا ، حين تجلّا ، أو كحماسيّات من ٩ زجاج رقيق ، مملوءة من الخمر الأصفر الصافى العتيق ، فريحها عن الأحزان يسلّى ، فهى كما قيل للسفلى (من المنسرح) :

أهلاً بأترجّة ملعّبةٍ كأنّ فيها المدام قد خُلطا ١٢

كأنّها كفّ حاسب فرغت فهى من الخوف تحسب الغلطا

ولـكشاجم فيه (من المنسرح) :

يا حبّذا يومنا ونحن على رؤوسنا نَعْقِد الأكاليلا ١٥

كأنّ أترجّها تميل به أغصانُه حاملاً ومحمولا

سلاسلٌ من زبرجدٍ حملتْ من ذهبٍ أصفر قناديلا

فى جنّةٍ ذلّلت أقطانها أقطافها الدانيات تذليلا ١٨

(٢) ديوان امرئ القيس ٣٨ ، ٤ ، رقم ٢ ، ٥١

(١٥ ــ ١٨) ديوان كشاجم ٣٨٨ ، ــ ٢ ، رقم ٣٨٢ ؛ ديوان ابن المعتز ٣/ ٣١٠ ، رقم ١٨٩ ؛ نهاية الأرب ١١/ ١١٣ ، ــ ٢ و ١٨٣ ، ٢ ؛ غرائب التنبيهات ١٠١ ، ــ ١ ؛ من غاب ٤٢ ، ٢

(١٨) أقطانها أقطافها : لقاطفها قطوفها الديوان

ولبعضهم فى الأترجّ أيضاً (من المنسرح) :

جسمُ لجين قميصه ذَهَبٌ   زُرَّ على لعبة من طيبِ

٣ فيه لمن شمّه وأبصره   لونُ محبٍّ وريحُ محبوبِ

وفيه لأبى عامر (من الرجز) :

يا حبّذا أترجّة ملعبة   تجذب للنفس الطربْ

٦ كأنّها كافور < :   لها غشاء من > ذهبْ

النارنج

والنارنج فى أعالى الأشجار ، ما بين تلك الأوراق التى زادت فى الاخضرار ،

٩ كأكر من نار ، فياله من عجب ، يجب أن يكتب بالذهب ، بأقلام البلّور ، على صفحات النور ، كيف أثمرت النار من النور ، حتى عاد فى أغصانه ملتزّ ، كما قال فيه ابن المعتزّ ، وقيل لابن بهلول الكاتب (من السريع) :

١٢ نارنجة حمراء أبصرتها   فى كفّ ظبيٍ مشرقٍ كالقمرْ

كأنّها فى كفّه جمرة   قد أثرت فيها رؤوس الإبر

(٢ ـ ٣) نهاية الأرب ١١ / ١٨٢ ، ـ ٣ (منسوب إلى ابن دريد) ؛ ديوان ابن دريد ٤٠ ، ـ ٢ ؛ المصون ٥٥ ، ٢ (دون نسبة)
(٥ ـ ٦) نهاية الأرب ١١ / ١٨١ ، ـ ٥ (منسوب إلى ابن المعتزّ) ؛ ديوان ابن المعتزّ ٢ / ٥١١ ، رقم ٩٧٣ ؛ حلبة ٢٦٣ و ٢٦٦
(١٢ ـ ١٣) حلبة ٢٦٤ ، ـ ٦

---

(٢) طيب : الطيب نهاية الأرب   (٥) يا ـ تجذب : يا حبـذا ليمونة تحدث الديوان
(١٢) نارنجة ـ أبصرتها : نارنجة أبصرتها بكرة حلبة || ضبى : ظبى
(١٣) كفه : يده حلبة

ولابن الرومي في نارنجة (من الطويل) :

ونارنجة في كفّ ظبي رأيتها كقطعة نارٍ وهي باردة اللمسِ

فقرّبها من خدّه فتشاكلا فشبّهتها المريخ في دارة الشمسِ ٣

وفيه لابن خفاجة (من السريع) :

كأنّما النارنج لما بدت حمرته في صفرة كاللهيبْ

خجلة معشوق رأى عاشقاً فاحمرّ ثم اصفرّ خوف الرقيبْ ٦

ولأبي الفرج الوأواء (من السريع) :

ناولني ظبي لنا مرّة نارنجةً في مجلس لنا مونقْ

(٢٨٥) خلتها في كفّه جمرة أو كرة من ذهب لم يحرقْ ٩

بل خلته بدر الدجى طالعاً في يده الشمس من المشرقْ

ومن التشبيه لابن المعتزّ فيه (من الكامل) :

وكأنّما النارنج في أغصانه من خالص التبر الذي لم يُخلَطِ ١٢

كرة دحاها الصولجان إلى الهوى فتعلّقت في جوّه لم تسقُطِ

(٢ ـ ٣) حلبة ٢٦٤ ، ـ ٣ (دون نسبة) ؛ ديوان ابن المعتز ٣ / ٣١٠ ، رقم ١٨٩ ؛ المستطرف ٢ / ٢٨٦ ، ٧

(٥ ـ ٦) حلبة ٢٦٤ ، ـ ١٠ (منسوب إلى ابن المعتز) ؛ ديوان ابن المعتز ٢ / ٥١٠ ، رقم ٩٧٢

(٨ ـ ١٠) ناقص في الديوان

(١٢ ـ ١٣) ديوان ابن المعتز ٢ / ٦١٠ ، ٥ ، رقم ١٠٧٢

---

(٢) و ـ كقطعة : ونارنجة عاينتها بيمينه كشعلة حلبة

(٣) فتشاكلا : فتألقت حلبة

(٥) حمرته ـ صفرة : صفرة في حمرته الديوان

(٨) لنا مونق : كذا

(١٢) التبر : الذهب الديوان

(١٣) دحاها : رماها الديوان

ولأبى الفرج الوأواء أيضاً (من الطويل) :

ونارنجة تحكى كأكرة عسجد ملمة يومى بها كفّ مشوقِ

٣ شبّهتُها لما تأمّلت حُسنَها بنهد عروس ضُمّخَتْ بخلوقِ

ولابن المعتزّ فى التشبيه وأبدع فيه (من السريع) :

مرّ بنا ظبى وفى كفّه نارنجةٌ من خلقة البارى

٦ تخلتها فى كفّه جمرةً من فوق ماء ليس بالجارى

فصرتُ فى فكر وفى حيرةٍ كيف اجتماع الماء والنارِ

وله فيه (من المتقارب) :

٩ ألا سقّنى الراح فى روضة طرائف أشجارها تثمرُ

كأنّ تماثيل نارنجها إذا ما تأمّله للبصرُ

دبابيس من ذهب أحمرٍ ومقابضها من سندس أخضرِ

١٢ الباذنجان

لابن المعتزّ (من المنسرح) :

أهدت لنا الأرض من طرائفها ابدنج يزهو بوصفه وقتى

١٥ إذا أراد الذى يشبهه يكثر نظم الصفات والنعتِ

قالو كراه الأديم قـــد حُشيت بسمسم قُمّعت بكيمختِ

(١٤ ـ ١٦) نهاية الأرب ١١ / ٤٤ ، ـ ٣ (دون نسبة) ؛ غرائب التنبيهات ١٢٥ ، ٢ ؛ ديوان ابن الرومى ١ / ٣٩٢ ، رقم ٣١٨ (١٥ و ١٦ فقط)

(١١) ومقابضها : كذا

(١٤) من ـ بوصفه : من عجائبها ما سوف يزهو بمثله نهاية الأرب

(١٥) إذا أراد : إذا أجاد نهاية الأرب || يكثر ـ النعت : وأحكم الوصف منه فى النعت نهاية الأرب

(١٦) قالو كراه (كذا) : قال كراة نهاية الأرب

والبديع فيه قول يزيد بن معاوية (من الطويل) :

ألا ربّ بستانٍ أنيق رأيته له منظر يزهى بغير نظيرِ

وأبدنجه بين الغصون كأنّه قلوب ضباء فى أكف صقورِ ٣

(٢٨٦) وقوله (من الكامل) :

وكأنما الأبدنج سودُ حمائم بكرت إلى عشب الربيع المبكرِ

لقطت مناقرها الزبرجد لؤلؤاً فاستودعته حواصلاً من عنبرِ ٦

وإلى يزيد تنتهى رقّة الشعر وتأييده قوله (من البسيط) :

يجمع جفنيك بين البُرء والسقم لا تسفكى من جفونى بالفراق دمى

إشارة منك تسكفينى وأفصح ما ردّ السلام غداة البين بالغمِ ٩

تعليق قلبى بذاك القرط يؤلمه فليسكر القرط تعليقاً بلا ألمِ

تضرّمت حمرةً فى ماء وجنتها فالجمر فى الماء خافٍ غير مضطرمِ

حتى إذا طاح عنها المرط من دهشٍ وانحلّ بالظمء مسلك العقد فى الظُّلمِ ١٢

منها :

تبسّمت فأضاء الجوّ فالتقطت حبّات منتثرٍ فى ضوء منتظمِ

فظلتُ ألثم عينيها ومن عجبٍ أنّى أقبّل أسيافاً سفكن دمى ١٥

وقوله وتروى لغيره (من المنسرح) :

قد سترتْ وجهَها عن البشرِ بساعد حلّ عَقدَ مصطبرى

كأنّه والعيون ترمقه عامود نورٍ فى دارة القمرِ ١٨

(٥ ــ ٦) حلبة ٢٦٨ ، ـ ٤ (دون نسبة) ؛ نهاية الأرب ١١ / ٤٥ ، ٨ (دون نسبة) ؛ المستطرف ٢ / ٢٨٩ ، ـ ٤ (دون نسبة)

---

(٣) ضباء : ظباء

ولابن سارة فى الباذنجان (من الطويل) :

ومستحسن عند الطعام مدحرج غذاه غير الماء فى كلّ بستانِ
٣ تطلّع من أقماعه فكأنّه قلوب نعاجٍ فى مخاليب عقبانِ

ولغيره فى ذمّه (من الكامل) :

وإذا طبخت طعامنا فاجعله غير مبغدجِ
٦ إيّاك هامة أسود عريان أصلع كوسجِ

القثّاء

للمرسى (من البسيط) :

٩ انظرْ إليه أنابيباً منضّرةً من الزبرجد خضراً ماله ورقُ
(٢٨٧) إذا كتبت اسمه بانت ملاحته وكان مضمونه إنّى بكم أثقُ

الخيار

١٢ (من الكامل) :

انظرْ إلى لون الخيار وحسنه وروائح الريحان فى المكسورِ
فكأنّ ظاهره زبرجد أخضر وكأنّ باطنه من البلّورِ

(٢ ـ ٣) نهاية الأرب ١١/ ٤٥ ، ٥ (دون نسبة) ؛ نفح الطيب ٥ / ٢٢٨
(٥ ـ ٦) حلبة ٢٦٩ ، ٣ (منسوب إلى ابن رشيق القيروانى) ؛ ديوان ابن رشيق رقم ٣٩
(٩ ـ ١٠) حلبة ٢٧٠ ؛ ١٠ (منسوب إلى ابن المعتز) ؛ ديوان ابن المعتز ٢/٦٢٣ ، ٢ رقم ١٠٩٢ ؛ المستطرف ٢ / ٢٨٩ ، ـ ٧
(١٣ ـ ١٤) نهاية الأرب ١١/٤٠ ، ـ ١ (دون نسبة)

---

(٥) وإذا ـ طعامنا : وإذا صنعت غدانا حلبة (٩) ماله : مالها حلبة
(١٠) إذا كتبت : إذا قلبت حلبة || وكان مضمونه وصار مقلوبه حلبة
(١٣) انظر ـ حسنه: انظر إلى عرف الخيار ولونه نهاية الأرب || وروائح : كروائح نهاية الأرب || فى المكسور : للمخمور نهاية الأرب

البطيخ الأصفر

لابن قلاقس (من المتقارب) :

أتانا الغـــلام ببطيخة   وسكينة قد أجيدت صقالا
فقسّم بالبرق شمس الضحى   وناول كلّ هلالٍ هلالا ٣

وأنشدنى بعض الفضلاء (من الرمل) :

حبّذا أشباح تبرٍ ملئت   ريقه نِحلهْ
قد حفيناها شموساً   وقطعناها أهِـــلّهْ ٦

ومن ملح ابن المعتزّ فيه (من المتقارب) :

أتانا الغـلام ببطّيخة   فلم يك فيما أتا منه قِلّهْ
فشبّهته جالساً بيننا   يعدّ الشموس لدينا أهِلّهْ ٩

وفى الأصفر أيضاً (من الطويل) :

رياحيّة مسكيّة ذهبيّة   لها ريح كافور وطعم مدامِ
إذا فصّلت للأكل فهى أهلّة   وإن لم تفصّل فهى بدر التمامِ ١٢

البطيخ الأخضر

(من الطويل) : ١٥

وخضراء لمّا أن رأيتَ كمالها   كأنّا رأينا قبّةً من زبرجدِ
فباطنها الثلج الذى رصّعوا به   عقيقاً ولفّوه بثوبٍ زمرّدِ

(٣ ــ ٤) حلبة ٢٧١ ، ــ ٤ (دون نسبة) ؛ غرائب التنبيهات ١٢١ ، ٧ (منسوب إلى ابن قلاقس)
(١٢ ــ ١٣) المأمونى رقم ٦٤ ؛ غرائب التنبيهات ١٢١ ، ٤ ؛ محاضرات الأدباء ٢ / ٣٤٤ ، ١٠ ؛ نهاية الأرب ١١ / ٣٣ ، ــ ١

(٣) الغلام : الحبيب حلبة || اجيدت : أحكموها حلبة
(٤) فقسم : فقطع حلبة || و ــ هلالا : وأهدى إلى كل بدر حلبة

ومن ملح ابن الرومى فيه (من الطويل) :

وظبى أتى فى الكفّ منه بمدية وقد لاح فى خدّيه شبه شقيقِ

٣ فمال إلى بطيخة ثم حزّها وفرّقها ما بين كلّ صديقِ

فشبّهتها لمّا علت فى أكفّهم وقد عملتْ فيهم كؤوسَ رحيقِ

صفائح بلّور بدت فى زبرجد مرصّعة فيها فصوص عقيقِ

٦ (٢٨٨) وأعجبنى قول السلامى فيمن لم يحتفل بحمل السكّين فى زمن البطيخ (من السريع) :

قال السلامىّ إذا شئت أن تبصر محزوناً ومسكينا

٩ ذاك الذى يفقد من وسطه فى زمن البطيخ سكينا

ولبعضهم فى الأصفر أيضاً وصفته (من الوافر) :

ثلاثٌ هنّ فى البطيخ فخرٌ وفى الإنسان منقصة وذلّهْ

١٢ خشونة لمسه والثقل فيه وصفرة لونه من غير علّهْ

إذا قطّعته إرباً تراه كبدرٍ فُصّلت منه أهلّهْ

ولابن وكيع فى البطيخ الأخضر (من السريع) :

١٥ وذات ريقٍ إن ترشّفته وجدته أحلا من الأمنِ

إذا بدت فى يد جلّابها رأيتها فى غاية الحسنِ

كسلّةٍ خضراء مختومة على الفصوص الحمر فى القطنِ

(٢ ـ ٥) حلبة ٢٧١ ، ٩ (دون نسبة) ؛ نهاية الأرب ١١ / ٣٣ ، ـ ٤ (دون نسبة) ؛ غرائب التنبيهات ١٢١ ، ـ ٣ (٣ ـ ٦ فقط)

(٨ ـ ٩) ناقص فى الديوان

(١١ ـ ١٣) حلبة ٢٧١ ، ١٢ (دون نسبة) ؛ نهاية الأرب ١١ / ٣١ ، ١

(١٥ ـ ١٧) نهاية الأرب ١١ / ٣٣ ، ٢ (دون نسبة ، ١٦ ـ ١٧ فقط) ؛ غرائب التنبيهات ١٢٢ ، ٢

---

(٥) مرصعة : مركبة حلبة (١١) فخر : زين نهاية الأرب

(١٢) لمسه : جلده حلبة ، حسه نهاية الأرب

(١٣) قطعته : شققته نهاية الأرب || كبدر ـ منه : بدوراً أسرقت منها نهاية الأرب

(١٦) إذا ـ الحسن : رأيتها فى كف جلابها وقد بدت فى غاية الحسن نهاية الأرب

الفول الأخضر

لابن المعتز (من السريع) :

كأنما الفول ونوّاره ... فى منظرٍ راق به كلّ عينْ ٣

زمرّد أخضر لكنّه ... يفتر عن غاليةٍ فى لُجينْ

ومن غرائبه فيه (من الوافر) :

فصوص زمرّد فى غلف درّ ... مقمعة حكت تقليم ظفرِ ٦

وقد جاءك الربيع بيانآ ... موجهة فمن بيضٍ وخُضرِ

ربيع فى الربيع لكل نفسٍ ... ونقل لا يملّ بشرب خمرِ

ومن البديع لابن وكيع (من المجتثّ) : ٩

كأنّ أوراق وردٍ ... للباقلاء بهيّهْ

خواتمٌ من لجينٍ ... فصوصها حبشيّهْ

وله فى الفول الأخضر (من الخفيف) : ١٢

نوّر الباقلاء نوراً ظريفاً ... جلّ فى حسنه عن الأشكالِ

قد حكى حسنه لنا إذ تبدّا ... سرر الروم ضمّخت بغوالِ

الكتّان ١٥

لابن المعتز (من الكامل) :

أهلاً بلون اللازورد ومرحباً ... فى روضة الكتّان يعطفها الصبا

لو كنت ذا جهل حسبتك لجّة ... وكشفت عن ساقٍ كما فعلت سبا ١٨

(٦ ـ ٧) محاضرات الأدباء ٢/٥٨٥ (منسوب الى الصنوبرى)؛ ديوان الصنوبرى ، ذيل، رقم ٨٨ ، (٦ فقط) ؛ حلبة ٢٦٩ (منسوب إلى الصنوبرى) ؛ وفيات الأعيان ٤ / ٢٠٨ (منسوب إلى أبى الحسن الأنبارى) (١٠ ـ ١١) ديوان ابن وكيع ١٠٠ ، رقم ٨٢

---

(٦) مقمعة : بأقماع محاضرات الأدباء

(٢٨٩) ومن ملحه فيه (من البسيط) :

تالله ما عدل الكتّان بل جارا إذ صاغ من أزرق الياقوت نوّارا

٣ هل أعلم الغيب إنّا سوف نجعله لباساً فاحكم للأثواب أزرارا

ثم اغتدى ناثراً ياقوته سفهاً واعتاض منه جمان التبر إيثارا

وله فى الآذريون ، ولعله السكركيش (من الرجز) :

٦ كأنّ آذريوننا والشمس فيه كاليهْ

مداهن من ذهب فيها بقايا غاليهْ

وفى الغريب أيضاً من الأزهار والثمار لابن وكيع (من الخفيف) :

٩ صَعْتَرِىٌّ أدقّ من أرجل النمـ ـل وأذكى من نفحة الزعفرانِ

كسطورٍ كُسِينَ شكلًا ونقطاً من يدىْ كاتب دقيق المعانى

ومن ذلك فى الخرشف للزبير بن المرسى (من المتقارب) :

١٢ وخرشفة سكنت روضةً تخاف القطاف من أربابها

شكت للقنافذ ما تتقى فألبستها بعض أثوابها

قال : ومن ملح هذا قول ابن عمّار (من البسيط) :

١٥ وبنت ماء وترب جودها أبداً لمن يرجّيه فى ثوب من النحلِ

كأنّها فى جمال وامتناع ذرا خود من الروم فى حذر من الأسلِ

قلت : لعلّ الخرشف من ثمار المغرب فإنّه لا يعرف بمصر ولا بالشام .

١٨ وبعد أن انتهى القول بنا إلى هاهنا ، وذكرنا من المستطرف البديع ،

(٦ ـ ٧) ديوان ابن المعتز ١ / ٣٧٣ ، ـ ١ ، رقم ٣٦٣

(٩ ـ ١٠) ديوان ابن وكيع ٩٨ ، رقم ٧٤

---

(٦) آذريوننا : آذريونها الديوان

ما جمعناه فيه من ذكر ثمار الصيف والخريف وزهر الربيع ، فلنردف ذلك بذكر
طبائع الأزمان الأربعة ، وما ذُكر فى كلّ فصل منهم من المنفعة ونلحقه بما قيل
من مستحسن الشعر فى خاصّيّة زمانه وعصره وأوانه (٢٩٠) ليكون هذا الكتاب ٣
بمجموعه لمحاسن الأشياء يقيه ، إعجاباً على ما سواه إذ جمع عدّة من أنواع التشابيه ،
وبالله التوسّل ، وعليه التوكّل .

فصل الربيع ٦

إذا نزلت الشمس أوّل الحمل استوى الليل والنهار فى الأقاليم ، واعتدل
الزمان وطاب الهوى وهبّ النسيم ، وذابت الثلوج وسالت الأودية ومدّت الأنهار
ونبعت العيون ، وارتفعت الرطوبات إلى أعلى فروع الأشجار ، ونبت العشب ، ٩
وطال الزرع ، ونمى الحشيش ، وتلألأ الزهر ، وأورقت الأشجار ، وتفتّح النور ،
واخضرّ وجه الأرض ، وتكوّنت الحيوانات ، ونتجت البهائم ، ودرّت الضروع ،
وانتشرت الحيوانات فى أوطانها ، وطاب عيش أهل الوبر ، وطلع أعلا السطوح ١٢
أهل المدر ، وأخذت الأرض زخرفها ، وفرح الناس والحيوان أجمع بطيب نسيم
الهواء ، وازدانت الأرض ، وصارت الدنيا كأنّها جارية شابّة قد تزيّنت وتعطّرت
وتحلّت للناظرين وعادت كما قيل ، للصنوبرى (من البسيط) : ١٥

أما ترى الأرض قد أعطتك زهرتها مخضرّةً واكتسى بالنور عاريها
وللسماء بكاء فى حدائقها وللرياض ابتسام فى نواحيها

(١٦–١٧) حلبة ٢٧٥ ، ١٥ (منسوب إلى ابن المعتز وإلى الشامى) ؛ ديوان ابن المعتز ٢ / ٦٥٤ ، رقم ١١٤٣ ؛ نهاية الأرب ١١ / ٢٦٧ ، ١ (منسوب إلى البسامى)

(٨) الهوى : الهواء

وله (من البسيط) :

إن كان فى الصيف أثمار وفاكهة فالأرض مستوقدٌ والجوّ تنّورُ

٣ وإن يكن فى الخريف النخل مخترفاً فالأرض محسورة والجوّ مأسورُ

وإن يكن فى الشتاء الغيم متّصل فالأرض عريانة والأفق مقرورُ

ما الدّهر إلّا الربيع المستنيرُ إذا جاء الربيعُ أتاك النّور والنورُ

٦ فالأرض ياقوتةٌ والجوّ لؤلؤةٌ والنبتُ فيروزجٌ والماء بَلُّورُ

(٢٩١) تبارك الله ما أحلى الربيعَ فلا تُغْرَرْ فقائسُه بالصيف مغرورُ

من شمّ ريح تحيّات الربيع يَقُلْ ما المسكُ مسكٌ ولا الكافور كافورُ

٩ وقول الرقى فى معناه (من الخفيف) :

طاب هذا الهوى وازداد حتّى ليس يزداد طيب هذا الهواء

ذهبٌ حيث ذهبنا ودرّ حيث درنا وفضّة فى الفضاء

١٢ وقوله (من الطويل) :

أظنّ ربيع العام قد جاء تاجراً فنى الشمس بزّازاً وفى الريح عطّارا

وما العيش إلّا أن تُواجه وجهَه وتقضى بين الوشى والمسك أطوارا

(٢ ـ ٨) ديوان الصنوبرى ٤٢ ، ٣ ـ ٧ ، ٤٣ ، ٣ و ٦ ، رقم ٣٤ ، ١ ـ ٥ ، ١٣ و ١٦ ؛ حلبة ٢٧٤ ، ٨ (منسوب إلى المعوج الشامى ؛ خاص الخاص ١٣١ ، ٩ ؛ إيجاز ٦٩ ، ١٢ ؛ من غاب ١٩ ، ١ ؛ Basim le Forgeron 69 , 1

(١٠ ـ ١١) حلبة ٢٧٤ ، ـ ٩ (دون نسبة) ؛ من غاب ١٩ (منسوب إلى المعوج الرقى)

(١٣ ـ ١٤) نهاية الأرب ١ / ١٧٠ ، ٩ (منسوب إلى الثعالبى) ؛ من غاب ١٩ ؛ ديوان الثعالبى ١٦٠ ، رقم ٧٧

---

(٢) أثمار : ريحان الديوان

(٣) محسورة : عريانة الديوان || مأسور : مقرور الديوان

(٤) الغيم متصل : الغيث متصلا الديوان || عريانة ـ مقرور : محصورة والجو محصور الديوان (٥) جاء : أتى الديوان (١٠) الهوى: الهواء

(١٣) تاجراً : زائراً من غاب (١٤) أطوارا : أوطارا من غ ب

قلت : وقد تقدّم من وصف الربيع ومحاسنه فى أوّل الزهريّات ما فيه بلغة ، ولا تزال تلك حال الدنيا وأهلها من الحيوان والنبات إلى أن تنزل الشمس أوّل السرطان . ٣

فصل الصيف

يتناهى طول النهار وقصر الليل فى الأقاليم كلّها وأخذ النهار فى النقصان والليل فى الزيادة ، وانصرف الربيع ودخل الصيف ، واشتدّ الحرّ وحمى الجوّ ٦ وهبّت السمائم، ونقصت المياه فى سائر الأقاليم خلا نيل مصر فإنّه يسرع فى الزيادة، ويبس العشب ، واستحكم الحبّ وأدرك الحصاد والثمار ، وأخصبت الأرض ودرّت أخلاف النعم وسمنت البهائم ، واتّسع الناس فى القوت والثمار ، والطير ٩ من الحبّ ، والبهائم من العلف ، وصارت الدنيا كأنّها عروس بالغة تامّة كاملة كثيرة العشّاق، وقد تقدّم من وصف الثمار ونعوت الأشجار فى هذا الفصل ممّا فيه لغة للمتأمّل يغنى عن تكرار القول فيه ، فلا تزال تلك حال الدنيا وأهلها إلى أن ١٢ تبلغ الشمس آخر السنبلة .

فصل الخريف

(٢٩٢) إذا نزلت الشمس أوّل الميزان استوى الليل والنهار مرّة أخرى ، ١٥ ثم ابتدأ الليل فى الزيادة على النهار وانصرف الصيف ودخل فصل الخريف ، برد الهواء وهبّت الشمال وتغيّر الزمان ونقصت المياه وجفت الأنهار ، وعارت العيون ، ونقص نيل مصر ، وفنيت الثمار ويبس النبات ، وأخذ الناس فيما يمونهم ١٨ للشتاء ، وعرى وجه الأرض من زينتها ، وماتت الهوامّ وانجحرت الحشرات

(١٨) يمونهم : يمؤنهم

وانصرف الطير والوحش يطلب البلدان الدفيّة ، وأحرز الناس القوت لشتاءهم ودخلوا تحت السقوف واتّخذوا الجلود والجباب لأجل البرد ، وتغير الهواء وأضرّ ، ٣ وصارت الدنيا كأنّها كهلة مدبرة الشّباب قد تولّى عنها أيّام البشاشة وتولّتها ليالى الكهولة .

ولم أجد فى هذا الفصل من ذكر شىء من محاسنه إلّا أن يكون فى ذكر ٦ ثماره الكائنة فى زمانه كالبلح والخوخ والرمّان واللوز وما أشبه ذلك ، وقد تقدّم القول فيه ، ولم تزل الدنيا ذلك دأبها ودأب أهلها إلى أن تنزل الشمس أوّل الجدى .

٩ فصل الشتاء

يتناهى طول الليل وقصر النهار، ثم يأخذ النهار فى الزيادة، وانصرف الخريف ودخل الشتاء ، واشتدّ البرد وخشن الهواء وتساقط ورق الأشجار ومات أكثر ١٢ الحيوان وانجحر أكثره فى باطن الأرض وكهوف الجبال من شدّة البرد، وتناشت الغيوم وأظلم الجوّ وأكلح وجه الأرض وهزلت البهائم وضعفت قوى الأبدان ومنع الناسَ البرد من التصرّف وتمرمر عيش أكثر الحيوان وصارت الدنيا ١٥ كأنّها عجوز هرمة قد دنا منها الموت وقرب الأجل ، وأمّا ما يتّصل (٢٩٣) بذلك من ذكر الأمطار والثلوج والروق وقوّة البرد وما يتعلّق به ، فمن أحسن ما قيل فى ذلك لابن المعتزّ (من المنسرح) :

١٨ يوم من الزمهرير مقرورُ عليه جيب السحاب الزرورُ
كأنّما حشو أفقه إبَرٌ والأرض من تحته قواريرُ
وشمسه حرّة مخدّرة ليس لها من ضيائهن نُورُ

(١٨ ـ ٢٠) محاضرات الأدباء ٤ / ٥٥١ (منسوب إلى وهب الهمدانى)

وقوله (من السريع) :

قد مَنَعَ الماء من اللَّمسِ   وأمكن الجمرُ من المسّ

فليس تلقى غير ذى رِعدة   ومسلمٍ يسجُد للشمسِ

وللحاتمى (من الكامل) :

يوم خلعتُ به عذارى   فعريتُ من حُلَل الوقارِ

وضحكتُ فيه إلى الصبا   والشيب يضحك فى عذارى

وسماؤه تحبو الثرى   من درّ مكنون النُجارِ

تبكى فيجمد دمعها   والبرق يكحلها بنارِ

وقوله (من الرجز) :

كأنّما سماؤه تأكله   تبكى بدمعٍ ما جرى حتّى انعقدْ

تبعثه ريح الصبا فيبتدى   فى جوّه رُوحاً فى الأرضِ جسدْ

ولكشاجم (من البسيط) :

أما ترى الثلجَ قد خاطت أناملُه   ثوباً تزرّ على الدنيا بأزرارِ

نار ولكنّها ليست بمبدية   نُور وماء ولكن ليس بالجارِ

والراحُ قد عوزتْنا فى صبيحتنا   <بيعاً> ولو وزن دينار بدينارِ

فجُد بما شئت من راح تكون لنا   ناراً فإنّا بلا راحٍ ولا نارِ

آخر (من الكامل) :

انظر إلى فرح وتحت سماءه   ثلج يذوب على البسيط فيجمدُ

فكأنّه ندّف قطن قد غدا   بالقوس يندفه إلى من يبردُ

(٢-٣) ديوان ابن المعتز ٣ / ٣٠٦ ، ٢ ، رقم ١٨١

(٥-٨) من غاب ٦٥ (منسوب إلى السرى الرفاء) ؛ ديوان السرى الرفاء ١٣٥ ، ٤-

(١٣-١٦) ديوان كشاجم ٢٣٠ ، ٦ ، رقم ٢١٠ ، ٢ - ٥

---

(١٣) تزر : يزر الديوان

وللشريف (من المتقارب) :

تأمّل سحاباً غدا جمده يقبّل أرضاً بدت كالعروسِ

٣ ولم أرا من قبلة لاثماً بثغر يفارقه اد سوس

(٢٩٤) وقوله (من الطويل) :

يحلّ لنا ترك الصلاة بأرضكم وشرب الحميّا وهو شيء محرّمُ

٦ فإنْ كنت ربّى مدخلى فى جهنّمٍ ففى مثل هذا اليوم طابت جهنّمُ

ومن ها هنا أخذ المجد المرياطى (من المجتثّ) :

فى مثل هذا اليوم يا سيدى تطيب جهنّمْ

٩ وفيـــه يا ألف مولا ى يستحلّ المحرّمْ

فجد بخمر وجمراً ولا بعشرين درهمْ

وإن توانيت عنّي فالروح منّي تعدمْ

١٢ فابعث براحك روحى فليس والله تندمْ

فإنّنى كلّمـــا طبـ ـت قلت درّاً منظّمْ

ولست أمدح إلّا من فى غداه الغمّ

١٥ ومن الملح ذكر النار والاصطلاء بها من قوّة البرد لابن المعتزّ (من المنسرح):

كأنّما النار فى تشظّيها والفحم من فوقها يغطّيها

زنجيّة شبّكت أناملها من فوق نارنجة لتخفيها

(٥ ــ ٦) طراز المجالس ١٣٠ (منسوب إلى ابن سارة)

(١٦ ــ ١٧) مطالع البدور ٢ / ٢٠ (دون نسبة) ؛ سرور النفس ٣٦٩ ، ١ (منسوب إلى ابن المعتز)

---

(٣) ارا : أر || ا د سوس : كذا

وقوله (من المنسرح) :

اشرب على النار فى الكوانين قد انقضت دولة الرياحين
كأنّما النار والرماد به جمر عقيق فى أرض نسرين ٣

ولابن وكيع (من الخفيف) :

فحم قدم الغـــلام فأدنى فى كوانينه حياة النفوس
كان كالآبنوس غير محلّا فغدا وهو مُذْهَبُ الآبنوس ٦
لُقِى النار فى ثياب حِدادٍ فكَسَتْهُ مصبّغات عروس

ومن أحسن ما يحاضر به فى وصف السحاب والمطر والرعد والبرق لابن المعتزّ
(من الرجز) : ٩

(٢٩٥) باكية يضحك منها برقها كمثل طرف العين أو بوقٍ يجبْ
جاءت بها ريح الصبا حتى بدا منها إلى العين كأمثال الشُهُبْ
تحسبه طوراً إذا ما انصدعت أحشاؤها عنه شُجاعاً يَضطرِبْ ١٢
وتارةً تحسبه كأنّه أبلق مالَ جلّه حين وثبْ

وقوله (من الطويل) :

كأنّ السحاب الجَوْنَ دون سمائه خليعٌ من الفتيان يَسْحَبُ مِئْزَرا ١٥
إذا لَحِقَتْهُ خيفةٌ من رعوده تذكّر فاستلّ الحسامَ المُذَكَّرا

(٥ ـ ٧) ديوان ابن وكيع ٨٠ ، رقم ٤١
(١٠ ـ ١٣) ديوان ابن المعتز ١ / ٤١ ، ١ ، رقم ١٠
(١٥ ـ ١٦) ديوان ابن المعتز ١ / ١٠٨ ، ـ ٢ ، رقم ٣٠

---

(١٥) كأن . سمائه : كأن الرباب الجون دون سحابه الديوان
(١٦) خيفة ـ تذكر : روعة من ورائه تلفت الديوان

وقوله (من الطويل) :

أرقتُ لبرق آخر الليل يلمع   يُهبّ به طوراً وتعباً فيهجعُ

٣ سرا كاقتداء الطير والليل فازعٌ   حُشاشته والصبح قد كاد يطلعُ

وقول دعبل (من الطويل)

أرِقتُ لبرقٍ آخِرَ الليل مُنْصبِ   خفى كبطن الحيّة المتقلِّبِ

٦ وقوله (من البسط) :

مازلتُ أكلؤُ برقاً فى جوانبه   كطَرْفة العين يَخْبُو ثم يَختطِفُ

برقٌ يجانس طبقاً زار فى سحر   يقضى اللُبانة من قلبى وينْصَرِفُ

٩ ومن محاسن هذا الباب قول أحمد الشيرازى (من المنسرح) :

كأنّما كلّ قطرة وقعت   منها لآلٍ بدت من الصَدَفِ

لو أنّ ماذاب منه يجمد لم   يصلح لغير العقود والسنفِ

١٢ فيها من الرعد كالذباذب والصـ   ـنج إذا ما ضُربن فى شَرَفِ

وأشعل البرق فى جوانبها   مثل السيوف انتصبن من غلفِ

قد جمعت حالتين فى طلق   صوت عدول ودمع ذى شغفِ

(٢ـ٣) التشبيهات ٦٠ ، ٥ (دون نسبة) ؛ البيان ٢ / ٣٢٨ ، ٧ (دون نسبة) ؛ الزهرة ١ / ٢٣٠ ، ١٦ (دون نسبة) ؛ ديوان حميد بن ثور ١٠٧ (٣ نقــط) ؛ سمط اللآلئ ٤٤٤

(٥) ديوان دعبل ١ / ٦٥ ، ـ ٥ ، رقم ٣٤

(٧ ـ ٨) ديوان دعبل ١ / ١٥٠ ، ٢ ، رقم ١٤٧

---

(٨) يجانس ـ سحر : تجاسر من خفان لامعه الديوان

ولأبى العبّاس (من الطويل) :

خليليّ هل للمزن مقلةُ عاشقٍ | أم النار فى أحشائها وهى لا تدرى
أشارت إلى أرض العراق فأصبحتْ | وكاللؤلؤ المنثور أدمعها تجرى ٣
سحاب حكت ثكلى أصيبت بواحد | فعاجت له نحو الرياض على قبرِ
(٢٩٦) تسربل وشياً من خز وزنطرزّت | مطارفها طراز من البرق كالتبرِ
فوشْي بلا رقم ونقش بلا يد | ودمع بلا عين وضحك بلا ثغرِ ٦

ولا بن الخيّاط (من الكامل) :

راحت تُذَكِّر بالنسيم الراحا | وَطْفاء تكْسِر للجُنوح جَناحا
أخفى مسالكها الظلامُ فأوقدت | من برقها كى تهتدى مصباحا ٩
وكأنّ صوت الرعد خلف سحابه | حادٍ اذا وَنَت الرِكابُ صباحا

ولأبى جعفر (من الرمل) :

عارض أقبل فى جنح الدجى | يتهادى كتهادى ذى الوجا ١٢
بددت ريح الصبا لؤلؤه | فانبرى يوقد عنه سُرُجا

(٢ـ٦) حلبة ٣٢٩ (منسوب إلى الزاهى وابن رشيق) ؛ ديوان ابن رشيق رقم ٧١ ؛ زهر الأداب ١٩٥، ـ ٥ (منسوب إلى أبى العباس الناشىء) ؛
Fruhe Mu^{c}tazilitische Haresiographie 159,10
غرائب التنبيهات ٥٢ ، ١ (منسوب إلى الناشىء الأصغر) ؛ يتيمة الدهر ١ / ٢٤٧ (منسوب إلى أبى العباس النامى)
(٨ ـ ١٠) نهاية الأرب ١ / ٨٢ ، ٨ (منسوب إلى ابن الخياط) ؛ ناقص فى الديوان

---

(١٠) الركاب : السحائب نهاية الأرب

ولكشاجم يصف الثلج (من الكامل) :

الثلجُ يسقُط أم لجُين يُسْبَكُ   أم ذا حصى كافور ظلّ يُفرَكُ

٣ راحت له الأرضُ الفضاء كأنّها   من كلّ ناحيةٍ بثغرٍ تضحكُ

شابتْ مفارقها فأظهر شيبها   طرباً وعهدى بالمشيب يُنسّكُ

وقال يستدعى ويذكر الثلج (من الخفيف) :

٦ قد نظمنا السرور فى سمط أنسٍ   وجعلنا الزمان للهو سلكا

ونزلنا الدِنان فى يوم ثلج   عزل الغىّ فيه رشداً ونسكا

فكأنّ السماء تنخل كافو   راً علينا ونحن نعبق مسكا

٩ ولابن طباطبا (من الكامل) :

لو كنت شاهدنا عشيّة أنسنا   والمزن تُبكينا بعينى مذنبِ

والشمس قد مدّت أديم شعاعها   فى الأرض راحلةً لذيل للغرب

١٢ خلت الرذاذ برادةً من فضّة   قد غربلت من فوق نطع مذهبِ

وللشريف (من المتقارب) :

كأنّ السحاب أمام الدجى   جِمال غدت روعةً تجفلُ

١٥ يصيح من الرعد حاديها   وفى يده قبسٌ يشعلُ

النظّام (من المتقارب) :

كأنّ السحاب إذا أقبلت   نعام مشرّدةً أو نَعَمْ

١٨ تجود بما عندها كالكريم   يبغّض لا وتوالى نعمْ

(٢ ـ ٤) ديوان كشاجم ٣٧٨ ، رقم ٣٦٩ ، ١ ـ ٣

(٦ ـ ٨) من غاب ٤٨ (منسوب إلى أبى الفتح البستى) ؛ ديوان البستى ٣٥٨ ، رقم ٨٨

(٢) كافور : الكافور الديوان

(٤) شابت ـ شيبها : شابت دوائبها فبين ضحكها الديوان

(٦) قد ـ أنس : كم نظمنا عقود أنس وقصف من غاب

(٧) ونزلنا : وفتقنا من غاب || الغى : الكأس من غاب

(٨) السماء : الزمان من غاب

والسابق إلى تشبيهها بالنعام ربيعة بن مقروم الضبّي قوله (من المتقارب) :

كأنَّ السحاب دُوَين السماء نعامٌ تُعلَّق بالأرجُلِ

ولابن المعتزّ (من الكامل) : ٣

لله طيبُ صباح يوم غُيِّبت عنه الشوامتْ

وتفاوحت أنفاسه من طيب أرواح المنابتْ

حثّ السقاةَ مدامُه والزير يطرب كلّ صامتْ ٦

يوم كأنّ سماءه حُجبت بأجنحة الفواختْ

وكأنّ قطر سحابه دُرٌّ على الأغصان نابتْ

وقوله (من السريع) : ٩

باكيةٌ فوق رصيع الثرا كأنّها أجفانُ مهجورِ

تحسبها حين استوت فوقه لابسةً دواح ممّورِ

جبابها منتظم حامل كأنّه أسحاف كافورِ ١٢

---

(٢) ناقص فى شعر ربيعة ؛ قوائد الشعر ٤٢ ؛ الأغانى ١٩ / ١٥٦ (منسوب إلى زهير ابن عروة المازنى) ؛ الكامل ٣/٩٢ ، ٤ (منسوب إلى المازنى) ؛ شعر عبد الرحمن بن حسان الأنصارى ٣٤ ـ ٢ ، رقم ٣٦ ، ٣ ؛ التشبيهات ١٦٢ ، ـ ١ ؛ زهر الآداب ١٩٦ ، ٨ (منسوب إلى حسان بن ثابت) ؛ إرشاد الأريب ٦ / ١٦٥ ، ١٠ (منسوب إلى عبد الرحمن ابن حسان) ؛ سمط اللآلى ٤٤١ ؛ الأزمنة ٢ / ٢٤٧ ، ٢ (منسوب إلى بعض بنى مازن) ؛ النقائض ١٥٩ ، ٧ و ٩٣٥ ، ٩ (دون نسبة) ؛ لسان العرب ١ / ٣٨٧ ، ـ ١ (منسوب إلى عبد الرحمن بن حسان و إلى عروة بن جلهمة) ؛ الأنواء ١٧٢ (دون نسبة) ؛ نظام الغريب ١٩١

(٤ ـ ٨) ديوان ابن المعتز ٢/٦٢ ـ ٢ ، رقم ٦٤٠

وللزاهى (من المتقارب) :

أعنّى على بارقٍ ناصبٍ خفىّ كلمعك بالحاجبِ

٣ كأنّ تقلّبه فى السماء يدا حاسب أو يدا كاتبِ

وممّا يلتحق بهذا الباب من بدائع التشبيهات الملاح فى وصف الليل والصباح

لابن المعتزّ (من الطويل) :

٦ ولاحت تباشير الصباح كأنّها تفاريق شيبٍ فى عذارٍ ومفرقِ

كأنّ بقايا الليل والصبح طالع بقيّة كحلٍ بين أجفان أزرقِ

البحترى (من الكامل) :

٩ ولقد شربت مع الكواكب راكباً أعجازَها بعزيمةٍ كالكوكبِ

حتى تجلّا الصبحُ من جنباته كالماء يَلمع من خلال الطُّحْلُبِ

والغبش ينصل من دُجاه كما انجلا صِبغُ المشيب عن القذال الأشْيَبِ

١٢ الأمير تميم (من الطويل) :

ألا سقِّنيها قهوةً ذهبيّــــةً فقد ألْبَسَ الآفاقَ جُنحُ الدجى دَعَجْ

كأنّ الثريّا والظلامُ يحفّها فصوصُ لُجَيْنٍ قد أُحاطَ بها سَبَجْ

١٥ كأنّ طلوع الصبح تحت ظلامه وقد جن زنجىٌّ تَبسَّم عن فَلَجْ

(٢ ـ ٣) نهاية الأرب ١ / ٩٢ ، ٨ (درن نسبة) ؛ زهر الآداب ٨٣٧ ، ٨ ؛ سمط اللآلى ٤٤٤ ؛ الأشباه ٢ / ١٢٧ ـ ٤

(٩ ـ ١١) ديوان البحترى ٨٠ ، ١ ، رقم ٢٨ ، ١٥ ، ١٨ ، ١٧

(١٣ ـ ١٥) ديوان تميم بن المعتز ٨٩ ، ١٠

---

(٢) أعنى ـ كلمعك : أرقت لبرق عدا موهنا خفى كغمزك نهاية الأرب

(٣) كأن ـ كاتب : كأن تألقه فى السماء يدا كاتب أو يدا حاسب نهاية الأرب

(٩) شربت : أبيت الديوان (١٠) من خلال : من وراء الديوان

(١١) الغبش ينصل : والعيس تنصل الديوان || المشيب : الشباب الديوان

(١٣) سقنيها : سقيانى الديوان (١٤) يحفها : يحثها الديوان

(١٥) كأن ـ زنجى : كأن نجوم الليل تحت سواده إذا جن زنجى الديوان

ومن أحلى ما سمعته لشرف الدين الديباجي (من الوافر) :

أتانا بالكأس نحوى ذو دلالٍ شغفت به من الحبش الملاحِ
فملتُ إليه فابتسم ابتساماً فقلت الليل يبسم عن صباحِ ٣

(٢٩٨) ولابن وزير الجزيرة (من الكامل) :

اشربْ وطبْ قد شُقّ صدر الغيهبِ بأيدى الصباح بصارم متلهّبِ
واعجبْ لراكب أدهمٍ قد راعه لمّا تبدّا راكب للأشهبِ ٦
فكأنّه صبغ الشّباب وقد غدا يرتاع من صبغ العذار الأشيَبِ

ومن المحفوظ (من الكامل) :

ضحك المشيب بلمّتى مثل الصباح إذا سفرْ ٩
فكتمته والضحك ليس يليق فى زمن الكبَرْ

ومن محاسن ما يحاضر به فى ذهبيّة الشروق والمسكيّة والورديّة : قول الركن
(من الوافر) : ١٢

بدا قرن الغزالة والنواحى موردة مسكيّة الغوالى
فقلت دم البطاح مع الدياجى وذاك المسك بعض دم الغزالِ

قلت : وكنت فى سفر وقد أسفر علينا الصبح ، وعطر نسيم السحر ، فأهدا ١٥
إلينا نشر العنبر ، فقلت ونحن فى ذلك السرا ، وفى الأجفان لذّة سِنة الكرا
(من البسيط) :

وهبّ عند الصباح عَرف أهدا سروراً لكلّ سارٌ ١٨
ما طاب هذا النسيم إلّا والجوّ من عنبرٍ ونارِ

وما أحسن ما قال ابن المعتزّ (من البسيط) :

سارُوا وقد خضمت شمس الأصيل لهم حتّى تعلّق <في> ذيل الدُّجى الشفقُ

٣ يقول من قد رآه وهو ملتهبٌ إن دام هذا فإنّ الجوّ يحترقُ

ومن محاسن تشبيهاته فيما يتعلّق بذكر الصباح والنجوم والليل (من الوافر) :

(٢٩٩) كأنّ سماءنا لمّا تجلّت خلال نجومها عند الصباحِ

٦ رياضُ بنفسجٍ خَضِلٍ نداه تفتّح بينه نَور الأقاحِ

وقول ابن الزقّاق الذى يهزّ الأعطاف الرقاق (من الوافر) :

أديرها على الروضِ المندّا وحُكمُ الصبح فى الظلماء ماضِ

٩ وكأس الراح ينظر من حَبابٍ ينوب لنا عن الحَدَقِ المِراضِ

وما غَربتْ نجومُ الأفق لكنْ نُقِلن من السماء إلى الرِّياضِ

وقوله (من المنسرح) :

١٢ وأغيدٍ طاف بالكؤوس ضُحًا وحثّها والصباحُ قد وَضَحا

والروضُ أهدى لنا شقائقَه وآسُه العنبريُّ قد نفحا

قلنا فأين الأقاح قال لنا أودعتُهُ ثَغرَ مَن سقا القدحا

١٥ فظلّ ساقى المُدام ينكر ما قال فلمّا تَبسّم انتضحا

---

(٢) ديوان ابن المعتزّ ١ / ١٤٢ ــ ٢ ، رقم ٤٢

(٥ ــ ٦) ديوان ابن المعتزّ ٢ / ٥٣٤ ، ٧ ، رقم ٩٩١

(٨ ــ ١٠) ديوان ابن الزقاق ١٩٧ ، ٢ ، رقم ٦١ ؛ نهاية الأرب ١١ / ٢٧٠ ، ٨ (منسوب إلى على بن عطية البلنسى)

(١٢ ــ ١٥) ديوان ابن الزقاق ١٢٤ ، ٤ ، رقم ١٩

---

(٢) حتى ــ الشفق : حتى توقد فى ثوب الدجى الشفق الديوان

(٦) نور الأقاح : ورد الأقاحى الديوان (٨) أديرها (كذا) : أديراها الديوان

(١٣) أهدى : يبدى الديوان (١٥) ساق : ساقى || ينكر يجحد الديوان

قلت : هذا من علوّ الطبقة فوق أن ينبّه عليه ، واتّفق أن حضر هذا ابن الزقّاق فى غزوة مع الأمير أبى زكريا يحيى بن عاينة فعمل الأمير بسيفه العجائب وعاد من المجال والدم يقطر من حانتى سيفه فارتجل ابن الزقّاق وقال : ٣

والسيف دامى المضربين كجدولٍ فى حفّتيه شقائق النعمانِ

قال : فطرب كلّ من حضر من أولِي الفهم ورمى إليه الأمير بالسيف وقال: لا تخرج هذا من يدك حتى تعرضه على من يعرف قيمته فإنّك ربّ قلم . ٦

ومن محاسن هذا الشاعر قوله (من الكامل) :

وتنهدت وقد استحرّ تنهدى فوشا بذاك الندّ هذا المجمرُ

ومن أحسن ما يحاضر به فى تزيّن السماء بالكواكب وانطباعها فى المياه ٩ قول ابن طباطبا (من الكامل) :

(٣٠٠) كم ليلة ساهرتُ أنجمها على عرصات أرضٍ ماؤها كسمائها

قد سُيّرت فيها النجوم كأنّما فلك السماء يدور فى أرجائها ١٢

أحسِنْ بها لججاً إذا جاء الدجى كانت نجوم الليل من حصبائها

تصفو وترسُب فى اصطفاق مياهها لا مستغاث لها سوى إيمائها

والبدر يخفق وسطها فكأنّه قلبٌ لها قد زيغ فى أحشائها ١٥

وللبحترى (من البسيط) :

إذا النجومُ تراءتْ فى جوانبها حسبتَ أنّ سماء رُكّبَتْ فيها

---

(٨) ديوان ابن الزقاق ١٦٢ ، ٥ ، رقم ٤٢ ؛ ٢
(١١ ـ ١٥) حلبة ٣٣٩ ، ـ ٧ ؛ نهاية الأرب ٢٨٦/١ ، ٧؛ مطالع البدور ٣٦/١ ، ١١ ؛ مختار شعر بشار ٣٢١ (دون نسبة)
(١٧) ديوان البحترى ٤ / ٢٤١٨ ، ٤ ، رقم ٩١٥ ، ٢١

---

(٨) وتنهدت : وتنفست الديوان || تنهدى : تنفسى الديوان
(١٧) حسبت ـ سماء : ليلا حسبت سماء الديوان

وهو القائل (من المنسرح) :

قم سقّنيها والظّلام منهزمُ والصبح بادٍ كأنّه علَمُ
٣ والطير قد طربت فأفصحت الـ ألحان وجداً لكنّها عُجمُ
وميّلت رأسها الثريّا لإسـ رارٍ إلى الغربِ وهى تحتشمُ
فى الشرق كأسٌ وفى مغاربها قرط وفى أوسط السماء قدمُ

٦ ومما يلتحق بهذا الباب من رقائق الأشعار فى ذكر الأنهار الكبار : للنيل، لسيدوك الواسطى (من البسيط) :

قم فانتصفْ من صروف الدهر والنوبِ واجمع بكأسك شمل الأنس والطربِ
٩ أما ترى الليل قد ولّت عساكرُه مهزومةً وجيوش الصبحِ فى الطّلبِ
والبدر فى الأُفُق الغربىّ تحسبه قد مدّ جسراً على الشطين من ذهبِ

ومن ملح الصقلّى فيه (من الوافر) :

١٢ شربنا من غروب الشمس شمساً مشعشعةً إلى وقت الطلوعِ
وضوء الشمع فوق النيل بادٍ كأطراف الأسنّة فى الدُّروعِ

(٢ ــ ٥) سرور النفس ٦٢ ، ٧ (منسوب إلى ابن المعتز) ؛ ديوان ابن المعتز ٣ / ٣٦٧ ، رقم ٣٠٤ ؛ ديوان الصنوبرى ، تكملة الديوان ، رقم ١١١ ؛ قطب السرور ٦٨٥ (منسوب إلى ابن المعتز) ؛ معاهد التنصيص ١ / ١٣٩ (منسوب إلى الصنوبرى)

(٨ ــ ١٠) حلبة ٣٣٩ ، ٦ (منسوب إلى سيدوك الواسطى) ؛ غرائب التنبيهات ٢٧ ، ــ ٣ (منسوب إلى تمّار الواسطى) ؛ نوادر المخطوطات ١ / ٢٣ ، ١١ (منسوب إلى ابن تمّار الواسطى) ؛ معجم البلدان ، مادة دجلة (منسوب إلى ابن تمّار الواسطى)

(١٢ ــ ١٣) غرائب التنبيهات ٣٣، ٦ (منسوب إلى أبى الحسن الصقلى)؛ نوادر المخطوطات ١ / ٢٢ ، ٧ (منسوب إلى أبى الحسن على بن أبى البشر الكاتب) ؛ معجم البلدان، مادة نيل (منسوب إلى أبى الحسن الكاتب)

أبو الصلت (من المنسرح) :

(٣٠١) كأنّما النيل والشموع به أفقٌ سماءٍ تألّقت شُهُبا
قد كان من فضّةٍ تصيّره توقّد الماء فوقه ذَهَبا ٣

ومن البديع لابن وكيع (من الكامل) :

يوم لنا بالنيل مختصرُ ولكلّ يوم مسرّةٍ قِصَرُ
والسفن تصعد كالخيول بنا فيه وجيش الماء منحدرُ ٦
فكأنّما أمواجه عكر وكأنّما داراته صُرَرُ

ولغيره (من الكامل) :

نهر إذا < ما > عب فيه ناهلٌ فكأنّه من ريق حِبٍّ ينهلُ ٩
متسلسل في لونه فكأنّه دمع بخدّى ثاكلٍ يتسلسلُ
وإذا الرياح جرين فوق متونه فكأنّه درع جلاه صيقلُ

ولابن المعتزّ (من الوافر) : ١٢

كأنّ النيل حين جرى بمصرٍ وساح بها وكسّرت التراعُ
وفاض على الرُّبا من كلّ فجٍّ سمادات كواكبها ضِياعُ

(٢ ـ ٣) ديوان الحكيم أبي الصلط ٥٥ ، ٧ ؛ غرائب التنبيهات ٣٣ ، ـ ٤ (منسوب إلى أبي الصلط)

(٥ ـ ٧) ديوان تميم بن المعز ٢٤١ ، ـ ٣ ؛ غرائب التنبيهات ٦١ ، ٤ (منسوب الى تميم بن المعز) ؛ نهاية الأرب ١ / ٢٨١ ، ٧ (منسوب إلى تميم بن المعز)؛ خطط المقريزى ١ / ٢٧١ ؛ معجم البلدان ، مادة نيل

(٩ ـ ١١) يتيمة الدهر (منسوب إلى القاضى التنوخى) ؛ نهاية الأرب ١/٢٨٤ ، ٩ (منسوب إلى القاضى التنوخى)

(١٣ ـ ١٤) حلبة ٣٠٥ ، ـ ٦ (منسوب إلى كشاجم) ؛ ديوان كشاجم ٣٢٨

---

(٣) قصيره ـ الماء : فصار سما وتحسب النار الديوان

(٧) صرر : سرر الديوان (١٣) بمصر ـ بها : تفصت به مصر الديوان

(١٤) وفاض ـ سمادات: وأحدق بالقرى من كل وجه سماوات الديوان

وللبُحْترى (من المتقارب) :

شربنا على النيل لمّا بدا بموجٍ يزيد ولا ينقصُ

٣ فشبّهتُ تكسير أمواجه بأردافِ جاريةٍ ترقُصُ

ولابن الرومى وأجاد (من السريع) :

أما ترى الوقت والآفة والنيل فى غاية إسعافِهِ

٦ كأنّه الرقّ ونوتيُّنا يكتب واواتٍ بمجدافِهِ

ولابن المعتزّ بيت فيه (من الرجز) :

كأنّما الفلك على الأمواجِ عقاربٌ دبّت على زجاجِ

٩ الدجلة : للحاتمى (من الكامل) :

لم أنس دجلة والصبا متصوّبُ والبدر فى أفق السماء معرّبُ

فكأنّه فى الأرض ثوب أزرقٌ وكأنّه فيها طراز مذهّبُ

١٢ (٣٠٢) وأنشدنى بعضهم (من السريع) :

أقول للدجلة لمّا طغت إذ زاد حسناً ماؤها الأزرقُ

أراكِ سلّمت الوزير الذى فى راحتيه الجود لا يعبقُ

١٥ قالت لقد بالغت فى حتفه وإنّما القَرعة لا تغرقُ

(٢ ــ ٣) حلبة ٣٠٦ ، ٥ (منسوب إلى تميم بن المعز) ؛ ديوان تميم بن المعز ٢٥٥ ، ــ ٢ ؛ ديوان الوأواء ، رقم ٣٢٣ ؛ غرائب التنبيهات ٦٢ ، ٧ (منسوب إلى الوأواء)

(١٠ ــ ١١) نوادر المخطوطات ٢٢/١ ، ــ ٥ (منسوب إلى القاضي التنوخى)؛ يتيمة الدهر؛ غرائب التنبيهات ٤٧ ، ٤ (منسوب إلى القاضى التنوخى) ؛ المصون ٤١ ، ــ ٤ (منسوب إلى أبى نضلة مهلهل بن يموت بن المزرع) ؛ معجم البلدان ، مادة دجلة

ولابن نحرير البغدادى (من الطويل) :

خليلىّ ما أحلا صبوحى بدجلةٍ وأطيب منها بالصراة غَبوقى

على قمرى أفقٍ وأرضٍ تقابلا فمن شائقٍ حلو الهوى ومَشوقِ ٣

شربت على الماءين من ماءٍ وكرمةٍ فكانا كدرٍّ ذائبٍ وعقيقِ

فما زلت أسقيه وأشرب ريقه وما زال يُسقينى ويشرب ريقى

فقلت لبدر التمّ تعرف ذا الفتى فقال نعم هذا أخى وشقيقى ٦

وقال ظافر الحدّاد وقد ركب دجلة مع عين الدولة وقد جمد الهواء وجه الماء (من الكامل) :

وعشيةٍ أهدت لعينك منظراً نظم السرور به لقلبك وافدا ٩

روضاً كمخضرّ العذار وجدولاً نقشتْ عليه يدُ الجنوب مباردا

والنخل كالغيد إحسان تزيّنت ولبسن من أثمارهن قلائدا

وملح ظافر وعجائبه وفرائده لا تكاد تحصى ومصداق ذلك قوله (من ١٢ البسيط) :

كأنّما الليل يخشى الفجر يفرقه فكلّما همّ أن ينشقّ يشعبهُ

أو النجوم عِطاشٌ وهو موردهم فكلّما فاض نورٌ منه يشربهُ ١٥

منها :

وما تغنّت حمامات العشاء لنا إلّا وجاء بها فى الصبح مطربهُ

(٢ ــ ٦) دمية القصر ١ / ٣٤٠

(٩ ــ ١١) ديوان ظافر الحداد ٩٢ ، ٥ ؛ غرائب التنبيهات ١١٤ ، ٢ (١١ فقط)

(١٤ ــ ١٧) ديوان ظافر الحداد ٦٤ ، ١ ــ ٩ ، ١٠ ــ ١٣

---

(٤) ماء وكرمة : ماء كرمة دمية القصر

وله فى جزيرة مصر (من المتقارب) :

كأنّ الجزيرة إذ أوقدت وطرفى لها باهت وشاخصُ

٣ سماء مع المـــاء مخلوطة كواكبها ذهبٌ خالصُ

وللقاضى ابن قادوس فيها وأجاد (من الوافر) :

ترى سرج الجزيرة حين تبدو كأحداقٍ تُغازل فى المغازلْ

٦ كأنّ مجرّة الجوزاء حُطّت فأثبتت المنازل فى المنازلْ

ومن أغرب ما سمعت له رحمه الله بيتان فى ذمّ بادهنج قليل الهواء (من الكامل) :

٩ لك بادَهَنجٌ كاللهيب له نَفَس يهيّج لوعة الْحُرَقِ

مات الهوى به فاجتمعنا نبكى عليه بأدمع العرقِ

(٣٠٣) وأجاد ابن المعتزّ فى تشبيه غروب القمر على الماء (من الكامل) :

١٢ عاد الزمان إلى السرور فرحباً يا صاحباى فسقّيانى واشربا

من قهوةٍ ما خامرتْ ذا لوعة إلّا تعرّض للحتوف تطرّبا

قام الغلام يديرها فى كأسها فرأيت بدر التمّ يحمل كوكبا

١٥ والبدر يجنح للغروب كأنّه قد سلّ فوق الماء سيفاً مذهبا

وما أحسن ما قال الشريف (من البسيط) :

لله ليلتنا والبدر يضحك فى وجه المدام كلا الأمرين من حببِ

١٨ والبدر ألقى عليه من أشعّته فصاغ منهنّ أوراقاً من الذّهبِ

---

(٢) وشاخص : وكذا (٩ ـ ١٠) مطالع البدور ١ / ٤٦ ، ٦ ـ ٦ ؛
Vgl. Journa of Arabic Literatur VIII 1977 8 Nr. 2,
(منسوب إلى أبى الفتح بن قادوس)

(١٢ ـ ١٥) ديوان ابن المعتز ٣/٢٣٠ ، رقم ٢٣ ؛ غرائب التنبيها ، ٢٨ ، ٧ (منسوب إلى منصور بن كيغلغ) ؛ نوادر المخطوطات ١ / ٢٢ ، ١٠

ولصاحب الأندلس (من الرمل) :

طال عمر الليل عندى مذ تولّعتِ بصدّى
يا غزالاً نقض العهـ ـدَ ولم يُوفِ بوعدى ٣
أنسيت العهد مذ بتـ ـنا على مفرش وردِ
واعتنقنا كوشاحٍ وانتظمنا نظمَ عقدِ
ونجوم الليـل تحكى ذَهَباً فى لازوردِ ٦

ولأبى هلال العسكرى (من البسيط) :

قم سقّنيها ولا تنقص ولا تزدِ وعَدِّ عن ذكر أمسٍ أو حديثِ غَدِ
وانظر إلى البدر قد ألقى أشعّته كأنّه فضّــة سالت على البلدِ ٩

ومن ها هنا أخذ ابن سناء الملك قوله (من البسيط) :

ليل الحمى بات بدرى فيك معتنقى وبات بدرك ملقيًّا على الطُرُقِ

ومن أحسن ما سمعته فى الغيم على الشمس للمجد المرياطى (من السريع) : ١٢

(٣٠٤) انظر إلى الشمس وقد حُجبت فزاد عشقاً فى سناها العيانْ
كأنّها مجمــــر نار وقد لاح عليها من غمام دخانْ
فاغد لمـا أبصرته حاكياً من سحب الندّ وشمس الدنانْ ١٥

وللجمال الدمشقى (من البسيط) :

يوم لعمرك مخلوق من الطربِ الريح تلعب فوق النهر بالحَبَبِ
والشمس تبدو كمرآة مذهبةٍ ولا غلاف لها إلا من السحبِ ١٨
إن أُدرِجتْ فيـه فالآفاق عابسة أو أُخرجتْ لاح وجه الشمس من حجبِ

(٨ ـ ٩) ناقص فى الديوان

(١١) ديوان ابن سناء الملك ٤٩٦ ، ـ ٢

وكلّ ذلك مما يستخفّ بناؤه ، والسابق إلى هذا الباب ابن المعتزّ بقوله
(من الوافر) :

٣ تظلّ الشمس ترمقنا بطرف خفيّ لحظُه من خلفِ سترِ
تحاول فتق غيم وهو يأبا كعِنّينٍ يحاول فتق بِكرِ

عبد الله بن فتح (من الكامل) :

٦ غيم كثيف لا تشقّ جيوبه أحداقنا منها رمته بأسهمِ
متعرّض قدّام شمس نهاره كالماء تُبصر فيه نقش الدرهمِ

وممّا أنشد لعلاء الدين بن دفتر خان فى الغمام على القمر لم أسمع مثله
٩ (من الكامل) :

انظر إلى قمر عليه غمامة وتزحزحتْ عنه فلاحَ لمبصرِ
كنعامة باضت <تبدو> بيضةً وتكشّفت عنها بريحٍ صرصرِ

١٢ ولابن المعتزّ يصف القمر فى صبيحة مع الشمس (من السريع) :

قل لصريع الكأس قم نصطبح فالكأس تُحيي كلّ مخمورِ
ما أنت فى نومك ياسيدى وقد أتى الصبح بمعذورِ
١٥ لاسيما والشمس قد قابلت بدر الدجى فِي الأفق بالنورِ
كأنّما تلك وهذا معاً جامان من تبر وبلّورِ

(٣ ـ ٤) ديوان ابن المعتز ٢ / ٥٨٠ ، ٣ ، رقم ١٠١٨
(١٣ ـ ١٦) سرور النفس ٦٢ ، ٢ (دون نسبة)

---

(١١) تبدو : بدو الأصل

وقال (من المتقارب) :

(٣٠٥)وكأس سبقتُ إلى شربها عَذولِى كذوب عقيقٍ جرا

يشرّبها غصن ناعم من البان مَغْرِسهُ فى نقا ٣

إذا شئت كلّمنى بالجفو ن من مقلة كُحلت بالهوى

ومصباحنا قَمرٌ نيّر كتُرس لُجينٍ يشقّ السما

وقال والقمر فى نصفه وهو السابق لهذا المعنى (من السريع) : ٦

ماذقتُ طعمَ النوم لوتدرى كأنّ أعضائى على جَمْرِ

فى قمر مُسْتَرقٍ نصفه كأنّه مِجْرَفَة العِطرِ

ولابن الرومى فى معناه (من السريع) : ٩

عانقتُ من أهوى وقد طالما بتّ من الشوق على نارِ

وفوقنا للبدر على نصفه كأنّه شقّة دينارِ

ولابن المعتزّ فى محاقه (من الكامل) : ١٢

فِى ليلة أكل المحاق هلالَها حتى بدا مثل وَقْفِ العاجِ

والصبح يتلو المشترى فكأنّه عريانُ يمشى فى الدجى بسراجِ

(٣ ـ ٤) ديوان ابن المعتزّ ١ / ١٢ ، ٤ ، رقم ١

(٧ ـ ٨) ديوان ابن المعتزّ ٢ / ٥٨٢ ، ٤ ، رقم ١٠٢١

(١٣ ـ ١٤) ديوان ابن المعتزّ ٢ / ٢٩٤ ، ١ ، رقم ٨٤٤

---

(٣) يشربها : يسير بها الديوان

(٥) نير : مشرق الديوان || السما : الدجى الديوان

(٧) أعضائى : جنبى الديوان

(١٣) بدا : يبدى الديوان

وللقرطبي (من الكامل) :

والبدر في أفق السماء قد انطوت طرفاه حتّى عاد مثل الزورقِ

٣ فتراه من تحت المحاق كأنّما غرق الكثير وبعضه لم يغرقِ

ولابن دفتر خان (من الرجز) :

وقمرٍ يلوح رأس الشهرِ مثل قلامة بدر من ظفرِ

٦ ثم يرى مجرفة للعطرِ وهو إذا تنعته بالبدرِ

مرآة هندٍ ضُبِّبت بتبرِ

وأوّل من شبّهه بقلامة الظفر ابن المعتزّ في قصيدة دريّة تأتي في مكانها

٩ إن شاء الله تعالى وكذلك بمجرفة العطر وقد تقدّم ذكره،(٣٠٦)وجرت مذاكرة

فأنشد بعض الحاضرين قول الأخطل (من الوافر) :

وليلٍ بتُّ أكلوه كأنّي أقلّب فيه فوق شبا الإثافي

١٢ كأن هلاله مرآة تبرٍ لها شطر يلوح من الغلافِ

وهذا لا يخفى سبقه في الحسن ، فأنشدت لابن المعتزّ (من البسيط) :

وليلنا طائر والأنس يعجله حتى بدا الصبح مُبْيَضّ القوادمِ

١٥ وقام ناعي الدجى فوق <الجدار> كما غنّا على مرقب شادٍ بتنغيمِ

والبدر يأخذه غيمٌ ويتركه كأنّه سافر عن خدّ ملطومِ

(٢ ـ ٣) حلبة ٣٣٨ ، ٥ (منسوب إلى سعيد بن عثمان) ؛ ديوان ابن المعتز ٣ / ٣٣٠، رقم ٢٢٧ ؛ التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ١٩، رقم ٣ (منسوب إلى سعيد بن عمرون)

(٨) قارن ديوان ابن المعتز ٢ / ١١١ ، رقم ٦٩٣ ، ٨

(١١) ناقص في الديوان

(١٤ ـ ١٦) ديوان ابن المعتز ٢ / ٢٢٦ ، ٢ ، رقم ٧٩٧

(٢) أفق : جو الديوان || انطوت : انطوى الديوان (٣) تحت : محق الديوان

(١٤) وليلنا ـ يعجله : قد بت ألثمه والليل حارسنا الديوان || القوادم : المقادم الديوان (١٥) غنا : نادى الديوان || بتنغيم : بتحكيم الديوان

وهذا فى نهاية من الحسن فتأملْ إشارته للطم تشبّهاً بالمحو الذى فى القمر ، وما أملح ما قالت الجارية التى أراد المتوكّل على الله شراءها فقال : كنّا نشتريها لولا خنس فيها وكاف فأنشدت تقول (من السريع) : ٣

ما سلم الظبى على حسنه كلا ولا البدر الذى يوصفُ
الظبى فيه خنس ظاهر والبدر فيه كَلَفٌ يُعرَفُ

فأمر بشرائها ولو بأغلا ثمن . ٦

ومن أحسن ما سمعت فى قصر الليل وطوله :

فمن بديع النثر ، ليلة فى لباس ، بنى العبّاس ، طرف يرعى النجوم مطروف، وفراش بشمار الهموم محفوف ، النجوم شهود بسهاده ، وتأمّله وعدم رقاده ، هرم ٩ الليل وشمطت ذوائبه ، وتقوس ظهره ، وتصرم عمره، وأنشدوا (من البسيط) :

عهدى بنا ورداء الوصل يجمعنا والليل أطوله كاللمح بالبصرِ
فاليوم ليلى قد غابوا فديتهمُ ليل الضرير فصبحى غير منتظرِ ١٢

وفى قصره (من المنسرخ) :

(٣٠٧) ياليلةٍ كاد من تقاصرها يعثر فيها العشاء بالسحرِ
يسير فيها وصالها عجلاً فيلتقى هجرها على قدرِ ١٥

(٢ ــ ٥) المستطرف ١ / ٧٩ ، ٧ ؛ الفاضل فى صفة الأدب الكامل ٢ / ٩٩ ، ٣ ؛ الأذكياء ٢٦١ ؛ تحفة اليمن ٩ ، ــ ١ ؛ روض الأخيار ٢٨٨ ، ١١

(١١ ــ ١٢) يتيمة الدهر؛ رسالة الطيف ١١٢، ٢ (منسوب إلى سيدوك الواسطى)؛ ديوان الصبابة ١ / ١٠٨ ؛ الحماسة الشجرية ٢١٤ ، ٨ / ٢ ، ٧٣٩ رقم ٦٧٠ (دون نسبة)؛ ديوان المعانى ١ / ٣٤٨ ، ــ ٨ (دون نسبة) ؛ من غاب ٥٥ (منسوب إلى سيدوك الواسطى)؛ طراز المجالس ٢٢٦ (منسوب إلى عبد الله القسوى الضرير) ؛ ثمار القلوب ٦٣٥ (منسوب إلى سيدوك الواسطى) ؛ حلبة ٣٤٤

(١٤ ــ ١٥) حلبة ٣٤٤ ، ١ (دون نسبة)؛ ديوان الشريف الرضى ١/٥١٨ ، ٥ ؛ الحماسة الشجرية ٢١٤ ، ٦ / ٢ ٧٣٨ رقم ٦٦٩ (منسوب إلى الرضى ، ١٤ فقط) ؛ ديوان ابن المعتز ٣ / ٣٠١ ، رقم ١٦٩ (١٤ فقط)

(١٥) يسير ــ قدر : تطول فى هجرنا وتقصر فى الوصل فما نلتقى على قدر حلبة

وفى طوله (من البسيط) :

ما بال أنجم هـذا الليل حائرةً أضلّت القصد أم ليست على فلكِ
٣ ظلّت رهائنَ جنٍّ لا حَراكَ بها كأنّها جثثٌ صَرعَى بمعتركِ
قم يا نديمى فهات الكأس مُترعةً وسقّنيها ولا تسأل عن الدَرَكِ

وما أحسن قول ذى الرمّة ها هنا (من الطويل) :

٦ ألمّت بنا والليل داج كأنّه جناح حمام عنه قد نفض القطرا
فقلت لعطّار ثوبى فى رحالنا وما احتملت يوماً سوى ريحها عطرا

ولنعود إلى ذكر الجوّ والنجوم : ابن المعتزّ (من الرجز) :

٩ قم سقّنى صافيةً تطرد عن قلبى الفكرْ
أما ترى الصبح انجلى عن منظر الطرف الأغرْ
والجوّ صاح قد حكى بأنجم فيه غُرَرْ
١٢ جامُ زجاجٍ أزرقٍ قد نُثرت فيه دُرَرْ

وقوله (من الرجز) :

قم سقّنى صافيةً تهتك ستر الغسَقِ
١٥ أما ترى الصبح بدا فى ثوب ليلٍ خَلَقِ
أما ترى جوزاءه كأنّها فى الأفقِ
مِنطَقةٌ من ذَهَبٍ فوق قَباء أزرقِ

(٦ ـ ٧) مانص فى الديوان
(١١ ـ ١٢) ديوان ابن وكيع ٧٥ ، رقم ٣٩
(١٤ ـ ١٧) نهاية الأرب ١ / ٦٦ ، ـ ٢ (منسوب إلى ابن وكيع) ؛ ديوان ابن وكيع ٨٣ ، رقم ٥٢

وقوله فى غروب النجوم وأجاد (من الطويل) :

كأنّ نجوم الليل فى فجرها وقد جدّ منها للغروب عوازمُ
عيون حماها الشوق أن تطعم الكرى فأعينها مستضعفات نوائمُ ٣

(٣٠٨) وقوله (من الرجز) :

وليلةٍ فى لونها مثل سواد مفرقى
كأنّما سوادها حشو العيونِ الرمقِ ٦
كأنّما نجومها فى مغربٍ ومشرقِ
دراهمٌ قد نُثرتْ فوق بساط أزرقِ

وقوله فى الثريّا (من الطويل) : ٩

نجوم الثريا قد أسبلت مدامعى وهيّجت لى ذكر البدور الطوالعِ
كأنّ الثريا وهى فى الليل أعين تلاحظنا من تحت زرق البراقعِ

آخر (من الطويل) : ١٢

وليل أقمنا فيه نعمل كأسنا إلى أن بدا للصبح فى الليل عسكرُ
ونجم الثريّا فى السماء كأنّه على حُلّة زرقاء جيب مدنّرُ

ولابن المعتزّ (من الطويل) : ١٥

وليلٍ جنّدْنا فيه خيل كؤوسنا بميدانِ لَهْوٍ والهمومُ تصرّعُ
ولاحت لعينىّ الثريّا كأنّها على هامة الظلماء تاج مرصّعُ

(٢ ـ ٣) ديوان الخالديين ١٤٤ ؛ غرائب التنبيهات ٤٥ ، ٢ (منسوب إلى أبى عثمان الخالدى) ؛ معاهد التنصيص ٢/١٠٤ (منسوب إلى أبى عثمان الخالدى) ؛ يتيمة الدهر

(١٣ ـ ١٤) حلبة ٣٤٧ ، ٢ (منسوب إلى الحاتمى)

وله فى الثريّا والهلال (من البسيط) :

قم سقّنى الراح يا نديمى فإنّها مطراد الهموم
٣ فقد تبدّا هلال شهرٍ قدومه أيمن القدوم
كأنّه فى السماء فخّ ينتظر الصيد للنجوم

وقوله (من الكامل) :

٦ وبدا الهلال بأفقه فكأنّه نون معرّقة على فيروزجِ
وكأنّ أنجمه بقايا نرجسٍ خَضِلٍ تطلّع فى رياضِ بنفسجِ

السرىّ الموصلى وأجاد (من الوافر) :

٩ ألا عدلى بباطية وكأسٍ وإبريقٍ وجاماتٍ وطاسِ
وذاكرنى بشعر أبى فراسٍ على خمر كشعر أبى نواسِ
ونهر مرهفات الغيم فيه عوار والرياض به كواسِ
١٢ ولاح لنا الهلال كشطر طوقٍ على لبّات زرقاء اللباسِ

ومن البديع فى هذا المعنى (من المنسرح) :

أهلاً وسهلاً بالنأى والعود وقَدِّ ساقٍ كالغصن مقدودِ
١٥ قد انقضت دولة الصيام وقد بشّر سقم الهلال بالعيدِ
يتلو الثريّا كفاغرٍ شَرِهٍ يفتح فاه لأكل عنقودِ

(٦ ـ ٧) ديوان ابن المعتز ٣ / ٢٥١ ، ١ ، رقم ٦٢ ؛ ديوان تميم بن المعز ٨٧
(٩ ـ ١٢) ديوان السرى الرفاء ١٥٢ ، ٥ ـ ٧ ، ٩
(١٤ ـ ١٦) نهاية الأرب ١/٥٣ ، ٨ (١٥ و ١٦ فقط ، دون نسبة) ؛ ديوان ابن المعتز ٢ / ١٠٠ ، رقم ٦٨٦

---

(٦) وبدا ـ معرقة : وانظر إلى حسن الهلال كأنه نون مذهبة ديوان ابن المعتز
(٧) بقايا : فرادى ديوان ابن المعتز || فى : من ديوان ابن المعتز
(٩) وإبريق ـ طاس : ورع همى بابريق وصاس الديوان
(١٠) أبى فراس على خمر : أبى نواس على روض الديوان
(١١) ونهر ـ فيه : وغيم مرهفات البرك فيه الديوان

وللسرىّ أيضاً فى هذا المعنى (من المنسرح) :

جاءك شهر السرور شوّالُ ‏ ‏ ‏ وغال شهر الصيام مغتالُ

سيرقب العيد والهلال معاً ‏ ‏ ‏ قوم لهم إن رأوه إهلالُ ٣

كأنّه قيد فضّة حرج ‏ ‏ ‏ فض عن الصائمين فاختالوا

وقالوا : بيد الكأس ، تعرك أذن الوسواس ، وأنشدوا (من الوافر) :

إذا ما جاء شوّالٌ عكفنا ‏ ‏ ‏ على كأس وساطيه ردوم ٦

وإن هم أضاف بنا عركنا ‏ ‏ ‏ بأيدى الكاسِ آذان الهمومِ

وأنشدوا (من الهزج) :

أشَهْرَ الصوم ما مثـ ‏ ‏ ‏ لك عند الله من شهرِ ٩

وإنّى والذى فضّـ ‏ ‏ ‏ ل أوقاتك بالذكرِ

لمسرور بأن تُفْنَى ‏ ‏ ‏ على أنّك من عمرى

وأحسن الذى قال فى مدحه (من الخفيف) : ١٢

إنّ شهراً يكون آخره العيـ ‏ ‏ ‏ د ومنهاجُ والجيه السرورُ

لجدير بأن يقالّ على الأشـ ‏ ‏ ‏ هر طول الزمان وهو أميرُ

وأحسن من هنّأ به إذ يقول (من الخفيف) : ١٥

(٣١٠) نلت فى الخير كلّ ما تشتهيهِ ‏ ‏ ‏ وكفاك الإلاه ما تتقّيـهِ

أنت فى الناس مثل ذا الشهر فى الأشـ ‏ ‏ ‏ هر بل مثـل ليلة القدر فيه

(٢ ـ ٤) من غاب ٥٧ (منسوب إلى السرى) ؛ ناقص فى الديوان

---

(٤) حرج : هزج من غاب || عن : على من غاب

الصابئ يهنئ بالعيد (من المنسرح) :

يا عيد عد بالرجا على رجل لنا به عصمة ومنتفعُ
٣ وياصروف الردى ذريه لنا يبقى ففى الأغنياء متّسعُ

وقال يهنئ بعيد الأضحى (من الهزج) :

مهنّئك وصابيكا بذى الأضحى يهنّيكا
٦ ويدعو لك الله مجيب ما دعا فيكا
أرانى الله أعداءك فى مثل أضاحيكا

رجع الكلام إلى التنّين المسمّى ظنين

٩ فلمّا فهم ظنّين هذه المعانى ، التى تعيد السليم عانى ، ابتهج فرحاً ، وماس إعجاباً ومرحاً ، وقال : إن كنت طُردتُ من جنان الرحمن ، فقد تعوّضت هذه الجنان ، فى أمان من الزمان ، وإن كنتُ أُخرجت مع الطاووس وإبليس ١٢ فقد عُمّرت وملكت ما لا ملكته بلقيس ، إذ الدرّ فى خزائنها مخزوناً ، والمرجان من غرّته يكلّل به أعالى التيجان ، وها هو عندى حصباء هذه الأنهار ، يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ، فليلى به نهار ، وجميع أوقاتى بظلال هذه الأشجار ١٥ أسحار ! وشمخت نفسه الرديّة ، ووسوست له بالأبديّة ، فتمرّد وتنمّر ، وتعاظم وتكبّر ، ولم يزل فى طغيانه يعمّه ، وكفر تلك النعمة ، إلى أن قربت الغزالة أن تذهب ، وألبست رؤوس الربا كلّ تاج (٣١١) وخلعت على تلك الغدران، ١٨ غلائل زعفران ، فعادت كأصباغ العروس ، أو كذنب الطاووس فهى فى الإشارة كقول ابن سارة (من الخفيف) :

انظر النهرَ فى رداء عروسٍ صبغته فى زعفران العشىّ
٢١ ثم لما جرى النسيم عليه هزّ عطفيه فى دلاص الكمىّ

ومن البديع لابن وكيع (من المتقارب) :

غدير تدرّج أمواجه هبوبُ النسيم ومرُّ الصَّبا
إذا الشمس من فوقه أغربت توهّمته جوشناً مُذهَبا ٣

وقوله (من الطويل) :

سقانيَ كأس الراح شاطئ جدولٍ تداريجه يحكين بطناً مُعكّنا
إذا صافحته راحةُ الريح خلته بتكسيرها إيّاه ثوباً مُعيّنا ٦

وأنشد صاحب القلائد (من الطويل) :

ركبنا سماء النهر والجوّ مُشرقٌ وليس لنا إلّا الحباب نجومُ
وقد ألبسته الأيك برد ظلالها وللشمس فى تلك البرود رقومُ ٩

وقوله (من البسيط) :

واهاً لها من بِطاحِ روضٍ وحُسنِ نهرٍ بها مطلّ
إذ لا ترى غير وجه شمس أطلّ فيه عذار طلّ ١٢

وقوله (من الكامل) :

والريح تلطم فيه أرداف الربا عبثاً وتقرص أوجه الغدرانِ

وقوله (من الكامل) : ١٥

والنهر لما راح وهْو مسلسل لا يستطيع الرقصَ ظلّ يصفقُ

وفى البحر لابن وكيع أيضاً (من البسيط) :

أما ترى البحر ما أحلا شمائله يأتى إلى البرّ حيناً ثمّ ينصرفُ ١٨
كأنّه ملك وافت عساكره تُقبّل الكفّ منه ثم تنصرفُ

(٢ - ٣) ديوان ابن وكيع ٣٩ ، رقم ٤

وطلب ابن عبّاد من إشبيليّة ابن رشيق الأديب فاعتذر بركوب البحر وقال (من البسيط) :

٣ (٣١٢) البحر مُرّ المذاق صعبٌ لا جُعِلَتْ حاجتى إليهِ
أليس ماء ونحن طينٌ فما عسى صبرُنا عليهِ

وأنشدنى بعض الأصحاب وقد ركبنا البحر لنزهة (من الخفيف) :

٦ أى نهر رأيته مثل مَيْتٍ بَعَثَ الله فيه بالرَّوح رُوحا
قد ركبنا به من العود طرفاً بجناح به يروم الجنوحا
فاض فيضاً أقلنا طوفان نوح وحكينا بفوزنا منه نوحا

٩ فأعجبنى واستعدته وسألته من أين أخذ معنى البيت الأوّل فقال : من قول ابن حبيب المصرى (من البسيط) :

إذا النسيم جرى فى مياهها اضطربت كأنّما ريحه فى جسمها رُوحُ

١٢ وممّا يلتحق بهذا الباب ذكر البرك والنواعير : ابن هانئ فى بركة (من الكامل) :

ولقد طربتُ على محاسن بركةٍ زرقاء تحسبها مذاب الجوهرِ
١٥ قد كُلِّلت حافاتها بربيعها فتقيد للأبصار بهجةَ منظرِ
فكأنّها المرآة فى تدويرها قد طوّقوها طوق شمعٍ أخضرِ

وقوله فى الجداول (من الكامل) :

١٨ أرأتْ عيونُك مثلَه من منظرٍ شمس وظلّ مثل خدّ مغدرِ
وجداولٍ كأراقمٍ حصباؤها كبطونها وحبابها كالأظهرِ

(٢ — ٣) ديوان ابن رشيق ٢٢٦ ، رقم ٢١٢ ؛ نهاية الأرب ١ / ٢٥٥ ، — ٨

---

(١١) مياهها : ماءها

وقوله فى السمك الراى (من البسيط) :

كأنّما الراى والصيّاد يُخرجه ... بلطفِ حيلته من غامض اللججِ

أسِنّة صُقِلَتْ ما مسّها جربٌ ... مخضّبات العوالى من دم المهجِ

وقوله فى الرشال (من الوافر) :

(٣١٣) كأنّ الرشل إذ يبدو سريعاً ... بأذناب كمحمرّ العقيقِ

بلسقبنات بلّور لطـــافٍ ... أسافلها بقايا من رحيقِ

ومن أحسن ما سمعت فى النواعير : للسرى الموصلى (من السريع) :

كم نعرتْ بالمـاء ناعورة ... <حنينها> كالبريط الفاعرِ

تحسبها فى شدوها قينـةً ... تردّد الصوت على زامرِ

كأنّما كيزانُها أنجمٌ ... دائرةٌ فى الفلك الدائرِ

وأنشد الحاتمى (من الطويل) :

وناعورة بين البساتين أصبحت ... قواديسها شبه الـكواكب تزهَرُ

كأرملةٍ ضمّت إليها بناتها ... تنوح بشَجْوٍ والمدامع تقطرُ

وما أملح ما قال أبو عبد الله (من البسيط) :

وذى حنين تـكاد شجواً ... يختلس الأنفس اختلاسا

إذا غدا للرياض راحا ... قال لها المحْلُ لا مَسَاسا

(٨ ـ ١٠) ديوان ابن الرومى ٣ / ١١٥٠ ، ٧ ، رقم ٩٢٦

---

(٨) كم ـ كالبريط : تغرق بالـكيزان ناعورة حنينها كالبريط ديوان ابن الرومى

(٩) تحسبها ـ الصوت : فتارة تحسبها قينة تردد اللحن ديوان ابن الرومى

(١٠) فى ـ الدائر : فى فلك دائر ديوان ابن الرومى

يبتسم الزهر حين يبكى بأدمع ما رأين ناسا
من كلّ جفن يسلّ سيفاً صار له غمده رياسا

٣ وأنشد صاحب روح الشعر (من الكامل) :

لله دولاب يفيض بسلسل في روضة قد أينعت أفنانا
قد طارحته به الحمائم شجوها فتجيبها وترجّع الألحانا
٦ فكأنّه دنف أطاف بمعهد يبكى ويسأل فيه عمّن بانا
ضاقت مجارى طرفه عن دمعه فتفتّحت أضلاعه أجفانا

وللشريف فى الطبقة العالية (من الهزج) :

٩ ودولاب إذا دار يزيد القلب أشجانا
سقى الغصن وغنّاه فما يبرح نشوانا

(٣١٤) هنالك رجع ظنين طالباً وكره ، طافحاً فى نشأات سكره ، ولم يعلم
١٢ أنّه قد خاب فى حدسه ، وغيّر به لما غيّر ما فى نفسه .

(٤ ــ ٧) حلبة ٢٨٩ ، ٥ ؛ نهاية الأرب ١ / ٢٨٨ (منسوب إلى أبى حفص ابن وضاح)

(٩ ــ ١٠) حلبة ٢٩٠ ، ١٣ (دون نسبة)

المحاضرة الثانية : الأوائلية
وما خص منها فى هذا التأريخ

وكان ظنين ، فى تلك السنين ، لمّا تحاذره الآدميّين، قد جعله صيده وغداءه ٣
وحوش الفلاة ، لا يخشى كبيرها ، ولا يرثى لصغيرها ، حتى صار كلّ وحش
شارد ، عن المراعى والموارد ، فلمّا زاد بهم البلاء ، وتحاذروا الكلاء ، وعطشوا
من الماء ، وهلكوا من الظماء ، اجتمعوا بباب الملك الهُمام ، الأسد الضرغام ، ٦
ملك الوحوش وقائد الجيوش ، ورفعوا إليه حالهم، وما من ذلك التمّين قد نالهم ،
فلمّا علم شكواهم ، وفهم نجواهم ، زمجر بصولته ، وجمع كبار دولته ، وقال :
اعلموا أنّ الملك أحقّ باصطفاء رجاله ، منه باصطفاء ماله ، لأنّه مع اتّساع الأمر ٩
وجلالة القدرة ، لا يكتفى بالوحدة ولا يستغنى على الكثرة ، ومثله فى ذلك
مثل المسافر فى الطريق البعيدة الذى يجب عليه أن تكون عنايته بفرسه المجنوب ،
مثل عنايته بفرسه المركوب ، ومشورة ذى التجارب ، من بلغ المآرب . ١٢

واعلم < أنّ > الملوك تحتاج إلى وزير ، وأشجع الناس يحتاج إلى سلاح ،
وأجود الخيل يحتاج إلى سوط ، وأجود الشفار يحتاج إلى مِسنّ ، ومثل الملك
الصالح مع الوزير الفاسد مثل الماء الصافى العذب النَمير الذى فيه التماسيح فلا يستطيع ١٥
الناس وروده (٣١٥) وإن كان سائحاً ، ومن كلام فيثاغورس : معاشر الناس
لا تضمروا غش الأئمّة ! فإنّه من أضمر ذلك أظهره الله على صفحات وجهه
وفلتات لسانه وشجيّة أحواله ، والإشفاق على حاشية الملك وخدمه ، كالشفقة على ١٨
ديناره ودرهمه ، وإذا نصر الهوى بطل الرأى ، ووالله ما عزّ ذو باطل ولو طلع
من جبينه القمر، ولا ذلّ ذو حقّ ولو أصفق العالم عليه ، وقد قال لقمان فى وصيّته:

يا بنىّ شاور من جرّب الأمور فإنّه يعطيك من رأيه ما قام عليه بالغلاء وأنت تأخذه بالمجون .

٣ واعلموا أنّ لا صلاح للخاصّة مع فساد العامّة ، وأنّ لا سلطان إلّا برجال ولا رجال إلّا بمال ولا مال إلّا بعمارة ولا عمارة إلّا بعدل وحسن سياسة ، وقد قيل : كن ليّناً من غير ضعف وشديداً من غير عنف .

٦ واعلموا أنّ الإرجاف مقدّمة السكون وبريد الفتنة ، والعجم تقول : ينبغى أن يجتمع فى قائد الجيش وثبة الأسد ، واستلاب الحدأة ، وختل الذئب ، وروغان الثعلب ، وصبر الحمار ، وحملة الخنزير ، وحراسة الكركى ، وبكور الغراب ،

٩ ومع ذلك يحتاج إلى الوزراء ذوو الرأى السديد فى الأمر الشديد

والآن فقد اتّصل بنا ما الرعايا فيه من البلاء ، ونزوحهم عن الماء والكلأ لتعرّض هذا التنّين المسمّى ظنين ، وإنّه قد أفنى الجيوش، ولمّا يأس من الآدميين

١٢ سطا بشرّه على الوحوش ، وهو كما علمتم أنّه مُرّ المذاق ، وعدوّ لا يطاق ، فما عندكم من الرأى فى أمره ، فى حيلة نصل بها إلى إنفاد عمره ، من غير عناء ولا تعب ولا همّ ولا نصب ؟

١٥ (٣١٦) فنهظ أكبر وزراء الحضرة ، النمر ذو الرأى والخبرة ، وقال : أيّها الملك العادل ، والسلطان الفاضل ، قد قيل لوزراء العجم : ينبغى للملك أن يبنى أمره مع عدوّه على أربعة أوجه : على البذل واللين ، والكيد والمكاشفة ،

١٨ وذلك مثل الخراج فأولى علاجه التسكين ، فإن لم ينفع فالإنضاج والتحليل فإن لم ينجع فالبطّ ، فإن لم ينفع فالكىّ وهو آخر العلاج ، وهذا العدوّ فليس ينفع فيه البذل ولا اللين ، إذ البذل بالمال لا يرضيه ، واللين له ممّا يزيده ويطغيه ،

---

(١٥) فنهظ : فنهض

ولا بقى غير الكيد والمكاشفة ، وتقديم الكيد أولى بإن نجح فأراح ، وإلّا فالمكاشفة والكفاح ، وليس لهذا الأمر كالقاضى العدل ، ذو العلم والفضل ، الذى فاق بفضله المتقدّمين ، أبو الحصين حاذق الأمين ، فإنّه إن شاء الله تعالى ٣ يقوم بهذا الأمر ، ويكون سبباً لإخماد هذا الجمر .

وكان بصحراء السند وجبال الهند ثعلب يسمّى حاذق يلقّب بالأمين ، قد أتت عليه عدّة من السنين ، نشأ ببلاد الحجاز ، وقطن مدّة بالعراقين والأهواز ، ٦ واطّلع على أخبار المتقدّمين ، وصحب جماعة من العلماء الإسلاميّين ، وأدرك شعراء الجاهليّة والمخضرمين ، ومن تلاهم من المولّدين ، وبعدهم من المحدثين ، وقرأ كتب الحكماء والفلاسفة والمتكلّمين ، وكان مع ذلك حسن الاعتقاد ، ٩ خالى من الانتقاد ، جيّد اليقين ، من خيار عباد الله المتّقين .

فلمّا سمع الملك قول الوزير ذو الرأى والتدبير ، علم أنّه قد أصاب ، ممّا أشار ، فما خاب ، من استشار ، فقال: لقد نصحت أيّها الوزير الصالح ، والصديق الناصح ، ١٢ ولقد دللت على الرأى الكبير ولا ينبئك (٣١٧) مثل خبير ، وأمر فى وقته بإشخاص حاذق على البريد ، ليكون أسرع لما يريد ، وكان حاذق قد فوّض إليه تدبير الجيوش والقضاء والحكم بين الوحوش ، ترجع إلى إشارته جميع الحكّام ١٥ من أقصى الصين إلى خوارزم مع جبل القبخ وجبل اللكام ، وقد استبارك بحسن سياسته الجرع ، وصار عليه الورود وعنه الصدور والرجوع ، حتى طارت بعلوّ طبقة بلاغته أجنحة العقبان ، وسارت بعذوبة منطقه وفصاحته عيس الركبان ، ١٨ ولم تكن إلّا أيّام ، وقدم حاذق فى غاية الإكرام ، فسرّ الملك بقدومه ومأتاه ، وأكرم نزله ومثواه ، إلى أن زال عنه وعثاء السفر ، وعناء السهر ، ثم أحضره وبجّل مقامه ، وزاد فى برّه وإكرامه ، وسأله كيف كان طريقه ، ولاطفه ٢١

حتى عاد كأخيه شقيقه ، هـذا وحاذق يقوم بأداء الفرض ، من دعاية وتقبيل الأرض .

٣ ثم إنّ الملك قال : أيّها القاضى الفاضل ، والبارع الـكامل ، إنّ أنفسنا كانت إلى لقائك تتوق ، وأنا إلى مشاهدتك مشوق ! فقال حاذق : هذه عوائد أنفس الملوك الحـكماء الـكرماء ، أن يتوق إلى مشاهدة العلماء الحـكماء ، فقال ٦ الملك : محلّك عندنا محلّ الوالد الشفوق ، والأخ الصدوق ، فنهظ حاذق وقبّل الأرض بين يديه ، وأثنى بمـا يليق به عليه ، فقال الملك : خفّف عليك أيّها القاضى الفاضل ، والرئيس الـكامل ، والعالم العامل ، فإنّ كلّ الناس أحقّاء ٩ بالسجود لله عزّ وجلّ وأحقّهم بذلك من رفعه الله عن السجود لأحد من خلقه ، وقد فهمتُ أنّ سجودك هذا إنّما هو لله شـكراً لما أولاك من فضله ، ومَنّ عليك من طوله ، فإنّنى جعلت مجلسى هذا للقبلة ، ليـكون السجود كلّه لله !

١٢ (٣١٨) فقال حاذق : لست ممّن أشكّ فى فضل الملك ودينه ، وحسن اعتقاده ويقينه ، وأنت السلطان ، العظيم الشان ، الـكثير العدل والإحسان ، المتواضع عن رفعه ، والعفو عن قدره ، المستحقّ فى هذا الزمان قول معاوية بن أبى سفيان:

١٥ إنّى لآنف أن يكون فى الأرض جهل لم يسعه حلمى ، وذنب لم يسعه عفوى ، وحاجة لم يسعها جودى ، ونحن الزمان من رفعناه ارتفع ، ومن وضعناه اتّضع ، وكان يقال : أخلق بدم المستخفّ بالملوك أن يكون جبّاراً ، فإنّ الملك خليفة الله ١٨ فى بلاده وفى عبـاده ، ولن يستقيم أمر خلافته مع مخالفته ، والسلطان ظلّ الله فى الأرض ، يأوى إليه كلّ مظلوم ، ويأمن به كلّ خائف ، ومن عصى السلطان ، فقد أطاع الشيطان ، وفساد الرعيّة بلا ملك كفساد الجسم بلا روح ، وقد قيل :

٢١ إذا زادك السلطان تأنيساً فزده إجلالاً وتعظيماً .

---

(٦) فنهظ : فنهض

فقال الملك : لست ممّن يشكّ فى عقلك وفضلك ، وعلمك وحلمك ، لكن ما السبب فى انقطاعك عن مقامنا ، وأنت من أجلّ حكّامنا ، ومنزلتك عندنا عليّة ، ومحبّتنا فيك أزليّة ، فلو كنت بأبوابنا لم يكن أحد أقرب منك إلينا ، وكنت آخر خارج من عندنا ، وأوّل داخل علينا !

فقال حاذق: أيّها الملك الفاضل ، والسلطان العادل، إنّ مثل أصحاب السلطان كقوم رقوا جبلاً ثم سقطوا منه فكان أبعدهم فى المرقى أقربهم من التلف ، ومثل السلطان كالجبل الصعب الذى فيه كلّ ثمرة طيّبة وكلّ أفعاء قاتلة ، فالارتقاء إليه شديد والمُقام فيه أشدّ ، ومن تحمّى مرقة السلطان احترقت شفتاه ولو بعد حين ، (٣١٩) وأشْقى الناس بالسلطان صاحبه كما أنّ أقرب الأشياء إلى النار أسرعها احتراقاً ، ولا يدرك الغنى بالسلطان إلّا نفس حافية وجسم تعب ودين مثلم ، وقد قيل : لا يلتبس بالسلطان فى وقت اضطراب الأمور عليه فإنّ البحر لا يكاد يسلم راكبه فى حال سكونه فكيف فى حال اضطراب أمواجه ، وقد قيل : ليكن السلطان عندك كالنار لا تدنو منها إلّا عند الحاجة إليها ، فإن اقتبست منها فعلى حذر ، ولولا وثوقى بفضل الملك وعلمه ، وجودة عفوه ، وسعة حلمه ، لما تجاسرت بموعظة ، ولا تفرّهت بكلمة مومضه .

فقال الملك : ليس عليك أيّها القاضى الفاضل من بأس ، وكلامك محمولاً على الرأس ، لتحقّق بعقلك ورشدك ، ودينك وزهدك ، وإنّى الآن مسائلك عن ما كان يختلج بباطنى ولم أجد له شارح ، ولم أكن لأحدٍ غيرك به بائح إذ أنت ربّ كلّ مسألة ، وكاشف كلّ معظلة .

فقال حاذق : سل أيّها الملك تجاب ، بمعونة من إذا دُعى أجاب !

---

(٧) أفعاء : أفعى (١٩) معظلة : معضلة

فقال الملك: ما السبب فى امتناع إبليس عن السجود لآدم دون سائر الملائكة؟
فقال : فى ذلك عدّة وجوه وأقربها الحسد الذى داخله منه ، فإنّ الحسد أوّل
٣ ذنب عصى الله به فى السماء والأرض ، أمّا فى السماء فما كان من حسد إبليس لآدم
صلوات الله عليه حين ترفّع عن السجود له كما أخبر الله عزّ وجلّ فى كتابه
العزيز ، وأمّا فى الأرض فما كان من حسد قابيل لأخيه هابيل على تقبّل القربان
٦ منه دونه حتى قتله فأصبح من النادمين .

فقال الملك : فأخبرنى أيّها القاضى العالم العامل (٣٢٠) الفاضل الكامل ،
عن أوّل كلّ شىء ومن استسنّه ، حتّى عاد فى بنى آدم سنةً بأوجز لفظ ، ليكون
٩ أقرب للحفظ ، فقال حاذق : حبّاً وكرامةً ، ونسأل الله تعالى المعونة والسلامة ،
وأن يخصّنا فى دار الزلفى بالكرامة .

أوّل من غرس النخلة واستخرج القطنة أنوش بن شيث بن آدم ، ويروى
١٢ أنه أوّل من بوّب الكعبة ونطق بالحكمة .

أوّل من أظهر علم النجوم ودلّ على تركيب الأفلاك وقدّر مسير الكواكب
وكشف عن وجوه تأثيرها ونبّه على عجائب الصنع فيها إدريس عليه السلام ،
١٥ وهو أوّل من خطّ الكتاب وخاط الثياب ، وإنّما كان من قبله يلبسون الجلود ،
وهو أوّل من اتّخذ السلاح وجاهد بنى قابيل واسترقّ الرقيق .

أوّل من قصّ شاربه وفرق شعره وتمضمض واستاك وقلّم الأظفار واستنجى
١٨ فصارت سُنّةً فى الإسلام إبراهيم الخليل ــ صلوات الله عليه، وهو أوّل من أختن
لما نذكر من ذلك فى قصّته ، وهو أوّل من أضاف الضيف لما نذكره ، وهو أوّل
من شاب لما نذكره أيضاً .

(١١ ــ ٢٠) مأخوذ من لطائف المعارف ٦ ، ٣ ــ ٧ ، ٦

---

(١٠) أختن : اختتن لطائف المعارف

وقال الملك : أيّها القاضى الفاضل فهل تعلم أنّ أحداً امتدح الشيب ؟ فقال : نعم أيّها الملك الجليل ، والسيد النبيل : منثوراً ومنظوماً ، فأمّا المنثور الذى كالدرّ المنثور ، فقد قيل : ٣

الشيب حلّة العقل ، وشيمة الوقار ، الشيب زبدة مخضتها الأيّام ، وفضّة سبكتها التجارب ، الشيب رداء العلم والأدب ، يا عائب الشيب لا بُلّغته ، سرى فى طريق الرشد بمصباح الشيب (٣٢١) عصى شياطين الشباب ، وأطاع ملائكة ٦ الشيب ، ما خير ليل ليس فيه نجوم ، للشيخ الرأى وللشباب الكيس ، الشيخ يقول عن عيان ، والشباب يقول عن سماع ، ومن كلام عبدالله بن المعتزّ فى ذلك، عظّم الكبير فإنّه عرف الله تعالى قبلك ، وارحم الصغير فإنّه أغرّ بالدنيا منك ، ٩ ومن شعره فيه (من الخفيف) :

قد يشيب الفتى وليس عجيباً أن يرى النَور فى القضيب الرطيبِ

ولدعبل الخزاعى فيه (من البسيط) : ١٢

إنى أنا السيف لا تُرضيكَ جِدّتُهُ وليس يرضيك إلّا بعد إخلاقِ

ولأبى تمّام فى المعنى (من البسيط) :

ولا يروعك إيماض القتير به فإنّ ذاكِ ابتسامُ الرّأيِ والأَدبِ ١٥

وله (من الكامل) :

يا شيبتى دومى ولا تترحّلى وتيقّنى أنّى بوصلك مُولَعُ

---

(٤) ــ ٣٧٨ (٢) مأخوذ من التمثيل والمحاضرة ٣٨٣ ، ــ ١ ــ ٣٨٥ ، ٣
(١١) ديوان ابن المعتز ٣ / ٢٤٢ ، ــ ٢ ، رقم ٤٨ ؛ ديوان ابن الرومى ١ / ١٣٨ ، رقم ٣ ؛ ديوان دعبل ٣٤٢
(١٣) ديوان دعبل ١٥٨ ، ١
(١٥) ديوان أبى تمام ١ / ١١٠ ، ــ ٥ ، رقم ٧ ، ٥
(١٧) ديوان أبى الفتح البستى ٢٧٢ ، ــ ١

---

(٤) حلة : حلية التمثيل (١٥) لا يروعك : لا يؤرقك الديوان

وللبستى فى المعنى (من الكامل) :

قد كنت أجزع من طلوعك مرة فالآن من خوف ارتحالك أجزعُ

٣ فقال الملك : إنّما هذا تعلّل بالمحال ، وخوف من الارتحال ، فما قيل فى ذمّه ، لمن تجرّع سمّه ؟ فقال حاذق : أمّا من ذمّه وهجاه ويحبّه مغرم ما قلاه ، فكثير لا يحصى ، وإنّما نذكر ما حضر لأنّ أمرك لا يعصى كما قال سلمة بن الوليد

٦ (من البسيط) :

الشيب كره وكره أن يفارقنى فأعجبْ بشىء على البغضاء مودودِ

(من الطويل) :

٩ خليلىّ ما فى الشيب عار على الفتى لوَ انّ لأيّام الصبا من يعيدها

ونحن الموالى فى القبائل كلّها وفى حى ليلى نحن بعض . . .

قيس بن عاصم يقول : الشيب خطام المنيّة .

١٢ أكثم بن صيفىّ يقول : الشيب عنوان الموت .

الحجّاج بن يوسف يقول : الشيب بريد الآخرة .

مالك بن أنس يقول : الشيب توْم الموت .

١٥ عبد الله بن المعتزّ يقول : الشيب أوّل مواعيد الفنا وناعى الشباب ورسول البلاء وعنوان الفساد ، وقناع المقت ، وسفينة تقرب من ساحل المنية .

(٣٢٢) العتبى : الشيب مجمع الأمراض .

---

(٢) ديوان أبى الفتح البستى ٢٧٣ ، ١
(٧) ديوان مسلم بن الوليد ٣١١ ، ١ ، رقم ٩٧ ، ٢
(٩) ـ ٣٧٩ (١٤) مأخوذ من التمثيل والمحاضرة ٣٨٥ ، ٨ ـ ٣٨٨ ، ٥

---

(٢) طلوعك : حلولك الديوان (٥) سلمة : مسلم ، غلط ابن الدوادارى
(١٤) توْم : توأم

محمود الورّاق يقول : الشيب إحدى المنيتين .

قلت : وهذا كلّه يجمعه كلمتين : الشيب وكلّ عيب ، ونظر سليمان بن عبد الملك فرأى فى المرآة شيباً قد لاح فى لحيته ولِمّته فقال : عيب لا عدمناه ، ويمثّل بقول أبى تمام (من الطويل) : ٣

هو الزَّورُ يُجفَا والمعاشَرُ يُجتَوَى وذو الإلف يُقلَى والجديدُ مرقّعُ

له منظرٌ فى العين أبيض ناصعٌ ولكنّه فى القلب أسود أسفعُ ٦

ولأبى تمّام فيه أيضاً (من الرجز) :

تضاحكت لما رأت شيباً تلالا غرره

قلت لها لا تعجبى انبيك عندى حبره ٩

هذا غمام الردى ودمع عينى مطره

وقوله : (من البسيط) :

لو كان عمر الفتى حساباً لكان فى شيبه فذلكْ ١٢

وللصابى (من الكامل) :

والعمر مثل الكأس ير سب فى أواخره القذى

مسلمة بن الوليد (من البسيط) : ١٥

والشيب أعظم جرماً عند غانية من ابن ملجم عند الفاطميّين

(٥ ـ ٦) ديوان أبى تمام ٢ / ٣٢٤ ، ٣ ، رقم ٩٠ ، ١٣ ـ ١٤

(١٢) التمثيل : منسوب إلى منصور الفقيه

(١٦) التمثيل : دون نسبة

---

(٢) بن عبد الملك : بن وهب التمثيل

(٥) مرقع : يرقع الديوان

(١٥) مسلمة: مسلم ، غلط ابن الدواداري

فقال الملك : فما تقول فى الخضاب ، الذى جعلوه حيلة لردّ الشباب ؟ فقال حاذق : الخضاب أحد الشبابين ، وهو تذكرة الشباب ، والتسلّى عن وقوع

٣ الموت ، والتعلّق بحبال الفتيان ، ومن قول المتنبىّ فيه : (من الطويل) :

وما خَضَبَ الناسُ البياضَ لأنّه قبيحٌ ولكنْ أحسنُ الشَّعْر فاحمُهْ

ولابن المعتزّ (من الكامل) :

٦ للضيف أن يُقرى ويقضى حقه والشيب ضيفك فاقرِه بخضابِ

وله (من المتقارب) :

وقالوا النصول شيب جديدُ فقلت الخضاب شباب جديدُ

٩ إساءة هذا بإحسان ذا فإن عاد هذا فهذا يعودُ

(٣٢٣) ولعيدان الإصفهانى وهو من أحسن ما قيل فيه (من الخفيف) :

فى مشيبى شماتةٌ لِعِداتى وهْو ناعٍ مبغضٌ لحياتى

١٢ ويعيب الخضابَ قومٌ وفيه لىَ أنس إلى حضور وفاتى

لا ومن يعلم السرائر ما به رمت خلّة الغانياتِ

إنّما رمت أن يغيّب عنّي ما تزينه كلّ يوم مرآتى

١٥ وهْو ناع إلىّ نفس ومن ذا سرّه أن يرى وجوه النُعات

(٢ ـ ١٥) مأخوذ من التمثيل والمحاضرة ٣٨٨ ، ٧ ـ ٣٨٩ ، ٩

(٤) ديوان المتنبى ٣٧٩ ، ٣ ، رقم ١٦٠ ، ١٧

(٦) التمثيل : دون نسبة

(٨) ديوان ابن المعتز ٣ / ١٥٧ ، ٢ ، رقم ١٢٦٦

---

(١٣) السرائر : السرور فى التمثيل

(١٤) تزينه : ترينيه التمثيل

(١٥) النعات : النعاة

ومن أحسن ما سمعت فى كره الشيب لبعضهم (من الكامل) :

وسألتها ملء المحاجر نظرة ... منّى عساها أن ترقّ وترحما

قالت لوَ انّ الشيب من نور الهدى ... ما كنت أكحل منه عينى من عما ٣

أنا ما رضيتك بالمشيب ملثّماً ... أرضاك منه ملثّماً ومعمما

فرجعت مكاوم الحشى لكلامها ... وجوانحى تبكى الدماء على الدما

وروى أيّها الملك أن ثلاث نفر من المسلمين وفدوا على ملك الروم أحدهم قد ٦ خضّب بالوشمة والآخر بالحناء ، والآخر تركها بياضاً ، فأعطى الذى خضّب بالوشمة عشرة آلاف درهم ولأبيض اللحية خمسة آلاف درهم ولم يعط الخاضب بالحناء شيئاً ، فسأله فى ذلك فقال : أمّا صاحب الوشمة فإنّه لما بلى تحيّل وأحسن الحيلة فى ٩ ردّ لون شبابه ، وأمّا الأبيض اللحية فإنّه لمّا بلى صبر ولم يغير وأمّا أنت فلا صبرت ولا أحسنت .

وروى أنّ الأوزاعى وهو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن محمّد الأوزاعى ١٢ رحمه الله كان يخضّب بالحناء ، ولمّا دخل على ملك كابل قال للترجمان : قل له : ما هذا الذى أراه ؟ فقال : هذه سنّة نحن (٣٢٤) نستنّها عن آبائنا وجدودنا ، فقال : قل له : ما أعرف ما السنّة إلّا كان ينبغى لو خلقتم على هـذه الصورة ١٥ لغيّرتموها !

ومن أحسن ما سمعت فى الخضاب : لابن الحسين الجزار مورا (من الوافر) :

وقالوا فى الخضاب عليك عارٌ ... فقلت دخلتمُ بينى وبينى ١٨

أدبّر لحيتى ما دمت حيّاً ... وأعتقها ولكن بعد عينى

فقال الملك : فما قيل فى ذمّ الخضاب ليكون آخر هذا الباب ؟

فقال: يقال : الخضاب من شهود الزور وهو حدّاد الشباب إن خضّبت الشيب كيف تخضب الكبر ، الخضاب كفن الشيب .

٣ ولبعضهم فى ذلك (من الوافر) :

تستّر بالخضاب وأى شىء أدلّ على المشيب من الخضابِ

ولمحمود الورّاق (من الكامل) :

٦ يا خاضب الشيب الذى فى كلّ ثالثة يعودُ
إن النصول إذا بدا فكأنّه شيب جديدُ
وله بديهة روعةٍ مكروهُها أبداً عتيدُ
٩ فدع المشيب كما أرا د فلن يعود كما تريدُ

ويروى أيّها الملك أنّ إبراهيم صلوات الله عليه أوّل من رمى الجمّار ، وأنّه أوّل من جبا الخراج ويقال بل موسى عليه السلام .

١٢ أوّل من نطق بالعربيّة إسماعيل عليه السلام وما على ظهرها عربىّ إلّا من ولده اللهمّ إلّا ثلاث قبائل وهم الأوزاع ، وحضرموت ، وثقيف ، وهو أوّل من ركب الخيل وكانت وحوشاً لا تركب .

١٥ أوّل من أبيع من الأحرار واسترقّ واستُعبد يوسف بن يعقوب عليهما السلام لما نذكر من قصّته إن شاء الله تعالى .

(٣٢٥) أوّل من عمل الدرع ولبسها داود عليه السلام وكانوا يلبسون يوم

١٨ حربهم تفانير من حديد ، وهو أوّل من قال فى خطبته : أمّا بعد ، ويقال إنّه فَصْل الخطاب الذى ذكره الله عز وجل فى كتابه العزيز .

(١ ــ ٩) مأخوذ من التمثيل والمحاضرة ٣٨٩ ، ٧ــ٣٩٠ ، ٣ (١٠) ــ فصل ذكر أشراف الكتاب من أول الزمان : مأخوذ من لطائف المعارف ٧ ، ــ ٥ ــ ٢٣ ، ٤
(١٩) القرآن الكريم ٣٧ / ٢٠

---

(١٥) أبيع : بيع لطائف المعارف

أوّل من اتّخذ الرّحا والحمّام سليمان بن داود عليه السلام وهو أوّل من اتّخذ النّورة لما نذكر من سببها ، وهو أوّل من اتّخذ الصابون .

أوّل من خطب بعد داود ووعظ فأفصح وأوجز لقمان الحكيم وبه يُضرَب المثل فى الحكمة والموعظة الحسنة ، ويقال إنّه ليس له ولا لغيره أبلغ وأوجز من قوله : يا ابن آدم : الليل والنهار يعملان فيك فاعملْ فيهما .

أوّل من تكلّم فى القدر عُزير النبيّ عليه السلام ولمّا كثر للمناجاة فى ذلك ولجّ واحتجّ مُحِيَ اسمه من صحيفة الأنبياء فليس يُذكَر فيهم وهو منهم وقد هجا ابن الرومى رجلاً تشبّه به فقال (من السريع) :

وفى ابن عمّارٍ عُزيريّةٌ   ينازع اللهَ بها فى القدرْ

أوّل من أطال ثيابه وسحبها قارون ، وهو أوّل من اتّخذ الكيمياء وإيّاه عنى بقوله تعالى : « إنّما أوتيتُهُ على عِلمٍ عندى » ، لما نذكر من بقيّة خبره .

أوّل من سنّ للضيف صدر المجلس وسمّاه مهمان بالفارسيّ بهرام جور ، تفسيره بالعربيّ سيّد المنزل لما نذكر من ذلك .

أوّل من اتّخذ السويق الإسكندر المقدونى الآتى خبره فى موضعه ، وهو أوّل من اتّخذ خِصيان الخيل للكمين ، وهو أوّل من بثّ الجواسيس فى عساكر الأعداء وأمر قوّاده بترك اتباع المنهزم .

أوّل من جلس على السرير من ملوك العرب جَذيمة الأبرش ، وسيأتى ذكره فى موضعه وتاريخه ، وهو أوّل من نصب المنجنيق (٣٢٦) واستصبح بالشموع ، وترفّع عن منادمة البشر فنادم الفرقدين وكان يشرب كأساً ويصبّ لهما كأسين

(٩) ديوان ابن الرومى ٣ / ٩١٣ ، رقم ٦٨٦ ، ١
(١١) القرآن الكريم ٢٨ / ٧٨

(٦) كثر : أكثر لطائف المعارف   (٩) ينازع : يخاصم الديوان

إلى أن وجد مالكاً وعُقيلاً فاتّخذهما نديمين لما نذكر من خبرهما وسببه فى تأريخه إن شاء الله تعالى .

٣ أوّل من عُمل له سنان من حديد ذو يزن الحميرى وإليه تُنسَب الرماح اليزنيّة، وإنّما كانت أسنّة رماح العرب صَياصى البقر .

أوّل من هشم الثريد عمرو بن عبد مناف فسمّى بذلك هاشماً لما نذكر من ٦ خبره ، وهو أوّل من سنّ الرحلتين فى التجار : رحلة الشتاء والصيف الذى ذكرهما الله تعالى فى كتابه العزيز ، وهو أوّل من خرج إلى الشأم من قريش ، ووفد على الملوك وأبعد فى سفره ومرّ بالأعداء وأخذ منهم الإيلاف المذكور فى القرآن .

٩ أوّل من كسى الكعبة الأنطاع والبرود أبو كرب أسعد الحميرى ، وكان قد آمن بسيّدنا رسول الله ﷺ قبل أن يُبعَث بزمان طويل، يقال إنّه عاش أكثر من ثلاثمائة سنة وهو القائل (من المتقارب) :

١٢ شهدتُ على أحمدٍ أنّه رسولٌ من الله بارى النسمْ
فلو مدّ عمرى إلى عمره لكنت وزيراً له وابن عمّ

أوّل من كسى الكعبة الحرير والديباج نفيلة بنت حباب بن كُليب ١٥ أمّ العبّاس بن عبد المطّلب ، وقد كان ضلّ عنها العبّاس فى صغره فنذرتْ إن وجدته لتكسو البيت الحرير والديباج فوجدته ، فوفت بنذرها .

أوّل من خلع نعليه لدخول الكعبة فى الجاهليّة الوليد بن المغيرة ، فاقتدى به ١٨ الناس فخلعوا نعالهم فى الإسلام لاسيما أبو مسلم < الخراسانى > صاحب الدعوة

---

(٦) التجار : التجارة لطائف المعارف (٨) القرآن الكريم ١٠٦ / ١ ــ ٢
(١٢) النسيم : النسم لطائف المعارف
(١٤) نفيلة ــ حباب : نتيلة بنت جناب لطائف المعارف
(١٦) فوفت : فأوفت لطائف المعارف

العبّاسيّة الآتي خبره في تاريخه (٣٢٧) بإنّه خلعها وقال : إنّ هذا المكان أكرم من طُوًى الذي أمر الله تعالى موسى بخلع نعليه به ، والوليد أوّل من حرّم الخمر على نفسه في الجاهليّة وأوّل من قطع في السرقة التي نزلت الآية في الإسلام . ٣

أوّل من خضب بالسواد من أهل مكّة عبد المطّلب بن هاشم ، وكان رجل من حمير خضّبه بذلك في اليمن فلمّا استعمله بمكّة اقتدى به الناس وكانوا يخضّبون بالحناء من قبل . ٦

أوّل من آمن بسيّدنا رسول الله ﷺ ـ وصحّ ذلك من الكهول ـ أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه ، ومن الشبّان زيد بن حارثة رضى الله عنه ، ومن الفتيان عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه ، ومن النساء خديجة بنت خويلد رضى الله عنها ، لا خلاف في هؤلاء الأربعة بوجه من الوجوه . ٩

أوّل مولود وُلد في الإسلام بعد الهجرة إلى المدينة عبد الله بن الزبير الآتي خبره في تأريخه إن شاء الله تعالى . ١٢

أوّل من أراق دماً في سبيل الله سعد بن أبي وقّاص رضى الله عنه ، وهو الذي جمع له سيّدنا رسول الله ﷺ التفدية بين أمّه وأبيه ، فكان يقول : ارمِ ارمِ فداك أبي وأمّي . ١٥

أوّل من سُمّي باسم سيّدنا رسول الله ﷺ حاطب ، وُلد له مولود بأرض الحبشة فسمّاه محمّد ، وأُنكر عليه تسميته بذلك ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : سمّوا باسمي وكنّوا بكنيتي ولا تجمعوا بينهما . ١٨

---

(٣) التي نزلت فنزلت لطائف المعارف : قارن القرآن الكريم ٥ / ٣٨

(١٧) عليه تسميته : على مسميه لطائف المعارف

أوّل لواء عقده رسول الله ﷺ لحمزة بن عبد المطّلب رضى الله عنه ، وقال خُذْه يا أسد الله .

٣ أوّل شهيد فى الإسلام (٣٢٨) عمير بن الحُباب الأنصارى ، قُتل يوم بدر ، وذلك أنّ رسول الله ﷺ خطب ذلك اليوم ثم قال: إنّ الله تعالى أوجب الجنّة لمن قُتل صابراً محتسباً مقبلا غير مُدبر ، فقام عمير وفى يده تُميرات فقال : بخ بخ

٦ ما بينى وبين دخول الجنّة إلّا ربما أمضغ هذه التُّميرات ، ثم جعل يطرحها فى فيه زوجاً ويرمى بنواها وتناول سيفه فلم يزل يقاتل حتى قُتل رحمة الله عليه .

وأمّا أوّل شهيدة من النساء فسميّة أمّ عمّار بن ياسر ، وذلك أنّها أظهرت

٩ الإسلام بمكّة فعذّبتها قريش فلم ترجع فطعنها أبو جهل فى ثغرة لبّتها بحربة فماتت رحمها الله تعالى .

أوّل من تسمّى أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب رضى الله عنه وذلك أنّ أبا

١٢ بكر رضى الله عنه كان يدعى خليفة رسول الله ﷺ ، فلما توفّى وقد استخلف عمر على الأمّة قال عمر : كيف يقال : ياخليفة خليفة رسول الله ، وهذا يطول ! فقال له المغيرة بن شعبة : أنت أميرنا ونحن المؤمنون فأنت أمير المؤمنين ، قال :

١٥ فذاك إذاً . وهو أوّل من أرّخ بالهجرة لما نذكر من ذلك فى موضعه إن شاء الله تعالى ، وأوّل من ختم على الطين ، وفرض الخراج ، وجعل أهل الجزية طبقات لم يُدخل فيها النسوان والهرمى والفقراء .

١٨ أوّل من سُلّم عليه بالإمرة المغيرة بن شعبة ، وكانوا من قبل يكتّمون أمراءهم ، فقال ينبغى أن يكون بين الأمير والرعيّة فرق ، وألزم أهل عمله أن

---

(١) عقده : اعتقده لطائف المعارف (٨) أول : أولى لطائف المعارف
(١١) تسمى : سمى لطائف المعارف (١٣) يقال : يقال لى لطائف المعارف
(١٧) فيها النسوان : فيها الصبيان والنسوان لطائف المعارف

يؤمّروه ، ففعلوا واقتدى بهم سائر المسلمين فى أمرائهم . قال الثعالبى : وهو أوّل من رشا فى الإسلام .

أوّل ما ظهر من الظلم فى أمّة محمّد ﷺ قولهم : نيح عن الطريق ، قال الثعالبى : ويقال إنّ ذلك حدث فى أيّام عثمان بن عفّان (٣٢٩) رضى الله عنه . ٣

أوّل من اختزل من بيت مال المسلمين على ما ذكره الثعالبى رحمه الله أبو هريرة عبد الله بن عمرو السدوسى وكان عمر رضى الله عنه استعمله على البحرين فاختزل من مال المسلمين بها فعزله وحاسبه وغرّمه ما حصل عليه وضربه بالدرّة عدّة خفقات حتى استخرج منه ألف دينار وخمس مائة دينار ، فقال أبو هريرة : لا وليت لك والله عملًا ! فقال عمر رضى الله عنه : لقد وليه من هو خير منك — يعنى يوسف الصدّيق عليه السلام — لمن هو شرّ منّى ، يعنى عزيز مصر . ٦ ٩

قلت: قد ذكر الطبرى والحافظ ابن عساكر والمسعودى رحمهم الله وأجمعوا أنّ الإمام عمر بن الخطّاب رضى الله عنه مرّ بالمدينة على دار قد أحدث بناؤها بالجصّ والآجرّ ولم يكن قبل ذلك بالمدينة دار بهذا البناء ، فسأل عنها ، فقيل : هى لبعض عمّال أمير المؤمنين فقال : أبت الدراهم إلا أن تمدّ أعناقها أشخص سائر عمّاله وشاطرهم أموالهم ومنهم أبى هريرة واستخرج منه ألف وستّمائة دينار وخفقه بالدرّة خفقات وقال : لو علمت لما ولّيت لك عملًا ، قال : قد ولى من هو خير منك لشرّ منى يعنى يوسف عليه السلام وعزيز مصر . ١٢ ١٥

أول من لبس الخزّ الأدكن من العرب فى الإسلام عبدالله بن عامر بن كريز ، ولمّا لبس جبّة منه وخطب الناس على منبره بالبصرة وكان واليها لعثمان رضى الله قال الناس : قد لبس الأمير جلد دبّ . ١٨

---

(٣) نيح : تنح لطائف المعارف (٦) السدوسى : الدوسى لطائف المعارف

أوّل من غيّر قضيّة من قضايا رسول الله ﷺ معاوية بن أبي سفيان فإنّه ألحق زياد بأبي سفيان وغيّر قضيّة رسول الله ﷺ في قوله : الولد للفراش وللعاهر الحجر ، وهو أوّل (٣٣٠) من اتّخذ المقصورة في المسجد لما نذكر من ذلك في تأريخه ، وأوّل من استخلاف ولده ولي عهده ، وأوّل من استخلاف ولي العهد في صحّته ، وأوّل من اتّخذ ديوان الخاتم لما نذكر من ذلك ، وهو أوّل من عقد المضيرة بالسكر ، وكان أبو هريرة رضي الله عنه يعجب بها ويستطيبها ويأكلها عنده في مدّة أيّام صفّين الآتي ذكرها في تأريخها إن شاء الله تعالى ، ويصلّي خلف عليّ عليه السلام ، فقيل في ذلك ، فقال: مضيرة معاوية أطيب والصلاة خلف عليّ أفضل .

أوّل من أخذ الجار بالجار والبريء بالسقيم زياد بن أبيه ، وكان يقول : ربّ حقّ أخرج من خاصرة الباطل ، وهو أوّل من مُشِيَ بين يديه بالأعمدة ، وأوّل من لبس الثياب الدبيقيّة ، وأوّل من بنى بالجصّ والآجرّ بالبصرة .

أوّل من مشى بين يديه الرجال وهو راكب الأشعث بن قيس وكان سيّد أهل اليمن ، وأسر مرّةً فافتدى بثلاثة آلاف ناقة ، وهو أوّل من دُفِن في داره ولم ينقل إلى موسم الأموات ، وذلك أنّه لمّا مات بالمدينة لم يُقدَر على إخراجه ودفنه من كثرة ازدحام العالم ، ولم يقدر الحسن بن عليّ عليهما السلام أن يدخل عليه حتّى دخل من بعض دور جيرانه . وكان الرجل ينزل عن دابّته فيعقرها والآخر يجيء براحلته فينحرها فخاف الحسن أن يعقر الناس على قبره سائر دوابّهم فأمر بدفنه في داره .

---

(١٧) وكان : ورأى لطائف المعارف

أوّل من أعطى شطر ماله فى الإسلام عبيد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب ، وكان معاوية قطع < صلاته > عن الحسن عليه السلام مرّة فضاقت حاله فى تلك السنة فكتب إلى عبيد الله بن العبّاس يخبره فبكا عبيد الله ، ثم قال : ويحك ٣ يا معاوية أصبحت ليّن المهاد رفيع العماد والحسن يشكو سوء الحال (٣٣١) وكثرة العيال ! ثم قال لقيّمه : احمل إليه شطر جميع ما أملكه فإن أقنعه وإلّا فاحمل إليه الشطر الآخر ! فلمّا بلغ الحسن ذلك قال : إنّا لله حماتُ على ابن عمّى فليت ٦ لا كنتُ كتبتُ إليه ! وأخذ الشطر من ماله ، وعبيد الله أوّل من فطّر جيرانه فى شهر رمضان ، وأوّل من وضع الموائد على الطريق ودعا إلى طعامه فى الإسلام ، وأوّل من أمر بنهبه ، وأوّل من حمله على رؤوس الناس لكثرته . ٩

أوّل من نقش على الدراهم بالعربيّة عبد الملك بن مروان فإنّه عُنِىَ بذلك وكتب به إلى الحجّاج بن يوسف فى إقامة رسمه بذلك ، وهو أوّل من تسمّى بعبد الملك فى الإسلام ، وهو أوّل من لُقِّب من الخلفاء بالموفّق بالله . ١٢

أوّل من من ضرب الدنوف من الدراهم عبيد الله بن زياد حين وثب عليه المختار حسبما نذكره إن شاء الله تعالى وهرب من البصرة وكان إذا نزل بماء وخشى أن يثب عليه الأعراب قسمها بينهم . ١٥

أوّل من اتّخذ البيمارستان الوليد بن عبد الملك ، وهو أوّل من أجرى على القرّاء وقوّام المساجد الأرزاق ، وكذلك على العميان وأصحاب العاهات وأخدم كلّ واحد منهم خادماً ، وهو أوّل خليفة تجبّر فى نفسه وسار فى الناس ١٨ بالجبريّة والخُيَلاء لا ما كان عليه مَن قَبْلَه لما نذكر من خبره فى تاريخه .

---

(٢) صلاته : لطائف المعارف (٩) أمر بنهبه : أنهبه لطائف المعارف
(١٣) الدنوف : الزيوف لطائف المعارف (١٩) لا ما : لا بما لطائف المعارف

أوّل من رتّب المراتب من الخلفاء المنصور ، وكان بنو أميّة لهم بيوت بلا منعة ولا إذن وإنّما كان الناس يقفون على أبوابهم حتّى يؤذن لهم أو يصرّفهم، فلمّا ولى بنو العبّاس وبنا المنصور مدينته اتّخذ فى قصره بيوتاً للإذن فجرى الأمر عليه ، وهو أوّل من اتّخذ الخيش فى الصيف لما نذكر من ذلك إن شاء الله تعالى.

(٣٣٢) أوّل من جمع له الحرب والخراج خالد بن برمك حين ولّاه المنصور فارس حربها وخراجها، وكانت الدفاتر فى الدواوين صحفاً مُدْرَجة فأوّل من جعلها دفاتر وجلود وقراطيس خالد بن برمك .

أوّل من اتّخذ الأتراك من الخلفاء المنصور ، اتّخذ حماراً ثم اتّخذ المهدى مباركاً ثم اقتدى بهما الخلفاء وسائر الناس .

أوّل بنت خليفة نُقلت إلى زوجها من بلد إلى بلد العبّاسة بنت المهدى أخت الرشيد لمّا زوّجها من محمّد بن على بن سليمان نقلها إلى البصرة .

أوّل من جلس فى المصائب على البساط دون الأنماط الرشيد حين نُعى إليه إبراهيم بن صالح بن على ، فصار إلى داره وجلس على البساط وامتنع أن يجلس على شيء من النمارق والأنماط وأمر برفعها واتّكأ على سيفه وقال : لا يحسن بأحد أن يجلس فى دار حبيب له من أهل بيته فى يوم مصيبته على نمط ولا نمرقة ، فأسنّ ذلك فى الناس .

أوّل من وهب ألف ألف درهم فما فوقها معاوية ثم يزيد ولده لما نذكر من ذلك فى تأريخه وسببه .

أوّل من صار جدّاً جدٌّ فى الدولة العبّاسيّة معاذ بن مسلم ، ثم الفضل بن الربيع على صغر سنّه .

---

(٨) حماراً : حمار واخ لطائف المعارف (١٠) بنت : ابنة لطائف المعارف
(١١) نقلها إلى : ونقلها إليه بالبصرة لطائف المعارف

أوّل من وسّع على الكتّاب الجرايات الفضل بن سهل ذو الرئاستين ، وكانت أرزاق الكتّاب فى أيّام المنصور ثلاثمائة ثلاثمائة ثلاثمائة ولم تزل على ذلك إلى أيّام المأمون حتى وسّع عليهم الفضل المذكور . ٣

أوّل قاض قتل فى الإسلام أبو المثنّى القاضى ، وقد كان بايع ابن المعتزّ فلمّا زال أمره حسبما نذكر من خبره أمر المقتدر بإحضار أبى المثنّى وقتله صبراً ، ولا يعرف مثل هـــذه فى دولة بنى أميّة ولا بنى العبّاس إلى ذاك التأريخ ، ٦ والله أعلم .

(٣٣٣) ذكر أشراف الكتّاب من أوّل زمان

أوّل من خطّ بالقلم إدريس عليه السلام ، وكان يوسف عليه السلام يكتب ٩ لعزيز مصر ، وكان هارون ويوشع بن نون يكتبان لموسى عليهم السلام ، وكان سليمان يكتب لأبيه داود عليهما السلام ، وقد ذكر الله تعالى كتابته فأبان عن بلاغته وهو قوله تعالى : « إنّه من سليمان وإنّه بسم الله الرحيم الرحيم ١٢ ألّا تعلوا علىّ وأتونى مسلمين » ، وكان آصف بن بَرْخيا يكتب لسليمان عليه السلام .

ذكر كتّاب الإسلام ١٥

جاء الإسلام ومنهم بضعة عشر رجلاً يكتبون بالعربيّة وهم : عمر ، وعثمان ، وعلىّ ، وطلحة ، وعثمان وأبان ابنا سعيد بن العاص ، وأبو حذيفة بن عتبة

(٢) ثلاثمائة ثلاثمائة : ثلاثمائة لطائف المعارف
(٨) ــ ٣٩٥ ، ٤ : مأخوذ من لطائف المعارف ٥٥ ــ ٦٢
(١٢ــ١٣) القرآن الكريم ٢٧/ ٣٠ ــ ٣١
(١٧) عثمان وأبان : خالد وأبان لطائف المعارف

ابن ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب ، وابناه يزيد ومعاوية ، وحاطب بن عمر
ابن عبد شمس ، والعلاء بن الحضرمى ، وأبو سلمة بن عبد الأشهل ، وعبد الله
٣ ابن أبى سرح ، وحوطب بن عبد العزّى .

ذكر من كتب بين يدى رسول الله ﷺ

كان عثمان وعلىّ رضى الله عنهما يكتبان الوحى بين يدى سيّدنا رسول الله ﷺ
٦ فإذا غابا كتب أبىّ بن كعب ويزيد بن ثابت ، وإذا لم يشهد أحد منهم كتبه
سائر الكتّاب ، وكان خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية بن أبى سفيان يكتبان
بين يديه الشريفتين فى حوائجه ، وكان المغيرة بن شعبة ينوب عنهما إذا لم يحضرا .
٩ وكان عبد الله بن الأرقم والعلاء بن عتبة يكتبان بين الناس فى قبائلهم
ومياههم وفى دور الأنصار بين الرجال والنساء ، وكان ابن الأرقم ربّما كتب
عن النبىّ عليه السلام (٣٣٤) إلى الملوك .
١٢ وكان حذيفة بن اليمان يكتب خرص ثمر الحجاز ، وكان زيد بن ثابت يكتب
إلى الملوك مع ما كان يكتب من الوحى .
وكان مُعَيقب ابن أبى فاطمة حليف بنى أسد يكتب مغانم رسول الله ﷺ
١٥ وكان عليها من قِبَله .
وكان حنظلة بن الربيع بن المريع بن صيفى بن أخى أكثم بن صيفى خليفة
كلّ كاتب من كتّاب رسول الله ﷺ غاب عن عمله فغلب عليه اسم الكاتب ،
١٨ وكان يضع عنده خاتمه ﷺ .

---

(١) عمر : عمرو لطائف المعارف (٢) الأشهل : الأسد لطائف المعارف
(٣) حوطب : حويطب لطائف المعارف (٦) يزيد : زيد لطائف المعارف
(١٤) معيقب : معيقيب لطائف المعارف (١٦) المريع : المرقع لطائف المعارف

وكان عبد الله بن أبي سرح يكتب لرسول الله ﷺ ثم ارتدّ ولحق بالمشركين ، وقال : إنّ محمداً يملي عليّ فأكتب ما شئت فكان يكتب مكانَ العزيز الحكيم الرؤوف الرحيم وأنظار ذلك فأطلع الله تعالى نبيّه على ذلك فهرب وارتدّ ولحق بالمشركين ، وكان أخا عثمان رضى الله عنه من الرضاع ، فلمّا كان يوم فتح مكّة هدر النبيّ ﷺ دمه مع من هدر فقيل إنّ عثمان رضى الله عنه استوهبه من رسول الله ﷺ فوهبه إيّاه ، وسنذكر من خبره طرفاً فى موضعه إن شاء الله تعالى .

ذكر الكتّاب الذين صاروا خلفاء

كان عثمان يكتب لسيّدنا رسول الله ﷺ ولأبى بكر فصار خليفة ، وكان عليّ يكتب له ﷺ فصار خليفة ، وكان معاوية يكتب له ﷺ فصار خليفة ، وكان مروان بن الحكم كاتب عثمان رضى الله عنه فصار خليفة ، وكان عبد الملك بن مروان كاتباً على ديوان المدينة فصار خليفة .

ذكر سائر أشراف الكتّاب

من الصدر الأوّل فى الإسلام

(٣٣٥) كان عبد الله بن أوس الغسّانى سيّد أهل الشأم يكتب لمعاوية رضى الله عنه .

وكان سعيد بن نِمران الهمدانى يكتب لعليّ بن أبى طالب كرّم الله وجهه .

وكان عبد الله بن خلف الخزاعى أبو طلحة كاتباً على ديوان البصرة لعمر وعثمان رضى الله عنهما .

وكان زياد كاتب المغيرة ثم كاتب أبى موسى ثم كاتب عبد الله بن عامر بن كريز ثم كاتب عبد الله بن عبّاس ثم ولى العراقين .

٣ وكان خارجة بن يزيد بن عبد الله بن ثابت على ديوان المدينة قبل عبد الملك ابن مروان وصار عمرو بن سعيد عليه بعد عبد الملك ثم كان بعد عمرو بن سعيد عثمان بن عنبسة بن أبى سفيان ، وذلك كلّه فى زمان واحد وهو زمان معاوية

٦ رضى الله عنه .

وكان عامر بن شراحيل الشعبى كاتب عبد الله بن مطيع ثم كاتب عبد الله بن يزيد عامل ابن الزبير على الكوفة .

٩ وكان سعيد بن جبير كاتب عبد الله بن عتبة بن مسعود ثم كاتب أبى بردة ابن أبى موسى الأشعرى وهو قاض الحجّاج ولّاه بعد شريح .

وكان الحسن بن أبى الحسن البصرى كاتب الربيع بن زياد لمّا كان

١٢ بخراسان .

وكان محمّد بن سيرين كاتب أنس بن مالك بفارس .

وكان ميمون بن مهران كاتب عمر بن عبد العزيز .

١٥ وكان روح بن زنباع الجذامى يكتب لعبد الملك بن مروان ، وهو الذى يقول فيه عبد الملك : إنّ أبا زرعة شامى الطاعة ، عراقى الخطّ ، حجازى الفقه ، فارسى الكتابة .

١٨ وكان يزيد بن أبى مسلم يكتب للحجّاج وكان أخاه من الرضاعة وسنذكره.

فهؤلاء كتّاب صدور الإسلام وكُتُب المصنّفين ناطقة بأخبار المتقدّمين منهم فنها : كتاب أخبار الوزراء للجهشارى ، وكتاب الوزراء للصولى ، وكتاب

---

(٣) يزيد : زيد لطائف المعارف (١٠) قاض : قاضى
(٢٠) للجهشارى : للجهشيارى

يتيمة الدهر لأبى منصور الثعالبى ومن سلك طرقهم من أمثالهم رحمة الله عليهم ،
(٣٣٦) وذكرنا لذلك فى هذا الجزء الأوّل وإن كانوا فى غير محلّهم ملفوائد
منها أن يسهل ذلك على من يقصد حفظهم ، ومنها أن يسهل أيضاً الكشف عنهم ٣
ومنها أن يفهم أسماؤهم وأزمانهم لتحقيق ما يأتى من ذكرهم فى تواريخهم .

ذكر الأعرقين من كل طبقة
والمتنافسين فى أحوال مختلفة ٦

قال أصحاب الأخبار والنقلة للآثار : إنّ أعرق الأنبياء فى النبوّة -
ولسيّدنا محمّد الشرف الرفيع ، والجمال البديع - يوسف فإنّه يوسف صديق الله ابن
يعقوب إسرائيل الله ابن إسحق ذبيح الله مع خُلف فيه ابن إبراهيم خليل الله ٩
ولا يعرف نبى ابن نبى ابن نبى ابن نبى سواه صلوات الله عليهم .

أعرق الأكاسرة فى الملك شيرويه بن أبرويز بن هرمز بن أنو شروان بن
قباذ بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور بن يزجرد الأثيم بن بهرام بن شابور بن ١٢
هرمز بن نرشى بن بهرام بن بهرام بن شابور بن أردشير بن بابك ، عدّة عشرين
ملك إلى بابك جدّه .

وأعرق الخلفاء فى الخلافة المنتصر ابن المتوكّل ابن المعتصم ابن الرشيد ابن ١٥
المهدى ابن المنصور وكذلك أخواه المعتزّ والمعتمد .

فمن عجائب التأريخ أنّ أعرق الأكاسرة فى الملك وهو شيرويه المذكور
قتل أباه أبرويز واستولى على الملك فلم يعش بعده إلّا ستة أشهر . ١٨

---

(٥) - ٤٠١ جرد شيء : مأخوذ من لطائف المعارف ٦٣ - ٧٤

وأعرق الخلفاء فى الخلافة وهو المنتصر قتل أباه المتوكّل واستولى على الخلافة فلم يعش بعده إلّا ستّة أشهر، وسيأتى ذكر ذلك مفصّلاً معمما إن شاء الله تعالى.

٣ أعرق ملوك العرب فى الملك : النعمان بن المنذر بن امرئ القيس بن النعمان ابن امرئ القيس بن عمرو بن عدىّ اللخمى .

أعرق الناس فى الملك والخلافة من كلا طرفيه : يزيد بن الوليد بن عبد الملك

٦ ابن مروان ، هو خليفة وأبوه (٣٣٧) خليفة وجدّه خليفة وأبو جدّه خليفة وعمومته خلفاء ، وأمّه شاه فرند بنت فيروز بن يزدجرد بن شهريار ، وأمّها من بنات شيرويه ، وأمّ فيروز بنت خاقان ملك الترك ، وأمّ شيرويه مريم بنت قيصر

٩ ملك الروم سيرين ابن اردنير ، ويزيد القائل (من الرجز) :

أنا ابن كسرى وأبى مروانْ وقيصر جدّى وجدّى خاقانْ

أعرق الوزراء فى الوزارة أبو على بن الحسين بن القسم بن عبيدالله بن سليمان

١٢ ابن وهب وأخوه أبو جعفر محمد بن القسم ،فإنّ أبا علىّ وزر للمقتدر وأبا جعفر وزر للقاهر ، وأباهما القسم وزر للمعتضد وللمكتفى بعده، وعبيد الله وزر للمعتضد أيضاً، وسليمان وزر للمهتدى وبعده للمعتمد وكلٌّ من الحسين ومحمد وزير ابن وزير ابن

١٥ وزير ابن وزير ، وفى أحدهما يقول الشاعر (من الرمل) :

يا وزير ابن وزير ابـ ـن وزير ابن وزير
نسقاً كالدرّ إذ ينـ ـظم فى عقد النحورِ

١٨ أعرق الناس فى صحبة سيّدنا رسول الله ﷺ محمد بن عبد الرحمن ابن أبى بكر ابن أبى قحافة فإنّ أربعتهم رأوا النبى ﷺ وصحبوه .

---

(٢) معمما : وكذا (٩) سيرين ـ اردنير : تحريف
(١١) أبو ـ الحسين: أبو على الحسين لطائف المعارف
(١٤) ابن وزير ابن وزير : ابن وزير ، غلط ابن الدواداري

أعرق الأشراف فى العما عبد الله بن عبّاس ابن عبد المطّلب فإنّ كلاًّ منهم عمى فى آخر عمره .

أعرق الناس فى القتل عمارة بن حمزة بن مصعب بن الزبير بن العوّام بن خويلد ، ولا يعرف فى العرب والعجم ستّة مقتولين فى نسق إلّا فى آل الزبير . وبيان ذاك أنّ عمارة وحمزة قُتلا معاً يوم قُدَيد فى حرب الإباضيّة، وقُتل مصعب بدير الجاثليق فى معركة الحرب بينه وبين عبد الملك بن مروان لما نذكره ، وقُتل الزبير بوادى السباع فى حرب الجمل لما نذكره أيضاً ، وقُتل العوّام فى حرب الفِجار ، وقُتل خويلد فى حرب خزاعة .

أعرق القضاة فى الصدر الأوّل بلال (٣٣٨) ابن أبى بردة ابن أبى موسى الأشعرى ، فإنّ بلالاً كان قاضياً على البصرة ، وأباه أبا بردة كان قاضياً على الكوفة ، وأبا موسى كان قاضياً لعمر بن الخطّاب رضى الله عنه قبل أن ولى له البلاد وفتح الفتوح ، وكذلك سوّار بن عبد الله بن سوّار ، كان قاضياً للرشيد على البصرة وأبو عبد الله بن سوّار كان قاضياً للمهدى وأبوه سوّار بن قدامة كان قاضياً للمنصور .

أعرق الناس فى الفقه إسماعيل بن حمّاد ابن أبى حنيفة كان فقيهاً وحمّاد كان فقيهاً وليس كأبيه وأبو حنيفة رحمه الله فى الفقه لم يسبق ولم يلحق .

أعرق الناس فى حجابة الخلفاء العبّاس بن الفضل بن الربيع فإنّ العبّاس حجب الأمين والفضل حجب الرشيد ثم وزر له بعد البرامكة لما نذكر من ذلك ، والربيع حجب المنصور والمهدى ، وفيهم يقول أبو نواس (من الكامل) :

ساد الأنام ثلاثةٌ ما منهمُ إن حُصّلوا إلّا أغرُّ قريعُ
ساد الربيعُ وساد فضلٌ بعده ونمت بعبّاس الكريم فروعُ
٣ عبّاسُ عبّاسٌ إذا حمى الوغا والفضلُ فضلٌ والربيع ربيعُ

أعرق الناس فى الجود : عمر بن عبد الله بن صفوان بن أميّة بن خلف كلّهم أجواد متناسقون وكلٌّ منهم له أفعال حسان فى الجاهليّة والإسلام .

٦ أعرق الناس فى الغدر : عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس بن معدى كرب فإنّ عبدالرحمن غدر بالحجّاج بن يوسف لمّا ولّاه البلاد فخرج عليه وواقعه زهاء وثمانين وقعة وكان آخرها دائرة السوء عليه لما نذكره ، وغدر محمّد بن ٩ الأشعث بأهل طبرستان وكان عبيد الله بن زياد ولّاه إياها فصالح أهلها وعقد لهم ثم عاد إليهم غادراً فأخذوا عليه الشعاب وقتلوا ابنه أبا بكر وفضحوه ، وغدر الأشعث بن قيس ببنى الحارث بن كعب غزاهم (٣٣٩) فأسروه ففدى نفسه ١٢ بثلاثة ألف بعير فأعطاهم ألفين وبقيت عليه ألف فلم يؤدّها حتى جاء الإسلام فهدم ما كان فى الجاهليّة .

وكان بين قيس بن معدى كرب ومُراد عهداً إلى أجل ، فغزاهم فى آخر يوم ١٥ من الأجل وكان ذلك يوم الجمعة وكان يهوديّاً فقال : لا يحلّ لى القتال غداً لأنّه السبت فقاتلهم فقتلوه ومزقوا جيشه ، وغدر معدى كرب بمهرة وكان بينهم وبينه عهداً فغزاهم ناقضاً للعهد فقتلوه وبقروا بطنه فملأوه حجارة وحصى .

١٨ أعرق الناس فى الشعر آل حسّان ، قال المبرّد ، وهو أبو العباس محمد بن يزيد بعيد الصوت فى الأعيان من الأدباء والنحويين الذين يؤخذ عنهم ويقتبس منهم ،

(١ ـ ٣) ديوان أبى نواسى ٤١٥ ، ٢

(١) الأنام : الملوك الديوان (٢) ونمت : وعلت الديوان
(٣) حمى الوغا : احتمد الوغى الديوان

والناس فى سبب تلقيبهم إياه بالمبرّد على قولين أحدهما : أنّه استحقّ ذلك لقول الشاعر فيه (من البسيط) :

إنّ المبرّد ذو برد على أدبه   فى الجدّ منه إذا ما شبت أو لعبهْ ٣
وقلّ ما أبصرت عيناك من رجل   إلّا ومعناه أن فكرت فى لقبهْ

والآخر أنّه لُقّب بذلك على الضدّ كما لُقّب الغراب بالأعور والمثل يضرب به فى حدّة البصر . ٦

قال المبرّد : كان يقال : أعرق قوم فى الشعر آل حسّان فإنّهم يعدّون ستّة فى نسق كلّهم شاعر ، وهم : سعيد ابن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت بن المنذر بن حرام حتى جاء آل أبى حفصة وتوارثوا الشعر كابر عن كابر وتناسق منهم ٩ عشرة على الولاء مذكورين بالشعر ، أنشدوا الخلفاء وأجزوا الجوائز ، فأوّلهم أبو حفصة مولى عثمان كان شاعراً ، وهو القائل يوم الجمل وقد شهد الموقف مع مروان بن الحكم من قصيدة رجز : ١٢

إنّى لورّاد حياض الشرّ   معاوداً للكرّ بعد الكرّ

(٣٤٠) ثم يحيى ابن أبى حفصة وهو القائل (من البسيط) :

يا ليت أيّام لذات الصبى رجعت   هيهات ذلك شىء ليس مرتجعا ١٥

ثم سليمان بن يحيى وهو القائل (من الطويل) :

وقائلةٍ ما بال مالك ناقص   وأموال أقوامٍ سواك تزيدُ
فقلت لها إنّى أجود بما حوت   يداى وبعض القوم ليس يجودُ ١٨

ثم مروان بن سليمان وهو القائل (من الكامل) :

أنّى يكون وليس < ذاك > بكائن   لبنى البنات وراثة الأعمامِ
ألقى سهامَهم الإلهُ فحاولوا   أن يشرعوا فيها بغير سهامِ ٢١

---

(١٧) ناقص : نقصاً لطائف المعارف   (٢٠) ذاك : لطائف المعارف

ثمّ أبو الجنوب ابن مروان وهو القائل يخاطب الرشيد فى خلافة الهادى (من الوافر) :

أمير المؤمنين < اليوم > موسى   وأنت غداً أمير المؤمنينا
سنختار الخلافة بعد موسى   وإن رغمت أنوف الحاسدينا
رأيتُ أباك أورثها بنيه   وأنت كذاك تورثها البنينا

فطلبه الهادى فهرب إلى البادية .

ثم مروان ابن أبى الجنوب وهو القائل يخاطب المأمون (من الطويل) :

ولو عُلِمت فوق الخلافة غاية   تُنالُ بمحمدٍ فى الحياة لنالها

ويخاطب المعتصم أيضاً (من البسيط) :

لمّا دخلتُ على معصوم أمّته   خليفةِ الله أدنانى وأغنانى
مثل العطايا التى أعطى أبوه أبى   وجَدُّه المصطفى المهدىّ أعطانى

ثم يحيى بن مروان وهو القائل (من البسيط) :

قُلْ للأُلَى جعلونى نصب أعينهم   لا تجعلونىَ من أغراضكم غَرَضا

ثم مروان بن يحيى وكان من أنصب الناس وأحضاهم بالشعر ، وهو القائل (من الطويل) :

سلامٌ على جُمْلٍ وهيهات من جُملِ   ويا حبّذا جُملٌ وإن صرمت حبلى

وهى قصيدة طويلة صنت الكتاب عن تتمّتها .

(٤٠١ب) ثم محمود بن مروان وهو القائل يخاطب المنتصر (من الطويل) :

لقد طال عهدى بالإمام محمّد   وما كنتُ أخشى أن يطول به عهدى
فأصبحتُ ذا بُعدٍ ودارى قريبة   فيا عجباً من قرب دارى ومن بعدى

---

(٣) اليوم : لطائف المعارف   (١٤) أحضاهم : أحظاهم

ثم متوّج بن محمود بن مروان بن يحيي بن مروان ابن أبي الجنوب بن مروان ابن سليمان بن يحيي بن أبي حفصة ، وكان رديء الشعر لا يساوى بياضه ، حكى الصولى قال: كنت يوماً عند عبد الله بن المعتزّ فقرىء بحضرته شعر لمتوّج وكان رديئاً فقال : أشبه لكم شعر آل أبي حفصة وتناقصه حالاً بعد حال ؟ فقلنا : إن شاء الأمير ، فقال : كأنّه ماء سُخّن لعليل في قدح ثم استغنى عنه ، فكان إلى أيّام مروان على حرارته ثمّ انتهى إلى أبي الجنوب وقد نقص حرّه ، ثم انتهى إلى مروان وقد فتر ، ثم انتهى إلى يحيي وقد تناقص فترة ، ثم انتهى إلى أبي السمط وقد برد، ثم انتهى إلى محمود وقد ثخُن لبرده ، ثم انتهى إلى متوّج هذا وقد جمد وليس بعد الجمود شيء .

وممّا يحكى أنّ بشّار بن برد الآتى ذكره فى تأريخه إن شاء الله تعالى دخل على عقبة بن مسلم بن قتيبة فأنشده مديحاً وعنده عقبة بن رؤبة فأنشده أرجوزة ثم أقبل على بشّار فقال : هذا طراز لا تحسنه يا أبا معاذ ! فقال بشّار : والله لأنا أرجَزُ منك ومن أبيك ! ثمّ غدا على عقبة بن مسلم من الغد فأنشده أرجوزة التى منها يقول :

يا طَلَلَ الحيّ بذات الصَّمْدِ بالله خَبِّرْ كيف كنتَ بَعْدِى

منها :

الحُرُّ يلحى والعصى للعبيد وليس للمُلحِف مثلُ الرَّدّ

(١٥ ـ ١٧) ديوان بشار بن برد ٢ / ١٥٦ ، ٢

(١٥) خبر : حدث الديوان

(١٧) يلحى : يوصى الديوان

وهى طويلة محشوّة غريب المعانى ، فلمّا سمع ابن رؤبة ما فيها من الغريب
(٣٤٢) قال : أنا وأبى وجدّى فتحنا باب الغريب للناس وإنّى لخليق أن أنشده
٣ عليهم ، فقال بشّار : ارحمهم يرحمك الله! فقال: أتستخفّ بى وأنا شاعر ابن شاعر
ابن شاعر ؟ قال بشّار : أنت اذاً من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس
وطهّرهم تطهيراً فضحك كلّ من حضر .
٦ ولبشّار نوادر غريبة وأشعار عجيبة نذكرها إن شاء الله فى مكانها اللائق
بها بمعونة الله وحسن توفيقه

وإلى هاهنا فى هذا الجزء حططنا حول الكلام للتعريس ، وأنخنا مطايا
٩ العيسْ ، ووافق الفراغ منه اليوم المبارك الثالث والعشرين من شهر ذى الحجّة
سنة اثنين وثلاثين وسبع مائة الهجريّة النبويّة على صاحبها أفضل الصلوات
وأزكى التحيات بخطّ يد واضعه ومصنّفه وجامعه ومؤلّفه أضعف عباد الله وأفقرهم
١٢ إلى الله أبوبكر ابن عبد الله بن أيبك صاحب صرخد كان عُرف الوالد بالدوادارى
انتساباً لخدمة الأمير المذكور سيف الدين بلبان الرومى ، الدوادار الظاهرى
تغمّدهم الله برحمته وأسكنهم جنّته بمنّه وكرمه ورأفته .

١٥ يتلو ذلك فى الجزء الثانى منه ما مثاله بعد التحميدة
ذكر انقضاء مدّة العالم وابتدائه ويتلو ذلك بذكر
خلق آدم عليه السلام ، ومنه نستفتح الكلام

١٨ والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه أجمعين ،
وحسبنا الله ونعم الوكيل .

مصادر التحقيق

أخبار الزمان ـ أخبار الزمان ومن أباده الحدثان ، منسوب إلى المسعودى ، تحقيق عبد الله الصاوى ، القاهرة ١٣٥٧ / ١٩٣٨ .

أخبار الشعراء ـ كتاب الأوراق ، قسم أخبار الشعراء للصولى ، تحقيق هيورث دن ، القاهرة ١٩٣٤ .

أدب الكاتب ـ أدب الكاتب لابن قتيبة ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة دون تأريخ .

الأذكياء ـ كتاب الأذكياء لأبى الفرج بن الجوزى ، دمشق ١٣٩١ .

إرشاد الأريب ـ إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت بن عبد الله الرومى ، ١ ـ ٧ ، تحقيق D.S .Margoliouth ، ليدن لندن ١٩٠٧-١٩٢٧ .

الأزمنة ـ الأزمنة والأمكنة للمرزوقى ، ١ ـ ٢ ، حيدر آباد ١٣٣٢ .

أسرار البلاغة ـ أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجانى ، تحقيق H.Ritter ، استنبول ١٩٥٤ .

الأشباه ـ الأشباه والنظائر للخالديّين ، ١ ـ ٢ ، تحقيق السيد محمّد يوسف ، القاهرة ١٩٥٨ ـ ١٩٦٥ .

الأغانى ـ كتاب الأغانى لأبى الفرج الإصبهانى ، ١ ـ ٢٠ ، بولاق ١٢٨٥ .

ألف ليلة ـ ألف ليلة وليلة ، ١ ـ ٢ ، بولاق ١٢٥٢ .

الأمالى ـ الأمالى للقالى ، ١ ـ ٢ ، ٣ = ذيل الأمالى ، بولاق ١٣٤٤ / ١٩٢٦ .

الأنواء ـ الأنواء لابن قتيبة ، تحقيق CH.Pellat ، حيدر آباد ١٣٧٥/١٩٥٦ .

الإيجاز ـ الإيجاز والإعجاز للثعالبي ، فى : خمس رسائل ، ٢ ـ ١٠٠ .

البيان والتبيين ـ البيان والتبيين للجاحظ ، ١ ـ ٤ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ١٣٦٧ ـ ١٣٧٠ / ١٩٤٨ ـ ١٩٥٠ .

تاج العروس ـ تاج العروس لمحمد مرتضى الزبيدى ، ١ ـ ١٠ ، القاهرة ١٣٠٦ ـ ١٣٠٧ .

تأريخ بغداد ـ تأريخ بغداد للخطيب البغدادى ، ١ ـ ١٤ ، القاهرة ١٩٣١ .

تأريخ الطبرى ـ تأريخ الرسل والملك الطبرى ، ١ ـ ١٥ ، تحقيق de Goeje وأخ ، ليدن ١٨٧٩ ـ ١٩٠١ .

تأريخ مدينة دمشق ـ تأريخ مدينة دمشق لابن عساكر ، ١ ـ ٢ ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، دمشق ١٣٧١ ـ ١٣٧٣ / ١٩٥١ ـ ١٩٥٤ .

التبصرة ـ كتاب التبصرة لأبى الفرج بن الجوزى ، ١ ـ ٢ ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، القاهرة ١٣٩٠ / ١٩٧٠ .

تحفة الوزراء ـ تحفة الوزراء للثعالبي، تحقيق B . Heinecke ، بيروت ١٩٧٥ .

التشبيهات ـ التشبيهات لابن أبي عون، تحقيق عبد المعيد خان (GMNS XVII)، لندن ١٩٥٠ .

التشبيهات من أشعار أهل الأندلس للكتانى ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٦ .

تفسير ابن كثير ـ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ١ ـ ٧ ، بيروت ١٩٧٨ .

تفسير مجاهد ـ تفسير مجاهد ، ١ ـ ٢ ، بيروت دون تأريخ .

تقويم البلدان ـ تقويم البلدان لأبى الفداء ، تحقيق M. G.de Slane ، باريس ١٨٤٠ .

تهذيب ابن عساكر - تهذيب تاريخ ابن عساكر بعناية عبد القادر بن بدران ، ١ - ٧ ، دمشق ١٣٢٩ - ١٣٥١ / ١٩١١ - ١٩٣٢ .

التيجان - كتاب التيجان فى ملوك حمير لعبد الملك بن هشام ، حيدر آباد ١٣٤٧ .

ثمار القلوب - ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب للثعالبي ، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٣٨٤ / ١٩٦٥ .

جامع البيان - جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى ، ١ - ٣٠ ، القاهرة ١٣٢١ .

الجامع لأحكام القرآن - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ١ - ٢٠ ، القاهرة ١٣٥٤ - ١٣٦٩ / ١٩٣٥ - ١٩٥٠ .

الجماهر - الجماهر فى معرفة الجواهر للبيرونى ، حيدر آباد ١٣٥٥ .

جوهر الكنز - جوهر الكنز لنجم الدين بن الأثير ، تحقيق محمّد زغلول سلام ، الإسكندريّة .

حسن المحاضرة - حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة للسيوطى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٣٨٧ / ١٩٦٧ .

حلبة - حلبة الكميت للنواجى ، القاهرة ١٢٧٦ .

الحماسة الشجريّة - حماسة ابن الشجرى ، حيدر آباد ١٩٤٩ / ١ - ٢ ، تحقيق عبد المعين الملوحى وأسماء الحمصى ، دمشق ١٩٧٠ .

حماسة الظرفاء - حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء لأبى محمّد عبد الله بن محمّد العبد لكانى ، ١ - ٢ ، تحقيق محمّد جبّار المعيبد (سلسلة كتب التراث ٢٧ ، ٦٦) بغداد ١٩٧٣ - ١٩٧٨ .

حياة الناشىء ـ الناشىء الأكبر، حياته وشعره، في : مجلّة كلّية التربية ، جامعة البصرة ١ / ١٩٧٩، ٧٣ ـ ١٦٤ ، تحقيق مزهر السوداني .

الحيوان ـ الحيوان للجاحظ ، ١ ـ ٧ ، تحقيق عبد السلام محمّد هارون ، القاهرة ١٩٣٨ ـ ١٩٤٥ .

خاصّ الخاصّ ـ خاصّ الخاصّ للثعالبي ، تحقيق حسن الأمين ، بيروت ١٩٦٦ .

خريدة القصر ـ خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الإصبهاني الكاتب ، قسم شعراء الشأم ، ١ ـ ٣ ، تحقيق شكري فيصل ، دمشق١٩٥٥ ـ ١٩٦٤.

خطط المقريزي ـ كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، تحقيق G. Wiet, in: MIFAO 30, 33, 46, 49, 53.

درر التيجان ـ درر التيجان وغرر تواريخ الأزمان لابن الدواداري ، مخطوطة آل دمد إبراهيم باشا ٩١٣ .

دمية القصر ـ دمية القصر وعصرة أهل العصر لأبي الحسن الباخرزي ، ١ ، تحقيق سامي مكي العاني ، بغداد ١٣٩١ / ١٩٧١ .

ديوان الأخطل ـ شعر الأخطل ، ١ ـ ٢ ، تحقيق فخر الدين قباوة ، ١ ـ ٢ ، حلب ١٣٩٠ / ١٩٧٠ .

ديوان امرؤ القيس ـ ديوان امرؤ القيس ، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم ، (ذخائر العرب ٢٤) ، القاهرة ١٩٦٤ .

ديوان أبي الصلت ـ ديوان الحكيم أبي الصلت أميّة بن عبد العزيز الداني ، تحقيق محمّد المرزوقي ، تونس ١٩٧٩ .

ديوان البحتري ـ ديوان البحتري ، ١ ـ ٥ ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، القاهرة ١٩٧٢ ـ ١٩٧٨ .

ديوان بشّار بن برد ـ ديوان بشّار بن برد ، ١ ـ ٤ ، تحقيق محمّد الطاهر بن عاشور ، تونس ١٩٧٦ .

ديوان تأبّط شرّاً ـ ديوان تأبّط شرّاً ، تحقيق سلمان داود القرغولى وجبّار تعبان جاسم ، نجف ١٣٩٣ / ١٩٧٣ .

ديوان أبى تمّام ـ ديوان أبى تمّام بشرح الخطيب التبريزى ، ١ ـ ٤ ، تحقيق محمّد عبده عزام (ذخائر العرب ٥) ، القاهرة ١٩٥١ وما بعدها .

ديوان تميم بن المعزّ ـ ديوان تميم بن المعزّ لدين الله الفاطمى ، القاهرة ١٣٧٧ / ١٩٥٧ .

ديوان الثعالبى ـ ديوان أبى منصور الثعالبى ، فى : المورد ٦ ، ١٩٧٧ .

ديوان جرير ـ ديوان جرير ، تحقيق محمّد إسماعيل عبد الله الصاوى ، بيروت ١٣٥٣ .

ديوان جميل ـ ديوان جميل بثينة ، تحقيق حسين نصّار ، القاهرة ١٩٦٧ .

ديوان حسّان بن ثابت ـ ديوان حسّان بن ثابت ، تحقيق وليد عرفات (GMNS 25) ، لندن ١٩٧١ .

ديوان ابن حمديس ـ ديوان ابن حمديس ، تصاحيح إحسان عبّاس ، بيروت ١٩٦٠ .

ديوان حميد بن ثور ـ ديوان حميد بن ثور ، تحقيق عبد العزيز الميمنى ، القاهرة ١٣٨٤ / ١٩٦٥ .

ديوان الخالديّين ـ ديوان الخالديّين ، تحقيق سامى الدهان ، دمشق ١٣٨٨ / ١٩٦٩ .

ديوان ابن خفاجة ـ ديوان ابن خفاجة ، تحقيق محمّد غازى ، الإسكندريّة ١٩٤٦ .

ديوان ابن الخيّاط ـ ديوان بن الخيّاط ، تحقيق خليل مردم بك ، دمشق ١٣٧٧ / ١٩٥٨ .

ديوان ابن دريد ـ ديوان شعر الأمير أبى بكر بن دريد الأزدى ، تحقيق محمّد بدر الدين العلوى ، القاهرة ١٣٦٥ / ١٩٤٦ .

ديوان دعبل ـ شعر دعبل بن على الخزاعى ، تحقيق عبد الكريم الأشتر ، دمشق ١٩٦٤ .

ديوان ديك الجنّ ـ ديوان ديك الجنّ ، تحقيق أحمد مطلوب وعبد الله الجبورى ، بيروت ١٩٦٤ .

ديوان ذى الرمّة ـ ديوان ذى الرمّة وهو غيلان بن عقبة العدوى ، تحقيق C. H. Macartney ، كامبريج ١٩١٩ / تحقيق عبدالقدوس أبو صالح ، دمشق ١٣٩٢ ـ ١٣٩٤ / ١٩٧٢ ـ ١٩٧٤ .

ديوان ابن رشيق ـ ديوان ابن رشيق القيروانى ، تحقيق عبد الرحمن باغى ، بيروت دون تأريخ .

ديوان ابن الرومى ـ ديوان ابن الرومى ، ١ ـ ٥ ، تحقيق حسين نصّار ، القاهرة ١٩٧٣ ـ ١٩٧٩ .

ديوان ابن الزقاق ـ ديوان ابن الزقاق البلنسى ، تحقيق عفيفة محمود ديرانى ، بيروت ١٩٦٤ .

ديوان ابن الساعاتى ـ ديوان ابن الساعاتى ، ١ ـ ٢ ، تحقيق أنيس المقدسى ، بيروت ١٩٣٨ .

ديوان السرى الرفّاء ـ ديوان السرى الرفّاء ، القاهرة ١٣٥٥ .

ديوان ابن سناء الملك ـ ديوان ابن سناء الملك ، تحقيق محمد عبد الحق ، حيدرآباد ١٣٧٧ / ١٩٥٨ .

ديوان ابن سهل – ديوان ابن سهل الأندلسي ، بيروت ١٣٨٧ / ١٩٦٧ ، دار صادر .

ديوان الشريف الرضي – ديوان الشريف الرضي الموسوي ، ١ – ٢ ، بيروت ١٩٦١ / ١٣٨٠ ، دار صادر .

ديوان الصبابة – ديوان الصبابة لابن أبي حجلة ، بهامش كتاب التزيين ، القاهرة ١٢٩١ .

ديوان الصنوبري – ديوان الصنوبري ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٧٠ .

ديوان ظافر الحداد – ديوان ظافر الحدّاد ، تحقيق حسين نصّار ، القاهرة ١٩٧٩ .

ديوان العبّاس بن الأحنف – ديوان العباس بن الأحنف ، تحقيق عاتكة الخزرجي ، القاهرة ١٣٧٣ / ١٩٥٤ .

ديوان عبد الله بن طاهر – ديوان عبد الله بن طاهر ، تحقيق قحطان عبد الستّار ، في : الخليج العربي ٦ / ١٩٧٩ ، ٢٥ – ٥٤ .

ديوان أبي العتاهية – ديوان أبي العتاهية ، تحقيق شكري فيصل ، دمشق ١٣٨٤ / ١٩٦٥ .

ديوان العرجي – ديوان العرجي ، تحقيق خضر الطائي ورشيد العبيدي ، بغداد ١٩٥٦ .

ديوان عرقلة – ديوان عرقلة الكلبي ، تحقيق أحمد الجندي ، دمشق ١٣٩٠ / ١٩٧٠ .

ديوان العسكري – ديوان أبي هلال العسكري ، تحقيق محسن غيّاض ، بيروت ١٩٧٥ / تحقيق جورج قنازع ، دمشق ١٩٨٠ .

ديوان علي بن الجهم – ديوان علي بن الجهم ، تحقيق خليل مردم بك ، دمشق ١٣٦٩ / ١٩٤٩

ديوان أبي الفتح البستي ـ ديوان أبي الفتح البستي ، تحقيق محمّد مرسي الخولي ، بيروت ١٩٨٠ .

ديوان كشاجم ـ ديوان كشاجم ، تحقيق خيرية محمّد محفوظ ، بغداد ١٣٩٠ / ١٩٧٥ .

ديوان أبي فراس ـ ديوان أبي فراس الحمداني ، ١ ـ ٣ ، تحقيق سامي الدهّان ، دمشق ١٣٦٣ / ١٩٤٤ .

ديوان مالك ومتمم ـ ديوان مالك ومتمم ابنا نويرة اليربوعي ، تحقيق ابتسام مرهون الصفّار ، بغداد ١٩٦٨ .

ديوان المأموني ـ قارن : Burgel : Die ekphrastischen Epigramme des Abu Talib al. Ma,muni, Gottingen 1966.

ديوان المتنبي ـ ديوان أبي الطيّب المتنبي بشرح الواحدي، تحقيق F. Dieterici برلين ١٩٦١ .

ديوان مسلم بن الوليد ـ شرح ديوان صريع الغواني مسلم بن الوليد الأنصاري ، تحقيق سامي الدهّان ، القاهرة .

ديوان المعاني ـ ديوان المعاني لأبي هلال العسكري ، ١ ـ ٢ ، القاهرة ١٣٥٢ .

ديوان ابن المعتزّ ـ ديوان ابن المعتزّ ، ١ ـ ٣ ، تحقيق يونس أحمد السامرّائي ، بغداد ١٩٧٧ وما بعدها .

ديوان النابغة ـ ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم (ذخائر العرب ٥٢) ، القاهرة ١٩٧٧ .

ديوان ابن النبيه ـ ديوان ابن النبيه ، القاهرة

ديوان أبي نواس ـ ديوان أبي نواس ، بيروت ، دار صادر .

ديوان ابن هانئ ـ ديوان ابن هانئ الأندلسي ، بيروت ١٩٥٤ ، دار صادر .
ديوان ابن وكيع ـ ديوان ابن وكيع التنيسي ، تحقيق حسين نصار ، القاهرة .
ديوان الوأواء ـ ديوان الوأواء الدمشقي ، تحقيق سامي الدهان ، دمشق ١٩٥٠.

ربيع الأبرار ـ ربيع الأبرار للزمخشري ، تحقيق سليم النعيمي ، بغداد ١٩٧٦ .
رسالة الطيف ـ رسالة الطيف لبهاء الدين على بن الحسن الإربلي، تحقيق عبد الله الجبوري ، بغداد ١٣٨٨ / ١٩٦٨ .
روض الأخيار ـ روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ، بولاق ١٢٧٩ .

زهر الآداب ـ زهر الآداب وثمر الألباب للحصري ، ١ ـ ٢ ، تحقيق على محمد البجاوى ، القاهرة ١٣٧٢ / ١٩٥٣ .
الزهرة ـ كتاب الزهرة لأبي بكر داود الإصبهانى ، تحقيق A . R . NykI وإبراهيم طوقان ، شيكاغو ١٩٣٢ .
الزيج ـ كتاب الزيج الصابئ لمحمد بن سنان بن جابر البتانى ، تحقيق C . Nallino ، روما ١٨٩٩.

سرور النفس ـ سرور النفس بمدارك الحواس الخمس لابن منظور ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٨٠ .
سمط اللآلى ـ سمط اللآلى فى شرح الأمالى لأبى عبيد البكرى ، ١ ـ ٣ ، تحقيق عبد العزيز الميمنى ، القاهرة ١٩٣٥ ـ ١٩٣٦ .
سنن الترمذى ـ سنن الترمذى وهو الجامع الصحيح لأبى عيسى الترمذى ، ١ ـ ٥ ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، المدينة ١٣٨٤ / ١٩٦٤ .

السيرة النبوية ـ السيرة النبوية لابن هشام ، ١ ـ ٤ ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبيارى وعبد الحفيظ شلبى ، القاهرة ١٣٥٥ / ١٩٣٦ .

شرح المقامات الحريرية ـ شرح المقامات الحريرية للشريشى ، ١ ـ ٢ ، القاهرة ١٣١٤ .

شعر ربيعة ـ شعر ربيعة بن مقروم الضبّي ، تحقيق نورى حمّودى القيسى ، فى : مجلّة كلّيّة الآداب ، بغداد ١٩٦٨ .

شعر السلامى ـ شعر السلامى ، تحقيق صبيح رديف ، بغداد ١٩٧١ .

شعر زهير ـ شعر زهير بن أبى سلمى صنعة الأعلم الشنتمرى ، تحقيق فخر الدين القباوة ، حلب ١٣٩٣ / ١٩٧٣ .

شعر عبد الرحمان بن حسان ـ شعر عبد الرحمن بن حسان الأنصارى ، تحقيق سامى مكّى العانى ، بغداد ١٩٧١ .

شعر عبد الصمد ـ شعر عبد الصمد بن المعذل ، تحقيق زهير غازى زاهد ، نجف ١٣٩٠ / ١٩٧٠ .

الصحاح ـ تاج اللغة وصحاح العربيّة للجوهرى ، ١ ـ ٦ ، تحقيق أحمد بن عبد الغفور عطّار ، القاهرة ١٣٧٦ / ١٩٥٦ .

صحيح البخارى ـ صحيح البخارى بحاشية السندى ، ١ ـ ٤ ، بيروت ، دون تأريخ .

صحيح مسلم ـ صحيح مسلم بن الحجّاج ، ١ ـ ٨ ، القاهرة ، دون تأريخ .

صورة الأرض ـ كتاب صورة الأرض لابن حوقل النصيبى ، ١ ـ ٢ ، تحقيق Kramers ليدن ١٩٣٨ ـ ١٩٣٩ .

طراز المجالس ـ طراز المجالس لشهاب الدين الخفاجى ، القاهرة ١٩٣٧ .

عجائب المخلوقات ـ عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، ١ ـ ٢ ، تحقيق F. Wustenfeld , ١٨٤٨ - ٤٩ جوتنجين .

العصا ـ العصا لأسامة بن منقذ، تحقيق حسين عبّاس، الإسكندرية ١٣٩٨/١٩٧٨.

عنوان المرقصات ـ عنوان المرقصات والمطربات لابن سعيد ، القاهرة ١٢٨٦ .

عيون الأخبار ـ عيون الأخبار لابن قتيبة ، ١ ـ ٤ ، القاهرة ١٩٢٥ ـ ١٩٣٠ .

غرائب التنبيهات ـ غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات ، تحقيق محمّد زغلول سلام ومصطفى الصاوى الجوينى ، (ذخائر العرب ٤٥) ، القاهرة ١٩٧١.

الفاضل ـ الفاضل فى صفة الأدب الكامل لأبى الطيّب الوشاء ، ١ ـ ٢ ، تحقيق يوسف يعقوب مسكونى ، بغداد ١٩٧٢ ـ ١٩٧٦ .

الفرق بين الفرق ـ الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادى ، تحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، دون تأريخ .

فوات الوفيات ـ فوات الوفيات للكتبى ، ١ ـ ٥ ، تحقيق إحسان عبّاس ، بيروت ١٩٧٣ ـ ١٩٧٥ .

فيض القدير ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوى ، ١ ـ ٦ ، القاهرة ١٣٥٦ ـ ١٣٥٧ / ١٩٣٨ .

قصص الأنبياء ـ قصص الأنبياء للثعلبى ، القاهرة ، دون تأريخ .

قطب السرور ـ قطب السرور للرقيق القيروانى ، تحقيق أحمد الجندى ، دمشق ١٩٦٩ .

قوائد الشعر – قوائد الشعر لثعلب ، تحقيق رمضان عبدالتوّاب ، القاهرة ١٩٦٦ .

الكامل (ابن الأثير) – الكامل لعزّ الدين محمّد بن الأثير ، ١–١٣ ، بيروت ١٩٦٥ – ١٩٦٧ ، دار صادر .

الكامل (مبرّد) – الكامل المبرّد ، ١ – ٢ ، تحقيق W Wright ، ليبزيغ ١٨٦٤ – ١٨٩٢ .

كنز الدرر – كنز الدرر وجامع الغرر لابن الدواداري ، ٦–٩ ، تحقيق صلاح الدين المنجّد وأخ ، القاهرة ١٩٦٠ وما بعدها .

اللآلئ المصنوعة – اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ، ١ – ٢ ، القاهرة ، دون تأريخ .

لسان العرب – لسان العرب لابن منظور الإفريقي ، ١ – ٢٠ ، بولاق ١٣٠٠ – ١٣٠٨ .

لطائف المعارف – لطائف المعارف للثعالبي ، تحقيق إبراهيم الإبياري وحسن كامل الصيرفي ، القاهرة ١٩٦٠ .

محاضرات الأدباء – محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الإصبهاني ، ١ – ٢ ، القاهرة ١٢٨٧ .

مختار شعر بشار – المختار من شعر بشار للتجيبي ، تحقيق محمّد بدر الدين العلوي ، عليكره – القاهرة ١٩٣٤ .

مختصر كتاب البلدان – مختصر كتاب البلدان لابن فقيه ، تحقيق de Goeje ليدن ١٨٨٥ .

مرآة الزمان ـ مرآة الزمان فى تأريخ الأعيان لسبط بن الجوزى ، مخطوطة أحمد الثالث ٢٩٠٧ .

مروج الذهب ـ مروج الذهب للمسعودى ، ١ ـ ٧ ، تحقيق CH . Pellat ، بيروت ١٩٦٥ ـ ١٩٧٩ .

المسالك والممالك لابن خرداذبه ، تحقيق de Goeje ، ليدن ١٨٨٩ .

المستطرف ـ المستطرف فى كلّ فنّ مستظرف للإبشيهى ، ١ ـ ٢ ، القاهرة ١٣٧١ / ١٩٥٢ .

مسند أحمد بن حنبل ـ مسند أحمد بن حنبل، ١ ـ ٦ ، بيروت ، دار صادر .

مسند الحميدى ـ مسند الحميدى ، ١ ـ ٢ ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمى ، بيروت ـ القاهرة ، دون تأريخ .

المشترك وضعاً ـ المشترك وضعاً والمفترق صقعاً لياقوت الرومى ، تحقيق F.Wustenfeld جوتنكن ١٨٤٦ .

المصون ـ المصون فى الأدب لأبى أحمد العسكرى ، تحقيق عبد السلام محمد هارون (التراث العربى ٣) ، الكويت ١٩٦٠ .

مطالع البدور ـ مطالع البدور فى منازل السرور للغزولى ، ١ ـ ٢ ، القاهرة ١٢٩٩ .

مطلع الفوائد ـ مطلع الفوائد ومجمع الفرائد ، تحقيق عمر موسى باشا ، دمشق ١٩٧٢ .

معجم البلدان ـ معجم البلدان لياقوت الرومى، ١ـ٦، تحقيق F. Wustenfeld، ليبزيغ ١٨٦٦ ـ ١٨٧٠ .

معجم ما استعجم ـ معجم ما استعجم لأبى عبيد البكرى ، ١ ـ ٤ ، تحقيق مصطفى السقا ، القاهرة ١٣٦٤ ـ ١٣٧١ / ١٩٤٥ ـ ١٩٥١.

المعجم المفهرس ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى ، ١ ـ ٧ ، ليدن ١٩٣٦ وما بعدها .

المعرّب ـ المعرب لابن الجواليقى ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، القاهرة ١٣٨٩ / ١٩٦٩ .

معاهد التنصيص ـ معاهد التنصيص للعبّاسى ، ١ ـ ٢ ، القاهرة ١٣١٦ .

مقامات الحريرى ـ كتاب المقامات للحريرى ، ١ ـ ٢ ، تحقيق Silvestre de Sacy باريس ١٨٤٧ .

من غاب ـ من غاب عنه المطرب للثعالبى ، بيروت ١٣٠٩ .

نفحة اليمن ـ نفحة اليمن للشروانى ، القاهرة ١٣٥٦ .

نفح الطيب ـ نفح الطيب المقّرى ، القاهرة ١٣٦٩ .

النقائض ـ نقائض جرير والفرزدق ، ٢ ـ ٣ ، تحقيق A . A . Bevan ، ليدن ١٩٠٥ ـ ١٩٠٩ .

نهاية الأرب ـ نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى ، ١ ـ ٢١ ، القاهرة ١٣٤٢ ـ ١٣٩٦ / ١٩٢٣ ـ ١٩٧٦ .

النهاية فى غريب الحديث ـ النهاية فى غريب الحديث لمجد الدين ابن الأثير ، ١ ـ ٤ ، القاهرة ١٣٢٢ .

نوادر المخطوطات ـ نوادر المخطوطات ، ١ ـ ٢ ، تحقيق عبدالسلام محمّد هارون، القاهرة ١٣٧٠ ـ ١٣٧٤ / ١٩٥١ ـ ١٩٥٥ .

الوافى بالوفيات ـ الوافى بالوفيات للصفدى ، ١ ـ ٩ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٥ ، تحقيـق H. Ritter وآخ ، استنبول / دمشق / فيسبادن ١٩٣١ ـ ١٩٨٠ .

الورقة ـ كتاب الورقة لابن الجرّاح ، تحقيق عبد الوهّاب عظام وعبد الستّار أحمد فراج ، (ذخائر العرب ٩) ، القاهرة ١٩٥٣ .

وفيات الأعيان ـ وفيات الأعيان لابن خلكان ، ١ ـ ٨ ، تحقيق إحسان عبّاس ، بيروت ١٩٧٢ .

يتيمة الدهر ـ يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر للثعالبى ، ١ ـ ٤ ، دمشق ١٨٨٥ / ١ ـ ٤ ، تحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميـد ، القاهرة ١٩٥٦ .

Daiber, Hans. Das theologisch - philosophische System des Mu ᶜammar Ibn ᶜAbbad as - Sulami (gest. 83o n. Chr.). Beirut 1975.

Ess, Josef van. Fruhe mu ᶜtazilitische Haresiographie. Beirut 1971.

Landberg, C. de.Basim le forgeron et Harun er-Rachid. Leyde 1888.

Noldeke, Theodor.Beitrage zur Kenntnis der Poesie der alten Araber. Hildesheim 1967.

الفهـــــــارس

١ ـ الأعلام والأمم والطوائف

٢ ـ الأماكن والبلدان

٣ ـ الكلمات والمصطلحات

٤ ـ الشعراء *

(*) تشير أرقام السطور إلى الهوامش أيضاً

٥ — القوافى

القافية	الوزن	الشاعر	الموضع
الرقيبْ	سريع		٧:٣١٣
المغيبْ	سريع	الشريف الطوسى	٤:٣٠٣
كاللهيبْ	سريع	ابن المعتز	٥:٣٢٩
بالذوائبْ	كامل	ابن الرومى	٢:٣٢٢
صُهْبُ	بسيط	ابن بسام ؛	٢:٢٨٤
		ابن طاهر ؛	
		ديك الجنّ	
مُعَرَّبُ	كامل	القاضى التنوخى ؛	١٠:٣٥٤
		مهلهل بن يموت	
		ابن المزرع	
عَسيبُ	طويل	امرئ القيس	١٧:١٢٠؛
			١١:١٣٧
يَطيبُ	طويل	ابن خفاجة	٢:٣١١
قربِ	سريع	أبو فراس	١٠:٢٨٨
		الحمدانى	
قُضُبِ	بسيط	على بن الجهم ؛	١٧:٢٨٢
		محمد بن عبد الله بن ظاهر ؛	
		محمد بن عبد الله بن طاهر	
المتقلّبِ	طويل	دعبل	٥:٣٤٤
طيّبِ	سريع	الشريف الطوسى	١٣:٣٠٣

القافية	الوزن	الشاعر	الموضع
بالحَبَبِ	بسيط	الجمال الدمشقى	١٧:٣٥٧
من حَبَبِ	بسيط	الشريف الطوسى	١٧:٣٥٦
والأدَبِ	بسيط	أبو تمام	١٥:٣٧٧
والطَرَبِ	بسيط	ابن القوبع	١٤:٢٨٠
والطَرَبِ	بسيط	ابن المعتز	٨:٣١٢
والطَّرَبِ	بسيط	سيدوك الواسطى؛ ابن تمار الواسطى	٨:٣٥٢
مذنبِ	كامل	ابن طباطبا	١٠:٣٤٦
كالكوكَبِ	كامل	البحترى	٩:٣٤٨
مُتلَهِّبِ	كامل	ابن وزير الجزيرة	٥:٣٤٩
بالعَجَبِ	رجز		١٥:٣٢٠
الرُّطَبِ	منسرح	ابن وكيع	٩:٣٢٠
الطِّيبِ	منسرح	ابن دريد	٢:٣٢٨
الرُّطوبِ	خفيف	ابن المعتز؛ ابن الرومى	١١:٣٧٧
المغيبِ	رمل	ابن وزير الجزيرة	٢:٢٨٣
وشبابِ	كامل		٥:٢٨٠
بخضابِ	كامل		٦:٣٨٠
الخضاب	وافر		٤:٣٨٢

القافية	الوزن	الشاعر	الموضع
ظُفُرِ	وافر	الصنوبرى ؛ أبو الحسن الأنبارى	٦:٣٣٥
السَّحْرِ	طويل	مسلم بن الوليد	٢:١٤٣
بالسِّحْرِ	منسرح	الشريف الرضى ؛ ابن المعتز	١٤:٣٦١
سِتْرِ	وافر	ابن المعتز	٣:٣٥٨
تدرى	طويل	الزاهى ، ابن رشيق القيروانى ، أبو العباس الناشىء ، الناشىء الأصغر ، أبو العباس النامى	٢:٣٤٥
جَمْرِ	سريع	ابن المعتز	٧:٣٥٩
شَهْرِ	هزج		٩:٣٦٥
تَعَذُّرِ	كامل	أبو إسحق الأندلسى	١٣:٢٧٨
لِمُبْصِرِ	كامل	ابن دفترخان	١٠:٣٥٨
المبكرِ	كامل		٥:٣٣١
بالبَصَرِ	بسيط	سيدوك الواسطى ؛ عبد الله القسوى الضرير	١١:٣٦١
وطرى	بسيط	الشافعى	١٦:٣٠١
كالعنبرِ	كامل	ابن المعتز	١٥:٣٢٥
مُقَدَّرِ	كامل		١٨:٣٦٨

القافية	الوزن	الشاعر	الموضع
أخضَرِ	كامل	ابن وكيع	٤:٢٩٣
مَنْظَرِ	كامل	أبو حفص	١٢:٣١٠
الأزْهَرِ	كامل	ابن وكيع	١:٢٧٨
الجوهَرِ	كامل	ابن هانىء	١٤:٣٦٨
السكرْ	رجز	أبو حفصة	١٣:٣٩٩
مُصْطَبَرى	منسرح		١٧:٣٣١
الشّجَرِ	منسرح	ابن المعتز	٥:٣٢٧
المخبرِ	مضطرب		٦:٢٩٥
المكسورِ	كامل		١٣:٣٣٢
مَهْجورِ	سريع	ابن المعتز	١٠:٣٤٧
مخمورِ	سريع	ابن المعتز	١٣:٣٥٨
الثّغورِ	خفيف	البحترى	١٠:١٤٣
نَظيرِ	طويل	يزيد بن معاوية	٢:٣٣١
الطيافيرِ	بسيط		٨:٣٢٥
وَزيرِ	رمل		١٦:٣٩٦
وأحجارى	بسيط	الأخطل	٨:٣٧
بأزرارِ	بسيط	كشاجم	١٣:٣٤١
سارِ	بسيط	ابن الدواداري	١٨:٣٤٩
جارى	كامل		٢:٣٢٦
الوقارِ	كامل	السرى الرفّاء	٥:٣٤١

القافية	الوزن	الشاعر	الموضع
البارى	سريع	ابن المعتز	٢:٣٣٠
نارِ	سريع	ابن الرومى	١٠:٣٥٩
القطارِ	وافر		٦:٣١٤
النّهارِ	وافر	ابن المعذّل	١٨:٣٠٥
أسرارى	منسرح	أبو طاهر الرقاء ؛ أبو طالب الرقى ؛ ابن المعتز	١٠:٢٨٣
العواطِرِ	طويل	ابن وكيع	١٢:٢٩١
الناعِرِ	سريع	ابن الرومى	٨:٣٦٩
شَزْرا	طويل	الرقاشى	١٧:١٤٠
القطرا	طويل	ذو الرمّة	٦:٣٦٢
يرا	طويل		٣: ٥
مئزرا	طويل	ابن المعتز	١٥:٣٤٣
شيزرا	طويل	امرىء القيس	١٠:١٢٠
جوهرا	كامل	ابن سهل الأندلسى	١١:٢٧٩
أزهَرا	سريع	أبو عبد الله الحداد	١٠:٣٠٢
أصفرا	رجز	ابن المعتز	٥:٣٠٤
جرا	متقارب	ابن المعتز	٢:٣٥٩
قبورا	كامل	محمد بن أبى أمية	٢:١٤١
تقديرا	سريع	ابن وكيع	٨:٣٢١

القافية	الوزن	الشاعر	الموضع
الدنانيرا	سريع	ابن المعتز	٨:٣٠٥
عطارا	طويل	أبو منصور الثعالبي	٣:٣٣٨
نوّارا	بسيط	ابن المعتز	٢:٣٣٦
احمرارا	رجز		١٠:٢٩٨
ساهِرا	سريع	ثابت بن قرة	٧: ٥٢
غُرَرُهْ	رجز	أبو تمام	٨:٣٧٩
لصُفْرَهْ	سريع		٩:٣١٠
شَجَرَهْ	رجز	أبو فراس الحمدانى ؛ أبو نواس ؛ الحمدونى	١:٣٠٤
سرّهْ	مجتث	ابن وَكيع ؛ ابن حمزة	١٦:٣٠٨
طائرُهُ	بسيط	ابن النبيه	١٧:٢٤٠
مِزارِهِ	كامل		٨:٢٩٩
سُنْدُسُ	كامل	ابن الساعاتى	٥:٢٨١
النَرجِسُ	متقارب	عبد الله بن طاهر ؛ ابن الرومى ؛ ابن المعتز	٢:٢٨٨
اللّمسِ	طويل	ابن المعتز	٢:٣٢٩
التّنَفُّسِ	طويل	ابن حمزة	٢:٣٠٩
مؤنسى	كامل	أبو نواس	٥:٢٨٨
المَسّ	سريع	ابن المعتز	٢:٣٤١
الـكُؤوسِ	وافر	ابن وكيع	١٠:٢٩٣

القافية	الوزن	الشاعر	الموضع
الكُؤوس	وافر	ابن المعتز	٥:٢٩٤
النُّفوسِ	خفيف	ابن وكيع	٥:٣٤٣
النفوسِ	مجتث	ابن وكيع	٧:٢٩٣
كالعَروسِ	متقارب	الشريف الطوسى	٢:٣٤٢
بالقباريسِ	بسيط	جرير	١٨:١٣٠
النواقيسِ	بسيط	أبو نواس ؛ الأخيطل الأهوازى ؛ ابن المعتز ؛ مهرم بن خالد العبدى	١٣:٢٩٦
وطاسِ	وافر	السرى الرفّاء	٩:٣٦٤
اختلاسا	بسيط	أبو عبد الله	١٥:٣٦٩
أنفاسَها	متقارب	أبو عامر ؛ أبو العلاء صاعد بن الحسن البغدادى ؛ صاعد اللغوى الأندلسى	٧:٢٨٣
الغَبَشْ	متقارب	ابن خفاجة	٩:٣١٨
يَنْقُصُ	متقارب	تميم بن المعزّ ؛ أبو الفرج الوأواء	٢:٣٥٤
شاخِصُ	متقارب	ظافر الحداد	٢:٣٥٦
الغُمْضِ	منسرح	ابن المعتز	٢:٢٨٩

القافية	الوزن	الشاعر	الموضع
البَعْضِ	طويل		١٠:٣١٦
تَنْقَضّ	منسرح	ابن عباد	١٣:٢٩٧
اغماضِ	وافر	ابن الرومى	٥:٢٨٩
ماضِ	وافر	ابن الزقاق ؛ على بن عطية البلنسى	٨:٣٥٠
غَرَضا	بسيط	يحيى بن مروان	١٣:٤٠٠
يخالَطِ	كامل	ابن المعتز	١٢:٣٢٩
خُلِطا	منسرح	الصقلى	١٢:٣٢٧
مُلتقِطِهْ	بسيط	ابن الرومى	٢:٢٨٥
يَهْجَعُ	طويل	حميد بن ثور	٢:٣٤٤
تصرَّعُ	طويل	ابن المعتز	١٦:٣٦٣
مُرَقَّعُ	طويل	أبو تمام	٥:٣٧٩
مُولَعُ	كامل	أبو الفتح البستى	١٧:٣٧٧
مُنْتَفَعُ	منسرح	الصابئ	٢:٣٦٦
قريعُ	كامل	أبو نواس	١:٣٩٨
التراعُ	وافر	كشاجم	١٣:٣٥٣
الدُّموعِ	بسيط	أبو إسحق الخولانى	١٣:٣٠١
الطلوعِ	وافر	أبو الحسن الصقلى ؛ أبو الحسن على بن أبى البشر الكاتب	١٢:٣٥٢

القافية	الوزن	الشاعر	الموضع
معشوقِهِ	منسرح	الخبزارزى ؛ نصر بن أحمد	٢:٣٠٨
فذلكْ	بسيط	منصور الفقيه	١٢:٣٧٩
يُفرَكُ	كامل	كشاجم	٢:٣٤٦
المَليكُ	وافر	ابن المعتز	١٣:٢٨٨
فَلَكِ	بسيط		٢:٣٦٢
سِلْكا	خفيف	أبو الفتح البستى	٦:٣٤٦
هُتِّكا	طويل	ابن وكيع ؛ محمد ابن القاسم العلوى	١١:٣٢١
عبدِكا	سريع		١٣:٣٠٢
معاليكا	سريع	أبو الصلت الدانى ؛ الصقلى	١٣:٢٨٣
يُهَنِّيكا	هزج	الصابىء	٥:٣٦٦
المغازلْ	وافر	ابن قادوس	٥:٣٥٦
وَصْلُ	طويل		١٤:١٤١
النَّعْلُ	طويل	زهير بن أبى سلمى	٢: ٦٦
الأَجْبُلُ	سريع	المعرّى	٧:١٧١
الإِبِلُ	بسيط	ابن المعتز	١٤: ٣١
يَتَصَاصَلُ	طويل		٤:١٤٢
يَهَلُ	كامل	القاضى التنوخى	٩:٣٥٣

القافية	الوزن	الشاعر	الموضع
الأكاليلا	منسرح	معز الدولة كشاجم ؛ ابن المعتز	٣٢٧ : ١٥
صقالا	متقارب		٣٣٣ : ٣
بِلا بِلا	كامل	ابن المعتز	٣٢١ : ٥
نَحَلَهْ	رمل		٣٣٣ : ٦
وذلّهْ	وافر		٣٣٤ : ١١
قِلّهْ	متقارب	ابن المعتز	٣٣٣ : ٩
لنالها	طويل	مروان بن أبى الجنوب	٤٠٠ : ٨
النَّسَمْ	متقارب	أبو كرب الحميرى	٣٨٤ : ١٨
نَعَمْ	متقارب	النظام	٣٤٦ : ١٧
جهنّمْ	مجتث	المجد المرياطى	٣٤٢ : ٨
المُقَدَّمُ	طويل		٢٢٣ : ١٥
مُحَرَّمُ	طويل	الشريف الطوسى	٣٤٢ : ٥
عَلَمُ	منسرح	ابن المعتز ؛ الصنوبرى	٣٥٢ : ٢
نجومُ	طويل	الفتح بن خاقان	٣٦٧ : ٨
رُدومُ	وافر		٣٦٥ : ٦
مَعْدومُ	خفيف	كشاجم	٣٢١ : ٢
أوادِمُ	طويل	للمعرى	٢٦٩ : ٤

القافية	الوزن	الشاعر	الموضع
هامُها	طويل		١:١٤٢
عَينْ	سريع	ابن المعتز	٣:٣٣٥
الفاطمِينْ	بسيط		١٦:٣٧٩
يَبينْ	سريع		٣:٢٩٧
خاقانْ	رجز	يزيد بن الوليد بن عبدالملك	١٠:٣٩٦
العِيانْ	سريع	المجد المرياطى	١٣:٣٥٧
الزعفَرانْ	سريع	ابن الرومى	٦:٣٠١
عُيونُ	طويل	أبو نواس	١٤:٢٨٧
الأمْنِ	سريع		١٥:٣٣٤
بجيرونِ	بسيط	العماد الكاتب الإصفهانى	١:١١٧
العِينِ	بسيط	أحمد بن منير	١٦:١١٦
الأفانينِ	بسيط		١٥:٣١٦
وبينى	وافر	الجزارمورا (؟)	١٨:٣٨١
الرياحينِ	منسرح	ابن المعتز	٢:٣٤٣
بُستانِ	طويل		٢:٣٣٢
وأغانى	طويل	مروان بن أبى الجنوب	١٠:٤٠٠
حوانى	طويل	جميل بثينة	١:١٤٦
الغدرانِ	كامل		١٤:٣٦٧
النعمانِ	كامل	ابن الزقاق	٤:٣٥١

تصويبات ومستدركات

ص	س	الخطأ	الصواب
٢٧	١٢	قرست	قرشت
٣٢	(١ ـ ٢)	المجاهد	مجاهد
٤٦	٢	يجولها	يحولها
٤٩	١٤	(١٦)	(١٤)
٤٩	١٥	(١٧) البهيج	(١٥) البهج
٥٢	(٧ ـ ١٠)	قارن الأعلاق النفيسة لابن رسته ص ١٧ ، (تحقيق ليدن ١٨٩١)	
٥٢	(٩)	مع : فى الأعلاق النفيسة	
٥٧	٢١	عرس	عرش
٥٨	١	فيطورس	قنطورس
٥٨	٥	فيطورس	قنطورس
٦٢	١١	كبآ	كعبآ
٦٤	١	قسر	فسر
٦٨ ـ ٧٢	العنوان	المقربين . . .	المقربون . . .
٧٢	٩	(٨ ـ ٩)	(٩)
٧٦	٢	راتفع	ارتفع
٧٨	١٤	خيل !	خيل ؟
٨٠	١٣	على	عن

ص	س	الخطأ	الصواب
٨١	١٦	الأرض	الأرضين
٨٨	١٩	يترماه	تيرماه
١٠١	١١	الفقحاق	الففحاق
١٠٥	١٠	بنوافحها	بنوافجها
١١٢	(١٥)	دمشق ١١	دمشق ١ / ١١
١١٥	٧	لحديث	الحديث
١٢٤	١٥	الهيثم :	الهيثم
١٢٧	١٢	وقد وقد	وقد
١٢٧	١٨	الإسكندرية	الإسكندر
١٣٠	٢	بسيط	البسيط
١٣٦	٢	نزله .	نزله
١٤١	(١٥)	ولست	وليست ، كتاب الزهرة
١٤٧	١٧	وقيه فرود	وفيه قرود
١٤٧	(٩)	الان	الان :
١٤٨	١٩	للسكهم	لماسكهم
١٦٤	١٧	السكشك	اللشك
١٧١	٦	الريع	السريع
١٧٨	٩	والسمور	السمور
١٧٩	٩	اقريطس ، اقريطسى	إقريطش ، اقريطشى
١٨١	٧	أشرين	أشرس

ص	س	الخطأ	الصواب
١٩٢	٢٠	للمعرف	المغرق
١٩٤	١٥	كالطيطورى	كالطيطوى
٢٠٤	٨	بحير فامية	بحيرة فامية
٢٠٦	العنوان	العرافى	العراق
٢٠٦	(٥) و (٩)	مارندى	بازَبْدَى مروج الذهب ١ / ١٢٢ مادة ٢٣٩
٢٠٦	٥	(٣)	(٥) و (٩)
٢٠٧	٩	جفر	حفر
٢٢١	العنوان	الجباس	ابن الجباس
٢٢١	٤	الجباس	ابن الجباس
٢٢٤	١٥ و ١٩	بهوّ ، للبهوّ	بهو ، البهو
٢٣٠	٢	الجن	الحن
٢٣١	٩	والإنس ثمانيـــة من الجنّ	ملغى !
٢٤٨	٤	ثير ، مسيوط ، زلبنور	ثبر ، مسوط زلنبور
٢٨٢	(١٧ ـ ١٨)	جهم	الجهم
٢٨٣	١٢	(١٢) للسقلى : للصقلى	
٢٨٣	(١٣ ـ ١٤)	بن أبى الصلط	بن عبد العزير

ص	س	الخطأ	الصواب
٢٨٤	(١٢-١٣)		ديوان ظافر الحداد ٢٦٧ ، ٢ ، رقم ٢٢٠ ؛ وفيات الأعيان ١ / ٤٧٠ ؛ ٥ / ٢٢٨ (منسوب إلى تميم بن المعز
٢٨٤	١٣	عليه	كذا ، ناقص فى الديوان
٢٨٨	١٣	(٣)	(١٣)
٢٩٠	(١١-١٢)		ابن أبى حجلة : كتاب سكردان السلطان ٤٦٥ ، ١١ (منسوب إلى الحسين بن الفضفاض)
٢٩٥	(٤)		ابن أبى حجلة : كتاب سكردان السلطان ٤٦٦ ، ٤ (منسوب إلى شهاب الدين بن جلنك)
٢٩٥	(١٨-١٩)	نابغة	النابغة
٣١٣	١٣	(١٠-١١)	(١٣-١٥)
٣١٥	١٢	قطربه	قطريه
٣٢١	(٨-٩)		ديوان ابن وكيع ٥٦ ، رقم ٢٤
٣٢٧	١١		(١١) للسقلى : للصقلى
٣٣٠	١	عن	من
٣٣٧	٤	بمجوعة	بمجموعه
٣٤٤	٦	البسط	البسيط
٣٥١	(١١-١٥)		شعر ابن طباطبا ، رقم ١١ ، ١ - ٣ ، ٨ ؛ تحقيق جابر الخاقانى ، بغداد ١٩٧٥
٣٥٣	(٢-٣)	الصاط	الصلت

ص	س	الخطأ	الصواب
٣٥٦	(٢)	وكذا	كذا
٣٦٧	(٨-٩)	قلائد العقيان للفتح بن خاقان ٣٢٩ ، ٨ (منسوب إلى أبي القاسم بن العطار) ؛ طبع تونس ١٩٦٦	
٣٧٩	١١	وقوله :	وقوله
٣٩٦	(٢)	وكذا	كذا

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٢/١٥٧٥

فهرست لما فى هذا الجزء من صحيح الأخبار

وملح الآثار

صفحة

صفحة

الصفحة